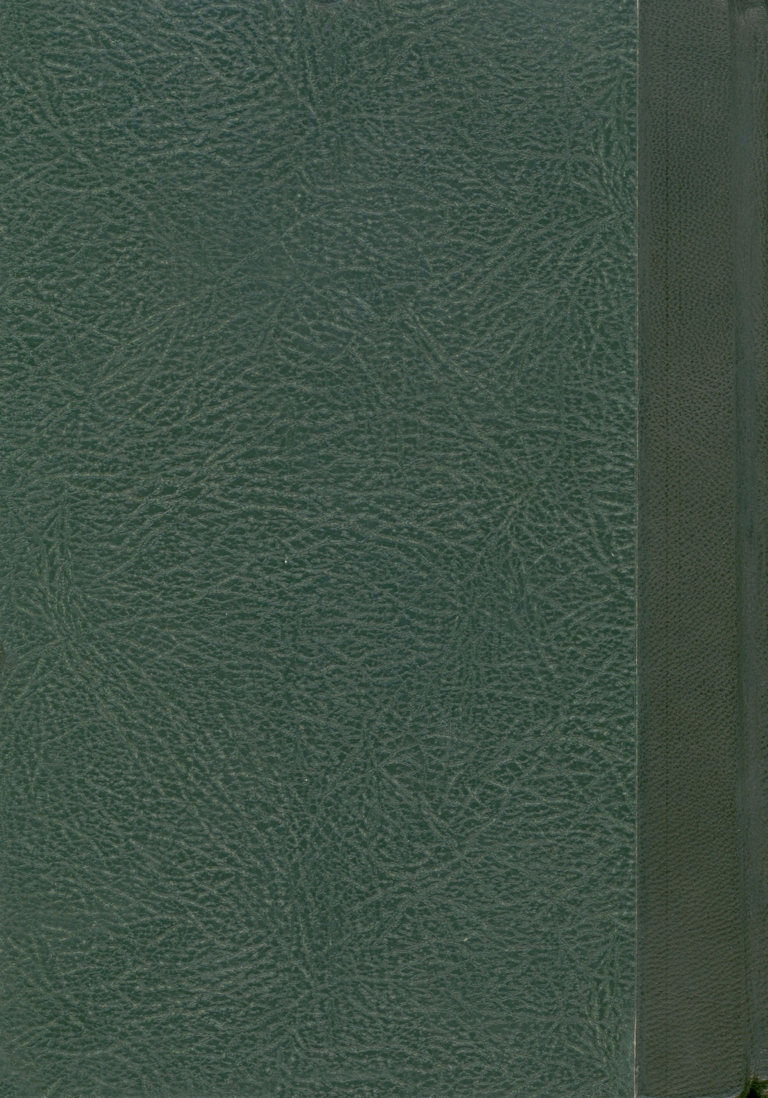






المجلد الثامن عشر – الجزء الأول

مايو سنة ١٩٥٦

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٥٨





المجلد الثامن عشر — الجزء الأول

مايو سنة ١٩٥٦

مطبعة جامعة القاهرة

١٩٥٨

تصدر هذه المجلة مرتين كل سنة ، فى مايو وديسمبر . وتطلب من مكتبة جامعة القــاهرة بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحيــة العلمية الى المشرف على تحريرها السيد الأستاذ عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة

وثمن الجزء الواحد من أى مجلد ثلاثون قرشا مصريا

فهرس القسم العربى

العقدة الشركسية عند مدرسة الشيخ محمد عبده
وأثرها فى صحافة هذه المدرسة

بقلم الدكتور عبد اللطيف حمزه

أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة

— ١ —

صدرت لائحة سعيد سنة ١٨٥٨ فأتاحت لبعض الفلاحين المصريين — وأكثرهم من العمد ومشايخ البلاد فى ذلك الحين — ملكية قطع من الأرض . ومن ذلك الوقت بدأت تتكون فى مصر طبقة جديدة لم تكن معروفة من قبل ، هى طبقة الملاك الذين أخذت تتسع أراضيهم شيئا بشىء . ثم أصبحوا يتمتعون بالثراء الواسع . كما أصبح يطلق عليهم لفظ « أعيان البلاد » .

ثم فى عهد اسماعيل ظهر مايسمى « بمجلس شورى النواب ، سنة ١٨٦٨ — أعنى بعد مضى عشرين سنة من صدور لائحة سعيد . فكان من الطبيعى اذ ذاك أن يقوم هذا المجلس على أفراد هذه الطبقة التى سميت بطبقة الأعيان لا يكاد يتجاوزها إلى غيرها من أفراد الشعب الذين لم يظهروا بعد على مسرح الحياة المصرية الصحيحة .

وهكذا نمت هذه الطبقة وتقدمت وأصبح لها بروز خاص فى المجتمع المصرى . وظهر أثرها واضحا فى ميدان السياسة والاجتماع ، والتربية والتعلم وغير ذلك من الميادين الأخرى .

وما إن أوشك عهد اسماعيل أن يزول حتى حلت بالبلاد كوارث شداد كان السبب المباشر فى حلولها خطأ جسيما كان قد بدأه سعيد ، ومضى فيه اسماعيل . وهذا الخطأ الجسم هو الديون التى أسرف فيها الأخير . واليها يعزى السبب كل السبب فيما قاست البلاد منذ ذلك التاريخ إلى اليوم .

نعم — كان اسماعيل رجلا مملوءا بالنوايا الطيبة نحو مصر ، وكان يؤمن بامكان وصولها الى الدرجة التى عليها بعض دول الغرب فى ذلك الوقت .

غير أن الخطأ الجسيم الذى ارتكبه اسماعيل — كما قلنا — هو الديون . فالديون هى المسؤولة عن الخراب الذى حل بالبلاد وافضى بها الى الكارثة العظمى بعد ذلك وهى كارثة الاحتلال .

والثابت أن حكم اسماعيل قد كلف البلاد المصرية مالا يقل عن اربعمائة مليون من الجنيهات . وحين بهظت الديون اسماعيل حاول انكارها ، وأراد الاحتماء بحكومة دستورية يستتر وراءها ، ويستعين بها على مقاومة النفوذ الأجنبى الذى استشرى بالبلاد . وكذلك فعل بالصحافة التى كانت رسمية ثم أصبحت على يده شعبية ، والصحافة سلاح ذو حدين أمكنه باحدهما أن يحارب أعداءه من الأوروبيين وغير الأوروبيين ، وأما الثانى منهما فكان مسلطا على رقبته مصوبا الى مقتله .

ولم يكن لاسماعيل وزير يضبط أمواله وأموال الحكومة المصرية فى زمانه . ولكن كان إلى جانبه رجل يدعى « اسماعيل صديق » المعروف « بالمفتش » كان كسيده رجلا ميالا الى الاسراف والتبذير ، فحمّله التاريخ وحمّل معه نوبار مسؤولية الخراب الذى عم مصر فى ذلك العصر .

وما أكثر ما كان اسماعيل يستدين . إما ليدفع الدين رشوة للباب العالى ، وإما ليدفع هذا الدين فى بناء القصور الفخمة التى فتن بها وألح فى تشييدها ، وإما لمقاومة الطاعون الذى فشا فى زمانه ، وأما لسداد الأموال التى اقترضها عمه سعيد منذ كان واليا على مصر ، وإما للانفاق على مظاهر البذخ والابهة فى حفلات افتتاح قناة السويس ونحو ذلك .

وفى عام ١٨٧٥ وصلت الحالة الاقتصادية فى مصر إلى درجة تستحق الرثاء فاضطر اسماعيل الى أن يعرض نصيب مصر اسهم القناة للبيع . وكان عددها ١٧٦٦٠٢ سهما فبيعت هذه الصفقة كلها لانجلترا ودفعت عنها انجلترا أربعة ملايين من الجنيهات الانجليزية فقط على حين أنها — أى انجلترا — ربحت من هذه الأسهم إلى سنة ١٨٩٩ مبلغا لا يقل عن ثمانية وثلاثين مليونا من الجنيهات .

وكان آل روتشلد فى انجلترا من اكبر حملة الاسهم اذ ذاك . وحين خافوا على أموالهم من سوء الحالة الاقتصادية فى مصر طلبوا إلى الدول الأجنبية أن تتدخل فى الأمر . ورفعوا وعرضوا هذا الشأن يومئذ الى بسمارك ، فافهم بسمارك كلا من حكومتى انجلترا وفرنسا انهما اذا لم يتدخلا لمصلحة آل روتشلد فان الحكومة الألمانية سوف تتدخل بنفسها فى الأمر .

ثم طلب اسماعيل بنفسه إلى الحكومة الانجليزية أن تبعث اليه بموظفين من ذوى الخبرة بالشؤون المالية ليساعدوه على اصلاح الحالة الاقتصادية . فبادرت الحكومة الانجليزية بتلبية هذا الطلب وبعثت اليه بأربعة برأسهم مستركيف Cave وكان ذلك عام ١٨٧٥

وانتهت هذه الجهود كلها بانشاء صندوق الدين ، ثم بانشاء المراقبة الثنائية على المالية المصرية ، ثم بانشاء لجنة التحقيق سنة ١٨٧٨ ، ثم بتأليف الوزارة الأوروبية التى سميت بهذا الاسم لأنها كانت تضم إليها وزيرين أوروبيين أحدهما انجليزى للمالية ، والآخر فرنسى للأشغال العامة . وهذه الوزارة الأوروبية هى وزارة نوبار التى وليت الحكم فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٨ وتوالت المصائب على مصر على هذا النحو حتى نظر اسماعيل فى يوم من الأيام فاذا الدول الأوروبية تدبر له مؤامرة تنتهى بعزله وتولية ابنه توفيق فى السادس والعشرين من يونية سنة ١٨٧٩

— ٢ —

كان توفيق رجلا طيب القلب ولكنه كان إلى جانب ذلك رجلا ضعيف الشخصية فطلب منذ توليه الحكم الى الدول الأوروبية تجديد المراقبة الثنائية . فبادرت كل من انجلترا وفرنسا الى تعيين مراقب من لدنها وكان هذان المراقبان أعظم نفوذا من الوزيرين الأجنبيين فى وزارة نوبار باشا ، اذ كان لهما حق التفتيش على مصالح الحكومة ، وكان لهما حق حضور مجلس الوزراء . وأشار المراقبان الأجنبيان اذ ذاك على توفيق أن يقسم ايرادات الحكومة المصرية الى قسمين أحدهما لسد نفقات الادارة المصرية والآخر لدفع أقساط الديون وأرباح هذه الديون الأجنبية .

من أجل ذلك بدأ الشعور بالسخط على توفيق من جانب المصريين . وأعان ظهور الصحافة الشعبية على تنمية هذا الشعور ، كما كان انتشار التعليم سببا من أسباب ذلك السخط . ثم كان لوجود السيد جمال الدين الأفغانى فى مصر فى ذلك الوقت الفضل فى إثارة المصريين وأشعارهم بالظلم الذى وقع عليهم . وهيأت كل هذه الظروف لنشوب الثورة العرابية . والى هذه الظروف المتقدمة يجب أن يضاف سبب يعتبر من أهمها جميعا . وذلك بالقياس الى الثورة العرابية نفسها من جهة ، وموضوع العقدة الشركسية الذى نريد أن نتحدث عنه من جهة ثانية .

وهذا السبب هو إيثار الضباط الأتراك الشراكسة بالمناصب العليا فى الجيش وحرمان

الضباط المصريين من هذه المناصب وقد زاد الطين بلة إذ ذاك تعيين (عثمان رفقي باشا) الشركسي الأصل وزيراً للحربية في وزارة رياض باشا الذى يعتبر هو الآخر شركسياً بهذا المعنى ، شديد التعصب لجنسيته ، حتى لقد سن (قانون القرعة) ، وهو قانون يقضى بالحيلولة دون ترقية الجنود الذين (تحت السلاح) ، كما يقضى كذلك بعزل الضباط الوطنيين من الجيش المصرى لينفرد الضباط الشراكسة بالنفوذ والسلطان .

إذ ذاك لم يجد الوطنيون بدأ من كتابة « عريضة » إلى رياض ، واختاروا من بينهم ثلاثة وهم أحمد عرابى ، وعبد العال حلمى ، وعلى فهمى ليتولوا تقديم العريضة إلى ناظر النظار فقدموها فى ١٥ يناير سنة ١٨٨١ ، وقرأ رياض هذه العريضة فاذا هم يطالبونه فيها بعزل عثمان رفقي باشا من نظارة الحربية ، وباجراء تحقيق دقيق فى الترقيات الأخيرة بالجيش . فعز ذلك على رياض وعلى الخديو توفيق . وصمم الرجلان على تأديب زعماء هذه الحركة على مثل هذه الجرأة . واجتمع مجلس النظار فى ٣٠ يناير من نفس هذه السنة وقرر محاكمة الضباط الثلاثة أمام مجلس عسكرى !

وقبض على هؤلاء الضباط وما هى إلا ساعتان حتى هجم الجنود المصريون على مقر الوزارة فى قصر النيل ، وأخرجوا زعماءهم بالقوة وطالبوا الخديو بتنفيذ ما جاء بالعريضة . فلم يسع الخديو إلا أن عزل عثمان رفقي ناظر الحربية وعين مكانه محمود باشا سامى البارودى وتولى هذا الأخير تشكيل لجنة للتحقيق فى ترقيات الجيش تنفيذا للمطلب الثانى .

منذ ذلك التاريخ اتسعت الهوة بين الخديو والجيش . واستتبع ذلك إتساع هذه الهوة بين الخديو والشعب . وأصبح كل من الطرفين يتوجس خيفة من الآخر . وهلل الشعب لذلك النصر ، ونظر إلى عرابى على أنه الزعيم الذى يستطيع أن يأخذ بحق هذا الشعب من يد القصر . وأقبل الأعيان من كل مكان يبايعون عرابى ويوكلونه عنهم فى مطلبهم الأسمى وهو الدستور . وانتهى الأمر بقيام المظاهرة السلمية التى سارت إلى عابدين بقيادة أحمد عرابى حيث تقدم إلى الخديو يومئذ بثلاثة مطالب نيابة عن الشعب :

أولها — إسقاط وزارة رياض . وثانيها — تشكيل مجلس نواب على الطراز الأوروبى . وثالثها — زيادة عدد الجيش المصرى إلى ١٨ ألف جندى .

وأذعن الخديو لهذه الثورة وأقال وزارة رياض ، واستدعى (شريفاً) لتأليف الوزارة الجديدة فوليها بعد لأى ، وفكر فى دستور جديد أصدره فى الثانى من شهر يناير سنة ١٨٨٢ إستجابة لمطالب الثورة .

وما كان شريف بأفضل كثيراً من رياض لولا أن الضباط والأعيان رأوا فيه رجلا دستورياً وأنسوا فيه الخير من هذه الناحية . ولكنه فى الحقيقة — أو فيما نرى نحن على الأقل — لم يكن غير رجل مثقف من طبقة الشراكسة الذين هم أس البلاء ، وأصل الداء ، وبسببهم نشأت العقدة الشركسية التى سنتحدث عنها الآن .

— ٣ —

أما هذه العقدة الشركسية فسببها الأول خضوع المصريين للحكم التركي ، ونظر هذا الحكم إلى المصريين منذ بداية الأمر على أنهم عبيد أو كالعبيد . وحين ظفر محمد على بالحكم على أكتاف الشعب لم يحاول أن يمنح هذا الشعب قدراً من الحرية يمكنه من ممارسة شيء من حقوقه السياسية وهى الحقوق التى جرب الشعب المصرى قدراً ضئيلا منها على يد الجنرال بونابرت ، وذلك منذ أدخل هذا القائد الفرنسى الغريب عن الشرق نظام الديوان — وحاول لمصلحته الشخصية — أن يشرك بعض العلماء المصريين بهذه الطريقة فى الحكم .

تقول ذلك وإن كنا نعترف بأن محمد على هو الذى أهدى إلى مصر الحديثة خير ما يهدى للأمم الضعيفة التى تريد أن تنهض من سباتها وتمضى فى نهضتها . أهدى إليها العلم ، والجيش ، وألف هذا الجيش من الفلاحين المصريين ، كما جعل للنهضة العلمية ذاتها قادة من أولئك الفلاحين أيضا .

ثم تعاقب أبناء محمد على الواحد بعد الآخر على حكم مصر . وهم بين مؤمن بهذه النهضة التى بدأها هذا الرجل ، وكافر بها منكر لها إقتناعا منه بأن المصريين ليسوا أهلا لشيء من ذلك .

غير أنه وإن ظهر أن المصريين نصب هذه المشروعات الخاصة بالتعليم ، وبالجيش ، وبالصناعة ، وبالتجارة ، وبالصحافة ، وغيرها من مظاهر النهضة فانهم كانوا دائما فى المرتبة الدنيا بالقياس إلى طبقة أخرى هم السادة . ونعنى بهذه طبقة الأتراك الشراكسة الذين أثرتهم الدولة بالمناصب العالية فى الجيش وغيره من دواوين الحكومة فى ذلك الوقت ، فبقى هؤلاء الشراكسة ينظرون إلى المصرى شزراً ، ويعاملونه على أنه مخلوق لا يرقى إلى مرتبتهم من حيث السيادة ولا من حيث القوة والسياسة .

فحز ذلك فى نفوس المصريين وتحدثوا فيه طويلا ، إما فى جمعياتهم السرية التى كانوا يقومون بتنظيمها بين حين وآخر ، وإما فى مجالسهم النيابية التى كانت على طفولتها تندو بالتدريج

إلى أن بلغت من النضوج حد القدرة على معارضة الحكومة ، واما فى صحافتهم التى كانت ذات حدين كما قلنا : حد تدافع به عن أحكام ، وآخر تهاجمهم به مهاجمة لاهوادة فيها ولا رحمة .

ولقد كان من نتيجة هذه المعاملة التى لقيها المصريون من جانب الأتراك الشراكسة أن انقسم الشعب المصرى نفسه قسمين كبيرين .

الأول : حزب الفلاح أو الفلاحين ويرمز به إلى الشعب المصرى المظلوم بجميع طبقاته وجميع هيئاته .

الثانى : حزب الأتراك الشراكسة ويرمز به إلى الحكام الذين كانوا ينتمون إلى السراى أو يلوذون دائما بالأمير .

الحزب الأول يضم إليه الضباط المصريين والأعيان وطبقة المثقفين ومن يلوذ بهم من سلالة المماليك كمحمود سامى البارودى الذى لمس فيه الوطنيون ميلا عظيما إليهم ، ومجاراة ظاهرة لمشاعرهم . ومن الضباط المصريين على سبيل المثال أحمد عرابى وزميلاه عبد العال حلمى وعلى فهمى وغيرهما . ومن الأعيان وذوى الأطيان أو أصحاب المصالح الحقيقية فى البلاد ــ كما كان يحلو لهم أن يسموا أنفسهم بهذا الاسم ــ محمد سلطان باشا ، وسليمان أباظة باشا ، ولطيف سليم بك ، وحسن الشريعى باشا . ومن المثقفين الثقافة الشائعة إذ ذاك ونعنى بها ثقافة الأزهر الشيخ محمد عبده ، والسيد عبد الله النديم ، والشيخ الامبابى وتلك هى الطبقات الثلاث التى تألف منها (حزب الفلاحين) كما أحبو أن يطلق عليهم هذا الاسم تمييزا لهم عن الحزب الآخر الذى هو حزب الشراكسة .

وهذا الحزب الأخير هو الذى لاذ بالسراى وكان يتألف من مجموعة الأتراك الذين آثرتهم الحكومة بالمناصب العالية كما قلنا فجعلت منهم كبار الضباط فى الجيش ورؤساء الحكومات وأعضاء الوزارات ، وأسندت إليهم الوظائف الكبيرة مثل وظيفة محافظ مدينة الاسكندرية ونحوها . ومن هؤلاء الشراكسة الكبار على سبيل المثال ، رياض باشا ، وراغب باشا ، وعثمان رفقى باشا ، وراتب باشا ، وشاهين باشا ، وعمر لطفى باشا (محافظ الاسكندرية فى أثناء الثورة العرابية) .

ولقد كان يحدث أحيانا أن يتصل بعض هؤلاء الشراكسة ببعض زعماء الشعب ، فيقتنع هؤلاء الزعماء بهم ويطمئنون لهم ، فيكلون إليهم رياسة بعض الجمعيات أو الهيئات التى يؤلفونها لغرض سياسى أو اجتماعى أو إقتصادى . ومن هؤلاء الشراكسة الذين ألفهم الشعب

شريف باشا الذى أعان الثوار على ثورتهم منذ بداية الأمر ، فرغب إليه الثوار فى أن يلى الوزارة فى سبتمبر سنة ١٨٨١ . نخشى من قبولها أولا حتى لا يكون العوبة فى أيدى رجال الجيش ، ثم أقنعه النواب والأعيان بقبولها ، فكانت سياسته تهدف ، أولا إلى إبعاد زعماء الثورة عن القاهرة ، كما تهدف كذلك إلى حرمان مجلس النواب من أن يكون له حق مناقشة الميزانية بالرغم من أن المجلس ألح فى هذا الطلب إلحاحا لا حد له ، فعل شريف ذلك حرصاً منه على إرضاء الأجانب المسيطرين على الحالة فى مصر فى ذلك الوقت . فسخط عليه الوطنيون وآلوا على أنفسهم أن يبذلوا كل جهدهم لاسقاط وزارته وبالفعل قدم شريف استقالته بعد قليل .

ومن أمراء البيت المالك أيضاً من كان يترضى الشعب رغبة فى الظفر بالعرش واتخذ منهم الشعب قادة ورؤساء لبعض الجمعيات السرية والعلنية . ومن هؤلاء على سبيل المثال الأمير حليم الذى نفاه اسماعيل وتخلص منه قبل أى يظفر ببغيته .

ومن الناحية الأخرى وجدنا أن من أفراد الحزب الآخر — وهو حزب الفلاحين — من كانت له أطماع ذاتية ومآرب شخصية وتطلع إلى كراسى الحكم فرأى أن كل ذلك لا يستقيم له إلا بخروجه من صفوف الشعب ، وانضوائه تحت الراية الأخرى — وهى راية السراى أو راية الشراكسة — ومن هؤلاء محمد سلطان باشا الذى كان مع الثورة العرابية فى أول الأمر ثم انشق عليها بعد ذلك حين تبين له أن الثورة لم تحقق له غرضاً من الأغراض السابقة وهو الوصول إلى منصب وزير فى وزارة شريف .

كان حزب الفلاحين يتألف إذن من ثلاث طبقات ، هى طبقة الجنود ، وطبقة الأعيان ، وطبقة المثقفين ، غير أن أهم هذه الطبقات الثلاث فى نظرنا هى طبقة المثقفين أو المستنيرين ، وهى الطبقة التى كان يرأسها الشيخ محمد عبده ، وأصبح لها فيما بعد اتباع كثيرون منهم : عبد الله النديم ، وابراهيم اللقانى ، وابراهيم المويلحى ؛ والسيد على يوسف ، والشيخ أبو خطوة ، وأحمد لطفى السيد ، وقاسم أمين ، وحسن عاصم ، وحسن عبد الرازق ، وسعد زغلول ، ومن اليهم ممن سيرد ذكرهم فى هذا البحث .

ولا بأس من الوقوف وقفة قصيرة عند شيخ هذه المدرسة التى منيت بهذه العقدة النفسية المؤلمة وهو هنا الشيخ محمد عبده .

ولكن قبل الحديث عن هذا الشيخ نحب أن نلفت النظر هنا إلى أن جميع حركات المقاومة فى مصر إنما كانت تصدر عن حزب الفلاحين الذين كان من الحق لهم كذلك أن يطلقوا على أنفسهم اسم حزب الأمة ولو أنهم لم يفكروا فى هذه التسمية . إلا فيما بعد فمن حزب الفلاحين نبعت الجمعيات السرية التى منها :

١ — الجمعية السرية للضباط المصريين سنة ١٨٦٧

٢ — جمعية مصر الفتاة التى تألفت من الشبان المثقفين ممن قاموا بانشاء هذه الجماعة بمدينة الأسكندرية عام ١٨٧٩ وكان من بينهم السيد عبد الله النديم .

وحين أعلنت الجمعية الأولى من هاتين الجمعيتين عن نفسها رأت أن تتسمى باسم « الحزب الوطنى » — وهو بطبيعة الحال غير الحزب المنسوب إلى مصطفى كامل . وذلك أن هذا الاسم وهو « الحزب الوطنى » كان فى ذلك الوقت صورة مصغرة من حزب الفلاحين ، أو هو هذا الحزب نفسه أو كان مقابلا للحزب الآخر الذى أشرنا اليه من قبل وهو حزب السراى أو حزب الأتراك الشراكسة . والمهم بعد هذا كله أن يقال إن جميع الحركات التى قام بها الوطنيون قبل الثورة العرابية وفى أثناء هذه الثورة ، وبعد الانتهاء منها انما هى أثر من آثار حزب الفلاحين لا أكثر ولا أقل .

وانظر إلى هذه العباره فى تقرير لأحمد عرابى عن حادث ١١ يونيه سنة ١٨٨١ الذى وقع بالاسكندرية قبيل الثورة العرابية وفيها يقول « أن حزب السراى المكون من الأتراك والشراكسة عدو للانسانية . فهم يعتقدون أن الله القدير لم يخلق المصريين إلا ليكونوا عبيداً لهم وخدامهم الذين يتخذونهم آلة لنشر سلطانهم المطلق . وهم فى كل ذلك يعاملونهم بكل قسوة واحتقار وحينما رأوا أن مجهودات الحزب المصرى (يريد الوطنى أو حزب الفلاحين) بدأت تؤتى ثمارها ، وأن فريقاً نابهاً من هؤلاء الذين كانوا يظنونهم عبيدهم قد خطوا خطوات شاسعة إلى أمام ، وأصبح منهم وزراء يجلسون معهم على قدم المساواة فى مجالسهم المقدسة . . . الخ [1] .

---

(١) التاريخ السرى لاحتلال الانجليز لمصر ، للمستر بلانت . الترجمة العربية ص ٣٧٨ ، وانظر : محمد عبده « رائد الفكر المصرى » تأليف الدكتور عثمان أمين . ط القاهرة سنة ١٩٤٥ ص ٢٨ وانظر محمد عبده للدكتور عثمان أمين ط ١٩٤٥ ص ٨٥

وفى هذه العبارات وأمثالها ما يدل على الكراهية الشديدة التى حملها المصريون جميعاً لهؤلاء الأتراك الشراكسة ، وفيها ما يدل كذلك على الاحتقار العظيم الذى كان يشعر به الشراكسة المتجبرون نحو المصريين . وفى هذا كله ما يبرر إنقسام الناس فى مصر إلى هذين الحزبين الكبيرين أو الفئتين المتطاحنتين .

ومن الحركات التى كانت أثراً من آثار الحزب الوطنى أو حزب الفلاح كما سبق القول فى ذلك ، حركة المعارضة التى ظهرت فى داخل مجلس النواب وذلك حين أتى رياض يوما من الأيام ليعلن إنتهاء الدورة البرلمانية ، وليعلن كذلك إفلاس الحكومة ، وعدم قدرتها على سداد الديون الأجنبية ، وهنا إنبرى له من النواب نائبان جريئان هما عبد السلام المويلحى ومحمد راضى واعترضا على انتهاء الدورة البرلمانية وطلبا استمرار هذه الدورة حتى يتاح للنواب أن يؤدوا واجبهم نحو سمعة الأمة .

هذا من جانب — ومن جانب آخر وجدنا زعماء الشعب من رجال هذا الحزب يعقدون اجتماعات هامة خارج المجلس . ومنها الاجتماع الذى عقدوه فى دار نقيب الأشراف السيد توفيق البكرى ، وكتبوا على أثره عريضة إحتجاج على الحكومة لأنها أعلنت إفلاسها وعجزها عن سداد الديون الكثيرة — وأعربوا فى هذه العرائض عن إستعدادهم للتعاون التام مع الحكومة فى سبيل إنقاذ سمعة البلاد من هذا العار الذى جاءت به الحكومة الرياضية .

وعلى هذا النحو أخذ حزب الفلاحين السابق الذكر يعبر عن آراء الشعب فى كل دورة من دورات المجالس النيابية ، وفى كل شكل من أشكال هذه المجالس النيابية ، ومنها الجمعية العمومية ، ومجلس شورى القوانين . وكانت الجمعية العمومية تتألف من إثنين وثمانين عضواً . منهم أعضاء مجلس شورى القوانين البالغ عددهم ثلاثين . وكان هؤلاء الثلاثون يتألفون من هذه العناصر الثلاثة :

أولها — العنصر التركي — وهو العنصر الذى أخذ ينقرض من البلاد وكان على جانب كبير من الثروة وجانب أكبر من الخبرة السياسية .

ثانيها — العنصر الوطنى — وقوامه أعيان البلاد ممن يكرهون الحكم التركي من صميم قلوبهم حتى لقد رأوا أن يتعاونوا مع الاحتلال ريثما يتخلصون من حكم الأتراك . وهان عليهم هذا التعاون فى سبيل هذه الغاية القصوى عندهم .

ثالثها — عنصر رجال الدين وأكثرهم مسلمون — وكان لهم أثر واضح فى تقدم المجلس على النحو الذى سنشير إليه بعد لحظة .

والمهم أن يقال بعد ذلك أن العنصرين الأخيرين هما اللذان كانا يمسكان بدفة الأمور في داخل المجلس وهما اللذان سجلا عدداً من الانتصارات النيابية يدل على يقظتهم وثقافتهم . ومن هذه الانتصارات على سبيل المثال .

أولا — في ديسمبر سنة ١٨٩٢ رفض المجلس إعتماد الميزانية بحجة أنه لم يمنح الفرصة الكافية لدراستها قبل إنعقاد الجلسة .

ثانياً — في ديسمبر سنة ١٨٩٣ اعترض المجلس على الاعتمادات الباهظة التي أقرتها الحكومة لجيش الاحتلال ، فقد ارتفعت هذه الاعتمادات من ١٤٠ الف جنيه إلى ٢٠٠ الف جنيه سنوياً .

ثالثاً — في عام ١٨٩٦ احتج المجلس على عدم استشارته في الاعتمادات الخاصة بحملة السودان .

والمهم هنا أنه كان لشخصية الأستاذ الامام أثر كبير في مجلس شورى القوانين ، فمنذ دخل الشيخ هذا المجلس في يوليه سنة ١٨٩٩ وهو عضو بارز في كل لجنة من لجانه . وكان الشيخ يبني سياسته دائما على الوقوف موقفا وسطاً بين الحكومة المصرية وحكومة الاحتلال البريطاني . ثم أن الشيخ لم يدخر وسعاً كذلك في بث روح المسؤولية في نفوس الأعضاء . وذلك في كل ما يتصل بالمصلحة العامة للبلاد [1] .

بل إن الجمعية العمومية بعد شفائها من النكسة التي أصابت البلاد بالاتفاق الودي سنة ١٩٠٤ وراح أعضاؤها يظهرون من روح المقاومة ما أثار العجب في نفوس المصريين والأجانب على السواء ، من ذلك أن الأعضاء بحثوا في جلسة واحدة خمسة وثمانين إقتراحا وشكوى . واستمرت الجلسة أربعة أيام نوقشت في أثنائها شكوى مسجوني دنشواي ، واقتراح بطلب حكومة دستورية صحيحة ، واقتراح بتعيين المصريين فقط في الوظائف الرئيسية ، واقتراح بأن يكون التعليم كله باللغة العربية ، واقتراح خاص بخفض أجور التعليم ، وآخر خاص باصلاح المحاكم الشرعية .

والآن — وبعد أن فرغنا من البرهنة على أن روح المقاومة كانت مقصورة على الحزب الوطني الذي هو حزب الفلاحين يصح لنا أن نقف وقفة قصيرة عند إمام هذه المدرسة وهو الشيخ محمد عبده وعند الصحف التي روجت له ونشرت كثيراً من أفكاره .

---

(١) راجع اجواء سياسية وفكرية عاش فيها الأدب الحديث والصحافة العصرية : بحث للمؤلف بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة : الجزء الثاني المجلد ١٦ بتاريخ ديسمبر سنة ١٩٥٤

كان الأستاذ الامام رجلا ذا عقلية تطورية لا ثورية . فهو لم يعرف الثورة ولا الهياج إلا إذا كان فى جانب أستاذه الروحى السيد جمال الدين الأفغانى . ولكن متى ابتعد عنه لسبب من الأسباب لم يلبث أن يعود إلى طبيعته التى تميل إلى الهدوء ، وتؤثر التدرج ، ولا تؤمن بالطفرة .

وكان محمد عبده يكره من أعماق قلبه جميع أفراد الأسرة الحاكمة ويعتقد فى قرارة نفسه أنها — قد أساءت إلى مصر إساءة بالغة ولا يستثنى من ذلك محمداً علياً نفسه وينكر عليه كل شىء . وكان يرى أن من الخير لمصر أن تتخلص من هذه الأسرة فى أقرب فرصة (١) . وكذلك فعل السيد عبد الله النديم فقد كان يذهب مذهب الامام فى ضرورة التخلص من أولئك الحكام . أما أحمد عرابى فكان لا يمدح من أسرة محمد على غير واحد فقط هو سعيد لأنه صديق الفلاحين ، ولأنه فتح أمام الضباط المصريين من أمثاله باب الترقى فى الجيش . ولأنه كان يرافقه فى رحلاته إلى خارج مصر .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن كل واحد من تلاميذ المدرسة التى سميناها مدرسة الشيخ محمد عبده . وهى المدرسة التى تؤمن بالتطور ، وترى أن الاصلاح وحده السبيل الوحيد إلى تخلص الأمة من كل نفوذ أجنبى . ومن أشهر تلاميذ هذه المدرسة كما ذكرنا إبراهيم اللقانى ، وأبو خطوة ، وعبد الله النديم ، وعبد الكريم سلمان ، وحسن عاصم ، وسعد زغلول ، وفتحى زغلول ، وإبراهيم المويلحى ، وطلعت حرب ، وقاسم أمين ، ورشيد رضا ، وأحمد لطفى السيد . وقد كان لكل واحد من هؤلاء جولة فى ميدان الاصلاح الدينى ، أو العلمى ، أو الثقافى ، أو الاقتصادى ، أو السياسى . وكان كل واحد من هؤلاء يؤمن إيمانا عميقاً كما قلنا — بأن الاصلاح هو الطريق الواحد إلى الاستقلال التام الذى هو الهدف الأخير من جميع الحركات النابعة من الأمة — أو بعبارة أخرى — من الحزب الذى يمثلها تمثيلا صحيحاً ونعنى به حزب الفلاحين . وقد نوهنا بهذا الحزب الكبير — لا على أنه حزب له مقوماته السياسية وكيانه السياسى بالمعنى المعروف من هذه الكلمة فى وقتنا هذا — ولكن على أنه كناية عن الشعور العام الذى أحست به الأمة منذ رأت أن لها مصالح أهدرت ، وحقوقاً

(١) أنظر مقال محمد عبده عن آثار محمد على فى كتاب الدكتور عثمان أمين : « رائد الفكر المصرى » ط سنة ١٩٥٥ ص ٢٤٣ — ٢٤٧

سلبت ، وكرامة فقدت ، وسيادة لا يعترف بهـا الحاكم المستبد . وهى من أجل هذا كله تريد أن تسترد حقها المغتصب ، وتحمى مصالحها التى أصابها الضرر ، وتسترجع سيادتها التى ديست بالأقدام . فليس عجيباً بعد هذا وذاك أن ترى أفراد هذه الطبقة أو الطبقات من الأمة تفكر فى أمر خطير لم يدر للمصريين من قبل على بال — وهذا الأمر هو الدعوة إلى الجمهورية لتحل محل الملكية . وليس غريباً أن يكون هذا الأمر أيضا من وحى السيد جمال الدين الأفغانى الذى عز عليه أن تكون مصر راسفة فى هذه الأغلال محكومة بهؤلاء الحكام ، وعلى هذا الرأى اتفق كل من عرابى ومحمد عبده والنديم بنوع خاص .

وانظر إلى محمد عبده يقول فى مذكراته « أما ما قاله عرابى بصدد خلع إسماعيل وأنه اقترح ذلك ، فأقول أنه من المؤكد أننا كنا نتكلم سراً فى هذا الشأن ، وكان الشيخ جمال الدين الأفغانى موافقاً على الخلع واقترح علىّ أنا أن أقتل إسماعيل ، وكان يمر فى مركبته كل يوم على جسر قصر النيل ، ولكن كل هذا كان كلاماً نتهامسه فيما بيننا . وكنت أنا موافقاً الموافقة كلها على قتل إسماعيل ، ولكن كان ينقصنا من يقودنا فى هذه الحركة . ولو أننا عرفنا عرابى فى ذلك الوقت فربما كان فى إمكاننا أن ننظم الحركة معه ، لأن قتل إسماعيل فى ذلك الوقت كان يعتبر من أحسن ما يمكننا عمله ، وكان يمنع تدخل أوروبا . ولكن لم يكن من المستطاع فى ذلك الوقت تأسيس جمهورية اذا نظرنا إلى حالة الجهل الذى كان سائداً على العقول [1] » .

وانظر إلى عرابى كذلك حيث يقول « تم خلع إسماعيل فزال عنا عبء ثقيل ولكننا لو كنا نحن قد فعلنا ذلك بأنفسنا لكنا تخلصنا من عائلة محمد على بأجمعها — فلم يكن فيها أحد جدير بالحكم سوى سعيد — وكنا عندئذ أعلنا الجمهورية . وقد اقترح الشيخ جمال الدين على الشيخ محمد عبده أن يقتل إسماعيل على جسر قصر النيل فوافق محمد عبده على الاقتراح [2] .

وفى خطاب لصابونجى صاحب مجلة النحلة بعث به إلى المستر بلانت فى انجلترا قال « أما عن عقيدة الوطنيين الحقيقية فى مصر فهم لا يكترثون مطلقا بالسلطان عبد الحميد ، ولا يعنون به أكثر مما يعنون بسكان القرى . وهم يستخدمونه لمصلحتهم فقط ، ويعتملون

---

(١) التاريخ السرى لاحتلال الانجليز لمصر . لمؤلفه المستر بلانت أنظر الترجمة العربية ص ٣٥٤

(٢) نفس المصدر المتقدم ص ٣٤٧

عليه حتى يروا الوقت ملائماً لاعلان الجمهورية المستقلة . وقد كان هذا أساس عقيدتهم منذ البداية . ولكنهم تبصروا فى العواقب فرأوا أن يسيروا سيراً وئيداً فى هذا الموضوع . وهذا هو النديم يوجه جهوده نحو هذه الغاية ، يبذر بذورها فى أذهان الجيل الجديد الخ[1].

وحين وقعت فظائع الاسكندرية قبيل حدوث الاحتلال الانجليزى روى التاريخ أن تلك الحوادث كانت باعثاً بين الوطنيين على كراهية الأتراك والشراكسة وكراهية السلطان نفسه فى تركيا . وقد سمعت (الضمير هنا عائد على مستر بلانت) محمود سامى البارودى ، ومحمد عبده ، وعبد الله النديم يلعنون السلاطين والأسماء التركية كلها من عهد جنكيز خان وهولاكو إلى عهد عبد الحميد ، وقد ألف حزب كبير مستعد لاعلان الاستقلال عن تركيا متى تدخل الأتراك فى مصر تدخلا حربيا ، ولكن التركي الماكر أدرك الخطر الداهم وامتنع عن التدخل .

وقد قال النديم — ونحن راجعون من شبرا — أنه آلى على نفسه أن يهدم عرش السلطان عبد الحميد قبل أن يموت[2] .

حدث هذا كله فى حكم اسماعيل وشطر من حكم توفيق . وأما هذا الأخير فقد ثار عليه المصريون الوطنيون فضلا عن رجال الجيش ، ورأينا الشيخ الامبابى شيخ الأزهر يعلن مرة من المرات خلع توفيق وذلك على أثر الجفوة التى حدثت بين توفيق هذا والحزب الوطنى . وكان مندوب السلطان عبد الحميد قد شهد بنفسه بعض حوادث تلك الفترة ورأى آثار تلك الجفوة ، وراعه يومئذ أن ينحاز الجمهور إلى جانب الحزب الوطنى وأن يأخذ جانب الشيخ الامبابى . وكان هذا الجمهور ساخطا على الخديو توفيق ، فقد خصّ بالأوسمة والنياشين عالمين فقط من علماء الأزهر عرفا بميولهما نحو السراى — وهما الشيخ البحراوى والشيخ الابيارى — وثار الطلبة فى الأزهر . وكان المتكلمون يكثرون من الاستشهاد بالقرآن والحديث فى إثبات حقيقة واحدة ، وهى أن توفيقا لم يعد يصلح لحكم مصر ، ولا ينبغى له أن يكون على الأخص واليا على أمة من الأمم الاسلامية . وعقد الطلبة كثيرا من الاجتماعات فى الأزهر لنشر هذه الدعوى . ثم لم يكتفوا بذلك حتى أخذوا يدورون فى الشوارع والطرقات فى شكل مظاهرة يحتجون فيها على هذه الأوضاع ، وعلى

---

(١) نفس المصدر المتقدم ص ٢٥٧

(٢) نفس المصدر المتقدم ص ٢٥٥ — ٢٥٦

معاملة الخديو لبعض الأحرار من علماء الأزهر . وفى كثير من اجتماعات العلماء والطلبة بالأزهر الشريف كان النديم يدعى للخطبة فيلبى الدعوة ويسب توفيقا ويدعو جهارا إلى خلعه [1] .

أما الخلافة العثمانية ذاتها فقد تعرض لها الشيخ محمد عبده بالنقد والتجريح . وكان يقول ما معناه ، ان فكرة الخلافة الاسلامية فى ذاتها فكرة طيبة متى سارت على قواعد روحية وسياسية صالحة ، ولكن أصحاب الخلافة العثمانية أهملوها حتى صاروا غير أهل لامارة المؤمنين ، والواقع أن الأسرة العثمانية لم تحفل بالخلافة مثقال ذرة خلال القرنين الماضيين ولم يبق لها حق ولا سلطان (يعنى حق السيف وسلطان السيف) ، على أنهم مازالوا أقوى أمراء المسلمين . ومن ثم يستطيعون — متى أرادوا — القيام بالشطر الأكبر من العمل لخير الجميع ، أما إذا لم يمكن حملهم على القيام بواجبهم فلا مناص من البحث عن أمير آخر للمؤمنين [2] .

كل ذلك بالرغم من أن الثورة العرابية نفسها لم تكن من رأى الأستاذ الامام — وإن لم ير بدا من الاشتراك فيها ، وفى ذلك يقول فى مذكراته [3] . « ولكن الثورة لم تكن من رأيى . وكنت قانعا بالحصول على الدستور فى ظرف خمس سنين ، فلم أوافق عرابى على عزل رياض فى سبتمبر سنة ١٨٨٠ ، وقبل مظاهرة عابدين بعشرة أيام فى دار طلبة عصمت وكان قد جاء مع عرابى لطيف بك سليم ، وكان هناك عدد كثير من الزائرين ، فنصحت لعرابى بالاعتدال وقلت له : إنى أرى أن بلادا أجنبية ستحتل بلادنا ، وأن لعنة الله ستقع على رأس من يكون السبب فى ذلك . فأجاب عرابى « بأنه يرجوا ألا تقع هذه اللعنة عليه ، وبأن سلطان باشا وعده بأنه سيحضر له عرائض بطلب الدستور موقعا عليها من جميع الأعيان ، وكان هذا صحيحا . ولم ينضم سليمان أباظة إلى الثورة لأنه كان يعتقد أنه لم يأت بعد أوانها ، وكان حسن الشريعى ضد الثورة أيضا . ولكن لما منح الدستور انضممنا جميعا إلى الثورة لكى نحمى الدستور » .

تلك إذن هى العقدة الشركسية فى ذهن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده وتلك آثارها

---

(١) نفس المصدر المتقدم ص ٢٤٤

(٢) نفس المصدر المتقدم ص ٨١

(٣) نفس المصدر ص ٣٦٠

فى سلوكه وتصرفاته وآرائه وأفكاره وخططه التى رسمها لنفسه ولتلاميذ هذه المدرسة الذين جمعتهم كراهية الأتراك والحقد على الأتراك . والمعروف أن الحكام الأتراك يكرهون الاصلاح إلا فى حالة واحدة فقط هى الحالة التى يثقون فيها بالفائدة التى تعود عليهم من ورائه . ونحن إذا استثنينا من الأسرة العلوية بعض أفرادها مثل محمد على ، وسعيد فاننا نجد الباقين كلهم قد تنكروا لهذا الاصلاح ، ولم يروا ما يدعو للمضى فيه ، ورأوا المصريين غير أهل لهذه النعمة . ورأى النظار ورؤساء الحكومات من الولاة كل ذلك فسرت العدوى من أولئك إلى هؤلاء ووجدنا رجلا كرياض يقول : « إن المصريين ثعابين يجب أن نسحقهم دائما بأقدامنا » [1] .

تعاقب الوزراء الأتراك قبل رياض وبعد رياض وكلهم ينظر إلى المصريين هذه النظرة ويلعنونهم هذه اللعنة . ومن أجل ذلك هان على مدرسة الأستاذ الامام بعد مجىء الاحتلال أن يبدوا استعدادهم للتعاون مع هذا الاحتلال ، والاعتماد عليه فى الحصول على الدستور وفى إصلاح التعليم ، وفى الأخذ بنصيب وافر من الحضارة الأوروبية . ومد الاحتلال من جانبه يداً قوية إلى شيخ هذه المدرسة ، وفتح بابه واسعاً له ولتلاميذه . وكان عميد الاحتلال يصغى إلى آراء هؤلاء ويحاول أن يترضاهم ويتملقهم ويجتهد فى أن يتخذ منهم أعوانا على السلطة التشريعية فى البلاد وهى سلطة الخديو .

غير أن الفرق كبير بين التعاون مع الاحتلال لمصلحة مصر ، والتعاون مع الاحتلال لمصلحة هذا الاحتلال فحسب . وتلك هى النقطة التى يفترق عندها أهل البحث : أما نحن فمن الذين يرون فى مدرسة الشيخ محمد عبده أنها كانت لا تريد بمصر إلا الخير وكانت تبذل فى سبيل إسعادها كل الجهد ، وكانت لا ترى الشر يأتى إليها إلا من ناحية الأتراك الشراكسة ولاة كانوا أم حكاماً أم وزراء أم مديرين أم محافظين أم موظفين ونحو ذلك .

ونحن نعلم جيداً أنه ليس من عمل المؤرخ أن يذم أو يمدح ولكن من عمله شىء واحد فقط وهو أن يقرر الحقائق التى أمامه ويقف عند هذا الحد . ونحن إذ نقول فى مدرسة الشيخ محمد عبده هذا القول لا نعدو الحق ، ولا نقصد إلى المدح أو الذم ، ولا نرمى من وراء ذلك إلى تبرير عمل من أعمال هذه المدرسة التى رأت هذا الرأى . ولكى تزداد معرفة باتجاهات هذه المدرسة ، وإدراكا للغرض الذى وضعته نصب أعينها ينبغى أن نخوض

---

(1) نفس المصدر ص ٣٣١

أكثر من ذلك فى وصف العلاقة بين الشيخ والانجليز من جهة ، وبينه وبين الخديو من جهة ثانية .

— ٦ —

حدثنا الشيخ رشيد رضا عن علاقه الشيخ محمد عبده بالخديو فقال ما معناه أن الخديو كان يتوجس خيفة من حزب الشيخ ، ومن المنضمين إلى هذا الحزب من أمثال فتحى زغلول وسعد زغلول والشيخ عبد الكريم سلمان ، والشيخ عبد الرحيم الدمرداش ، وأعضاء حزب الأمة بوجه عام . واستشهد الشيخ رشيد رضا على ذلك بخطابين بعث بهما أستاذه محمد عبده إلى المستر بلانت . وقد أشار الشيخ فى هذين الخطابين إلى سحب كل سلفة من يد الخديو إذا أريد وضع نظام جديد للادارة المصرية . كما قال الشيخ أنه استشار فى هذا الرأى كثيراً من مفكرى الأمة فوافقوه عليه موافقة تامة[1] . وقد ذهب الأستاذ الامام فى الخطاب الأول (بتاريخ ٦ مايو ١٩٠٤) إلى القول صراحة بأن من رأيه فى الادارة المصرية إذا بقيت الخديوية فى أسرة محمد على ما يلى :

أولا — إن أهم قاعدة أساسية فى تلك الادارة هى أنه يجب ألا تكون للجناب الخديوى أية سلطة تخوله حق التدخل فى أعمال الهيئات التنفيذية للنظارات ، وإدارة الأوقاف والأزهر ، والمحاكم الشرعية . بمعنى ألا يكون لتدخله الشخصى أثر ما فى الحكومة .

ثانياً — يجب أن يشكل مجلس على نسق مجلس الشورى الحالى تقريباً ، ولكن على صورة أقوم ونظام أمثل ، وينبغى أن يكون الوزراء وكبار الموظفين أعضاء فيه . وليس هناك ما يمنع من انتظام بعض كبار الموظفين من الانجليز فى الحكومة المصرية فى سلك أعضائه . ويكون من اختصاص هذا المجلس سن القوانين الجديدة .

ثالثا — ينبغى أن توضع حدود لتدخل السلطات التنفيذية — ذلك التدخل الذى يدعيه الموظفون الانجليز لأنفسهم — كالمستشارين وغيرهم ، حتى لا يكون الموظفون المصريون مجرد آلات صماء لا إرادة لهم ، ولا رأى يبدونه من تلقاء أنفسهم .

---

(١) أنظر هذين الخطابين فى المصادر الآتية :
(ا) مذكرات أحمد شفيق باشا ج ٢ م ٢ ص ١٤٣
(ب) تاريخ الأستاذ الأمام ج ١ ص ٨٩٨
(ج) المنار . مجلد ١ ج ١١ ص ٨٣٤

رابعا — أن يشكل مجلس إدارة فى كل نظارة من النظارات، كالحقانية، والداخلية مثلا، بحيث ينتخب أعضاء هذا المجلس بواسطة المجلس العام السابق ذكره. وتكون وظيفة كل مجلس من هذه المجالس الادارية البحث فى تفصيلات المسائل الهامة، ووضع المشروعات والقوانين والنظامات لكل مصلحة من مصالح الحكومة.

خامسا — أن توضع قانون لنظارة المعارف يكون جاريا بالنسبة للشؤون المختلفة بالمعارف العمومية والتعليم. وينبغى أن يخصص قسم من الدخل العام للقيام بنفقات التعليم يكون كافيا لفتح مدارس للتعليم العام، وآخر للتعليم الفنى تكفى لسد حاجات البلاد.

وفى الخطاب الثانى الذى بعث به الشيخ الى صديقه المستر بلانت نرى العبارة الآتية:

« وقد فكرت طويلا، وتذاكرت مع بعض أفاضل المصريين، فوجدتهم مجمعين على أن من أدل الضروريات لحسن الادارة المصرية هو قيام الحكومة الانجليزية بضمان النظام فى البلاد. ومعنى ذلك أن تراقب استتباب هذا النظام، وتحافظ على استمراره، وعلى الدستور الذى يمنح لمصر، وألا تدع ذلك الدستور عرضة لتدخل الخديويين. ومتى تمت هذه الضمانة ومنحنا الدستور لا تبقى هناك حاجة الى نزع سلطان الحكم من عائلة محمد على ولا تعيين أمير أوروبى، فان تعيين أمير أوروبى لا يصادف قبولا من الأهالى، ولا يساعدهم على تحسين حالتهم.

ثم طالب الخطاب بدستور صحيح للبلاد ينص على وجود سلطة تشريعية لسن القوانين وسلطة تنفيذية للقيام بالتنفيذ. على أن تحصر السلطة التشريعية فى مجلس نواب يزيد عدد أعضائه عن عدد أعضاء مجلس الشورى الحالى، وتكون له دائرة اختصاصاته الحالية بحيث تحترم قراراته وتكون واجبة التنفيذ، ولا يسمح للوزراء بعدم احترامها مهما كانت الظروف والأحوال. وهذا المجلس هو الذى يسن القوانين كافة، وينتخب الوزراء من بين أعضائه. أما السلطة التنفيذية فتحصر فى الوزارة التى تخول حق تقديم مشروعات القوانين بحيث لا تستأثر بسنها وحدها، لأن حق سنها هو من اختصاص مجلس النواب.

والخلاصة أن قصارى الشيخ هو الاصلاح الدستورى، واصلاح التعلم، وتهنئة الأمة المصرية للحكم الذاتى. وكان من رأيه صراحة أن الحكومة الخديوية عاجزة كل العجز عن اعداد المصريين لهذه الأغراض النبيلة، بل أن هذه الحكومة الخديوية لا ترغب مطلقا

فى أن تحقق للمصريين أملا واحداً فقط من هذه الآمال . واذا كان الأمر كذلك فلا مناص للأمة اذن — أو على الأصح للطبقة المستنيرة فى هذه الأمة — من الاعتماد المؤقت على قوة أخرى فى استطاعتها أن تصنع شيئا — وهذه القوة الأخرى هى قوة الانجليز .

نعم كانت هذه الأفكار المعتدلة تغضب المتطرفين من أعضاء (الحزب الوطنى) ،وكانت فى الوقت نفسه منفذا تنفذ منه سموم الخديو إلى أعضاء (حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية) ولكنها كانت من دون شك أفكارا ذات طابع عملى . ولذا عرفت هذه الأفكار العملية طريقها إلى قلوب (حزب الأمة) الذى اعتنق مبادىء الشيخ ، وراح يبشر بها جزءاً جزءاً ، وألحق الكثيرون بحزب الأمة سوءا فى أول الأمر ، واتهمه بعضهم بأنهم صنيعة الاحتلال الانجليزى . ثم مالبث هذا الحزب أن انتقد أعمال الاحتلال على صفحات (الجريدة) التى تنطق باسمه . ، وانتقل من ذلك إلى انتقاد الكتاب الذى ألفه اللورد كرومر بعنوان (مصر الحديثة) ، ووجه اللوم مرا والنقد عنيفا لعمداء الاحتلال على تدخلهم السافر فى تعيين الموظفين ، وتدخلهم المغرض فى أمور التعليم إلى غير ذلك من الحركات التى أثبتت للرأى العام أن حزب الأمة فقد ثقته نهائيا بالانجليز وبحسن نيتهم ، وبقدرتهم على الأخذ بيد الأمة المصرية إلى الاصلاح الدستورى من جهة ، واصلاح التعليم من جهة ثانية ، واصلاح الادارة المصرية آخر الأمر .

ذلك موقف الشيخ محمد عبده وموقف مدرسته من السلطة الشرعية ممثلة فى الخديو ، والسلطة الفعلية ممثلة فى الاحتلال البريطانى ، وهو موقف شائك محفوف بالمخاطر . وقد كان على قادة المصريين فى ذلك الحين أن يفكروا فى إنقاذ بلادهم من تلك الأوضاع الشاذة ، كما كان عليهم أن يسيروا بدفة السياسة المصرية فى هذا الموج المتلاطم بحذر شديد . والا أفلت الزمام من أيديهم ، وارتطمت سفينة السياسة المصرية بصخرة من الصخور العاتية التى تحطمها وتغرق أهلها وتؤدى بهم جميعا إلى الهاوية .

ونحن نقرر الحقائق التى أمامنا ونقف عند هذا الحد . ونحن إذ نقول فى مدرسة الشيخ محمد عبده هذا القول لا نعدو الحق ولا نقصد إلى المدح أو الذم ، ولا نهدف إلى تبرير أى عمل من أعمال هذه المدرسة التى رأت هذا الرأى ، وثبتت عليه .

— ٧ —

والنتيجة التى نريد الوصول إليها أن العقدة الشركسية عند مدرسة الشيخ محمد عبده وصحافة هذه المدرسة أفضت بكل واحد من تلاميذ هذه المدرسة إلى أتباع سياسة معينة ،

وان هذه السياسة مهما كان مصدرها وكائنا من كان القائل بها كانت لا تهدف إلا لمصلحة الوطن ولا تبغي إلا خلاصة من ربقة الاستعمار على أية صورة من الصور ، وكانت تسعى وراء الاستقلال الذى هو غرض الأمة من وراء جهادها مهما كان شكل هذا الجهاد أو كانت طرقه ومبادئه .

فالشيخ محمد عبده — الذى هو رأس هذه المدرسة — كان يرمى إلى التخلص من هذا الحكم التركي . وفى رأيه أن الخطة السديدة لذلك هى الاصلاح ، والتعليم ، والمشاركة بكل عناصر الأمة وقواها فى حركة التنوير . وفى سبيل هذه الغاية التى هى التخلص من الحكم التركي كان لا يرى مانعا من التعاون مع الاحتلال لا لمصلحة هذا الاحتلال بحال من الأحوال ولكن لمصلحة مصر . فبدا للناس متساهلا مع رجال الاحتلال البريطانى وحافظا للود بينه وبينهم . وعلم القصر ذلك فناصبه الخديو عباس الثانى العداء ، ولم يدخر الخديو وسعا فى إيذائه وإحراجه والتشنيع عليه بكل الطرق الممكنة . وحين علم الخديو بموته — وكان إذ ذاك فى أوروبا ثم عاد منها إلى مصر — أظهر الشماتة فى موت الرجل وأنحى باللائمة على كل من عرف أنه مشى فى جنازته من أمثال فتحى زغلول ، وغيره من المصريين البارزين فى ذلك الوقت .

وأحمد عرابى ـ من اتباع هذه المدرسة ـ كان يرى أن الثورة هى الطريق الوحيد إلى الحصول على الدستور كما يشتهيه المصريون أو الفلاحون ، وإلى التخلص من الحكم التركي الذى أسند لهم ، وأزرى بهم ، واستهان بحقوقهم ، ووصفهم فى منزلة تشبه منزلة العبيد .

والسيد على يوسف ـ وإن كان من تلاميذ هذه المدرسة ـ إلا أنه كان رجلا من طراز آخر ـ كان رجلا نصفه للأمير ونصفه للجماهير . وكان يشعر بشعور الخديو عباس حلمى الثانى ـ وهو كراهيته الشديدة للأتراك والشراكسة وللسلطان العثمانى فى الآستانة ذاتها . وكان يعمل معه على التخلص من هذا السلطان البغيض . ولكن كانت له طرق أخرى مخالفة للطريق الذى سلكه الشيخ محمد عبده . ومن أجل هذا لم نجد للسيد على يوسف تحمساً شديداً لفكرة الخلافة الاسلامية التى أخذ بها الزعيم الشاب مصطفى كامل ، بل رأيناه على عكس ذلك يأخذ برأى الصحف الأجنبية التى نظرت إلى فكرة الجامعة الاسلامية غير النظرة التى كان اللورد كرومر ينظر بها إلى هذه الفكرة . كان كرومر يتوجس خيفة من الجامعة الاسلامية ومن تفكير العالم الاسلامى فى تنفيذها يوماً ما . وكان كرومر يرى

فى هذه الفكرة ذاتها مصدراً لقوة الأمم الاسلامية وسبيلا لى سطوتها . لأن فى اتحاد هذه الأمم الصغيرة بعضها مع بعض ما يزعج أوروبا ويعيد إلى الأذهان فكرة الحروب الصليبية . وكانت الصحف الأوروبية فرنسية كانت أم انجليزية ترى غير هذا الرأى ، وتجد أن فكرة الجامعة الاسلامية ليست إلامظهراً من مظاهر النهوض القومى فى كل بلد من البلاد الاسلامية. فهى فى مصر حركة دستورية لا أكثر ولا أقل - وهى فى الهند حركة علمية وثقافية لا أكثر ولا أقل . وهى فى تونس نوع من الجهاد الوطنى ، وهكذا . والغريب أن السيد على يوسف عنى بترجمة هذه المقالات الأوروبية فى هذا المعنى ونشر الترجمة فى صحيفة المؤيد ، وكان من جانبه يؤيد وجهة النظر الأوروبية ولا يؤيد وجهة النظر الكرومرية ، وكان من القائلين بأن الحروب الصليبية اختفيت من الوجود وأنها لن تعود .

أما الطريق الوحيد فى نظر السيد على يوسف ونظر الخديو عباس حلمى الثانى للتخلص من السلطان العثمانى فهو فكرة الخلافة العربية - لا فكرة الخلافة الاسلامية - وهى الفكرة التى تمخض عنها العقل الأوروبى منذ فكر طويلا فى شىء يحل محل الفكرة السابقة التى هى فكرة الجامعة الاسلامية ، فكر فى ذلك مستر بلانت فى كتابه (مستقبل الاسلام) ورأى أن تكون هناك خلافة عربية يكون مقرها بالحجاز ويقتصر صاحبها على النفوذ الدينى قدر المستطاع . وفكر الخديو عباس ومعه السيد على يوسف من جانبهما فى هذا الرأى فوجدا فيه خلاصا لهما من السلطان العثمانى - ولكنهما لم يجاهرا برأيهما على صفحات المؤيد ولم يصرحا تصريحا كافيا ، ولم يروجا له كذلك الترويج الكافى . ذلك أن فكرة الجامعة الاسلامية كان لها يومئذ من السلطان والنفوذ ما لا يسمح لأفكار أخرى أقل منها قوة أن تنتشر وتسود . ومن هنا أخذ السيد على يوسف يكتفى بنشر ترجمة لهذا المقال أو ذاك مما كتبه الساسة الانجليز أو الفرنسيين حول فكرة الخلافة العربية كما أنه عنى بترجمة كتاب مستقبل الاسلام للمستر بلانت وهو الكتاب الذى بنى على فكرة الخلافة العربية ، ونشر هذه الترجمة فصولا بجريدة المؤيد . وبقى هو والخديو عباس يتربصان الفرص التى تسنح لهما لاعلان هذه الفكرة على أساس أن عباسا أحق المسلمين جميعا بهذه الخلافة فى زمانه ، وأنه ليس من الضرورى أن يكون مقر الخلافة العربية مكة بالذات ، بل يصح أن يكون فى مصر قلب العالم العربى والعالم الاسلامى .

وأحمد لطفى السيد هو الآخر ظهرت صحيفته (الجريدة) فى ظروف زعم الكثيرون أنها

من صنع اللورد كرومر . وأن هذا اللورد هو صاحب فكرة انشاء الجريدة ، وفكرة انشاء الحزب الذى تعبر عنه وهو حزب الأمة . والحقيقة غير ذلك [1] .

أما الجريدة فقد ذهب أحمد لطفى السيد يحصل على إذن بإصدارها من نظارة الداخلية ، وخرج هو وصحبه من هذه النظارة إذ ذاك فوجدوا اللورد كرومر قادما إليها وسألهم عن المهمة التى أتوا من أجلها إلى النظارة فأخبروه الخبر فأبدى سروره العظيم لتحقيق هذه الفكرة ، وليس معنى ذلك مطلقا أنه هو الذى أوحى بها يومئذ .

وأما حزب الأمة — أو جماعة الجريدة — فنحن نعلم من التاريخ المصرى الحديث أن لها أصولا ثلاثة بررت وجودها ، وحتمت قيامها وهى الأصل المالى ، والأصل الدستورى ، والأصل النفسى .

فالأصل المالى لهذه الجماعة هو اللائحة السعيدية سنة ١٨٥٨ وهى اللائحة التى أصدرها سعيد (صديق الفلاح) وأباح بها الملكية للفلاحين فأصبح الكثيرون منهم أصحاب أطيان وملكيات ، ووزعت عليهم أراضى الدومين ومنذ ذلك التاريخ ارتبطت مصالح هذه الطبقة ارتباطا قويا بالأرض وشعروا بأنهم أصحاب المصالح الحقيقية فى مصر . وأما الأصل الدستورى لهذه الجماعة فيرجع إلى قانون الانتخاب الذى أصدره اسماعيل بعد ذلك بثمان سنوات أعنى فى سنة ١٨٦٦ تمهيدا لاجتماع مجلس شورى النواب ، وقد حصر هذا القانون المذكور حق الانتخاب فى العمد ومشايخ البلاد . أعنى أصحاب الأطيان أو أصحاب المصالح الحقيقية فى مصر — كما كان يحلو لهم أن يسموا أنفسهم بهذا الاسم . والغريب أن النيابة بقيت محصورة فى هؤلاء الأعيان بل غدت وكأنها موروثة فى أبنائهم ، وذلك من عهد اسماعيل إلى قرب قيام الثورة التى قادها الجيش فى ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ . وأما الأصل النفسى أو السيكولوجى فمرجعه إلى أن أولئك العمد ومشايخ البلاد والأعيان وأصحاب المصالح الحقيقية إذ ذاك كانوا عرضة على الدوام لتعذيب الجباة والحكام من الأتراك والشراكسة فكانوا يتعرضون للجلد حينا وللحبس أحيانا ، وللغرامات والمصادرات مع هذا وذاك . ومعنى ذلك أن هذه الطبقة التى أعانت على ظهورها الظروف السابقة هى التى

---

(١) أنظر البحث الذى قدمه الدكتور حسين فوزى النجار للحصول على الدكتوراه من قسم الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة فى موضوع : الجريدة تاريخ وفن — مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة .

شعرت بظلم الأتراك أكثر من غيرها من الطبقات ، وهى التى قاست من هذا الظلم ألوانا شتى ، وكظمت من الغيظ ألوانا شتى . واستقر فى منطقة شعورها ومنطقة اللاشعور منها كذلك رواسب كثيرة من هذا الظلم والطغيان — وكان لابد لهذه الرواسب النفسية من أن تؤثر فى سلوكهم ، وعقولهم ، وميولهم ، وطباعهم . وبالفعل بقيت هذه الجماعة صابرة على الأذى حتى أتيح الظرف الذى تتنفس فيه من هذا الكبت فأنشأت الجريدة ، ومدت يدها إلى الاحتلال لتستعين به على التخلص من هذه العقدة الشركسية ذات البذور العميقة فى نفوسهم إذ ذاك .

وباختصار شديد تعاونت الجماعة والجريدة مع الاحتلال البريطانى إلى أمد قصير وأظهرت له شيئا من الود ليس حبا منها فى (معاوية) كما يقول المثل العربى ، ولكن كرها منها فى (على) كما يقول المثل . والدليل على ذلك أن الجريدة كانت فى أول أمرها تؤثر الاحتلال فى نقد رجال الاحتلال حتى إذا تبين لها أن هؤلاء الرجال يحاولون الاضرار بمصالح مصر أثيرت للرد عليهم والعنف فى هذا الرد إلى الحد الذى عز على بعض الصحف الوطنية المتطرفة فى ذلك الوقت .

وهكذا نجد كل واحد من الساسة المصريين فى ذلك الحين يضع سياسته على قاعدة واحدة . وهذه القاعدة هى أنه لا يحارب فى جبهتين ولكن فى جبهة واحدة . وهذه القاعدة نفسها هى التى اتبعها كذلك مصطفى كامل وذلك منذ نادى مع المنادين بفكرة الجامعة الاسلامية ومنذ وضع أمله وثقته فى سلطان الدولة العثمانية . وتفرغ هو لمحاربة الاحتلال ، واستعان فى ذلك بآل عثمان . وذلك أن المطلب الأساسى فى نظر مصطفى كامل هو الجلاء فى حين أن المطلب الأساسى فى نظر لطفى السيد هو الدستور ، والمطلب الأساسى فى نظر على يوسف هو الأمير .

وعلى هذا فيجب التفرقة دائما بين التعاون مع الاحتلال لمصلحة مصر والتعاون مع الاحتلال لمصلحة هذا الاحتلال فحسب . أما الخطة الأولى فمبنية على الفهم المستقيم للوضع الذى كانت عليه مصر . وأما الثانى فيعتبر خيانة صريحة لا يستطيع التاريخ أن يعفى القائمين بها من اللوم على أى وجه .

وفى تلك الظروف الشائكة التى نشير إليها ، وفى خضم هذه الحوادث القريبة التى ننوه بها أربد وجه السياسة المصرية و نظر الناس فاذا تيارات كثيرة متعارضة ؟ تتقاذف بينها كرة

السياسة المصرية وكرة المصالح الوطنية ، وإذا المصريون أنفسهم فى حيرة شديدة من هذا الأمر. لا يدرون فى كثير من الأحايين التى أين تقودهم هذه التيارات المختلفة ، والدوافع المصطرعة فأين تقف السفينة فى خضم هذا البحر ؟ وما السبيل إلى تقدمها فى وسط هذا الموج ، وما الذى تختاره لنفسها من هذه التيارات ؟ أتختار التيار التركي ، أم التيار الفرنسى ، أم تختار التيار البريطانى ، أم تختار التيار المصرى أو القومى ؟

لكل واحد من هذه التيارات مزاياه ، وله كذلك أخطاره التى قد تذهب بالبلاد وتقودها إلى الهاوية .

غير أنه مما لا شك فيه أن كل زعيم من زعماء هذه التيارات كان مخلصا لمصر ، وكان لا يبغى إلا مصلحة مصر ، وكان يؤمن ايمانا عميقا بأن خطته هى المثلى وأنها ستقود السفينة الى بر الأمان .

وما زالت هذه التيارات السياسية فى اختلافها وصراعها وصدامها حتى اذن الله للتيار القومى منها بالنجاح . فنجح على يد أصحاب الجريدة ، وعلى يد محررها الاستاذ أحمد لطفى السيد فوجدناه يكتب المقالات الطوال فى الترويج لفكرة القومية المصرية ، وايثارها على اتباع فكرة الجامعة الاسلامية . ولا بأس بفكرة القومية لولا أنها تؤدى فى الحقيقية إلى تفكك الأمم الاسلامية وظهورها بمظهر الضعف أمام الدول الأوروبية الطامعة فى كل واحدة منها على حدة .

هكذا تتفق الاحزاب المصرية كلها على شيء واحد فقط هو التخاص من النفوذ الأجنبى فى البلاد — وان لم تذكر ذلك فى برامجها التى طلعت بها على الرأى العام . ومعنى ذلك أن الذى لا نزاع فيه هو إن انقاذ الأمة المصرية من هذه الحالة الشاذة التى كانت عليها هو الأساس الذى بنيت عليه جميع الحركات التى قصد بها الى المقاومة ، والأساس الذى بنيت عليه جميع الجهود الصحفية التى بذلت فى سبيل هذه المقاومة ، وإن كانت الصحف المصرية على خلاف فى الوسائل التى تذرعت بها فى سبيل هذه الغاية الواحدة .

فعلى يوسف فى المؤيد كان يأخذ جانب الخديو لمصلحته ومصلحة الأمة . ومصطفى كامل — وهو أكثر الزعماء تطرفا فى الوطنية — كان يأخذ بفكرة الجامعة الاسلامية أو العثمانية لمصلحة الأمة . وأحمد لطفى السيد — وهو من أكثر الزعماء اعتدالا وأقربهم إلى مبادىء الشيخ محمد عبده كان يرى أنه لا بأس من التعاون مع الاحتلال ورجاله تعاونا

مؤقتا لمصلحة الأمة . والذى لا ريب فيه أن كل واحد من هؤلاء جميعا كان يبدو وكأنه على اتم استعداد للتعديل من خطته هذه ما اقتضت ذلك مصلحة الأمة .

وعلى أساس هذه الفكرة ننظر بحق إلى زعماء مصر منذ عرفت السياسة على أن كل واحد منهم وضع بيده لبنة فى بناء مصر الحديثة ، وترك لغيره من الزعماء والقادة أن يضعوا مثله لبنات أخرى . وكان كل واحد منهم شديد المراعاة للظروف التى أحاطت به والأهداف التى يرمى إليها . كلهم يكرهون الحكم التركي ، وكلهم يكرهون الحكم البريطانى ، وكلهم يريدون الحياة الحرة الكريمة ، ولكن ـ لكل واحد منهم وسيلة تخالف وسيلة الآخر . ولا عيب فى اختلاف الوسائل مادامت تؤدى إلى الغرض والهدف .

نعود فنقول إننا لا نرمى إلى الدفاع عن تاريخنا المصرى فى فترة من أشد فترات ظلمه ـ وهى فترة الاحتلال البريطانى ـ ولكنا وجدنا من المثقفين فى هذا الجيل من يفهمون هذه الحقائق التى نسوقها فهماً غير مستقيم . فأردنا أن نضع تحت أيديهم هذه الحقائق مرة أخرى لكى يعيدوا النظر فيها من جديد ليروا ـ كما رأى الأوروبيون أنفسهم أنه لا نزاع فى أن المصريون يكرهون النفوذ الأجنبى على أية صورة من صوره ، ومن أولئك الأوروبيين القاضى الهولندى فان بمن (Van Bemmen) حيث يقول : « يخطىء الذين يظنون أن المصريين المثقفين لا يهتمون إلا بمصالحهم الشخصية ، ومصالح أسرهم ليس غير . فانهم ـ على العكس من ذلك . يكرهون الحكم التركي ، ويكرهون الحكم الأوروبى على السواء . ويريدون حكومة وطنية بكل معانى الكلمة . وهم يحبون مصر الحديثة ومصر التاريخية ويهتمون بمصير الشعب ، ويتألمون لمصائبه التى لا نهاية لها » (١)

— ٨ —

وتنتهى الحرب العظمى (١٩٠٤ — ١٩١٨) وتأتى الثورة المصرية أو ثورة عام ١٩١٩ وزعيمها سعد زغلول ـ وهو من تلاميذ المدرسة التى نتحدث عنها ـ ونعنى بها مدرسة الشيخ محمد عبده ، فنرى سعد يطالب بالاستقلال التام ، ونرى أنه فى إمكانه بلوغ هذا الهدف عن طريق المفاوضات ، ويتولى بعض هذه المفاوضات المصرية الانجليزية بنفسه ، ويقول عن الانجليز فى أثناء ذلك (أنهم خصوم شرفاء معقولين) فيدلنا بهذه العبارة على إمكان التعاون معهم فى سبيل الغاية التى تسعى اليها الأمة ـ وهى الاستقلال .

(١) كتاب « مصر وأوروبا » للقاضى فان بمن ج ١ ص ٢٦

وينظر التاريخ إلى ثورة سعد زغلول على أنها خطوة جديدة فى سبيل الحصول على الحرية والدستور ، وإلى عمل زغلول على أنه لبنة أخرى فى بناء مصر الحديثة .

ففى ثورة سنة ١٩١٩ ظهرت شخصية سعد زغلول على أنها شخصية محببة من الجمهور . وظهر على مسرح السياسة المصرية فى ذلك الحين شخصية رجل آخر هو عدلى يكن . وكان رجلا نظيف الخلق حميد السيرة غير ظنين فى وطنيته ومصريته . ومع ذلك أعرض الشعب عن هذا الزعيم الأخير ، وأقبل إقبالا عظيما على سعد زغلول . وكان مرد ذلك ـ فيما نرى ـ هو هذه العقدة الشركسية التى استغلها سعد زغلول فانتفع بها على هذا الوجه ولم ينتفع بها عدلى يكن التركى الأصل على أى وجه [1] .

وأخيرا وبعد أن يوشك البناء على التمام تقوم ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ويكون أول عمل من أعمالها ، وخطوة من خطواتها تقويض الملكية وإقامة جمهورية مصرية . وينظر التاريخ إلى هذا العمل الأخير على أنه تتويج لجميع الجهود التى بذلها حزب الفلاحين ، وتحقيق للآراء التى نادت بها مدرسة الشيخ محمد عبده والتى فيها الرأى القائل بأن قصة التدخل الأجنبى فى مصر لايمكن أن يصل إلى نهايتها إلا بالتخلص أولا من الأسرة الحاكمة ، ومن حزب الرأى أو حزب الأتراك الشراكسة .

وهكذا حققت الأيام ماكان يحلم به جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده ، وعبد الله النديم وغيرهم من زعماء الفلاحين المصريين . وصدقت الأيام ما كان يحسه أولئك الزعماء من أن هذه الأسرة هى أصل الداء وأس البلاء ، وأن تخليص البلاد منها هو الطريق الوحيد إلى الاستقلال .

والحق أننا نحن المصريين ماكنا لنبلغ شيئا مما بلغناه ما لم نكن قد نجحنا فى خلع الملك الذى هو رمز لهذه الطبقة الدخيلة إلى النفوس وهى طبقة الأتراك الشراكسة .

والحق أيضاً أننا نحن المصريين قد أصابتنا جميعا هذه العقدة الشركسية منذ استولت الأسرة العلوية على الحكم ومنذ نظر أفرادها والمنتمون إليها إلى الشعب المصرى نظرة استعلاء

---

(١) يوافقنا على هذا الرأى الأستاذ عباس العقاد فى كتابه (سعد زغلول) . ويخالفنا فيه الأستاذ محمد شفيق غربال فى الجزء الاول من كتابه (تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية) .

وحقد ومقت ، وقد كان لفظ « فلاح » ينسحب فى أذهانهم إلى معنى المواطن المصرى الذى لا يستحق منهم غير الازدراء أو الذى ينحط بالمصرية ذاتها إلى موطىء النعل .

ومن ثم كان الانتصار على طبقة الشراكسة فى حقيقة الأمر انتصاراً لهذه الطبقة التى حملت عبء الجهاد منذ أول الشوط . ونعنى بها طبقة الفلاحين أو طبقة المصريين الذين تجرى فى عروقهم دماء المصرية الحرة النقية ، ويشعرون فى قرارة نفوسهم بأنهم أصحاب هذا الوطن الذى دفعوا فى سبيل حريته واستقلاله كل هذا الثمن .

الأنشودة الخامسة من مَطْهر دانتى

بقلم

حسن عثمان

وضع دانتى المطهر بعد آخر درك فى الجحيم ، وجعله على صورة جبل شاهق يعلو وسط البحر فى نصف الكرة الجنوبى ، وهو قائم بين الجحيم والفردوس . والمطهر حال وسط يبدو فيها الجحيم كذكرى ويظهر الفردوس كأمل . وإذا كان عذاب الجحيم عذابا أبديا وهدفا فى ذاته فإن عذاب المطهر عذاب مؤقت وهدف إلى الفردوس . ولا تستطيع النفس أن تتذوق غذاء السماء دون الندم والدموع والتكفير . وجبل المطهر وعر صعب المرتقى عند بدايته ، وكلما صعد المتطهر الجبل تخفف من خطاياه وأصبح صعوده فى خفة الطيران . ويتم التكفير والتطهر فى المطهر وذلك كعملية باطنة فى نفس الآثم . وفى المطهر فيض من الشعور الإنسانى ، وتسوده البهجة والطمأنينة والثقة فى رحمة الله وعفوه وغفرانه .

وينقسم المطهر عدة أقسام . يأتى أولا مدخل المطهر أو مقدمته ، وهى موضع من تأخروا فى التوبة حتى آخر لحظة من حياتهم . ثم يأتى المطهر وينقسم سبعة أفاريز يعاقب فيها مرتكبو الخطايا الذين ندموا وتابوا عن خطاياهم فى وقت مناسب . وأخيرا يأتى الفردوس الأرضى فوق القمة من جبل المطهر ، وهو تمهيد لفردوس السماء عند دانتى .

سار دانتى برفقة ڤرجيليو واعترضهما كاتو حارس المطهر ، ولكن ڤرجيليو أوضح له الدافع والهدف من هذه الرحلة فأباح لهما العبور [1] ، ورأى الشاعران ملاك السماء يحمل الأرواح السعيدة فى قاربه حتى بلغ بهم شاطىء المطهر [2] ، وهناك التقى دانتى بكازيلا الموسيقى الفلورنسى ، ثم تقدم الشاعران باحثين عن موضع لارتقاء الجبل ، وهناك لقى دانتى مانفريد ابن الامبراطور فردريك الثانى الذى قص عليه مأساته [3] . وأخذ الشاعران فى صعود الجبل ، وقابل دانتى بلاكوا الفلورنسى صانع الآلات الموسيقية [4] .

وفى الأنشودة الخامسة الواقعة فى مقدمة المطهر ، لم يكد دانتى يبتعد عن بلاكوا وعمن معه من أرواح الكسالى المتأخرين فى التوبة حتى أبدى أحد الأرواح دهشته عند رؤية إنسان يقطع أشعة الشمس بجسمه الحى . وكانت تلك دهشة روح تحاول أن تعرف حقيقة الأمر وتبذل جهدا حتى تصدق ما بدا أمامها . وكذلك أظهرت سائر الأرواح دهشتها ونظرت نظرة طويلة إلى موضع الدهشة ، إلى دانتى وحده الذى قطع أشعة الشمس . والتفت دانتى إلى هذه الأرواح وأخذه مرآهم وقد ساورهم الاضطراب ، فأبطأ مسيره [٥] . وسأله فرجيليو ما الذى يشغل عقله حتى يبطىء السير ، وماذا يعنيه أن هذه الأرواح تتهامس فى شأنه فى هذا المكان [٦] ؟

جاءت كلمات فرجيليو كصوت مفاجىء لم يكد دانتى يتوقع أن يسمع نبراته . وفى كلمات فرجيليو قوة لم ينتظر دانتى سماعها حينما أبطأ خطاه قليلا . وكان إبطاؤه يحمل إحساسا بالعطف على هذه النفوس التائبة التى تسير فى طريق الرحمة والخلاص . وفى ضمير فرجيليو كان لا يزال يرن صدى ما سمعه من قبل بشأن التأخير فى طريق المطهر والحرص على أداء التطهر فى أقصر وقت مستطاع [٧] . ولا شك أن ضياع الوقت تزيد إساءته إلى من تزيد معرفته . وقد كانت كلمات كاتو من قبل حافزا لفرجيليو على أن يزيد من إدراكه قيمة عمله كدليل [٨] ، وجعلته أقدر على فهم الهدف الذى ينبغى على النفوس المتطهرة أن تبلغه . وهذا يجعلنا ندرك أن سعى فرجيليو لأن يصرف نظر دانتى عن هذه النفوس ليس معناه إهمال شأنهم أو القسوة عليهم ، بل يرجع إلى الهدف الأعلى لهذه الرحلة الصوفية . وبذلك ينبغى على دانتى ألا يحفل بما يسمعه ، إذ أن كلام هذه النفوس لا يزيد عن همس عديم الجدوى بالموازنة بضرورة الجد فى المسير لبلوغ الهدف الأسمى .

وينتقل فرجيليو ــ أو دانتى على لسان فرجيليو ــ من تهامس الأرواح إلى كلام الناس ولغوهم . ولا يجوز عنده أن يؤدى تهامس الأكثرية ولغوهم الفارغ إلى تعطيل سير الأقلية من أصحاب الإلهام نحو أهدافهم العليا . وعلى لسان فرجيليو نسمع صوت دانتى الذى يعبر عن انفجار نفس اعتادت الوحدة السامية الرفيعة ، واعتادت كذلك أن تقاوم بعزيمة صلدة لغو الناس بل وسوء أعمالهم . وعلى هذا يسأل فرجيليو دانتى أن يأتى وراءه ويدع الناس يتكلمون ، ويطلب إليه أن يقف كالبرج الثابت الذى لاتهتز قمته بعصف الرياح أبداً [٩] . وعندما يريد دانتى التعبير عن قوة الروح المعنوية يأخذ تشبيهه من المعانى المادية والصور المحسوسة التى تفصح عن غرضة تماماً . وأمامنا القمة التى تمتد فى الفضاء وتعلو على كلام الناس ولغوهم .

وأى فراغ هذا الذى يعيش فيه أولئك الذين لا يعرفون سوى لغو الكلام ! وكم من الناس يؤثرون ويتأثرون بلغو الكلام ! وكم منهم لا يعيرون أذناً صاغية لهذا اللغو الفارغ الذى تشقشق به الألسنة ! وأية كلمات صلدة هذه التى جرت على لسان فرجيليو لكى تحفز الإنسان على الثبات وتشحذ العزيمة وتمنح من يأخذ بها قوة تقف فى وجه العواصف بثغر باسم ! وأى درس يقدمه دانتى لمن يتعثرون أمام العقبات ! وأية قوة كامنة فى هذه الكلمات القليلة وماذا يمكن أن نكسب منها إذا تمثلناها وهضمناها !

ويتابع فرجيليو قوله بأن من ينبع عنده فكر فوق فكر يباعد نفسه عن هدفه ، والفكرة الجديدة تطغى على الفكرة السابقة ، وينتقل من فكرة لأخرى ، وبذلك لا يستطيع أن يركز نفسه على فكرة بعينها (١٠) . وكان لكلام فرجيليو أعمق الأثر فى نفس دانتى مما دفعه إلى الاستجابة لقوله وأجابه بأنه قادم . وماذا كان دانتى يستطيع أن يجيبه سوى ذلك ؟ ثم علت وجهه حمرة الخجل لتوقفه عن المسير قليلا ، مما جعله جديراً بصفح فرجيليو وعفوه (١١) . وكان ذلك ندماً وتكفيراً صادقاً من جانب دانتى . وهكذا نحس بهذا الموقف الرقيق بين الأستاذ وتلميذه ، فى كلمات التشجيع وتقوية الروح المعنوية وشحذ العزيمة ، ثم الاستجابة لنداء فرجيليو مع الإحساس بالخجل والندم .

وفى ذلك الوقت كانت جماعة من النفوس تتقدم إزاء الشاطىء فى موضع أدنى من موضع الشاعرين اللذين كانا يرتقيان جبل المطهر . وكان هؤلاء من لقوا ميتة عنيفة وتأخروا فى التوبة والندم إلى آخر حياتهم. تقدم هؤلاء وقد جمعتهم مشاعر وحركات واحدة وسادهم الانسجام، وأخذوا ينشدون معاً نشيد « ارحمنى يالله » ؛ ونطقوا بفقرات هذا النشيد جماعة فأخرى على التوالى . ولكن عندما رأوا أن دانتى قد حجز مسرى أشعة الشمس بجسمه الحى ، كفوا عن الإنشاد وتحول غناؤهم إلى آه طويلة خرساء (١٢) . ونحن لا نحس أن هؤلاء قد خالج نفوسهم العجب والدهشة فحسب ، بل نشعر أنه قد خالجهم أيضاً الإحساس بالخوف أمام رؤية دانتى الحى . ويحتوى عجب هذه النفوس على عنصر شاعرى عميق ، لا يرجع إلى الشك العقلى وحده ، ولكن يرجع كذلك إلى خوف النفوس التى رأت فجأة هذا الإنسان الحى يأتى من الأرض التى غادرتها منذ قليل ، والتى لم تتحرر من آثارها وذكرياتها بعد . فالأرض بصراعها وأهوائها تتمثل أمام هذه النفوس فى مقدمة المطهر ، وبذلك تعيد ذكرى الخطايا والآلام ، وذكرى العواطف الرقيقة ، وذكرى الأسى والشجن . وقليلا ما تتقابل الحياة والموت ، والأرض والروح ، على صورة شاعرية إنسانية ، حيث النفوس

لاتزال قريبة من الأرض ، ومن الحب والآلام ، ومن عالم لم يمح التطهر آثاره بعد ، ولذلك تنظر النفوس إليه بعين القلق الذى يمتزج فيه الخوف بالرغبة .

يدفع هذا القلق اثنين إلى الانفصال عن سائر الجماعة ، ويجريان صوب الشاعرين ليعرفا هل من المستطاع حقا أن يأتى إلى عالمهم إنسان بجسمه الحى[١٣] وفرجيليو الذى أدرك ما خالجهما من الشعور سارع إلى تأكيد أن صاحبه إنسان حى وأن جسمه لحم حقيقى ، وأضاف إلى ذلك قوله الرقيق العطوف إن الجماعة إذا ظلت لرؤيته فسينالون منه جوابا شافيا ، وعليهم أن يمجدوه ، إذ يمكن أن يصبح عزيزا لديهم جميعا ، ، وذلك لأن دانتى يستطيع عند عودته أن يحمل أنباءهم إلى الدنيا ، ويطلب إلى الأحياء أن يصلوا من أجلهم ، وبذلك يقصر زمن بقائهم فى مقدمة المطهر[١٤] . عندئذ عاد الرسولان سريعا كالشهاب الذى يخطف البصر أو كالبرق الذى يومض فى ليلة صيف صافية . وحينما وصل هذان الاثنان إلى جماعتهما اندفعت الجماعة كلها صوب الشاعرين كجياد تنطلق دون عنان[١٥] ، متلهفين على بلوغ طريق الخلاص .

سأل فرجيليو دانتى أن ينصت لرجاء هذه الأرواح ولكن دون أن يوقف خطاه حتى لا يتأخر مسير رحلته[١٦] . وأدرك هؤلاء أن دانتى إنسان محظوظ ، إذ أنه يقوم بهذه الرحلة بجسمه الحى لكى تتطهر نفسه ويذهب إلى طريق السعادة الأبدية . ويتابع دانتى المسير ومن ورائه هذه النفوس التى تصيح به سائلة إياه أن يتوقف عن السير قليلا ، ويسألونه فى لهفة هل يعرف واحدا من بينهم يمكن أن يحمل أنباءه إلى الدنيا . ولكن دانتى لم يتوقف وتابع السير — كما قال له فرجيليو — فأعادت هذه النفوس رجاءها فى لهفة وسألته لم يستمر فى السير ولم لا يتوقف[١٧] ! وكانت هذه النفوس مدفوعة إلى ذلك بالرغبة فى أن تحصل على صلوات أهل الأرض . ويتضمن ذلك شعورا خفيا إنسانيا ، يتضح فى الرغبة فى أن تحمل ذكرى هؤلاء إلى الأشخاص الأعزاء عليهم ، ويسألونهم عاطفة لاتعرف النسيان حتى يقوموا بالصلاة من أجل خلاصهم ، وتذكر هذه النفوس مأساة حياتها وكيف لقوا الموت العنيف ، وتثقل عليهم الخطيئة التى لازمتهم حتى آخر لحظة من حياتهم ، كما يثقل الألم والأسى على الكلمات التى لفظتها ألسنتهم . ولكن النور الإلهى أضاء لهم السبيل فأحسوا بالندم والتوبة والتكفير ، وبذلك فارقوا الحياة وقد مس قلوبهم الشوق إلى الله[١٨] .

أخذ دانتى يتطلع إلى هذه النفوس ولكنه لم يتعرف على واحدة منها . وانتظر أن يعبروا عن رغباتهم ووعد بأن يفعل ما فى مقدوره من أجلهم ، وصدر عنه ذلك الوعد باسم السلام

الذى يجعله يسير فى إثر فرجيلو سعيا إليه ، من عالم الجحيم إلى عالم المطهر ، ولكى يصعد فيما بعد مع بياتريتشى إلى الفردوس [١٩] . ولا يكلفه هذا السلام مشقة أقل مما تعانيه النفوس التى تتطهر من خطاياها . وكان وعد دانتى باسم السلام وعدا مقدسا مهيبا جليلا . ولكنه وهو نفس تحظى بالرحمة الإلهية ـ هكذا جعل دانتى نفسه ـ ويفيض برقة نبيلة نادرة ، ليس فى حاجة إلى أن يصدر عنه مثل هذا الوعد . ولذلك قالت له إحدى هذه النفوس إنهم يثقون جميعا فى حرصه على فعل الخير دون أن يكون فى حاجة إلى أن يؤكد لهم أو يقسم بحرصه على أن يفعل ذلك . وبهذا بادلت هذه النفس رقة دانتى برقة مماثلة ، وأضافت إلى هذا تعبيرا رقيقا بقولها : إذا لم يمنع العجز إرادته [٢٠] . وعلى هذا نرى أن هذه النفوس تقدر ما يمكن أن يعوق دانتى عن فعل الخير رغم إرادته ، ولذلك لايريدون أن يكلفوه فوق طاقته . وهذا إحساس نبيل يقابل إحساس دانتى النبيل .

كان الروح المتكلم هو جاكوپو دل كاسيرو ، الذى أصبح عمدة بولونيا فى ١٢٩٦ ، ودافع عن مصالحها فى وجه أطماع أتزو الثامن مركيز دست ، فأوقع هذا به ، وقتله جنده وسط المستنقعات وهو فى طريقه إلى ميلانو ، حيث صار عمدتها . واتجه دل كاسيرو وحده بالرجاء إلى دانتى قائلا إنه إذا زار وطنه مدينة فانو الواقعة بين رومانيا وأملاك نابلى تحت حكم شارل دانجو الفرنسى ، يرجو أن يكون رقيقا معه ، فيطلب إلى مواطنيه الصالحين أن يقيموا من أجله الصلوات الطيبة ، وبذلك تقصر إقامته فى مقدمة المطهر ، وينتقل إلى المطهر الحقيقى لكى يتطهر من آثامه الخطيرة [٢١] . ولا تزال تثقل على نفسه ذكرى المأساة التى ختمت حياته . وهو يعطى لنا عن نفسه ومصيره صورا موجزة واضحة محددة يسودها ألم دفين . يقول إنه ولد هناك ـ يعنى فى فانو ـ وأصيب بالجراح القاتلة بين أهل پادوا الذين نعتهم بأبناء الأنتينورى نسبة إلى خائن طروادة . ويعبر دل كاسيرو عن كراهة مركيز دست له ، ويذكره بطريقة تنم عن الزراية إذ يقول : ذاك المركيز من إست مدبر الجريمة . ويذكر ما لقيه على يد عدوه الذى غضب عليه متجاوزا فى ذلك ما يقتضيه الحق والعدل [٢٢] . قال إنه لو كان قد هرب صوب ميرا لنجا من المصير الذى لقيه عند أورياكو ولبقى فى الدنيا حيث يتنفس الناس ، وبغير الأنفاس تنعدم الحياة . وهو يعبر فى ذلك عن حرص الإنسان على حياته إذا تعرض للخطر ، ولم يكن يعنيه سوى حياته التى انتهت غدرا . وقال إنه جرى إلى المستنقع ، ولكن عاقه البوص والطين عن الحركة ، فسقط وقتل ، وكان آخر ما رآه

بحيرة تجمعت من دمه المراق [٢٣] ، هذا الدم الذى أراقه عتو الإنسان ووحشيته . وعلى هذا النحو يصور دل كاسيرو مأساته الرهيبة وفى صوته نبرات الأسى والعذاب .

هذه ظلال من شخصية جاكوپو دل كاسيرو رسم دانتى خلالها ما تعرض له من الغدر والتمزيق ، وما ناله من الأسى والعذاب ، وما أحس به من التوبة ، وما ساوره من الرجاء فى ذكر مواطنيه له ، وما خالجه من التطلع إلى أن يصلوا من أجل سلامه .

وتأتى المأساة التالية دون توقف . قال روح آخر فى بساطة وأسى وعلى صدى المأساة السابقة ، إنه لكى تتحقق رغبة دانتى فى التطهر ، يرجو أن يؤيد رغبته هو بعطفه الطيب ، وذلك بأن يحمل الآخرين على الصلاة من أجله والدعاء له حينما يعود إلى الأرض [٢٤] . وهو يدعوه برقة وعطف إلى معاونته ، ويفعل ذلك باسم الهدف المشترك : التطهر والخلاص . وذكر أنه كان من مونتفلترو وأن اسمه بوونكونتى . وهو ابن جويدو الذى لقيه دانتى بين مشيرى السوء فى الجحيم [٢٥] . وقد اشترك بوونكونتى فى معركة كامپالدينو فى ١٢٨٩ ، بين جلف فلورنسا وجبلين أريتزو ، والتى اشترك فيها دانتى كذلك ، وإن كان كل منهما فى جانب . والآن حينما نضج دانتى بالآلام والأيام ، أخذ ينظر من عل إلى التجارب الماضية ، وأخذ يعيد النظر إلى القتال متجاوزاً العواطف والأهواء السابقة ، ورآها من جديد خارج زمانها ، وعاش خلالها كل أنواع الصراع الأعمى الذى وقع بين أصحاب الأطماع . وليس من الضرورى أن نتخيل مع بعض الدارسين أن دانتى قد قتل بوونكونتى فى المعركة ، لأن ما يعنينا هنا هو القيمة المثالية التى خلقها دانتى بفنه العريق . وعندما أبرز دانتى بوونكونتى جعله شخصية تفيض بالحياة بجدارته ونبله وبمأساته الرهيبة . وفى شخصية بوونكونتى بعث دانتى إلى الحياة كل أعدائه فى كامپالدينو ، بل وربما بعث إلى الحياة كل الأعداء المتحاربين فى المعارك الدامية التى وقعت فوق هذه الأرض المليئة بالأطماع والأحقاد . ورأى دانتى الآن خطل ذلك العداء والصراع ، وتمثل الموت الذى لقيه بوونكونتى كأنه لقيه هو . ووضع دانتى هذا الميت الذى تمزق جسده فى معركة كامپالدينو فى هذا الموضع ، وجعله يتطلع إلى التطهر ، وحول فى باطنه صيحة غضبه الهدام فى المعركة إلى صوت الأسى والرحمة ، وأنطقه بطلب الصلاة لنيل الخلاص . وكانت هذه المعانى تسرى فى ثنايا الشعر دون أن يشار إليها بطريقة مباشرة ، كما سرت فى نفس دانتى الذى أخذ يفكر ويتأمل فى صمت ويبعث الحياة فى هذه الشخصية .

يذكر بوونكونتى اسمه واسم أسرته لتحديد شخصه ، لأنه فى الواقع يفصل نفسه عن عالم الأرض وعما فيها من ألقاب وأبهة وأطماع وسلطان . ولا تزال هذه النفوس تحتفظ ببعض ذكريات أهل الأرض ، ويحسون بالألم وهم يرجون منهم الصلاة من أجلهم حتى يقصر زمن تطهرهم . يقول بوونكونتى إن جوفانا — زوجته — لا تحفل به كما لا يحفل به أحد أقربائه أو أصدقائه ، ولذلك فهو يسير بين هذه النفوس بجبهة خفيضة (٢٦) ، حزناً وأسى لأن أحداً لا يعنى بالصلاة من أجله ، ولأن أحداً لا يعنى بذكراه وقد فارق الحياة ، وما أسرع ما يُنسى الإنسان ! ولقد تأثر دانتى بكلمات بوونكونتى ، ولكنه لم يظهر تأثره وجعل إحساسه الخبىء وسيلة إلى خلق شخصية بوونكونتى . وليس من الضرورى أن تبدو على ذوى الإلهام علائم التأثر بما يحيط بهم ولا نوعه ولا الطريقة التى يظهر بها ، وكثيراً ما يختفى تأثرهم عن أعين الناس ، ويختزن فى صدورهم حتى ينضج ، ثم ينبثق منهم فيما يصدر عنهم من الروائع .

أثار بوونكونتى فى نفس دانتى ذكرى معركة كامبالدينو ، فسأله فى هدوء أية قوة إنسانية أو إلهية أو أية صدفة أبعدت جسده الميت من أرض كامپالدينو بحيث لم يعرف له قبر أبداً (٢٧) ؟ وهنا يجعل دانتى بوونكونتى — كما جعل أوجولينو (٢٨) ودل كاسيرو وپيا وغيرهم من شخصيات الكوميديا — يجعله يذكر ما سكت عنه التاريخ ، ويقص المصير الذى لقيه جسده الميت . يبدأ بوونكونتى كلامه بآه تفصح عن ألمه ، ويسكت لحظة معبراً عن الألم الذى أثارته فى نفسه هذه الذكرى . ثم يتكلم عن الأماكن المحددة والأحاسيس التى مر بها . يتكلم عن الماء الذى يجرى عند قدم كازنتينو ، ويقصد بذلك نهر أركيانو الذى ينبع عند دير كامالدولى ، والذى يزول اسمه حينما يصب فى نهر الآرنو فيختلط ماؤه بمائه . ويمضى فى التعبير عن مأساته بقوله إنه وصل مجروح الحلق هارباً على القدمين ، وقد لوث السهل بالدم (٢٩) . ويقول إنه فقد البصر والكلام ، حينما أخذ يجود بأنفاسه الأخيرة . ويقول إنه انتهى بذكر اسم العذراء ماريا ، وهذا يعنى أنه مات نادماً تائباً عن آثامه . ثم يقول إنه سقط وبقى لحمه وحده (٣٠) ، حينما صعدت روحه إلى بارئها . ويقص بوونكونتى على دانتى ما حدث من الخلاف بشأنه بين ملاك السماء وملاك الجحيم ، إذ أراد كل منهما أن يأخذ روحه ، وهذا تعبير عن الصراع بين الخير والشر — ويقول إن ملاك السماء استطاع أن يأخذ روحه فصاح ملاك الجحيم غاضباً محتجاً على ذلك ، وقال إنه ينزعه منه بدمعة ندم صغيرة بدرت منه فى آخر لحظة من حياته — وهى لا تكفى

للتوبة والغفران — ويتوعد ملاك الجحيم جسد بوونكونتى الميت بمصير سيء [٣١] .

قال بوونكونتى إن دانتى يعرف جيداً كيف يتجمع البخار الرطب فى الهواء ، وكيف يتكثف بالبرودة فيسقط مطراً ، ويوازن بين العاصفة المطيرة ورغبة الشيطان فى السوء ، وهو فى هذا يمزج بين صورة الطبيعة العاصفة وصورة الشر ، ويوائم بين الطبيعة وما بعدها . قال إن الشيطان أثار عاصفة مطيرة لكى ينتقم لما ناله من الهزيمة على يد ملاك السماء ، فتجمعت السحب على قمم الجبال من براتومانيو إلى جبال الأبنين الأساسية ، بينما كان الليل يهبط على سهل كامپالدينو مسرح المعركة ، وثقل الهواء بالبخار فتحول إلى ماء ، وهطل المطر ، وفاض على الأرض ، وسارع إلى المجارى المائية التى انحدت بالجداول الكبيرة ، واندفعت المياه المتدفقة إلى النهر الملكى — نهر الآرنو — دون أن يعوقها عائق [٣٢] .

والآن أمام الصراع العنيف الذى حدث بين الرجال فى معركة كامپالدينو ، والذى لمسناه فى جراح بوونكونتى ودمه المراق ، وأمام الصراع العنيف بين عناصر الطبيعة الذى تمثل فى العاصفة المطيرة الهوجاء ، وفى هذا الإطار المتناسب بين هاتين الصورتين ، يظهر جسده المثلج بالموت وقد حملته مياه أركيانو الجارف حتى مصبه فى نهر الآرنو . وبوونكونتى فى ذلك كله مستسلم لله وحكمه ، هذا الاستسلام الماثل لنا فى الألم الذى يعانيه ، وفى الصور المادية التى رسمها : من الجسد المثلج بالموت يجرفه التيار ، إلى الصليب الذى رسمه بيديه على صدره ، إلى إزالة المياه الجارفة لهذا الصليب المرسوم ، إلى أساه على ما أصاب جسده الميت من دوران الماء به وارتطامه بضفتى النهر وقاعه ، وإلى تغطيته بأخلاط النهر من طين وحصى وصخور [٣٣] .

هذه هى شخصية بوونكونتى دا مونتفلترو التى رسم دانتى خلالها بعض اتجاهات السياسة والحرب ، وصور بعض مآسى البشر على يد البشر ، وعبر فيها عن صورة النادم التائب الذى يتطلع إلى صلوات أهل الأرض لمعاونته فى التطهر والغفران والسلام . وبرغم اختلاف معسكر بوونكونتى السياسى والعسكرى عن معسكر دانتى ، فقد أبرزه هنا كرجل وطنى ، نبيل ، تائب ، متألم ، مستسلم لحكم الله وقدره .

وعلى صوت بوونكونتى نسمع صدى لصوت جديد . ولم يكد صوت بوونكونتى يكف عن الكلام حتى سُمع الصوت الجديد دون توقف . قالت صاحبة الصوت الجديد : آه ، عندما تصبح عائداً إلى الدنيا وتستريح من رحلتك الطويلة فلتذكرنى . وهذه هى

بيا دا تولومي السيينية زوجة نيلو بانوكيسكى صاحب قلعة بيترا فى ماريما ، حيث يقال إنه أمر بقتلها غدراً ، ولا يعرف على وجه التحديد كيف تم القتل . ويرجح الدارسون أنه قتلها لكى يتزوج مارجريتا ألدوبراندسكى . وبيا التى ذهب بها التاريخ إلى زوايا النسيان يبعثها دانتى هنا إنساناً حياً خالداً . ولم يجعل لها مقدمات تنبىء عن ظهورها كما فعل مع فرنتشسكا دا ريمينى[٣٤] ، بل جعل ظهورها أمرا مفاجئا . ونحن ننتقل الآن من مأساة بوونكونتى التى سادها العنف الممتزج بالتوبة إلى مأساة بيا العذبة الرقيقة التى تسودها التوبة والرحمة والغفران . وكان صوت بيا أشبه بلحن موسيقى يملأه الأسى والشجن ، ويكمل لحن أسى سابق ــ مع اختلاف الروح وتشابه الغاية ــ ويزيد عليه ، ويبتكر ، ويحلق فى عالم رفيع . ويتهدج فى صوت بيا الرقيق ذكرى ما نالها من غدر وذكرى الدنيا المليئة بالمآسى . وقبل أن تسأل بيا لنفسها شيئا تفكر فى العناء الذى لقيه هذا المرتحل المجهول لديها ، وتذكر حاجته إلى الراحة بعد رحلته الشاقة الطويلة[٣٥] . وهى تتكلم هنا بإحساس رقيق يقرب من إحساس فرنتشسكا فى الجحيم[٣٦] . وهذا كلام عذب رقيق يصدر عن إنسان يقدر مشاعر الآخرين وآلامهم قبل أن يذكر مشاعره وآلامه هو . وهذا كلام إنسان مخلص يضحى فى سبيل من يحب . وهذه نظرة صادقة للمرأة التى تقدر آلام الرجل وتعمل على إزالتها أو التخفيف منها . ومع ذلك فهى لا تطلب إليه أمرا عسيرا ولا تكلفه بما يشق عليه . ولا تطلب بيا إلى دانتى سوى أن يذكرها فى الدنيا بعد أن يأخذ قسطه من الراحة ، ولا تحدد له أين ومن ينبغى أن يذكر اسمها لديه ــ الذى ستفصح عنه ــ لأنه لم يعد لها فى الدنيا أصدقاء على وجه التحديد . ويكفى عندها أن يذكرها دانتى بشخصه لأنه إنسان عطوف رقيق ، أو يذكرها لأية جماعة من الناس ، الذين إذا عرفوا أمرها وما لقيته من الغدر والموت ، وما تلقاه هنا من العذاب تأخذهم الشفقة بها ، ويصلون من أجلها ، وبذلك تقصر مدة عذابها وتطهرها ، وتسارع إلى طريق السلام . وبيا التى نسيها الجميع تتطلع الآن إلى هذا المرتحل المجهول الذى عرف الآلام والأهوال فى دركات الجحيم ، ولذلك فهو الشخص الوحيد أمامها الذى يمكنه أن يقدر ما تعانيه من العذاب ، ويحس نحوها بالرحمة . ويبذل وسعه للتخفيف من آلامها . وثقت بيا بهذا الإنسان المجهول لديها ، وعبرت له عن ألمها بلمحة لا يدركها إلا مثله ، وأفصحت له عن اسمها دون أن تعرف شخصه . قالت ببساطة وحرارة إنها هى بيا[٣٧] . ولا يزال تعبير اذكرنى فأنا بيا يتردد على ألسنة بعض أهل سيينا خاصة وإيطاليا عامة عند الفراق بين الأحباب والأصدقاء .

وقالت پيا : صنعتنى سيينا وقتلتنى ماريما[٣٨]. وقد عبرت فى ذلك عن ميلادها ومأساتها فى بيت واحد. وهى شديدة الارتباط بموطنها سيينا ، التى تحمل لها ذكريات الطفولة والشباب . وهى كذلك وثيقة الارتباط بالمكان الذى عاشت وماتت فيه فى ماريما التى تحمل لها ذكرى الحب والمأساة . وهى تنتقل من الحياة إلى الموت دون أن تذكر أية تفصيلات . وهذا يعنى أنها غفرت وصفحت عما نالها من موت غادر . وفرنتشسكا التى احترقت بنار الحب عبرت عن لذتها فى عقاب قاتلها فى دائرة قابيل فى الجحيم [٣٩] . ولكن الحب قد سما هنا بنفس پيا ورفعها إلى مقام الغفران . وهى لاتوجه كلمة لوم أو عتاب إلى قاتلها ، بل تشير إليه بصوت يمتزج فيه الأسى بالرحمة. وتقول إن من يعرف حقيقة الأمر هو زوجها الذى وضع خاتم الزواج فى إصبعها [٤٠] . وتسكت تماما عما ارتكبه فى حقها من الغدر والقتل ، ولا تذكر سوى ذكرى الحب والزواج والأيام السعيدة التى قضتها فى حياتها الزوجية . ثم تختفى پيا الرقيقة كما ظهرت فى هدوء وسكينة ، تاركة صدى كلماتها التى تتردد على الشفاه ولكنها تخرج فى صمت من أعماق القلب .

هكذا عبر دانتى عن شخصية پيا بفنه الرائع فى سبعة أبيات من الشعر . وهى تشبه فرنتشسكا فى عاطفتها الخالصة وإحساسها الرقيق ، ولكن لا يُعرف أنها ارتكبت الخطيئة . وهى تنسى الإساءة ولا تحتفظ إلا بالذكريات الطيبة ، ولا يعنيها سوى التطهر والغفران . وهى غفرت كل شىء لأنها ذات قلب رحيم . وهى لا تصرخ ولا تولول لأنها تقدر أثقال الناس وبؤسهم . وهى لا تبكى لأنها رقيقة الحس ولا تريد أن تزيد فى عذاب الآخرين . وهى تتألم وحدها وتبكى فى صمت وبغير دموع ، بل وتبدو كأنها لا تتألم ، وبهذا تسير فى طريق الغفران . فأى أسى صامت هذا الذى ينبعث من قلب پيا الرقيق ! وأية وداعة هذه التى نستشعرها حينما تتكلم ! وأية عاطفة نلمسها حينما تقدر عناء الآخرين قبل عنائها هى ! وأية رحمة تنبجس من صدرها ! وأية توبة وأى غفران هذا الذى يشملها ! وكم من البشر أحس بإحساسها ! إن پيا لحن عذب رقيق هادىء صاف . إنها أشبه بالملائكة . ولقد فاقت فرنتشسكا بعطفها ورحمتها وغفرانها . وهى إحدى الشخصيات الخالدة التى خلقها دانتى فى الكوميديا . وربما لا يوجد لها مثيل كما أنه ربما لا يوجد لدانتى ذاته مثيل . وهى تفصح عن نواح أخرى فى شخصية دانتى العظيم الذى يتجاوب وإحساسها المرهف وهو ذو القلب النبيل الرحيم ، الذى يصفح ويغفر ويقدر آلام الناس ، ويتألم وحده فى صمت ودون ضوضاء وضجيج .

هذه هى الأنشودة الخامسة من المطهر التى تحوى ظلالا من شخصيات جاكوبو دل كاسيرو وبوونكونتى دا مونتفلترو وپيا دا تولومي ، وقد أشار دانتى فى لمحات لبعض ظروفهم ومآسيهم ، التى جاءت الواحدة منها تلو الأخرى . ولا يكاد يتعب دانتى من المآسى ولا تكاد تضنيه الآلام . وفى حياته احتمل دون كلل مأساة فى إثر مأساة ، واحتمل فى صبر متاعب صغيرة وكبيرة سنوات طويلة ، ولم يكد يشعر به إنسان . وهل كان يستطيع أن يشرح ما عاناه لأحد ! وهل وُجد من كان مستعداً لأن يفهمه ويقدر مشاعره ! وفى فنه الماثل أمامنا — الذى هو مرآة نفسه ومجتمعه — نرى المآسى متتابعة فائضة زاخرة بالحياة ، وبما يختلج فى نفوس البشر ، وقد جعل من شخصياته وظلاله ونفسه رمزاً للبشرية كلها . وهذه بعض النماذج والدروس والعبر التى يكشف دانتى عن أغوارها ويستلهم مكنونها . ويسعى عن طريقها إلى أن يعلم البشر — من منهم يريد التعلم — ما فاتهم معرفته ، ربما دون أن يدركوا ذلك . وحاول دانتى خلال فنه المعجز أن يعلم البشر النبل والرقة والرحمة والسمو والصفح والغفران .

المطهر : الأنشودة الخامسة

---

١ كنت قد رحلت عن تلك الأشباح [٤١] ،
وتابعت مواطئ قدمي دليلي ،
حينما صاح بي أحدهم ، وهو يشير

٤ بإصبعه ورائي [٤٢] : « انظر ، يبدو أن
الشعاع لا يضيء إلى يسار ذلك الأدنى [٤٣] ،
ويبدو أنه يسير كإنسان حي [٤٤] » .

٧ اتجهت بعيني على صوت هذه الكلمات ،
ورأيتهم ينظرون بدهشة إليّ وحدي [٤٥] ،
إليّ وحدي ، وإلى الضوء الذي انكسر [٤٦] .

١٠ قال أستاذي : « لِمَ يشغل عقلك
هكذا حتى تبطئ سيرك [٤٧] ؟
وماذا يعنيك ما يتهامسون به هنا [٤٨] ؟

١٣ تعال ورائي ، ودع الناس يتكلمون [٤٩] :
وكن كبرج ثابت ، لا يهز قمته
بعصف الرياح أبداً [٥٠] ؛

١٦ إذ أن من ينبع عنده فكر
فوق فكر أبداً ، يباعد نفسه عن هدفه ،
لأن أحدهما يضعف قوة الآخر [٥١] » .

١٩ وماذا كنت أستطيع أن أجيب سوى
« أني قادم ؟ » . قلت ذلك وقد علتني مسحة
من لون يجعل الإنسان جديراً بالصفح أحياناً [٥٢] .

Purgatorio: Canto Quinto

1 Io era già da quell'ombre partito,
e seguitava l'orme del mio duca,
quando di retro a me. drizzando il dito,

4 Una gridò : "Ve' che non par che luca
lo raggio da sinistra a quel di sotto,
e come vivo par che si conduca !"

7 Li occhi rivolsi al suon di questo motto,
e vidile guardar per maraviglia
pur me, pur me, e 'l lume ch' era rotto.

10 "Perchè l'animo tanto s'impiglia"
disse 'l maestro, "che l'andare allenti ?
che ti fa ciò che quivi si pispiglia ?

13 Vien dietro a me, e lascia dir le genti:
sta come torre ferma, che non crolla
già mai la cima per soffiar de' venti;

16 chè sempre l'uomo in cui pensier rampolla
sovra pensier, da sè dilunga il segno,
perchè la foga l'un dell'altro insolla".

19 Che potea io ridir, se non 'lo vegno' ?
Dissilo, alquanto del color consperso
che fa l'uom di perdon tal volta degno.

٢٢ وفى الوقت نفسه جاء قوم عبر
الشاطىء أمامنا قليلا [٥٣] ، ينشدون
بالتتابع [٥٤] « ارحمنى يا الله » [٥٥] .

٢٥ وعند ما أدركوا أنى لم أدع مكاناً
خلال جسمى لمسرى الأشعة ،
أبدلوا نشيدهم بآه ، طويلة خرساء [٥٦] ؛

٢٨ واثنان منهما على صورة رسولين ،
جريا فى اتجاهنا [٥٧] وسألانا :
« عرّفانا بحالكما [٥٨] » .

٣١ قال أستاذى : « يمكنكما الذهاب
وإخبار من أرسلوكما ،
أن جسم هذا الإنسان لحم حقيقى .

٣٤ وإذا ظلوا لرؤية طيفه ،
كما أتوقع ، فسينالون جواباً شافياً [٥٩] :
وليمجّدوه ، فقد يصبح عزيزاً لديهم [٦٠] » .

٣٧ لم أر أبداً بخاراً ملتهباً ،
يملأ السماء الصافية فى بدء الليل سريعاً
هكذا [٦١] ، ولا سحب أغسطس عند غروب الشمس ،

٤٠ كهذين اللذين رجعا أعلى فى
زمن أقصر [٦٢] ؛ ولما وصلا هناك ، اتجها نحونا
مع الآخرين كجماعة تجرى دون عنان [٦٣] .

٤٣ قال الشاعر : « كثير هؤلاء القوم
الذين يندفعون نحونا ، ويأتون لرجائك ؛
ولكن امض أبداً ، وأنصت فى مسيرك [٦٤] » .

22 E 'ntanto per la costa di traverso
venivan genti innanzi a noi un poco,
cantando 'Miserere' a verso a verso.

25 Quando s'accorser ch' i' non dava loco
per lo mio corpo al trapassar de' raggi,
mutar lor canto in un 'Oh!' lungo e rocco;

28 e due di loro, in forma di messaggi,
corsero incontr' a noi e dimandarne:
"Di vostra condizion fatene saggi".

31 E 'l mio maestro: "Voi potete andarne
e ritrarre a color che vi mandaro
che 'l corpo di costui è vera carne.

34 Se per veder la sua ombra restaro,
com' io avviso, assai è lor risposto:
faccianli onore, ed esser può lor caro".

37 Vapori accesi non vid' io sì tosto
di prima notte mai fender sereno,
nè, sol calando, nuvole d'agosto,

40 che color non tornasser suso in meno;
e, giunti là, con li altri a noi dier volta
come schiera che scorre sanza freno.

43 "Questa gente che preme a noi è molta,
e vegnonti a pregar" disse il poeta:
"però pur va, ed in andando ascolta".

٤٦ وأقبلوا صائحين : «أيتها النفس
التى تذهب لكى تسعد [٦٥] بتلك الأعضاء
التى ولدت بها ، قفى خطاك قليلا .

٤٩ انظر إذا كنت رأيت واحداً منا ،
قد نحمل عنه هناك خبراً [٦٦] :
أواه ، لِمَ تذهب؟ آه ، لِمَ لا تتوقف [٦٧] ؟

٥٢ كنا جميعاً قد قتلنا عنوة ،
وكنا آثمين حتى آخر ساعة :
ثم جعلنا نور السماء عارفين ،

٥٥ حتى خرجنا بالندم والغفران [٦٨]
من الحياة فى سلام مع الله [٦٩] ،
الذى يمس قلوبنا بالشوق لرؤياه [٧٠] » .

٥٨ قلت : « مع أنى أمعن النظر
فى وجوهكم ، لا أتعرف على أحد ؛ ولكن أيتها الأرواح
السعيدة المولد [٧١] ، إذا راقكم أمر أقدر عليه

٦١ فاذكروه [٧٢] ؛ وسأفعله من أجل
ذلك السلام ، الذى يحملنى بذاته على البحث عنه
وراء خطى مثل هذا الدليل ، من عالم إلى عالم [٧٣] » .

٦٤ بدأ أحدهم : « كلنا يثق
دون قسم فى فعلك الخير ،
إذا لم يمنع العجز إرادتك [٧٤] .

٦٧ ولذلك أرجوك ، أنا الذى أتكلم
وحدى قبل الآخرين [٧٥] ، إذا رأيت يوماً تلك
البلاد التى تقع بين رومانيا وأملاك شارل [٧٦] ،

46 “O anima che vai per esser lieta
con quelle membra con le quai nascesti”
venìan gridando, “un poco il passo queta.

49 Guarda s' alcun di noi unqua vedesti,
sì che di lui di là novella porti:
deh, perchè vai ? deh, perchè non t'arresti ?

52 Noi fummo tutti già per forza morti,
e peccatori infino all' ultima ora:
quivi lume del ciel ne fece accorti,

55 sì che, pentendo e perdonando, fora
di vita uscimmo a Dio pacificati,
che del disio di sè veder n' accora”.

58 E io: “Perchè ne' vostri visi guati,
non riconosco alcun; ma s' a voi piace
cosa ch' io possa, spiriti ben nati,

61 voi dite, e io farò per quella pace
che dietro a' piedi di sì fatta guida
di mondo in mondo cercar mi si face”.

64 E uno incominciò: “Ciascun si fida
del beneficio tuo sanza giurarlo,
pur che 'l voler nonpossa non ricida.

67 Ond' io, che solo innanzi alli altri parlo,
ti priego, se mai vedi quel paese
che siede tra Romagna e quel di Carlo,

٧٠ أرجوك أن تكون رقيقاً معى فترجوهم
في فانو حتى تقام من أجلى صلوات طيبة ،
كي أستطيع أن أطهر آثامى الخطيرة [٧٧] .

٧٣ لقد ولدت هناك ؛ ولكن الجراح العميقة
التى خرج الدم خلالها من الجسم الذى حللت فيه [٧٨] ،
قد سُددت إلىّ بين أبناء الأنتينورى [٧٩] ،

٧٦ هناك حيث ظننت أنى أكثر أمناً :
ذاك المركيز من إست هو مدبرها [٨٠] ، والذى غضب
علىّ هناك أشد كثيراً مما يقتضيه الحق [٨١] .

٧٩ ولكنى إذا كنت قد هربت صوب ميرا [٨٢] ،
حينما فوجئت عند أورياكو [٨٣] لظللت بعد
هناك حيث يتنفس الناس [٨٤] .

٨٢ جريت إلى المستنقع ، وعاقنى البوص
والطين [٨٥] هكذا حتى وقعت ؛ وهناك رأيت
على الأرض بحيرة تتكون من عروقى [٨٦] » .

٨٥ ثم قال آخر : « آه » — لكى تحقق
الرغبة التى تجتذبك إلى الجبل العالى —
فلتؤيد رغبتى بعطفك الطيب [٨٧] !

٨٨ كنت من مونتفلترو ، وأنا بوونكونتى [٨٨] :
لا تحفل بى جوفانا [٨٩] ولا غيرها [٩٠] ؛
ولذلك أسير بين هؤلاء بجبهة خفيضة [٩١] » .

٩١ قلت له : « أية قوة أو أية صدفة
أبعدتك هكذا خارج كامپالدينو [٩٢] ،
حتى لم يُعرف لك قبر أبداً [٩٣] ؟ » .

70 che tu mi sia de' tuoi prieghi cortese
in Fano, sì che ben per me s' adori
pur ch' i' possa purgar le gravi offese.

73 Quindi fu' io; ma li profondi fori
ond' usci 'l sangue in sul quale io sedea.
fatti mi fuoro in grembo alli Antenori,

76 là dov' io più sicuro esser credea:
quel da Esti il fe' far, che m' avea in ira
assai più là che dritto non volea.

79 Ma s' io fosse fuggito inver la Mira,
quando fu' sovragiunto ad Orïaco,
ancor sarei di là ove si spira.

82 Corsi al palude, e le cannucce e 'l braco
m' impigliar sì, ch' i' caddi; e lì vid' io
delle mie vene farsi in terra laco".

85 Poi disse un altro: "Deh, se quel disio
si compia che ti tragge all' alto monte,
con buona pïetate aiuta il mio!

88 Io fui da Montefeltro, io son Bonconte:
Giovanna o altri non ha di me cura;
per ch' io vo tra costor con bassa fronte".

91 E io a lui: "Qual forza o qual ventura
ti travïò sì fuor di Campaldino,
che non si seppe mai tua sepultura?"

٩٤ فأجاب : «آه» عند قدم كازنتينو [٩٤] ،
يعبر مجرى يدعى أركيانو [٩٥] ،
والذى يولد فى الأبنين فوق الدير [٩٦]

٩٧ هناك حيث يزول اسمه [٩٧] ،
وصلت مجروح الحلق هارباً على القدمين ،
وقد لوثت السهل بالدم [٩٨] .

١٠٠ هناك فقدت البصر والكلام ؛
وانتهيت باسم ماريا [٩٩] ؛ وهناك
سقطت وظلى لحمى وحده .

١٠٣ سأقول الصدق وستعيد قوله
بين الأحياء [١٠٠] : أخذنى ملاك السماء [١٠١] ، وصاح
ملاك الجحيم [١٠٢] : ويامن أنت من السماء ، لمَ تسرقنى [١٠٣] ؟

١٠٦ إنك تحمل منه الجزء الخالد [١٠٤] ،
وبدمعة صغيرة تنزعه منى [١٠٥] ؛
ولكنى سأجعل للجزء الآخر مصيرا غيره [١٠٦] ! ،

١٠٩ تعرف جيدا كيف يتجمع فى الهواء
ذلك البخار الرطب ، الذى يعود ماء
حينما يصعد حيث يأخذه البرد [١٠٧] .

١١٢ اتحدت بالعقل تلك الإرادة الشريرة ،
التى لاتطلب سوى الشر [١٠٨] ؛ وأثارت الضباب
والريح ، بالقوة التى تصدر عن طبعها [١٠٩] .

١١٥ وعندما انتهى النهار غطت الوادى
بالضباب [١١٠] ، من براتومانيو [١١١] إلى القمة الكبيرة [١١٢] ؛
وجعلت السماء كثيفة فى أعلى [١١٣] ،

94 “Oh !” rispuò elli, « a piè del Casentino
traversa un’ acqua c’ ha nome l’Archiano,
che sovra l’Ermo nasce in Apennino.

97 Là ’ve ’l vocabol suo diventa vano,
arriva’ io forato nella gola,
fuggendo a piede e ’nsanguinando il piano.

100 Quivi perdei la vista e la parola;
nel nome di Maria fini’, e quivi
caddi e rimase la mia carne sola.

103 Io dirò vero e tu ’l ridì fra’ vivi:
l’angel di Dio mi prese, e quel d’ inferno
gridava: ‘O tu del ciel, perchè mi privi?

106 Tu te ne porti di costui l’etterno
per una lacrimetta che ’l mi toglie;
ma io farò dell’ altro altro governo !

109 Ben sai come nell’ aere si raccoglie
quell’ umido vapor che in acqua riede,
tosto che sale dove ’l freddo il coglie.

112 Giunse guel mal voler che pur mal chiede
con lo ’ntelletto, e mosse il fummo e ’l vento
per la virtù che sua natura diede.

115 Indi la valle, come ’l dì fu spento,
da Pratomagno al gran giogo coperse
di nebbia; e ’l ciel di sopra fece intento,

١١٨ حتى تحول الهواء المشبع إلى ماء [١١٤] :
وهطل المطر ، وجاء منه إلى المجارى
ما لم تحتمله الأرض [١١٥] ؛

١٢١ وعندما اتحدت بالجداول الكبيرة [١١٦] ،
اندفعت إلى النهر الملكى [١١٧] بسرعة
كبيرة ، حتى لم يوقفها شىء .

١٢٤ وجسدى المثلج ، وجده عند مصبه
أركيانو العنيف ؛ وألقى به فى الأرنو ،
ومن صدرى خلع الصليب

١٢٧ الذى كنت قد صنعته منى [١١٨] حينما
غلبنى الألم [١١٩] : ودار بى [١٢٠] نحو ضفتيه وقاعه ،
ثم غطانى ولفنى بأخلاطه [١٢١] » .

١٣٠ تابعت الروح الثالثة بعد الثانية [١٢٢] :
« آه ، عندما تصبح عائداً إلى الدنيا [١٢٣] ،
وتستريح من رحلتك الطويلة [١٢٤] ،

١٣٣ فلتذكرنى [١٢٥] ، فأنا پيا [١٢٦] :
صنعتنى سيينا [١٢٧] ؛ وقتلتنى ماريما [١٢٨] :
يعرف ذلك [١٢٩] من بنى بى [١٣٠] وقدوضع

١٣٦ خاتمه فى إصبعى أولا [١٣١] » .

118 sì che 'l pregno aere in acqua si converse:
la pioggia cadde ed a' fossati venne
di lei ciò che la terra non sofferse;

121 e come ai rivi grandi si convenne,
ver lo fiume real tanto veloce
si ruinò, che nulla la ritenne.

124 Lo corpo mio gelato in su la foce
trovò l'Archian rubesto; e quel sospinse
nell' Arno, e sciolse al mio petto la croce

127 ch' i' fe' di me quando 'l dolor mi vinse:
voltommi per le ripe e per lo fondo;
poi di sua preda mi coperse e cinse".

130 "Deh, quando tu sarai tornato al mondo,
e riposato della lunga via"
seguitò il terzo spirito al secondo,

133 "ricorditi di me che son la Pia:
Siena mi fè; disfecemi Maremma:
salsi colui che 'nnanellata pria.

136 disposando m' avea con la sua gemma".

الحواشي

Purg. I. 28 ... (١)
Purg. II. 13 ... (٢)
Purg. III. 103 ... (٣)
Purg. IV. 97 ... (٤)
Purg. V. 1—9 (٥)
Ibid. 10—12 (٦)
Purg. II. 118 ... (٧)
Ibid. (٨)
Purg. V. 10—15 (٩)
Ibid. 16—18 (١٠)
Ibid. 19—21 (١١)
Ibid. 22—27 (١٢)
Ibid. 28—30 (١٣)
Ibid. 31—36 (١٤)
Ibid. 37—42 (١٥)
Ibid. 43—45 (١٦)
Ibid, 46—51 (١٧)
Ibid. 52—57 (١٨)
Ibid. 58—63 (١٩)
Ipid. 64—66 (٢٠)
Ibid. 67—72 (٢١)
Ibid. 73—78 (٢٢)
Ibid. 79—84 (٢٣)
Ibid. 85—87 (٢٤)
Inf. XXVII. 4 ... (٢٥)
Purg. V. 88—90 (٢٦)
Ibid. 91—93. (٢٧)
Inf. XXXIII. 4 ... (٢٨)
Purg. V. 94—99 (٢٩)
Ibid. 100—102 (٣٠)

(٣١) Ibid. 103—108

(٣٢) Ibid. 109—123

(٣٣) Ibid. 124—129

(٣٤) Inf. V. 70—72

(٣٥) Purg. V. 130—132

(٣٦) Inf. V. 91—93

(٣٧) Purg. V. 133

(٣٨) Ibid. 134

(٣٩) Inf. V. 107

(٤٠) Purg. V. 135—136

(٤١) الأنشودة الخامسة فى المطهر أنشودة المهملين فى التوبة ولقوا موتا عنيفا ، وتسمى أنشودة جاكوبودل كاسيرو أو أنشودة بوونكونتى دى مونتفلترو أو أنشودة پيادا تولومى .

(٤٢) أى ابتعد عن بلاكوا وجماعته فى الأنشودة السابقة :
Purg. IV. 136...

(٤٣) أشار هذا التطهر باصبعه لكى يلفت نظر الآخرين إلى دانتى .

(٤٤) يعنى أن جسم دانتى ترك ظلا على الصخر .

(٤٥) أى أن دانتى كان يسير وهو يأتى بحركات الأحياء وأصواتهم .

(٤٦) دهش المتطهرون عندما وجدوا دانتى إنسانا على قيد الحياة .

(٤٧) نظروا إلى دانتى وحده وإلى ظله على الصخر .

(٤٨) تساءل فرجيليو عما انتاب دانتى حتى أبطأ سيره ، وهو يريده أن يسرع الخطى .

(٤٩) أى لا داعى للاهتمام بتهامس هذه الأشباح .

(٥٠) يدعو فرجيليو دانتى ألا يعبأ بهذا التهامس .

(٥١) ويطلب إليه أن يكون كبرج شامخ لاتؤثر فيه الزوابع . وهذا درس عظيم لتقوية الروح المعنوية فى الإنسان فى هذه الحياة . ويشبه ذلك ما ورد فى الإنيادة :
Virg. Æen. X. 693—695

(٥٢) أى أن الإنسان الذى تتراكم عليه الأفكار ينحرف عن هدفه لاختلاط أفكاره وتعطيل بعضها بعضا . يعنى على دانتى ألا يشغل باله بأفكار تعوق سيره .

(٥٣) أى أن دانتى علته مسحة من اللون الأحمر لشعوره بالخجل عند إبطائه .

(٥٤) هؤلاء هم الذين كانوا ينوون التوبة ولكنهم لقوا موتا عنيفا مفاجئا فظلوا خاطئين حتى آخر لحظة من حياتهم ، ولذلك يبقون فى مقدمة المطهر زمنا طويلا .

(٥٥) أى أن جماعة كانت تنشد بيتا وجماعة أخرى تنشد بيتا ثانيا على التوالى .

(٥٦) أنشدوا نشيد ارحمنى يا الله (Miserere mei) أحد أناشيد التوبة السبعة :
Sal. Li.

(٥٧) لما وجدوا أن دانتى جسم له ظل أخذهم العجب وأوقفوا نشيدهم وصاحوا بآه طويلة صماء .

(٥٨) يشبه هذا صورة القناطس فى الجحيم :
Inf XII. 58...

(٥٩) لم يصبر هذان الشبحان على ما شهداه وجريا للاستفسار عن حال الشاعرين .

(٦٠) يعنى إذا كان وقوفهم لرؤية طيف دانتى فقد عرفوا جواب ذلك بأنه إنسان حى يحجب أشعة الشمس ويترك ظلا على الصخر .

(٦١) أى أن دانتى يمكن أن يحمل لهم ذكرى طيبة إلى الأرض وبذلك يؤدى لهم خدمة ويصبح عزيزا لديهم .

(٦٢) ربما كان المقصود بالبخار الملتهب الشهب أو البرق الذى يحدث فوق السحب زمن الصيف ، الذى كان يظن أنه يحدث لتصاعد البخار فى الجو . ويشبه هذا قول فرجيليو :

Virg. Æen. Georg. I 456 . . .

(٦٣) كان رجوع هذين الشبحين أسرع من صعود البخار إلى السماء أو أسرع من لمح البرق صيفا .

(٦٤) هؤلاء الذين قتلوا وتابوا فى آخر لحظة هم أشد النفوس عذابا فى مدخل المطهر ولذلك فإن حركتهم السريعة تعبر عن تطلعهم الشديد إلى الخلاص .

(٦٥) سأله فرجيليو أن يفعل ذلك حتى لا يضيع الوقت ولم يمنعه من الإنصات إلى المتطهرين شرط متابعة المسير .

(٦٦) أى نفس دانتى التى تسير فى طريق السعادة .

(٦٧) يعنى يحمل خبرا عنه إلى الأرض .

(٦٨) اتبع دانتى نصيحة فرجيليو فلم يتوقف واستمر المتطهرون فى لهفتهم على التحدث إليه .

(٦٩) أى أنهم غفروا لمن قتلوهم وبذلك كفروا عن آثامهم ويشبه هذا ماورد فى الكتاب المقدس :

Matt. VI. 14

(٧٠) يشبه هذا ماسبق فى الجحيم :

Inf. IV. 42

(٧١) يعنى الأرواح التى ستتطهر وتذهب إلى الفردوس .

(٧٤) أى أن دانتى مستعد لأن يفعل ما يروقهم .

(٧٣) السلام ذاته يدفع دانتى للبحث عنه وبلوغه وتربط دانتى بهؤلاء المتطهرين رغبة واحدة .

(٧٤) أى إذا لم تعجز قواه عن فعل ماتمليه عليه إرادته .

(٧٥) هذا هو جاكوبو دل كاسيرو دا فانو (Jacopo del Cassero da Fano) أحد زعماء الجلف فى فانو الذى حارب مع فلورنسا ضد جبلين أريتزو فى ١٢٨٨ وأصبح عمدة بولونيا ثم ميلانو ، وناهض أتزو الثامن دست مركيز فرارا فقتله بعض رجاله وحملت جثته إلى كنيسة سان دومنيكو فى فانو .

(٧٦) تقع فانو (Fano) بين روما نيا وأملاك نابلى التى كانت تحت حكم شارل دانجو الفرنسى .

(٧٧) يرجو دانتى أن يعمل فى فانو على إقامة الصلوات من أجله حتى تتطهر روحه من الخطايا .

(٧٨) كانت جراحه مميتة فتدفق منها الدم الغزير .

(٧٩) أى أن أهل بادوا الذى قتل جاكوبو بينهم هم أبناء أنتينورى الطروادى الخائن الذى سميت باسمه الدائرة الثانية فى منطقة كوتشيتوس فى الجحيم :

Inf. XXXIII. 88.

(٨٠) أى أتزو الثامن دست (Azzo VIII. d'Este) مركيز فرارا .

(٨١) يعنى أنه غضب عليه وكرهه دون مبرر وإن كان ينسى معارضة مصلحة المركيز .

(٨٢) ميرا (Mira) قرية تقع على قناة تنبع من نهر برنتوبين بادوا وأورياكو .

(٨٣) أورياكو (Oriaco) هى الموضع الذى قتل عنده جاكوبو دل كاسيرو .

(٨٤) يعنى لو أنه هرب صوب ميرا لبقى على قيد الحياة .

(٨٥) كانت هذه المنطقة ملأى بالمستنقعات وأعواد البوص فى ١٢٨٢ .

(٨٦) يعنى أنه مات وسط بحيرة من دمائه .

(٨٧) يطالب هذا المتطهر إلى دانتى أن يؤيد رغبته فى الخلاص بصلاته ودعائه .

(٨٨) بونكونتى دا مونتفلترو (Buonconte da Montefeltro) بن جويدو دا مونتفلترو (Inf. XXVII. 61—129) وقد حارب جلف أريتزو فى ١٢٨٧ ثم حارب سيينا ، وفى ١٢٨٩ كان على رأس جبلين أريتزو ضد فلورنسا فى موقعة كامبالدينو حيث قتل .

(٨٩) جوفانا (Giovanna) زوجة بوونكونتى .

(٩٠) أى أن أحدا لا يعنى بالصلاة من أجله ويقصد جالاسيو دى مونتفلترو (Galassio di Montefeltro) قريبه الذى أصبح عمدة أريتزو فى ١٢٩٠ ، وكذلك يقصد أخاه فيديريكو (Federico) عمدة أريتزو فى ١٣٠٠ ، ويقصد ابنته مانتنيسا (Mantenessa) .

(٩١) خفض وجهه حزنا لأن أحدا ممن أحبهم لا يعنى بمصيره ولا يصلى من أجله وبذلك سيقضى وقتا طويلا فى مقدمة المطهر .

(٩٢) كامبالدينو (Campaldino) سهل فى منطقة كازنتينو حيث انتصر جلف فلورنسا على جبلين أريتزو فى ١٢٨٩ وقد اشترك دانتى فى هذه المعركة .

(٩٣) أى أنه لم يعثر على جثة بوونكونتى .

(٩٤) كازنتينو (Casentino) منطقة فى وادى الأرنو الأعلى وسبق ذكرها فى الجحيم :
Inf. XXX. 65

(٩٥) أركيانو (Archiano) نهر يصب فى الأرنو ويفصل منطقة كازنتينو عن منطقة بيبينا .

(٩٦) هذا هو دير كامالدولى (Camaldoli) الذى أنشاه سان روموالدو فى بداية القرن الحادى عشر فى موضع مرتفع مليء بالغابات .

(٩٧) أى هناك حيث يزول اسم أركيانو بعد كامبالدينو وعلى مقربة من بيبينا لأن مياهه تصب فى نهر الأرنو .

(٩٨) هكذا سار وهو مطعون مضرج بالدماء .

(٩٩) مات وهو يذكر العذراء ماريا أى مات تائبا .

(١٠٠) يقصد بهذا أن الأحياء سيتألمون من أجله ويصلون وبذلك تقصر مدة عذابه فى المطهر .

(١٠١) أخذ ملاك السماء روحه فقط .

(١٠٢) أى الشيطان .

(١٠٣) يعتبره الشيطان من أتباعه ولذلك يحاول أن يأخذ روحه أيضا .

(١٠٤) أى الروح .

(١٠٥) يرى الشيطان أن دمعة صغيرة لا تكفى للتوبة .

(١٠٦) يهدد الشيطان بما سيفعله بجسد بوونكونتى .

(١٠٧) هكذا يصور دانتي سقوط المطر ، واستقى دانتي ذلك من حالة الجو في يوم معركة كامبالدينو . ويشبه هذا قول فرجيليو :
Virg. Georg. I. 322...

(١٠٨) ورد معنى مقارب في الجحيم :
Inf. XXIII. 15 ; XXXI. 55–57.

(١٠٩) أي أن الشيطان أثار عاصفة لكي ينتقم ، ويشبه هذا ما أورده توماس الأكويني :
Tom. d'Aq. Sum. Theol. I. CXXI. 2

(١١٠) أي غطت إرادة الشيطان الشريرة الوادي بالضباب .

(١١١) جبال براتومانيو (Pratomagno) تحد منطقة كازنتينو من الغرب وهي تفصل وادي الأرنو الأعلى عن تسكانا .

(١١٢) أي جبال الأبنين الأساسية .

(١١٣) يشبه هذا التعبير ما أورده فرجيليو : Virg. Æn. IV. 506

(١١٤) كان الجو ملبداً بالسحب يوم معركة كامبالدينو وتأثر دانتي هنا بذلك .

(١١٥) يعني أن المطر كان غزيراً .

(١١٦) أي جداول كازنتينو .

(١١٧) النهر الملكي هو نهر الأرنو وهذا إعزاز دانتي لنهر فلورنسا .

(١١٨) أي أنه عند موته رسم علامة الصليب بيديه على صدره وغيرت حركة المياه العتيقة وضعه فزال الصليب .

(١١٩) أي ألم الموت وألم الإحساس بالآثام .

(١٢٠) يعني دار به النهر العنيف .

(١٢١) أي بمحتوياته من طين وحصى وصخور وبذلك لم يعرف أحد مكان جثته .

(١٢٢) يعني لم يكن هناك توقف بين حديث هاتين الروحين ، وما إن سكتت الروح الأولى حتى تكلمت الثانية ، وكأنها ترقب أول فرصة للكلام لكي تعبر بطريقتها عما تعانيه من ألم . وهذا انتقال مفاجىء ومقابلة بين موقف الألم العنيف وموقف الألم الهادىء العذب الرقيق .

(١٢٣) كانت ذكرى الدنيا لا تزال ماثلة أمام هذه الروح الثالثة .

(١٢٤) قدرت هذه الروح ما يلاقيه دانتي في رحلته من العناء ولذلك فهي تؤخر الكلام عما تريده وتحجز ألمها لحظة وتعترف لدانتي بحقه في الراحة أولاً .

(١٢٥) ومع ذلك فهي لا تطلب أمراً صعباً ولا تكلفه بما يشق عليه ، ولا تسأله سوى أن يذكرها في الدنيا بعد أن يستريح من عناء رحلته .

(١٢٦) هذه هي بيا دا تولومي (Pia da Tolomei) من سيينا وزوجة نلو أو باجانلو دي بانوكيسكي (Nello o Paganells dei Pannochieschi) الزعيم الجلفي وسيد قلعة بيترا (Castello di Pietra) في منطقة ماريما وعلى بعد تسعة أميال شرق ماسا على البحر . وأصبح باجانلو عمدة لبعض المدن مثل فولتيرا في ١٢٧٧ ولوكا في ١٣١٣ ، وأصبح قائد الحلف الجلفي في تسكانا في ١٢٨٤ وعاش على الأقل حتى ١٣٢٢ . ومن الجائز أن باجانلو شك في أمانة زوجته

أو أنه أراد أن يتزوج امرأة ثرية وهي مارجريتا دى ألدوبراندسكى (Margherita dei Aldobrandeschi) التى طلقت لثالث مرة وتزوجت من باجانلو . ويقال إن باجانلو قتل زوجته بيا بأن عرضها لجو ماريما الموبوء بالملاريا . ويقال كذلك إنه أمر بعض أتباعه فقتلها بأن أمسك بقدميها من الخلف بينما كانت تطل من نافذة قلعة بيترا ، وألقى بها فى واد عميق فى ١٢٩٧ . ويسمى موضع موتها حتى الآن بمقفز الكونتيسا (Il Salto della Contessa) . ويظن بعض النقاد أن المقصود هنا بيا جواستلونى (Pia Guastelloni) أرملة بالدودى تولومى (Baldo dei Tolomei) وأنها تزوجت باجانلو دى باونوكيسكى . ولكن هذا الرأى مستبعد لأنه ثبت أن هذه الأخيرة ظلت على قيد الحياة حتى جاوزت السبعين على الأقل فى ١٣١٨ .

(١٢٧) أى أنها ولدت فى سيينا .

(١٢٨) يعنى أنها قتلت فى ماريما .

(١٢٩) أى أن زوجها هو الذى يعرف تفصيلات مأساتها ، ولكنها لا تذكرها ولايساورها شعور بالكراهية ولا الرغبة فى الانتقام .

(١٣٠) لا تذكر زوجها كرجل غادر قاتل بل كزوج .

(١٣١) هذه هى شخصية بيا التى عبر عنها دانتى بفنه الرائع فى سبعة أبيات من الشعر . وهى غفرت ما أصابها من غدر وقتل ، ولا تحمل سوى الذكريات الطيبة لقاتلها ، وبذلك تسير فى طريق الغفران . وتجاوب فى إحساسها الرقيق النبيل مع دانتى العظيم .

مكتبة البحث

أولا — مؤلفات دانتي :

(ا) في نصوصها :

Dante Alighieri: La Divina Commedia.

— Il Purgatorio per cura di G. Campi. Torino, 1891.

— col commento di P. Fraticelli. Firenze, 1902.

— nel testo critico della Società Dantesca Italiana, esposta e emmentata da E. Mestica. Firenze, 1921.

— con il commento di T. Casini rinnovata e accresciuta per cura di M. Barbi. Firenze, 1932.

— commentata da L. Pietropono. Torino, 1932.

— con note di N. Tommaseo ed altri illustri commentatori. Milano, 1933.

— con il commento di E. Bianchi. Firenze, 1940.

— commentata da Isodoro del Lungo. Firenze, 1946.

— testo critico a cura di M. Casella. Bologna, 1949.

— col commento di G. A. Scartazzini rifatto da G. Vandelli. Milano. 1949.

— con note a cura di L. Magugliani. Milano, 1949.

— commentata da A. Momigliano. Firenze, 1950.

— Le Opere di Dante Alighieri, a cura di E. Moore, nuovamente rivedute nel testoda P. Toynbee. Oxford, 1924.

— Opere Minori. Firenze, 1935.

(ب) بعض ترجمات انجليزية (وأمريكية) :

— The Divine Comedy, Trans. by H. F. Cary Florence ?

— The Divine Comedy, trans. by J. B. Fletcher, with Botticelli Shetches. New York, 1931.

— The Divine Comedy, Trans. by M. Anderson. U. S. A. ?

— The Divine Comedy, Trans. by J. Carlyle, Ph. Wicksteed and Th. Okey. U. S. A., 1944.

— The Divine Comedy, Trans. by L. G. White. New York, 1948.

— The Divine Comedy, Trans. by J. D. Sinclair. London, 1948.

— La Divina commedia with an English trans. by H. M. Ayres New York 1949—1953.

— The Purgatory, trans. by S. E. Wright. Edinburgh, 1954.

— The Comedy of Dante Alighieri, Cantica II. Purgatory. Trans. by D. L. Sayers. Edinburgh, 1955.
— The Divine Comedy, Trans., by G. L. Becrers teth. Aberdeen, 1955.
— The Divine Comedy, trans., by H. R. Huse. New York, 1956.

(ج) بعض ترجمات فرنسية :

— La Divine Comédie, trad. par A Pératé. Paris, 1921.
— La Divine Comédie, trad. par H. Lognon. Paris, 1938.
— La Divine Comédie, trad. par Brizeux. Paris, 1943.
— La Divine Comédie, trad. par A. Masseron. Paris, 1947—1950.

(د) ترجمات عربية:

— الرحلة الدانتية فى الممالك الإلهية : الجحيم — المطهر — النعيم .
ترجمة عبود أبى راشد . طرابلس الغرب ، ١٩٣٠ — ١٩٣٣
— كوميديا دانتى أليجييرى « الفلورنسى مولدا لا خلقا » :
النشيد الثانى : المطهر ، ترجمة حسن عثمان . (لم يطبع بعد) .

ثانيا — بعض المراجع :

Comité Français Catholique pour la celebration du sixième centenair de la mort de Dante Alighieri (1321—1921). Bulletins du Jubilé Nos. 1—5. Paris, 1921—1922,
DANTE : Essays in Commemoration. London, 1921.
DE SANCTIS, F. : Storia della Letteratura Italina. vol. I., Milano, 1934.
DE SANCTS., F. : Lezioni e Saggi su Dante. Torino, 1955.
GRABHER, C. : Il Canto V. del Purgatorio (Lectura Dantis). Roma, 1942.
GUSTARELLI, A. : Dizionario Dantesco. Milano, 1946.
HAUVETTE, H. : Histoire de la Littérature Italienne. Paris, 1932.
PALHORIES, F. : Dante et le Divine Comédie. Paris, 1936.
PAPINI, G. : Dante Vivo. Firenze, 1943.
PAPINI, G: Storia della Letteratura Italiana. Vol I. Milano. 1935.
SAYERS, D. L. : Introductory Papers on Dante. London, 1954.
TOYNBEE, P. : Dante Dictionary. Oxford, 1898.
TOYNBEE, P. : Dante Studies and Researches. London, 1902.
TOZER, H. E. : An English commentary on Dante's Divina Commedia. Oxford, 1901.
WILKINS E. H. : A History of Italian Literature. Combridge, U. S. A, 1954.
ZINGARELLI., N. : La Vita, I Tempi e Le Opere di Dante. 2 Voll. Milano, 1948.

الجبرتى بين مظهر التقديس وعجائب الآثار

للدكتور محمد أنيس

للمؤرخ المصرى المعروف الشيخ عبد الرحمن الجبرتى مؤلفان فى تاريخ مصر ، أحدهما عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ويقع فى أربعة أجزاء : يشمل الجزء الأول منه تاريخ مصر من حيث وقف ابن اياس حتى نهاية ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) أى حتى نهاية مشيخة محمد بك أبى الذهب ، ويشمل الجزء الثانى تاريخ مصر فى عهد ابراهيم بك ومراد بك حتى الغزو الفرنسى الأول لمصر ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) ، والجزء الثالث يشمل تاريخ الغزو وحكم الفرنسيين لمصر وما تلاه حتى ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) ، والجزء الرابع يشمل الحقبة الأولى من حكم محمد على حتى ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م) .

أما كتابه الآخر فهو مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس وهو لا يزال مخطوطا ويتناول تاريخ مصر وحوادثها وتراجم رجالها « بابتداء تملك الفرنسيس لأرض مصر إلى أن دخلها الوزير ... » وهو الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا ، أى أنه يتناول تاريخ مصر من يوم الأحد العاشر من شهر محرم من سنة ١٢١٣ هـ إلى آخر شعبان من سنة ١٢١٦ هـ . وعلى ذلك فهو يتناول نفس الحقبة التى سجل تاريخها الجبرتى فى الجزء الثالث من عجائب الآثار مع فارق هام وهو أن مظهر التقديس يقف عند نهاية الحملة الفرنسية بينما يشمل الجزء الثالث من عجائب الآثار الفترة ما بين آخر شعبان ١٢١٦ هـ حتى نهاية ١٢٢٠ هـ وهى الفترة المحصورة بين خروج الفرنسيين وتولية محمد على .

ولما كان الخلاف واضحا وعميقا بين اتجاه الجبرتى ومواقفه من الأحداث فى كل من مظهر التقديس وعجائب الآثار حتى أن كل منهما يمثل تفكيرا سياسيا مغايرا ، فان المقارنة بين الكتابين هامة :

أولا — لاظهار هذا التباين .

ثانيا — لدراسة العوامل التى أدت اليه .

والحقيقة أنه لايمكن فهم هذا التباين بين الكتابين والعوامل التى أدت اليه إلا بفهم تطور فكرة كتابة التاريخ عند الجبرتى ، فتطور هذه الفكرة يعكس بدوره العوامل التى أدت إلى تطور تفكير الجبرتى السياسى . والواقع أن تفكير الجبرتى فى كتابة التاريخ جاء أصلا من محمد خليل المرادى الحسينى مفتى دمشق (توفى سنة ١٢٠٦ هـ) . فقد كان المرادى مشغولا بترجمة أعلام المائة الثانية عشر [١] ولما كانت هذه الدراسة تتطلب مجهودا ضخما وتحتم الاستعانة بغيره من علماء عصره فقد أرسل المرادى فى سنة ١٢٠٠ هـ إلى الشيخ أبى الفيض محمد مرتضى الزبيدى [٢] ـ وكان مقيما فى مصر ومن أشهر علماء عصره ـ يرجوه أن يساعده فى هذه التراجم . فدأب الزبيدى على جمع بعض التراجم . ولما كان الزبيدى أستاذ الجبرتى فقد دعاه فى جمادى الثانية من عام ١٢٠٣ هـ إلى الاشتراك معه فى هذا العمل . ومن ثم بدأ الجبرتى كتابته للتاريخ بجمعه لتراجم بعض أعيان القرن الثانى عشر من المصريين – ويروى الجبرتى بنفسه قصة هذه التراجم فى ترجمته للشيخ محمد خليل المرادى [٣] فيقول « وكان هو السبب الأعظم الداعى لجمع هذا التاريخ على هذا النسق فانه كان راسل شيخنا السيد محمد مرتضى والتمس منه نحو ذلك (تراجم أهل بلاده وأخبار أعيان أهل القرن الثانى عشر) فأجابه لطلبته ووعده بأمنيته ، فعند ذلك تابعه بالمراسلات وأتحفه بالصلات المترادفات ، وشرع شيخنا المرحوم فى جمع المطلوب بمعونة الفقير ولم يذكر السبب الحامل ذلك ، وجمع الحقير أيضا ماتيسر جمعه وذهبت به يوما وعنده بعض الشاميين فأطلعته عليه فسر بذلك كثيرا وطارحنى وطارحته فى نحو ذلك بمسمع من الجالس . . . وتنوسى هذا الأمر شهورا » وواضح من هذا أن الزبيدى لم يطلع الجبرتى عن سر اهتمامه بهذه التراجم . وقد بلغ ما كتبه الزبيدى من التراجم نحو عشرة كراريس مرتبة على حروف الهجاء وسماها «المعجم المختص» ذكر فيه « شيوخه ومن أخذ عنه أو جالسه من رفيق وصاحب وصالح أو من المشاهير ، وقد أذكر من أحبنى فى الله وأحببته أو استفدت منه شيئا أو أنشدنى شيئا أو كاتبنى أو كاتبته أو بلوت منه معروفا وكرما » وقد وصف الجبرتى هذا المعجم المختص بقوله « إلا أن الكراريس المذكورة لم تكمل وترك فى الحروف بياضات كثيرة وغالب ما فيها أفاقيون من أهل المغرب والروم والشام والحجاز والسودان والذين ليس لهم شهرة ولا كثير بضاعة من الأحياء والأموات

---

(١) سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، أربعة أجزاء .

(٢) ترجمة الشيخ الزبيدى . عجائب الآثار ، الجزء الثانى ، ١٢٠٥ هـ .

(٣) ترجمة الشيخ خليل المرادى ، عجائب الآثار ، الجزء الثانى ، ١٢٠٦ هـ .

وأهمل من يستحق أن يترجم من كبار العلماء والأعاظم ونحوهم . . . » . وفى عام ١٢٠٥ﻫ توفى الشيخ الزبيدى بالطاعون الذى نزل بمصر ، « فأخفت زوجته وأقاربها موته حتى نقلوا الأشياء النفيسة والمال والذخائر والأمتعة والكتب المكلفة ثم أشاعوا موته . . » ثم بيعت متروكاته بما فى ذلك «الكتب والدشتات» وقد اشتراها الجبرتى وفيها المعجم المختص الذى سبق ذكره .

وفى أواخر سنة ١٢٠٥ ﻫ وصل الجبرتى من الشيخ المرادى الحسينى مفتى دمشق كتابا وقرنه بهدية على يد السيد محمد التاجر القباقيبى « يستدعى تحصيل ما جمعه السيد (الزبيدى) من أوراقه وضم ما جمعه الفقير (الجبرتى) وما تيسر ضمه أيضا وارساله » ، ويقول المرادى فى خطابه للجبرتى « وهذا الأمر ما حررنا بخصوصه لأحد من العلماء ولا فى التجار واعتمدنا على الجناب بذلك اعتمادا على المحبة الموروثة ولعلمنا أن جنابكم أولى بذلك من كل أحد ولا سيما ما بلغنا من أن السيد ترجمكم [١] ثم يقول « ثم تجد جنابكم أن سعيكم هذا من أعظم المساعى عندنا لكون محبكم فى غاية الاشتياق إلى ذلك ، فرجو إرسال ذلك أصلا واستكتابا » .

ولقد وصل هذا الخطاب قبل أن يكون الجبرتى قد ظفر بأوراق الشيخ الزبيدى من ورثته ولكنه أدرك من هذا الخطاب السبب الذى حدا بأستاذه الشيخ مرتضى إلى الاهتمام بترجمة أعلام المائة الماضية (الثانى عشر الهجرى) فلم يكن ذلك وليد قريحته ابتداء بل نزولا على رغبة القاضى المرادى . فلما ظفر الجبرتى بأوراق الزبيدى بدأ بدراسة التراجم التى كان قد أعدها الزبيدى . ويعتقد بعض الباحثين المعاصرين أن الجبرتى استرد التراجم التى كان قد كتبها بتكليف من الزبيدى [٢] . ولا يبدو هذا صحيحا :

---

(١) يقصد ترجم للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ولعل صحتها أن الزبيدى ترجم لوالده الشيخ حسن الجبرتى .

(٢) يقول الأستاذ محمود الشرقاوى(دراسات فى تاريخ الجبرتى . الجزء الأول . ص ٢٥) « فلما مات هذا (الزبيدى) بالطاعون فى سنة ١٢٠٥ ﻫ استولت زوجه على جميع ما خلفه بما فى ذلك كتبه وفيها ماقدمه له الجبرتى عن تاريخه ثم تزوجت أرملته واستطاع الجبرتى أن يشترى منها ماخلفه السيد فوجد ضمنه أوراقه » ويستطرد الأستاذ الشرقاوى فيقول « وأرسل له مفتى دمشق بعد ذلك يستحثه على أن يتم كتابه فكان ذلك مشجعا جديدا له » . والصواب من ناحية الترتيب الزمنى أن مفتى دمشق أرسل إلى الجبرتى خطابه « وكانت أوراق السيد مختوما عليها » ثم لما « فتحت التركة بوصاية الزوجة » اشترى الجبرتى ما اشتراه من كتب ودشتات .

أولا — ليس هناك ما يشير أصلا إلى أن الزبيدى احتفظ بتراجم الجبرتى وأغلب الظن أن الجبرتى احتفظ بها ليكملها وأنه حين أطلع أستاذه عليها لم يكن قد أتمها .

ثانيا — واضح أيضا من كلام الجبرتى عن «المعجم المختص» انه كان يشمل تراجم رجال من أهل المغرب والحجاز والسودان ولا يشمل تراجم علماء وأعيان مصر ممن ينبغى للجبرتى أن يكون قد عنى بهم .

ثالثاً — ينتقد الجبرتى معالجة الزبيدى للتراجم فيقول « أنه أهمل من يستحق أن يترجم من كبار العلماء والأعاظم وغيرهم » .

ثم يروى الجبرتى بعد ذلك كيف أن خطاب الشيخ المرادى قد شحذ همته للعودة إلى هذه الدراسة فيقول « فلما رأيت ذلك وعلمت سببه وتحققت رغبة الطالب لذلك ، جمعت ما كنت سودته وزودت فيه وهى تراجم فقط دون الأخبار والوقائع » . وفيما هو منشغل بهذا العمل الشاق اذ « ورد علينا نعى المترجم (المرادى) ففترت الهمة وطرحت تلك الأوراق فى زوايا الاهمال مدة طويلة . . . » ويفهم من ذلك :

أولا — أن الجبرتى قد توقف عن متابعة بحثه حين وصله نبأ وفاة الشيخ المرادى .

ثانيا — أن بحثه من الناحية التاريخية حتى ذلك الوقت لم يعد بعض تراجم .

ويبدو أن الجبرتى قد انقطع عن كتابة التاريخ بعد ١٢٠٦ هـ حتى عاد اليها فى شكل جديد وهو المذكرات اليومية منذ ١٢١٣ هـ عند نزول الفرنسيين بمصر . وقد كتب الجبرتى تاريخ مصر تحت الاحتلال الفرنسى من ١٢١٣هـ — ١٢١٦ هـ فى كتابه المخطوط « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » فى شكل مذكرات يومية . ويشير الجبرتى إلى هذه الحقيقة فى مقدمة مظهر التقديس بقوله « ولقد كنت سطرت ماحصل من الوقائع من ابتداء تملك الفرنسيس لأرض مصر إلى أن دخلها مولانا الوزير فى أوراق غير منظومة . . وكثيرا ما كان يخطر ببالى وأن لم يكن ذلك من شأن أمثالى أن أجمع إفتراقها وأكسبها بالترصيف اتساقها ليكون ذلك تاريخا مطلعا للبيب عن عجائب الأخبار وغرائب الآثار تذكرة بعدنا لكل جيل » . ولقد حدث أن صديقه الشيخ حسن العطار كانت تراوده نفس الفكرة فكتب هو الآخر مذكرات عن تاريخ الاحتلال الفرنسى نثرا وشعرا ، وقد أضاف الجبرتى ما كتبه العطار إلى ما كتب هو وأخرج منهما كتابه مظهر التقديس [1] . وعلى ذلك فمن المؤكد أن الجبرتى حتى عام ١٢١٦ هـ كان قد قام بعملين علميين هامين ، الأول عبارة

(١) ترجمة حسن العطار . الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٣٨ وما بعدها .

عن تراجم متناثرة لأعيان القرن الثانى عشر الهجرى ، والثانى يشمل تاريخا كاملا فى شكل مذكرات يومية لأحداث مصر فى ظل الاحتلال . وتبقى بعد ذلك العملية الأخيرة فى تاريخ الجبرتى وهى الربط بين البحثين ذلك الربط الذى تمخض عن كتابه المعروف بعجائب الآثار فى التراجم والأخبار بأجزائه الأربعة . والجبرتى يشير الى هذا الربط فى ترجمته للبرادى (١٢٠٦ هـ) بقوله « وفى أثناء ذلك ورد علينا نعى المترجم ففترت الهمة وطرحت تلك الأوراق فى زوايا الاهمال مدة طويلة حتى كادت تتناثر وتضيع إلى أن حصل عنـدى باعث من نفسى على جمعها مع الوقائع والحوادث والمتجددات على هـذا النسق » . ومعنى هذا أن الجبرتى جمع من مصادر متعددة ما استطاع جمعه من وقائع القرن الثانى عشر الهجرى حتى عام ١٢١٢ هـ وأخرج من هذا كله الجزء الأول والجزء الثانى من كتابه الذى أطلق عليه عجائب الآثار . ثم عدل فى مظهر التقديس وأخرج منه الجزء الثالث من عجائب الآثار مع اضافة حوادث مابين سنة ١٢١٦ هـ وسنة ١٢٢٠ هـ ، وبعد أن حذف ماكتبه العطار الا المنظوم منه فيشير اليه بقوله « كما قال صاحبنا الشيخ حسن العطار » وكان فى مظهر التقديس قد اكتفى بتراجم الأمراء المماليك فأضاف فى عجائب الآثار تراجم المشايخ أيضا . ثم أخذ يدون مذكراته للجزء الرابع الذى يشمل تاريخ مصر من سنة ١٢٢١ هـ حتى سنة ١٢٣٦ هـ . ويدل ذلك على أن الجبرتى كان لديه متسع من الوقت لمراجعة وتنظيم وتنسيق الأجزاء الثلاثة الأولى من عجائب الآثار ولكنه مرض ثم مات أبان كتابته للجزء الرابع وهذا هو التفسير لما يردده المؤرخون من أن الجزء الأخير من عجائب الآثار يتسم بالاضطراب وعدم التناسق [1] .

ويبقى أن نجيب على هذا السؤال : متى ظهر هذا الباعث النفسى الذى أشار إليه الجبرتى وما هى العوامل التى أدت إلى ظهوره ؟ لقد بدأ الجبرتى فى كتابة عجائب الآثار على النحو السابق فى سنة ١٢٢٠ هـ . ومعنى هذا أن الباعث النفسى لا بد أن يكون قد ظهر فى هذه

(١) المعنيون بتاريخ مصر يأخذون من اضطراب الجزء الرابع من تاريخ الجبرتى دليلا على أن بعض أجزاءه قدحذفت عند الطبع والبعض الجبرتى الآخر يعتقد انهذا الحذف يرجع إلى ما كتبه الجبرتى عن محمد على . والحقيقة أن الجزء الرابع المطبوع من عجائب الآثار يشمل على كل ما كان الجبرتى يود أن يقوله فى محمد على . وفى رأينا أن السبب الذى جعل البعض يعتقد أن فقرات قد حذفت من الجزء الرابع هو اضطراب المسودات التى كتبها الجبرتى وهو كبير السن ومريض ومات قبل أن يتمكن من تنسيقها . وفى البحث الذى قام به الأستاذ محمود الشرقاوى مقارنة بين النسخ المخطوطة للجبرتى قديمها وحديثها والنسخ المطبوعة تؤكد أن الجزء الرابع المطبوع من عجائب الآثار لم يحذف منه شىء بالمرة .

السنة أو قبل ذلك بقليل . ويبدو أن الباعث النفسى كان رغبة الجبرتى فى أن يغير موقفه من الأحداث التى مرت بمصر منذ الغزو الفرنسى حتى سنة ١٢٢٠ هـ ، وأن العامل الأساسى الذى دفع إلى ذلك هو خيبة الأمل التى أصابت الجبرتى فى الحكم العثمانى عقب عودة العثمانيين إثر خروج الفرنسيين من مصر والتى جعلته يدرك أن الحكم العثمانى لم يكن خيراً من الحكم الفرنسى بل على العكس ربما يكون الحكم الفرنسى من بعض الوجوه خيراً من الحكم العثمانى ولذلك فالجبرتى يعيد موقفه من الحكم الفرنسى وعودة العثمانيين ليصبح أكثر موضوعية وأقل عاطفية مما كان عليه فى مظهر التقديس .

وأقرب سبيل لفهم هذه الحقيقة المقارنة بين مظهر التقديس من ناحية والجزء الثالث من عجائب الآثار من ناحية أخرى وهو المستخرج المعدل من مظهر التقديس . والحقيقة أن هذا التعديل لا يعنى مجرد التنظيم والتبويب لاخراج جديد بل يحمل تغييراً موضوعيا فى تفكير الجبرتى السياسى .

إن الشواهد الداخلية والخارجية تجعلنا نحكم على مظهر التقديس بأنه التاريخ الرسمى للحملة الفرنسية فالكتاب مهدى إلى الوزير يوسف باشا إذ يقول الجبرتى فى آخره فى ذكر فضائل شهر رمضان المبارك « وأيضا أن شهر الصيام مقدمة شهر العيد الذى هو موسم السرور المديد وقد كان قدوم المشار إليه (الوزير يوسف ضيا باشا) نظر الله بعين الرعاية اليه مفتاح أبواب المسرات التى طال انغلاقها ومعيد بهجة مصر التى كسف بظلام الكفرة إشراقها ثم لسدته التى هى ملثم شفاه الاقبال ومحط أفاضل الرجال أهدى كاسد هذا التصنيف وخامل هذا الترصيف فان لاحظه بعين القبول وذلك هو المتيقن والمأمول راج فى معالم الأدب سوقه وبطابع السعود شروقه » . وواضح من هذا أن الجبرتى كان يرحب برجوع العثمانيين ويعتبر هذا بداية لانبثاق عهد جديد زاهر ونهاية حكم فرنسى لم يكن راضيا عنه . وفى مقدمة الكتاب ما يشير إلى هذه الحقيقة على نحو أوضح فهو من ناحية يلقى اللوم فى تمكن الفرنسيين من احتلال مصر على الأمراء المماليك الذين اتكلت عليهم الدولة لحماية الاقليم « فخربوا الثغور وأشادوا القصور » ، « فلما دهمت الفرنسيس ثغرها الخالى ووقعت منه على طلل بالى سهل عليهم الحال فاقتحموه ودخلوا من باب الاقليم بدون أن يفتحوه وتقاعدت العساكر المصرية عن التسارع لاستنقاذ الثغر فعظم البلا وأخذ العدو يطوى بساط الأرض حتى إذا التقى الجمعان لم يسع القوم إلا الفرار فى الفلا » إلى أن يقول « وأتاحت

دولة الكفار بكلكلها على هذا القطر العظيم وانتشروا فى أرجاءه انتشار السم فى جسد السليم . . . ولقد كادت تعم الرزية وتصير القضية أندلسية لولا عناية مزايدة الله بالنصر والتمكين وتلى عسكره المنصور مهما توجه لمعقل آية الفتح المبين وهو الملك الأعظم والسلطان الأفخر غياث المسلمين ، ملاذ المؤمنين ، مالك رقاب الأمم ، ملجأ العرب والعجم ، حافظ ناموس الشريعة الغراء بقوة سطوته باسط بساط العدل والاحسان على كامل رعيته » [1] .

ولا شك أن الجبرتى اتصل بالوزير العثمانى وأن الوزير أحسن استقبال الكتاب لأنه بعد عودته إلى دار السلطنة عرضه هناك على السلطان سليم الذى أمر كبير أطبائه مصطفى بهجت بنقله إلى التركية ففرغ من ذلك سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٣ م) ، ومن المرجح أن الوزير وقد أكبر الجبرتى كعالم فلكى عهد إليه بتحرير التقاويم والتوقيت ورتب له جعلا على ذلك [2] .

أولا — ورغم أن مظهر التقديس يمثل فى نظرنا التاريخ الرسمى للحملة الفرنسية إلا أنه يعكس بأمانة كذلك موقف الجبرتى من هذه الأحداث ، وهو يتلخص فى الحملة الشديدة على الحكم الفرنسى واعتبار البكوات المماليك مسئولين عن نجاح الفرنسيين فى غزو مصر ثم التنبؤ بانبثاق عصر جديد من الاستقرار والرفاهية والعدالة بدخول العثمانيين وعودة الحكم العثمانى المباشر . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يلاحظ أن الجبرتى فى مظهر التقديس بعيد عن موضوعية المؤرخ لا ينظر إلى الحوادث نظرة مجردة من العاطفة الدينية أو العاطفة الوطنية . ومع أنه فى عجائب الآثار لم يتخل قط عن هاتين العاطفتين إنما من الواضح أنهما لم يتحكما كلية فى كتاباته كما حدث فى مظهر التقديس . ففى مظهر التقديس كان الجبرتى يرى كل ما هو فرنسى كريه ويكفى أن يكون الحكم غير إسلامى ليحمل عليه الجبرتى . أما فى عجائب الآثار فقد أخذ الجبرتى ينظر إلى الأحداث بعين الناقد الموضوعى فليس كل ما هو غير إسلامى يسىء وليس كل حكم إسلامى طيبا فقد أتى الفرنسيس من الأعمال ما يجعلهم أحيانا أفضل من العثمانيين . وليس معنى هذا أن الجبرتى قد أخذ يدافع عن الحكم الفرنسى ، فهو لا يزال الشيخ الأزهرى المتدين الذى يكره حكما غير إسلامى ويرى بحق

(١) ص ٥ ، ٦ ، ٧

(٢) خليل شيبوب ، عبد الرحمن الجبرتى ص ٨٩

أنه امتلأ بالقسوة والعنف ولكن الجبرتى فى عجائب الآثار يشيد بالفرنسيين إذا استحقوا هذا . وخلاصة القول أن الجبرتى فى عجائب الآثار يحمل على حكم البكوات المماليك أولا وعلى الحكم الفرنسى ثانيا وعلى الحكم العثمانى الذى أعقب خروج الفرنسيين ثالثا — ليس هذا فقط بل انه يعتبر أن الحكم العثمانى أشد وطأة رغم إسلاميته من حكم الفرنسيين وأن حكم الفرنسيين بدوره كان أشد وطأة من حكم البكوات المماليك ومن هذا كانت نظرة الجبرتى المتشائمة من تطور الأحداث فى مصر وما نلمسه من أن رأيه فى النهاية كان يعنى أن الأحوال فى مصر تسير من سيء إلى أسوأ .

ثانيا — يشيد الجبرتى بالفرنسيين فى عدة مواقف فى عجائب الآثار لم يشر اليها اطلاقا فى مظهر التقديس مثال ذلك اعجابه بتنظيم الفرنسيين لأعمال الديوان وتفوقهم العلمى ونظامهم فى القضاء كما رآه فى محاكمة قاتل كليبر واعجابه بالكرنتيلة الفرنسية حين نزل الطاعون بمصر (شوال ١٢١٥) . وهذا ما كتبه فى عجائب الآثار من وصفه للمعهد العلمى الفرنسى فى حارة الناصرية « وأفردوا للمدبرين والفلكيين وأهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب . . . حارة الناصرية وما بها من البيوت مثل بيت قاسم بك . . . ووضعوا فيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ومباشرون يحفظونها للطلبة ومن يريد المراجعة يراجعون فيها مرادهم ، فتجمعت الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ويجلسون فى فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسى منصوبة موازية لتختاة عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها يحضرها له الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من العساكر واذا حضر اليهم بعض المسلمين ممن يريدوا الفرجة لا يمنعونه الدخول إلى أعز أماكنهم ويتلقونه بالبشاشة والضحك واظهار السرور بمجيئه اليهم وخصوصا إذا رأوا فيه قابلية أو معرفة أو تطلعا للنظر فى المعارف والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتواريخ القدماء وسير الأمم وقصص الأنبياء وبتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث أممهم مما يحير الأفكار » ثم يقول « ولقد ذهبت اليهم مرارا وأطلعونى على ذلك . . . وكتب من الكتب الاسلامية مترجمة بلغتهم . . . ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن ولهم تطلع زائد من العلوم وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات واجتهاد كبير فى معرفة اللغة والمنطق ويدأبون فى الليل والنهار وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات وتصاريفها واشتقاقاتها بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من أى لغة كانت الى لغتهم فى أقرب وقت . . » . ثم يصف زيارته لتوت الفلكى وتلامذته فى مكانهم المختص

بهم وأريجو المصور ورويا الحكيم (الكيماوى) وبعد وصفه لبعض التجارب الكيماوية والطبية يقول « ولهم فيها أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا يسعها عقول أمثالنا » [1].

وكتب الجبرتى تعليقا على ما نسميه اليوم بحيثيات الحكم فى قضية قاتل كليبر فيقول « ذكروا فيها سورة الواقعة وكيفيتها وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الفرنساوية والتركية والعربية . . . وقد كنت قد أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم فى اللغة ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل آفاقى أهوج . . . وقبضوا عليه وقرروه ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضخمة بدم سارى عسكرهم وأميرهم بل رتبوا حكومة ومحاكمة وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام مرة بالقول ومرة بالعقوبة ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ثم نفذوا الحكومة بما اقتضاه التحكيم وأطلقوا مصطفى افندى البرصلى الخطاط حيث لم يلزمه حكم ولم يتوجه عليه قصاص كما يفهم جميع ذلك من فحوى السطور بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الاسلام ويزعمون أنهم مجاهدون وقتلهم الأنفس وتجاريهم على هدم البنية الانسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضه بعد » .

ويلاحظ عند المقارنة بين مظهر التقديس وعجائب الآثار أن الجبرتى لا يشير الى العثمانيين فى مظهر التقديس الا بقوله « المسلمين » ، بينما يطلق عليهم فى عجائب الآثار « العسكر » أو العثمانية — وفى مظهر التقديس لا يذكر اسم قائد من القادة الفرنسيين الا مصحوبا بوصف معين كقوله : برطلمين الكافر ، اللعين كفرلى ، والتعيس بونابرته ، والملعون ديبوى ، والملاعين الكفار ، ولكنه يحذف كل هذه الأوصاف فى عجائب الآثار .

والحقيقة أن المقارنة بين بعض النصوص الواردة فى الكتابين توضح مقدار التباين فى عاطفة الجبرتى وموقفة المعدل .

---

(١) عجائب الآثار ج ٣ ذكر حوادث شهر جمادى الثانية ١٢١٣

١ — حوادث محرم ١٢١٣ :

مظهر التقديس «وفى يوم الاثنين وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا إلى دمنهور ورشيد وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم فذهبوا إلى فوة ونواحيها والبعض أقام ببلده فأمن» .

عجائب الآثار « وفى يوم الاثنين . . . والبعض طلب الأمان وأقام ببلده وهم العقلاء » .

٢ — صفر ١٢١٣ (عن دخول الفرنسيس القاهرة) :

مظهر التقديس : « ثم أن عساكرهم صارت تدخل الى المدينة شيئا فشيئا حتى امتلأت منهم الطرقات . . . ولكن لم يشوشوا على أحد ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها وهذه من أعظم المكايد لأجل احتلال عقول العامة وانهمكوا على أنواع المأكولات مثل الكلاب السعرانين ففجر السوقة . . . » .

عجائب الآثار : « ثم أن عساكرهم . . . ولكن لم يشوشوا على أحد ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ففجر السوقة . . . » .

٣ — ربيع الأول ١٢١٣ (احتفال الفرنسيس بعيد الجمهورية) .

مظهر التقديس : « وسبب هذا العيد أنهم لما قتلوا سلطانهم وظهرت رغبتهم التى ابتكروها وخرجوا بها عن الطريق والملل جعلوا ذلك اليوم عيدا وتاريخا » .

عجائب الآثار : « وذلك اليوم كان ابتداء قيام الجمهور ببلادهم فجعلوا ذلك اليوم عيداً وتاريخاً » .

٤ — رمضان ١٢١٣ (عن أسرى المماليك)

مظهر التقديس : « فلما أصبح الأحد حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكا وأربعة من الكشاف وهم راكبون الحمير ومثقلون بأسلحتهم ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس فحزن المسلمون لذلك وانقبضت نفوسهم وصاروا بين مصدق ومكذب » .

عجائب الآثار : « فلما أصبح . . . ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس وأمامهم طبولهم وخرج بعض الناس تشاهدهم » .

٥ — ذى الحجة ١٢١٣ (حملة الشام)

مظهر التقديس : « ولم يأت خبر صحيح عن فرنسيس الشام وما جرى لهم أو عليهم إلا روايات لا يوثق بها ولا يصح المتواتر منها إلا تكرار هجوم الفرنسيس على حصون عكا ولم يتركوا من جعلهم ومكايدهم شيئا إلا فعلوه ولم ينالوا غرضا منها ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » .

عجائب الآثار : « ولم يأت خبر صحيح . . . ولم ينالوا غرضا منها » .

٦ — ذى الحجة ١٢١٣

مظهر التقديس : يورد القصيدة التى نظمها السيد على الصيرفى الرشيدى فى مدح أحمد باشا الجزار وهى تسعة وسبعون بيتا وثم يعلق بقوله « ثم هو قد مدح مخدومه أحمد باشا الجزار وهو بهذا المدح حقق لكونه جاهد فى الدين حق الجهاد فأرغم العدو وأسر الصديق — وفى الواجب والمتحتم لدى أن أمدح مولانا الوزير أبقاه الله شكراً على نعمة فتولى مصر التى أجراها الله على يديه واختاره لهذه المنقبة الشريفة الرفيعة الذكر فى الدنيا والمضاعفة الثواب فى الأرض لديه واستنقاذها من أسر أولئك الكفرة اللئام ورد شمل المسلمين بعد الصدع إلى الانتظام والالتئام » .

عجائب الآثار : يذكر عشرة أبيات من قصيدة الرشيدى دون تعليق .

٧ — صفر ١٢١٤ (معركة أبى قير البرية) :

مظهر التقديس : يذكر الجبرتى « العسكر السلطانى بجهة أبى قير » .

عجائب الآثار : يذكر الجبرتى « العسكر الوارد لجهة أبى قير » .

مظهر التقديس : « أشيع أن الفرنساوية انتصروا على المسلمين وأخذوا قلعة أبى قير » .

عجائب الآثار : « أشيع أن الفرنساوية تحاربوا مع العساكر الواردين على أبى قير وظهروا عليهم وقتلوا الكثير منهم ونهبوهم وملكوا قلعة أبى قير » .

٨ — ربيع الأول ١٢١٤

مظهر التقديس — « حضر كبير الفرنسيس ودخل إلى داره بالأزبكية وحضر صحبته عشرة أناس من أسرى المسلمين (موقعة أبى قير) وشاع الخبر بحضوره فذهب كثير من الناس إلى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته فشاهدوا الأسرى وهم وقوف فى وسط البركة ليراهم الناس

فكفكفت الناس دموعهم وكظموا غيظهم وطووا قلوبهم على حرقة الناس ومرارة الأنف وأظهروا التجلد للعدو وقد طار من القلب الراحة والهدوء » .

عجائب الآثار : « حضر سارى عسكر الفرنساوى بونابرته ثم دخل إلى داره ... ليراهم الناس ثم أنهم حرقوهم بعد حصة من النهار » .

ونستطيع من هذه المقارنة أن نخرج بحقيقة جوهرية هامة وهى أن الجبرتى فى عجائب الآثار (جـ ٣) قد غير - إلى حد كبير - موقفه من الاحتلال الفرنسى على أسس معينة :

أولا - أنه كان أكثر موضوعية فى عجائب الآثار .

ثانيا - أن من مظاهر هذه الموضوعية انتفاء العاطفة الساذجة واختفاء أثرها فى حكمه على الحوادث والناس .

ثالثا - أن الجبرتى فى مظهر التقديس كان كاتب مذكرات أكثر منه مؤرخاً بينما أتيحت له فى عملية إعادة كتابة حوادث الاحتلال الفرنسى فى الجزء الثالث من عجائب الآثار فرصة فحص هذه الحوادث بعمق وإلقاء أضواء جديدة عليها حتى برزت صفته كمؤرخ أكثر منه كاتب مذكرات .

طبق من الخزف باسم (غبن)

مولى الحاكم بأمر الله

بقلم الدكتور حسن الباشا حسن محمود

فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة مجموعة من قطع خزفية ذات بريق معدنى ذهبى تؤلف أجزاء من طبق واحد كبير ارتفاعه ١٢ سم ، وعمقه ١٠ سم ، وقطر حافته ٥٠ سم . وقد وردت هذه القطع إلى المتحف على دفعتين : الأولى فى ٤ مايو سنة ١٩٣٥ ، وتتألف من ثمانى قطع [رقم ١٢٩٩٧] [1] ؛ والثانية فى ١٧ مايو سنة ١٩٣٩ ، وتتألف من أربع عشرة قطعة [رقم ١٤٣٨٩] .

وتقوم زخرفة هذا الطبق ذات البريق المعدنى الذهبى على أرضية بيضاء عاجية ؛ ويتكون تصميمها العام من ثمانى مناطق متساوية تمتد من حافة الطبق ، وتتقاطع خطوطها الفاصلة المستعرضة فى مركز الطبق أو تقابل دائرة تحيط به ؛ أما خطوطها الخارجية فتتصل مكونة محيط الطبق عند الحافة ؛ وقوام زخارف هذه المناطق وحدتان تتكرران بالتبادل حول الطبق أربع مرات باختلاف ضئيل . وتتألف إحدى الوحدتين من مراوح نخيلية فى أوضاع متناظرة ، وتتكون الأخرى من شجرة محورة تخرج منها أفرع نباتية متماثلة . وبالاضافة إلى هذه الزخارف كانت حافة الطبق تشتمل على طراز من الكتابة الجميلة بالخط الكوفى البسيط يلف على طولها فى أعلى الزخارف النباتية .

ولقد كان لدينا من هذا الطراز من الكتابة كلمات تمت قراءة بعضها وهى « حاكم بأمر » (شكل ١) و « وعلى ابايه » (شكل ٢) و « لاستاذ الاستا » (شكل ٣) . وكان من

---

(١) نشر الأستاذ فييت هذه القطع ، أنظر Gaston Wiet, Deux Pièces de Céramique Égyptienne فى Ars Islamica الجزء الثالث ، القسم الثانى ص ١٧٢ — ١٧٩ ؛ وأشار اليها المرحوم الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه « كنوز الفاطميين » ص ١٥٤ — ١٥٥

الواضح أن ورود اسم الحاكم فى الطراز يشير إلى أن هذا الطبق يرجع من غير شك إلى عصر هذا الخليفة الفاطمى . غير أن القطع الخزفية تشتمل على كلمات أخرى كان من المتعذر قراءتها القراءة الصحيحة ، فضلا عن أن الكلمات المقروءة كان من الصعب تفسيرها والتوفيق بينها توفيقا ملائما .

ولقد دفعتنى أهمية هذا الطبق بما عليه من كتابات أثرية وزخارف جميلة لها خطورتها فى دراسة تطور الزخرفة الاسلامية إلى أن أقوم بدراسة كتابته على أصل إلى قراءة كلماته قراءة صحيحة ، وإلى التوفيق بينها وتكملتها . ولقد يسر لى هذه الدراسة المساعدات التى قدمها إلى الأستاذ الدكتور محمد مصطفى مدير متحف الفن الاسلامى وأمناؤه وموظفوه فضلا عن المعلومات القيمة التى أمدنى بها الأستاذ عبد الرءوف على يوسف الأمين المشرف على قسم الخزف بالمتحف .

شرعت منذ اللحظة الأولى فى دراسة الكلمات التى تمت قراءتها ومحاولة تفسيرها . ولقد لفتت نظرى عبارة « لاستاذ الاستا » ، وحسب دراستى للألقاب الاسلامية جزمت بأنها لا بد من أن تكون جزءاً من لقب هو « أستاذ الأستاذين » .

ولقب أستاذ الأستاذين من الألقاب المركبة على « أستاذ » ولفظة (أستاذ) معربة عن كلمة (أستاد) الفارسية [1] . وكان هذ اللقب يطلق عرفاً على كل من العلماء ، ورجال الدولة ، وأصحاب الحرف ، وحتى على الشحاذين [2] . كما كان يطلق بصفة رسمية فى المصطلح العباسى وفى المصطلح الفاطمى على الخصيان من الغلمان حين يعظم أمرهم أو ينالون حظوة عند الولاة ، ومن أمثلة ذلك إطلاقه على كافور الاخشيدى لما عظم أمره فى زمن أنوجور ، وعلى برجوان الذى كان وصياً على الحاكم بأمر الله واستبد بالحكم دونه بعد ابن عمار فترة من الزمن [3] . ومن ثم كان لقب (أستاذ الأستاذين) يطلق فى المصطلح الفاطمى على (رئيس الخصيان) .

ولذا كان من الواضح أن هذا اللقب لايخص فى الكتابة التى نحن بصددها الامام الحاكم

---

(١) يعتقد الزميل الدكتور عبد النعيم حسنين مدرس اللغة الفارسية بكلية الآداب بجامعة عين شمس أن كلمة « استاد » فى الفارسية الحديثة أصلها فى الفارسية القديمة « أستاذ » ، أى أن العرب قد استعملوا الكلمة الفارسية دون تغيير .

(٢) أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى : شرح المقامات الحريرية ج ٢ ص ٩٧

(٣) أنظر كتابنا « الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » س ١٣٩ — ١٤٠

بأمر الله ، ولكنه يخص أحد رجال الدولة أو أحد الخدم أو الغلمان . وبما أن اسم الحاكم قد ورد فى كتابة الطبق فقد رجحت أن يكون (أستاذ الأستاذين) هذا أحد رجاله .

وكانت الخطوة التالية هى محاولة التعرف على من لقب بهذا اللقب فى عصر الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ؛ وكان على أن أنقب فى كتب التاريخ . ولقد اهتديت إلى أن هذا اللقب قد أطلق على أحد خدم الحاكم بأمر الله واسمه « غين » [1] .

وفى ضوء هذه المعلومات الجديدة شرعت فى قراءة كلمات الطبق من جديد . والحق أن هذه المعلومات كانت فى غاية الأهمية إذ أننى وجدت أن الكلمة الوحيدة التى لم تكن قراءتها قد تيسرت حتى ذلك الوقت هى فى الواقع كلمة مشابهة لكلمة « غين » وهى « غبن » (شكل ٤) .

وكما أفادت كتب التاريخ فى قراءة النص الأثرى ، أفاد النص الأثرى بدوره فى تصحيح خطأ تاريخى ، أو بعبارة أصح فصل بين كتب التاريخ التى ترددت فى اسم « أستاذ الأستاذين » بين «غين» و «غبن» [2] ومن ثم حسمت الكتابة الأثرية هذا الخلاف بالقول الفصل إذ أن الكلمة الموجودة على الطبق هى فى الواقع « غبن » بالباء .

* * *

كان « غبن » غلاما من خدم الحاكم قوى سلطانه فى حكومته ، ولكن لفترة قصيرة فقط ـــ شأنه فى ذلك شأن غيره من كبار رجال الدولة فى عصر هذا الخليفة الفاطمى : إذ تميزت خلافة الحاكم بحذره الشديد من كل من يعظم نفوذه من رجاله ، وبالمبادرة إلى التخلص منه ، وربما كان ذلك خشية أن تتعرض الخلافة الفاطمية لما تعرضت له الخلافة العباسية من انتقاص سيادة الخليفة لحساب الأمراء ، لاسيما بعد التجربة القاسية التى مر بها الحاكم فى صباه حين تنازع ابن عمار وبرجوان على الاستبداد بالسلطة دونه .

ويظهر اسم « غبن » فى التاريخ بعد قتل الحاكم لقائد القواد الحسين بن جوهر

(١) المرجع السابق ص ١٤٠

(٢) ورد فى صورة « غين » فى كتاب « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » للمقريزى ، طبعة بولاق ج ٢ ص ٢٩٧ ، وفى الكتب المحدثة مثل كتاب « الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية » للأستاذ محمد عبد الله عنان ص ٥٧ ـــ ٥٨ ، وفى كتابنا « الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » ؛ وورد فى صورة « غبن » فى كتاب « الإشارة إلى من نال الوزارة » لابن منجب الصيرفى ، تحقيق عبد الله مخلص ص ٣٥ ، وفى كتاب « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » لابن دقاق ج ٤ ص ١١٥

فى سنة ٤٠١ هـ [1] [١٠١٠ م] ، ففى ٩ ربيع الآخر سنة ٤٠٢ هـ [٩ نوفمبر سنة ١٠١١ م] أبدى له الحاكم مظاهر حظوته عنده وذلك بأن قلده سيفا ، وأنعم عليه بلقب « قائد القواد » وأمر بأن يركب وبين يديه عشرة أفراس بسروجها ولجمها .

ثم زادت ثقة الحاكم فيه ، وعنايته به فقلده فى ذى القعدة من السنة نفسها [يونيه سنة ١٠١٢ م] الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجيزة ، وأسند إليه النظر فى أمور الجميع وأموالهم وأحوالهم ، وكان من مظاهر تكريمه أن أنفذ إليه الخليفة خمسة آلاف دينار ، وخمسة وعشرين فرسا بسروجها ولجمها ، وأمر أن يقرأ سجله بالجامع العتيق ، فنزل إلى الجامع ومعه سائر العسكر ، وخلع عليه ، وحمل على فرسين .

ومما يذكر أن الحاكم قد كلف « غبن » فى سجل تعيينه بالتشدد فى مراعاة تنفيذ قوانينه الاجتماعية الغريبة المشهورة التى كانت تقضى بتحريم بعض الأغذية كالملوخيا والسمك الذى لا قشر له ، وبمنع النساء من الخروج وحضور الجنائز ، وبتضييق الخناق على شرب الخمر [2] .

ولقد زاد نفوذ « غبن » فى سنة ٤٠٣ هـ [١٠١٢ م] حتى كتب له أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى الذى صار وزيرا فيما بعد فى عصر الظاهر فى سنة ٤١٨ هـ [3] [١٠٢٧ م].

والحق أن الفترة التى ولى فيها «غبن» سلطانه فى الحكومة تميزت بحادث ترك أثره فى الخلافة الفاطمية على مر السنين . ذلك أنه فى سنة ٤٠٢ هـ [١٠١١ م] صدر فى بغداد بيان عباس اتهم فيه الخليفة القادر والعلويون الموالون له الحاكم بأمر الله أنه مدع من نسل ديصان ولا يمت بأية صلة إلى فاطمة أو على . ولقد جاء هذا البيان العباسى — من غير شك — ردا على ازدياد نفوذ الحاكم وقوة سلطانه الروحى : إذ اعترف قرواش بن مقلد فى سنة ٤٠١ هـ [١٠١٠ م] بامامته ، وأمر أن يخطب باسمه فى الموصل والأنبار والمدائن والكوفة وسائر ولاياته ، ولقد ظل قرواش مواليا للحاكم فترة من الزمن قبل أن يتمكن العباسيون من إقناعه بالعدول عن سياسته . وعلى الرغم من الافتراء الواضح فى هذا البيان العباسى فقد كان له أثره على تصرفات الحاكم منذ ذلك الوقت .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥٠

(٢) المقريزى : خطط ج ٢ ص ٢٩٨

(٣) ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٥

لم يلبث الحاكم أن غضب على « غبن » : ففى أول صفر سنة ٤٠٤ هـ [١٢ أغسطس سنة ١٠١٣ م] عزله من منصبه حيث عين بدله « مظفر الصقلى » ؛ وفى ١٨ ربيع الآخر من السنة نفسها [٢٧ أكتوبر سنة ١٠١٣ م] عاقب الحاكم كاتبه أبا القاسم على بن أحمد الجرجرائى بقطع يديه ، ثم أوقع عقابا مشابها على « غبن » نفسه : فأمر بقطع يده فى ٣ جمادى الأولى [١٠ نوفمبر سنة ١٠١٣ م] — وكان قد أمر بقطع إحدى يديه من قبل — فنفذ أمره ، وحملت إليه اليدفى « طبق » ، ثم أمر بقطع لسانه فى ١٣ من الشهر نفسه [٢٠ نوفمبر سنة ١٠١٣ م] . وكان من أثر ذلك أن توفى « غبن » على الرغم مما كان يظهره له الحاكم أثناء معاقبته من عطف ورعاية [١] ! ! !

ولقد اختلفت الآراء بصدد الأسباب المباشرة التى أدت إلى غضب الحاكم على « غبن » وكاتبه الجرجرائى : فمن قائل إن الحاكم عاقب « غبن » وكاتبه على أثر وشاية من أحد موظفى الدولة تتهمهما بأنهما تواطئا على حذف بعض طعون على « غبن » من إحدى المكاتبات الواردة إلى الحاكم — وكان « غبن » مكلفا بعرض المكاتبات على الخليفة . على أنه يرجح أن غضب الحاكم عليهما يرجع إلى تدخل الجرجرائى فى الخصومة القائمة بين الحاكم وأخته ست الملك [٢] .

ومع هذا فيجب ألا تصرفنا الخاتمة الرهيبة التى منى بها « غبن » عن مجهوداته الفنية . فبالاضافة إلى طبقه الذى نحن بصدده ، والذى يعتبر من أجمل التحف الخزفية الفاطمية ، عرف باسمه جامع مشهور بالروضة ظلت الخطبة قائمة به فترة من الزمن ، ثم عمر من جديد فى عصر السلطان الظاهر بيبرس ، غير أن آثاره قد ضاعت تماما الآن [٣] .

* * *

بعد قراءة الاسم والتعرف على صاحبه كانت المرحلة التالية هى الشروع فى تكملة الكتابة ، ومحاولة التعرف على العبارات المفقودة من طراز الطبق .

قمنا بتوزيع القطع الخزفية فى أماكنها الصحيحة على قالب جصى كان المعمل الكيماوى

---

(١) بعد قطع يد « غبن » بعث إليه الحاكم بالأطباء ووصله بألوف من الذهب وعدة من أسقاط ثياب وعاده أهل الدولة ؛ وبعد قطع لسانه سير إليه الأطباء . المقريزى : خطط ج ٢ ص ٢٩٨

(٢) المقريزى : خطط ج ٢ ص ٢٩٧ — ٢٩٨

(٣) المرجع نفسه ج ٢ ص ٢٩٧

وقسم الترميم بمصلحة الآثار المصرية قد عملاه للطبق فى ضوء ما وجد من أجزائه[1] . وكان من السهل وضع القطع التى تشتمل على العبارتين « وعلى ابايه ا » و « لاستاذ الاستا » فى موضعهما المضبوط وذلك لاتصالهما معا بوساطة قطع خزفية أخرى ترتبط بكل منهما . وقد جاء ترتيبهما على القالب الجصى كما يلى : « وعلى ابايه ا . . . لاستاذ الاستا » .

أما العبارتان الأخريان المتبقيتان وهما « غبن مولا ا » و « حاكم بامر » فكان من الواضح أن أولاهما وهى « غبن مولا ا » تلى فى الترتيب عبارة « لاستاذ الاستا » ، ثم تليها عبارة « حاكم بامر » التى تسبق بطبيعة الحال عبارة « وعلى ابايه ا » ؛ أى أن العبارات التى لدينا من طراز الطبق ترتب كما يلى : « لاستاذ الاستا ... غبن مولا ا ... حاكم بامر ... وعلى ابايه ا ... » (شكل ٥) .

وقمت بقياس الكلمات الموجودة ، ومسافة العبارات المفقودة حتى يمكن تقدير عدد الكلمات الناقصة نسبياً على وجه التقريب . وكانت نتيجة القياس كما يلى :

لاستاذ الاستا	١٤ سم
المسافة الخالية التالية	١٩ سم
غبن مولا ا	١١ سم
طول المسافة الخالية التالية	١٦ سم
حاكم بامر	١١ر٧ سم
المسافة الخالية التالية	٢٣ر٢ سم
وعلى ابايه ا	١٤ر٢ سم
المسافة الخالية التالية	٢٠ر٥ سم

يتضح من الكشف السابق أن عبارة « لاستاذ الاستا » طولها ١٤ سم ، وعبارة « غبن مولا ا » طولها ١١ سم ، وبينهما عبارة مفقودة طولها ١٩ سم . وإذا لاحظنا أن طول هذه العبارة المفقودة سوف ينقص إلى حوالى ١٦ سم بعد تكملة حروف كلمة « الاستاذين » باضافة الحروف الناقصة وهى « ذين » أمكننا أن نرجح أن العبارة المفقودة

(١) أشرف على عمل هذا القالب الأستاذ عبد الرءوف على يوسف أمين قسم الخزف بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة .

تشتمل على كلمتين تقريباً قياساً على طول كلمات العبارات الموجودة حولها . وبما أن هاتين الكلمتين يقعان بين اللقب والاسم فمن المؤكد ـ حسب مصطلح المراسيم الاسلامية ـ أنهما أيضا من ألقاب « غبن » أو أسمائه .

وهنا نلجأ إلى كتب التاريخ لنستعين بما تلقيه من ضو على أسماء « غبن » أو ألقابه وما يتعلق بها من مصطلح . سبق أن أشرنا إلى أن الحاكم أطلق على « غبن » في سنة ٤٠٢ هـ [١٠١١م] لقب « قائد القواد » ، وأمر أن يذكر هذا اللقب فيما يكتب أو يكاتب به[1]. بالاضافة إلى ذلك أورد بعض المؤرخين خبرا آخر خاصا بمكان هذا اللقب بالنسبة للاسم ، وذلك حين الاشارة إلى إطلاقه ـ قبل « غبن » ـ على الحسين بن جوهر : إذ ورد أن الحاكم أصدر أوامره في سنة ٤٠١ هـ [١٠١٠م] بأن يخاطب الحسين بن جوهر وأن يكاتب بهذا اللقب على أن يكون اسمه تاليا للقبه[2] .

والحق أن هذه الأخبار التاريخية تفيدنا كثيرا : إذ أنها من جهة توضح أن « غبن » قد منح لقب « قائد القواد » ، وتحتم أن يذكر به ، ومن جهة أخرى توضح أن المصطلح في عصر الحاكم قد جرى على أن يأتى هذا اللقب قبل الاسم .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن المسافة الخالية تناسب طول هذا اللقب ، وأنه لم يعرف أن « غبن » كان له أسماء أو ألقاب أخرى غير « أستاذ الأستاذين » و « قائد القواد » تأكد لدينا أن الأجزاء المفقودة من الحافة بين هاتين العبارتين كانت تشتمل على عبارة « قائد القواد » .

ولقب « قائد القواد » من الألقاب المركبة على لقب « قائد » . وقائد اسم لوظيفة يطلق على من يتولى قيادة الجيش ، وقد استعمل أيضاً كلقب فخرى : فقد ذكر المقريزى أن يعقوب من كلس رتب عند الخليفة الفاطمى « العزيز» جماعة كانوا يخاطبونه « بالقائد »[3]، كما أن البطائحى نعته الأفضل « بالقائد » فصار يخاطب ويكاتب بهذا اللقب[4] .

---

(١) المقريزى : خطط ج ٢ ص ٢٩٧

(٢) Rozen : تاريخ الذيل ص ٤٠ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٥٠ ، المقريزى : خطط ج ٢ ص ١٥

(٣) المقريزى : خطط ج ٢ ص ٦

(٤) المرجع نفسه ج ١ ص ٤٦٢

وكان هذا اللقب يوصف أحيانا « بالأعلى » فيقال « القائد الأعلى » ، وقد أطلق بهذه الصيغة على ذى الوزارتين أبى عيسى بن ليون فى كتابة أثرية بتاريخ سنة ٤٨٣ هـ [١٠٩٠ م] على كرسى من أسبانيا [١] .

ومن الألقاب المترتبة على هذا اللقب أيضاً « القائد ابن القائد » ، وقد أطلقه العزيز على الحسين بن جوهر بعد موت أبيه جوهر الصقلى [٢] .

أما لقب : « قائد القواد » فقد أطلقه الحاكم ــ قبل « غبن » ــ على الحسين بن جوهر فى سنة ٣٩٠ هـ [١٠١٠ م] ، وقد قرىء سجل تلقيبه على المنابر ، وصدرت أوامر الحاكم فى سنة ٤٠١ هـ [١٠١٠ م] بأن يخاطب الحسين بن جوهر ويكاتب بلقبه على أن يكون اسمه تاليا للقبه حين المكاتبة [٣] ــ كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، وقد أطلق هذا اللقب على إحدى الحارات نسبة إلى الحسين بن جوهر الذى كان يقطنها [٤] .

أما فى حالة « غبن » فلم أعثر فى المراجع التاريخية على ما يشير إلى أن « غبن » تولى قيادة الجيش ، وأعتقد أن هذا اللقب كان لقباً فخرياً له لا سيما وأنه كان مقطوع اليد حينما لقب به .

* * *

انتقلت بعد ذلك إلى محاولة ملء الفراغ الذى يقع بين عبارة « غبن مولا ا » وعبارة « حاكم بامر » وطول هذا الفراغ ١٦ سم . وهو فراغ يناسب كلمتين كذلك . ولقد قدرت أن العبارة التى تقع بين « غبن » و « الحاكم » لا بد أنها تشير إلى الصلة بين الاسمين ؛ وبما أن الكلمة الأولى فى هذه العبارة وهى « مولا » تقع بدلا من « غبن » فقد رجحت أن ما يليها ــ وهما الكلمتان الناقصتان ــ من أسماء الحاكم أو ألقابه . ولما كانت كلمة « مولا » يليها حرف « ا » ثم جزء من حرف يمكن أن يكون «ف» أو « ق» أو « و » أو « م » فقد رجحت أن تكون العبارة المفقودة هى « أمير المؤمنين » لا سيما وأن اسم الحاكم

---

(١) Combe (É.), Sauvaget (J.) et Wiet (G.), Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe ج ٧ رقم ٢٧٢٧

(٢) المقريزى : خطط ج ٣ ص ١٤

(٣) Rozen : تاريخ الذيل ص ٤٠ ، ابن الأثير : الكامل ج ٩ ص ٥٠ ، المقريزى : خطط ج ٢ ص ١٤

(٤) كانت هذه الحارة تعرف فى أيام المقريزى باسم « درب ملوخيا » . المقريزى : خطط ج ٢ ص ١٤

« المنصور » وكنيته « أبو على » وألقابه الأخرى « كالامام » لا تناسب هذه الحروف . ومن ثم يقرأ هذا الجزء من الطراز كما يلى : « . . . لاستاذ الاستاذين قائد القواد غبن مولا أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله . . . » .

وتؤكد الأخبار التاريخية ومعلوماتنا عن مصطلح الألقاب والمراسيم الاسلامية هذا الرأى .

فقد ذكرت المراجع التاريخية أن الحاكم بأمر الله أمر الناس فى سنة ٣٩٠ هـ [١٠٠٠ م] أن يقتصروا فى مناداته على لقب « أمير المؤمنين » وجعل الاعدام عقوبة لمن يخالف ذلك (١) .

وقد صار لقب « أمير المؤمنين » لقباً عاماً للخلفاء منذ أن تلقب به عمر بن الخطاب ، فأطلق على الخلفاء ومدعى الخلافة فى جميع أنحاء العالم الاسلامى سواء أكانوا من السنة أم من الشيعة . وتتفق النقوش الأثرية وأوراق البردى مع الروايات التاريخية فى إطلاقه على خلفاء بنى أمية ، وبنى العباس ، والفاطميين منذ عبيد الله المهدى ، والأمويين فى الأندلس منذ أن تلقب عبد الرحمن الناصر بالخلافة فى سنة ٣١٦ هـ [٩٢٨ م] ، وغيرهم ممن ادعى الخلافة كبنى حفص فى تونس » (٢) » .

أما ورود لقب « أمير المؤمنين » قبل نعت « الحاكم بأمر الله » فيتفق مع مصطلح بعض المراسيم الأخرى الخاصة بهذا الخليفة وبالفاطميين ومنها كتابة أثرية على باب كان قد أهداه الحاكم فى سنة ٤٠٠ هـ [١٠١٠ م] إلى جامع الأزهر ، ومحفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة [رقم ٥٥١] ونصها : « مولانا أمير المؤمنين الامام الحاكم بأمر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه » .

كما وردت عبارة « أمير المؤمنين على بن أبى طالب » على شاهد من الرخام من مصر بتاريخ ٦ ذى القعدة سنة ٤٨٤ هـ [٢٠ ديسمبر سنة ١٠٩١ م] (٣) .

والحق أن لقب « أمير المؤمنين » فى نصنا يدخل ضمن لقب آخر هو « مولا أمير المؤمنين » الذى أطلق على «غبن » فى طراز الصحن . ولقد جرت العادة أن ينعت كبار

---

(١) الدكتور حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ٢٢٦

(٢) انظر كتابنا « الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » ص ١٩٤ — ١٩٧

(٣) محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة [رقم ٦٧١٨] .

رجال الدولة فى ذلك العصر بهذا اللقب فى المراسيم . وذكر القلقشندى بخصوصه أنه « فى القديم كان يقتصر عند كتابة العهود على ما يلقب به الملك أو يكنى به من ديوان الخلافة ثم يقال « مولا أمير المؤمنين » [١] . وكانت « مولا » تضاف فى المراسيم أحيانا إلى لقب « أمير المؤمنين » وأحيانا أخرى إلى النعت أو الاسم كأن يقال مثلا « مولى المأمون » [٢] أو « مولى على بن أبى طالب » [٣]. وهذا يفسر ورودها فى نصنا قبل لقب « أمير المؤمنين» ونعت « الحاكم بأمر الله » .

أما ورود لقب « مولا أمير المؤمنين » بعد الاسم « غبن » فيتفق مع الترتيب المكانى للألقاب الاسلامية فى ذلك العصر إذ أنه اصطلح على أن يأتى هذا اللقب بعد الاسم، والأدلة على ذلك كثيرة، ومن ذلك مثلا وروده على صنجة زجاجية من مصر من سنة ٢٢٣هـ [٧٣٨م] باسم « الأمير أبو جعفر اشناس مولى أمير المؤمنين » [٤]

ويوضح لقب « مولا أمير المؤمنين » وغيره من الألقاب المضافة إلى « أمير المؤمنين » نوعا من الصلة بين الخليفة والملقب ؛ وما هية هذه الصلة تلقى بعض الضوء على مقدار السلطة التى يتمتع بها كل منهما من ناحية ، ونوع العلاقة بينهما من ناحية أخرى .

ولقد عرف فى الدولة الفاطمية لقب آخر يشير إلى مبالغة فى التذلل للخليفة الفاطمى وهو لقب « عبد أمير المؤمنين » الذى أطلق على يعقوب ابن كلس فى طراز قطعة من النسيج من مصر باسم الخليفة العزيز [٥] ، وكذلك على أبى محمد الحسن بن عمار فى طراز قطعة أخرى باسم الحاكم بتاريخ سنة ٣٨٦ هـ [٦] [٩٩٦ م] .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٠ ص ٥

(٢) أطلق على طاهر بن الحسين فى سكة بتاريخ سنة ١٩٥هـ [٨١٠م] من المحمدية Inventaire des Monnaies des Khalifes Orientaux et de plusieurs autres Dynasties. Classes I-IX-XXV Collections Scientifiques de l'Institut des langues Orientales du Ministères des Affaires Etrangères. Saint-Pétersbourg 1877 رقم ٤٢١ ص ٣٤

(٣) Combe (É.), Sauvaget (J.) et Wiet (G.), Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe ج ١ رقم ١٥٠

(٤) Lane-Poole, Cat. of Ar. Glass Weights in Br. Mus. ص ١٩

(٥) Combe (É.), Sauvaget (J.) et Wiet (G.), Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe ج ٥ رقم ١٨٨٧

(٦) المرجع نفسه ج ٦ رقم ٢٠٤٨

على أن إطلاق لقب « مولا أمير المؤمنين » على « غبن » يشير كذلك إلى أن الخليفة الفاطمى الحاكم لم يزل متمتعا بنفوذه وسلطانه إذ أن لفظة « مولا » من معانيها العتيق ، ومن ثم يمكن تفسير هذا اللقب فى حالة استعماله كلقب فخرى بأن الصلة بين صاحب اللقب والخليفة تشبه الصلة بين المعتق وسيده من حيث الاعتراف بجميل العتق والاحتياج إلى المساعدة والانتصار [1] .

ومن المحتمل أن إطلاق هذا اللقب على « غبن » يصور واقعة تنسب إلى الحاكم : فقد ورد فى بعض المراجع التاريخية أن الخليفة أعتق جميع غلمانه فى سنة ٤٠٤ هـ [١٠١٣ م] وزودهم بمبالغ من المال يستعينون بها على حياة الحرية [2] .

ولم يعرف استعمال لقب آخر من الألقاب المضافة إلى « أمير المؤمنين » فى العصر الفاطمى إلى أن أطلق لقب « صفى أمير المؤمنين وخالصته » على الجرجرائى فى مرسوم تعيينه للوزارة فى خلافة الظاهر فى سنة ٤١٨ هـ [3] [١٠٢٧ م] . ويمكن أن يعتبر ذلك صدى لتغيير ملحوظ فى ماهية الصلة بين الخليفة ورجال الدولة ، ومظهرا لضعف طرأ على مركز الخلفاء . ولقد عرف لقب « صفى أمير المؤمنين » فى الخلافة العباسية قبل ذلك بنحو ربع قرن من الزمان وذلك حين أطلق فى سنة ٣٩٢ هـ [١٠٠١ م] على بهاء الدولة عندما لقبه به الخليفة العباسى القادر بدلا من لقب « مولى أمير المؤمنين » [4] . وكان ذلك من غير شك مظهرا رسميا للتدهور الفعلى لسلطة الخليفة العباسى إزاء نفوذ بنى بويه .

* * *

بعد ذلك انتقلت إلى الفراغ التالى وهو الواقع بين عبارة « حاكم بامر » وعبارة « وعلى ابايه » وطوله ٢٣٫٢ سم . وكان من الواضح أن القطع الخزفية المفقودة هنا كانت تشتمل على تكملة نعت الحاكم — أى كلمة « الله » ... يليها الدعاء الفاطمى المعروف

---

(١) أنظر كتابنا « الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » ص ٢٠٨

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ص ٢٠٧

(٣) ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٥ . وقد أطلق هذا اللقب على الجرجرائى فى عدد من الكتابات الأثرية ، أنظر Amari, Le epigrafi arabiche di Sicilia ج ٣ ص ١٨ ، Combe (É), Sauvaget (J.) et Wiet (G.), Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe ج ٧ رقم ٤٢٥ ، Wiet (G.), Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum مصر ج ٢ ص ١٤٥

(٤) المقريزى : سلوك ص ٢٩

« صلوات الله عليه » . وهــذه الكلمات تناسب المسافة التى لدينا . وإذا دققنا النظر فى بداية الكتابة التالية « وعلى ابايه » لاحظنا أن هذه العبارة تسبقها نهاية حرف « ه » ، وهذه تتفق مع نهاية الدعاء . كما يلاحظ أن عبارة « وعلى ابايه » يعقبها حرف « ا » مما يرجح تكملتها بالصيغة المشهورة « الطاهرين » التى كان أبناء الخلفاء يوصفون بها فى المراسيم الفاطمية .

ويؤكد لدينا صحة هذه التكملة أن هذه الصيغة الدعائية « صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين » وردت فى نقش من مسجد الحاكم بأمر الله [1] ، وكذلك فى الكتابة الأثرية الموجودة على الباب الخشبى الذى أهداه الحاكم إلى الأزهر فى سنة ٤٠٠ ه [١٠١٠ م] والذى سبقت الاشارة إليه [2] .

* * *

لم يبق الآن غير فراغ أخير وهو الواقع بين « وعلى ابايه » وعبارة « لأستاذ الأستاذين » وطوله ٥ر٢٠ سم . أما وقد أمكننا أن نملأ جزءا من هذا الفراغ بكلمة « الطاهرين » اللاحقة لعبارة « وعلى ابايه » وطولها حوالى ٧ سم فانه يتبقى لدينا فراغ طوله حوالى ٥ر١٣ سم ، وهو يكفى كلمتين تقريبا .

وقياسا على المراسيم المعاصرة وجدت عدة احتمالات لملء هذا الفراغ . فمن المحتمل مثلا أن تكون الكلمتان تكملة للدعاء السابق ، وبذلك يصبح الدعاء « صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين » أو ما أشبه ذلك من الأدعية الفاطمية المألوفة . وفى هذه الحالة تبدأ كتابة الطبق بعبارة « لأستاذ الأستاذين » . وقد عثرت على مراسيم إسلامية تبدأ بافتتاحيات مشابهة ، من ذلك كتابة على قنينة من الفضة من روسيا من حوالى سنة ٤٥٠ ه [١٠٥٨ م] جاء فيها : « للأمير الجليل أبى على الحسين بن يعقوب الصلطون مولى أمير المؤمنين » [3] ، وكذلك كتابة أخرى على زهرية من الفضة على شكل مشكاة

---

(١) Van Berchem, Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arobicarum. Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe ، ٤٥٢ ج ١ رقم Égypte ج ٦ رقم ٢٠٩٣ ص ٤٧

(٢) بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة [رقم ٥٥١] .

(٣) Combe (É.), Sauvaget (J.) et Wiet (G.), Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe ج ٧ ص ١٤٠

جامع ، من روسيا أيضا ، ومن حوالى التاريخ السابق نفسه ؛ ونصها : « لأبى سعيد عراف (؟) بن [ا] لحسين (؟) مولى أمير المؤمنين [1] » .

غير أننى لاحظت أن عبارة « لاستاذ الأستاذين » يسبقها نهاية حرف يرجح أنه حرف « ل » مما يشير إلى أن الكلمات الناقصة تنتهى بكلمة آخرها هذا الحرف ، وإلى الآن لم أصادف فى المراسيم الفاطمية دعاء مناسبا يختتم بهذا الحرف .

ولقد دفعنى هذا إلى التفكير فى فرض آخر : إذ من الجائز أن تنتهى الكتابة بكلمة « الطاهرين » ، ومن ثم تبدأ بعبارة تسبق عبارة «لاستاذ الاستاذين» وتنتهى بحرف «ل» .

وقد أخذت فى البحث عن العبارة المناسبة التى تنتهى بحرف «ل» فى المراسيم المعاصرة والقريبة من المعاصرة إلى أن اهتديت إلى عبارتين يمكن أن تناسب كل منهما هذا الوضع وتدل إحداهما على العمل أو الأمر بالعمل ، والأخرى على دعاء .

من المحتمل أن تبدأ الكتابة بعبارة « برسم ما عمل » أو « مما عمل » . وقد وردت العبارة الأولى على الخزف فى مصر ، ولكن من عصر المماليك ، وأقصد بذلك العبارة التى وردت على ظاهر قاع إناء من الخزف المرسوم تحت الدهان ، وهو يرجع إلى القرن الثامن الهجرى [١٤ م] ، ومحفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة [رقم ٤٧ / ٥٤٠٤] ، ونص العبارة : « برسم ما عمل لسيدى ناصر الدين الترجمان » [2] . ولكننى لم أعثر على مثل هذه الصيغة فى الكتابات الأثرية الفاطمية أو المعاصرة .

أما عبارة « مما عمل » فهى كثيرة الورود فى الطرز الاسلامية ، ولكنها لا ترد عادة فى أول الكتابة ، كما كانت يليها فى أغلب الأحيان ما يدل على مكان الصناعة كأن يقال مثلا « مما عمل بمدينة بغداد » [3] أو « مما عمل فى طراز الخاصة » [4] .

---

(١) المرجع نفسه ج ٧ ص ١٤٠

(٢) La Céramique Égyptienne de L'Époque Musulmane لوحة ١٢٧ ؛ Aly Bahgat et Félix Massoul, La Céramique Musulmane de L'Égypte ض ٧٤ لوحة ٨١ M. Armand Abel, Gaibi et Les Grands ؛ 81 bis 'K. Faïenciers Égyptiens d'Époque Mamlouke avec un Catalogue de Leurs oeuvres conservées au Musée d'Art Arabe du Caire ص ١٣

(٣) من ذلك نسيج من الحرير من العراق من حوالى سنة ٤٥٠ هـ [١٠٥٨ م] جاء فيها : « هاذا ما عمل بمدينة بغداد حرسها الله » انظر Combe (É.), Sauvaget (J.) et Wiet (G.), Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe ج ٧ ص ١٤٠

(٤) من ذلك قطعة من النسيج باسم المعز لدين الله . أنظر المرجع السابق ج ٥ ص ٩١ رقم ١٨١٤

وهذا يقودنا إلى مناقشة الاحتمال الثالث وهو أن تبدأ الكتابة بدعاء . ولقد جرت العادة أن تفتتح المراسيم الاسلامية بالدعاء كأن يقال مثلا « بركة من الله » وأشباهها من الأدعية المعروفة .

وبمراجعتى للأدعية المعاصرة لكتابتنا والخاصة بغير الخلفاء وجدت أن أنسبها للكتابة التى نحن بصددها هى عبارة « عز وإقبال » ، إذ أنها ـ فضلا عن ملاءمتها للمسافة الباقية ـ وردت فى حال مشابهة : فقد بدىء بها طراز على نسيج من إيران من حوالى سنة ٣٤٩ هـ [٨٦٠ م] جاء فيه : « عز وإقبال للقائد أبى منصور بختكين أطال الله بقاءه . . . » [١] كما وردت فى طراز آخر على قميص من الحرير من العراق من حوالى سنة ٤٠٣هـ [١٠١٢ م] باسم أبى منصور بن عضد الدولة ، وقد جاء فيه : « عز وإقبال لملك الملوك . . . أبو نصر ابن عضد الدولة . . . » [٢] ، وكذلك وردت فى سطر من الكتابة الكوفية يعلو رسما على ورق يمثل شخصين واقفين وبينهما شجرة ، من مصر من حوالى القرن الخامس أو السادس الهجرى [١١ ـــ ١٢ م] ، ومحفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة [رقم ١٣٧٠٣] ، وقد جاء فيه : « عز وإقبال للقائد أبى منصـ » [٣] .

وبدراسة هذه الاحتمالات المختلفة أعتقد أن أنسب العبارات لملء الفراغ الباقى من كتابة الصحن هى الدعاء « عز وإقبال » .

وهكذا يمكن إعادة الكتابة التى كانت تلف على طول حافة الطبق إلى حالتها الأصلية على النحو التالى : « [عز وإقبال]ل لأستاذ الأستا[ذين قائد القواد] غبن مولا أ[مير المؤمنين ال]حاكم بأمر [الله صلوات الله علي]ه وعلى آبايه ا[لطاهرين] » .

* * *

ليس من شك فى أن تحقيق اسم صاحب الطبق وتحقيق ألقابه يفيد فى التوصل إلى تاريخ صناعته . حقا إنه كان من الواضح ـ قبل قراءة اسم غبن ـ أن الطبق يرجع إلى عصر الحاكم بأمر الله[٤] أى من سنة ٣٨٥ هـ إلى سنة ٤١١ هـ [٩٩٥ م ـ ١٠٢١ م] ،

---

(١) المرجع نفسه ج ٤ ص ١٥٥ رقم ١٥٠٧

(٢) المرجع السابق ج ٦ ص ٩٦

(٣) المرحوم الدكتور زكى محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية شكل ٢ ٨٥

(٤) Arthur Lane, Early Islamic pottery. Mesopotamia, Egypt and Persia ص ٣١ لوحة ٢٥ ا

كما أن الأستاذ الدكتور محمد مصطفى مدير متحف الفن الاسلامى أرجعه - براعة موفقة - إلى بداية القرن الخامس الهجرى [1] [١١ م] ، على أساس دراسة زخارفه ؛ غير أننا يمكننا الآن أن نؤرخ الطبق على وجه التحديد ، بعد أن نسبناه إلى صاحبه « غبن » .

فى التاسع من شهر ربيع الآخر سنة ٤٠٢ هـ [٩ نوفمبر سنة ١٠١١ م] لقب الحاكم بأمر الله « غبن » بلقب « قائد القواد » وأمر أن يكتب وأن يكاتب به - كما أشرنا إلى ذلك من قبل . وفى ذى القعدة من السنة نفسها [يونيه سنة ١٠١٢ م] قلده الحاكم الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجيزة ، ووكل إليه النظر فى أمور أهلها وأموالهم وأحوالهم . ولكن لم يلبث الحاكم أن صرفه عن الشرطتين والحسبة فى أول صفر سنة ٤٠٤ هـ [١٢ أغسطس سنة ١٠١٣ م] ؛ ثم غضب عليه بعد ذلك فعاقبه عقاباً قاسياً مات على أثره فى جمادى الأولى من السنة نفسها [نوفمبر سنة ١٠١٣ م] .

وبمقارنة هذه الأخبار التاريخية بكتابة الطبق يمكن أن نرجع تاريخ صنع الطبق إلى فترة طولها نحو سنتين تبدأ من ربيع الآخر سنة ٤٠٢ هـ [نوفمبر سنة ١٠١١ م] - تاريخ تلقيب غبن بلقب « قائد القواد » - إلى جمادى الأولى سنة ٤٠٤ هـ [نوفمبر سنة ١٠١٣ م] تاريخ وفاته .

* * *

وبعد فلدينا الآن بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة طبق كبير مؤرخ من الخزف ذى البريق المعدنى ، باسم أحد رجال الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، يقوم بزخارفه وكتابته الجميلة دليلا مادياً ملموساً على ما بلغه المصريون فى ذلك العصر من مستوى رفيع فى الذوق الفنى ، ويبعث الحياة فيما ذكره المؤرخون من أخبار عن المجتمع الفاطمى فى عصر الحاكم ومراسيمه . وفى الوقت نفسه أصبح لدى علماء الآثار زخرفة مؤرخة على الخزف تساعد - من غير شك - على دراسة الخزف الاسلامى عامة والفاطمى خاصة ، لا سيما وأنه ليس لدينا أية تحف خزفية مؤرخة أخرى من العصر الفاطمى . ولقد أتم فعلا الأستاذ عبد الرءوف على يوسف أمين قسم الخزف بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة دراسة الزخرفة الفاطمية على الخزف ذى البريق المعدنى فى ضوء هذا الطبق المؤرخ .

---

(١) دليل موجز لمتحف الفن الإسلامى ص ٥٧ — ٥٨



(شكل ١)
قطع خزفية من طبق
غبن » عليها عبارة
حاكم بامر »



(شكل ٢)
قطع خزفية من طبق «غبن»
عليها عبارة « وعلى ابابه ا »



(شكل ٣)

قطع خزفية من طبق « غبن » عليها عبارة « لاستاذ الاستا »



(شكل ٤)

قطعة خزفية من طبق « غبن » عليها عبارة « غبن مولا ا »



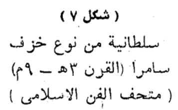
(شكل ٥)

القطع الخزفية موزعة فى أماكنها الصحيحة على القالب الجصى الذى عمل لطبق « غبن »



(شكل ٦)
الزخارف على ظاهر
أجزاء طبق غبن

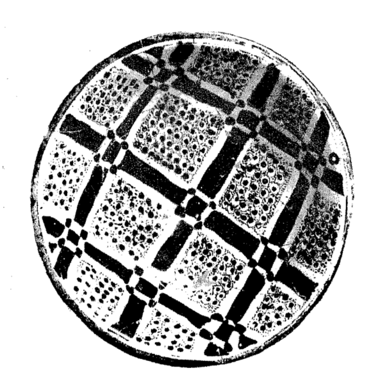




(شكل ٧)
سلطانية من نوع خزف
سامرا (القرن ٣هـ ــ ٩م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٨)
سلطانية من نوع خزف
سامرا (القرن ٣ هـ - ٩م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٩)
سلطانية من نوع خزف
سامرا (القرن ٣ هـ - ٩م)
(متحف الفن الاسلامى)



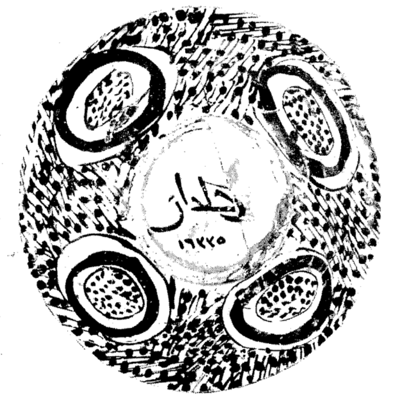
(شكل ١٠)
سلطانية من نوع خزف
سامرا (القرن ٣ هـ - ٩م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ١١)
ظاهر السلطانية (شكل ٨)



(شكل ١٢)
صحن صغير من العصر
الطولونى نهـاية القـرن
(٣ هـ ـ ٩ م)
(متحف الفن الاسلامى)



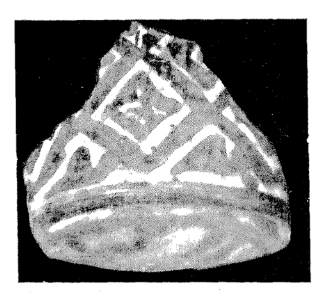
(شكل ١٣)
ظاهر الطبق السابق



(شكل ١٤)
جزء من قاع اناء عليه توقيع نفس الصانع
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ١٥)
جزء من قاع وجدار قدر من العصر الطولونى (نهاية القرن ٣ هـ ـ ٩ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ١٦)

جزء من قاع وجدار قدر من العصر الطولونى (نهاية القرن ٣ هـ ــ ٩ م)

(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ١٧)

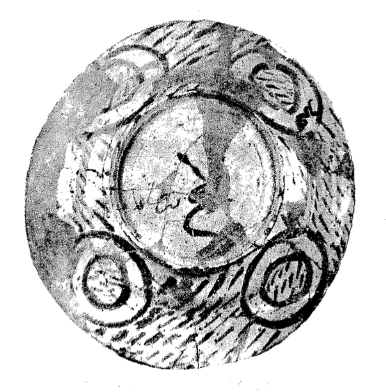
جانب من سلطانية عميقة مخروطية الشكل من العصر الطولونى

(نهاية القرن ٣ هـ ــ ٩ م)

(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ١٨)
طبق على البيطار (أواخر القرن ١٠ م ـ أوائل القرن ١١ م)
(متحف الفن الاسلامى)



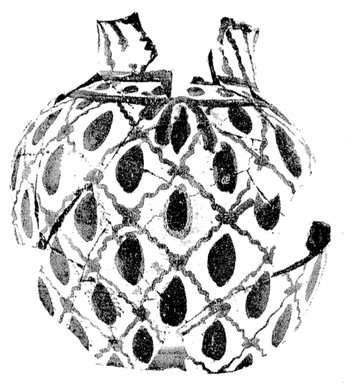
(شكل ١٩)
ظاهر الطبق السابق عليه توقيع الصانع



(شكل ٢٠)
جزء من قدر من العصر الطولونى (نهاية القرن ٣ هـ ــ ٩ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٢١)
قدر صغير من صـناعة
العراق (القرن ٣هـ ــ ٩م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٢٢)
جانب من قــدر (على البيطار) أواخر القــرن ١٠م ــ أوائل القرن ١١م (متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٢٣)
تفاصيل من القدر السابق عليه (عمل على البيطار بمصر)



(شكل ٢٤)
قدر : مصر ـ أواخـر القرن ١٠م ، أوائل القرن ١١م
(مجموعة كليكيان)



(شكل ٢٥)
قدر : مصر ـ أواخـر القرن ١٠م ، أوائل ١١م
(متحف برلين)



(شكل ٢٦)
قــدر : مصر ـ أوائل
القرن ١١ م
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٢٧)
قدر : أسلوب سـعد
ومدرسته (القرن ١١ ـ
١٢ م)
(متحف فكتوريا والبرت)



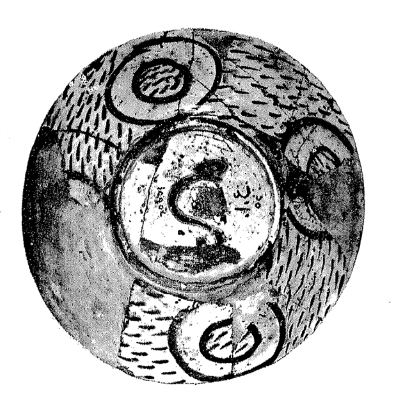
(شكل ٢٨)
قدر : أسلوب سعد ومدرسته
(القرن ١١ ــ ١٢ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٢٩)
قدر : أسلوب سعد
ومدرسته (القرن ١١ ــ
١٣ م)
(متحف الفن الاسلامى)



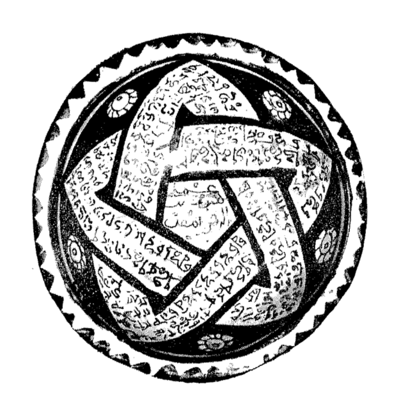
(شكل ٣٠)
طبق ابراهيم (أواخر القرن ١٠ م ، أوائل القرن ١١ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٣١)
ظاهر الطبق السابق



(شكل ٣٢)
تفاصيل من الطبق عليها « عمل ابراهيم بمصر »



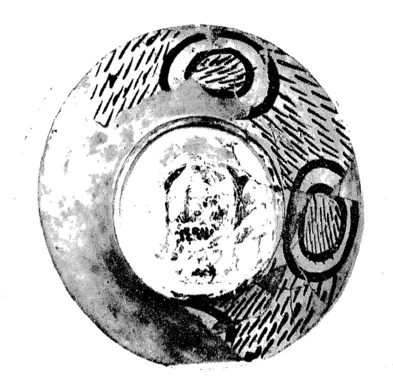
(شكل ٣٣)
طبق هيثم بن ابراهيم (الثلث الأول من القرن الحادى عشر الميلادى)
(متحف الفن الاسلامى)



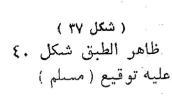
(شكل ٣٤)
ظاهر الطبق السابق



(شكل ٣٥)
طبق عليه « عمل مسلم بن الدهان » من انتاجه المبكر (أوائل القرن ١١ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٣٦)
ظاهر الطبق السابق



(شكل ٣٧)
ظاهر الطبق شكل ٤٠
عليه توقيع (مسلم)





(شكل ٣٨)
طبق ينسب الى(مسلم)
من انتاجه المبكر (أوائل
القرن ١١ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٣٩)
طبق ينسب الى(مسلم)
من انتاجه المبكر (أوائل
القرن ١١ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٤٠)
طبق عليه توقيع (مسلم)
من انتاجه المبكر (أوائل
القرن ١١ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٤١)
قاع اناء عليــه توقيع
(مسلم) من انتاجه المبكر
(أوائل القرن ١١ م)
(عن كتاب الخزف للأستاذ
على بهجت)



(شكل ٤٢)
قاع اناء عليه توقيع (مسلم) من انتاجه المبكر (أوائل ١١ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٤٣)
قاع اناء عليه توقيع
(مسلم) من انتاجه
المبكر (أوائل القرن ١١م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٤٤)
قاع اناء عليه توقيع (مسلم) من انتاجه المبكر (أوائل القرن ١١ م)
(متحف الفن الاسلامى)

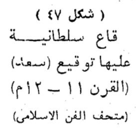


(شكل ٤٥)
طبق عليه توقيع (مسلم) من انتـــاجه المتطور (النصف الأول من القرن ١١ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٤٦)
طبق ينسب الى مسلم من انتــاجه المتطور (النصف الأول من القــرن ١١ م)
(متحف الفن الاسلامى)





(شكل ٤٧)
قاع سلطانيــــة عليها توقيع (سعد) (القرن ١١ ــ ١٢م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٤٨)
قاع انـاء من أسـلوب
سعد ومدرسته (القرن
١١ ــ ١٢ م)
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٤٩)
قاع من أسلوب سعد
ومدرســته (القرن ١١
ــ ١٢ م) .
(متحف الفن الاسلامى)



(شكل ٥٠)

قاع اناء من أسلوب سعد ومدرسته (القرن ١١ ــ ١٢ م)

(متحف الفن الاسلامى)

طبق «غبن» والخزف الفاطمى المبكر

بقلم عبد الرءوف على يوسف

أمين قسم الخزف بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة

(راجعه الأستاذ الدكتور فريد شافعى)

كان تحقيق طبق غبن ونسبته إلى صاحبه وتكملة طرازه وتأريخه على وجه الدقة التى قام بها الدكتور حسن الباشا[1] حافزاً لى لدراسة الزخرفة على الخزف المرسوم بالبريق المعدنى فى العصر الفاطمى المبكر . وقد اعتبرت زخرفة طبق غبن نقطة ارتكاز فى دراسة منتجات هذا العصر ، نظراً لأهميته من حيث تاريخه المحدد ونسبته لفرد بعينه وما يحويه من عناصر زخرفية مميزة وما فيه من جمال فنى .

وصف عام :

طبق غبن طبق كبير عميق من الخزف المدهون بالبريق المعدنى الأصفر الداكن يبلغ قطر فوهته حوالى ٥٠ سم وارتفاعه حوالى ١٢ سم ، وجوانبه مائلة بأسفلها تقعير بسيط وحافته تتبع انحناء الجدار فتميل منفرجة إلى الخارج بانحناء خفيف . ويرتكز الطبق على قاعدة مستديرة منخفضة يبلغ ارتفاعها سنتيمتراً واحداً تقريباً . (لوحة ج شكل ١) .

أما عجينته فصلصالية جيرية (argilo-calcaire) لونها أحمر وردى تغطيها طبقة غير شفافة من الميناء القصديرية لونها أبيض عاجى ، رسمت فوقها الزخارف بالبريق المعدنى الأصفر الداكن الذى يميل لونه إلى الاحمرار فى بعض المواضع فيصير أحمر نحاسياً . ونجد بالميناء شقوقاً رفيعة شعرية خصوصاً على ظاهر الطبق ولكنها بسيطة لا تؤثر فى مظهر هذه التحفة الفنية .

---

(١) الدكتور حسن الباشا : طبق باسم « غبن » مولى الحاكم بأمر الله (فى مجلة كلية الآداب المقالة السابقة بنفس هذا العدد) .

وتتألف زخارف الطبق من ثمان مناطق مثلثة الشكل متساوية لعلها كانت تلتقي في نقطة المركز أو في دائرة صغيرة حولها . ويحدها من أعلاها شريط دائري يدور على حافة الطبق ويحمل نصاً بالخط الكوفي المنقوط . وفي أربع من هذه المناطق المثلثة الشكل نجد جامات لوزية الشكل متقابلة تتجه برؤوسها نحو الحافة ، وأربع مناطق أخرى بكل منها شجيرة مبسطة وذلك على التبادل (شكل ٥) .

أما الجامة اللوزية ، فتضم زخارف نباتية متماثلة تتألف من ورقتين جناحيتين متقابلتين يخرج من رأسيهما نصفا مروحة نخيلية متقابلان بكل منهما ثلاثة فصوص ، ويفصل بينهما بقعة تشبه المعين فتبدو أرضية الرسوم البيضاء خطاً رفيعاً موازياً للعناصر الزخرفية . ويملأ فراغ كل ركن من ركني المنطقة المثلثة نصف مروحة نخيلية مستعرضة توازي دائرة الكتابة ، ولها فصان أو ثلاثة فصوص ، وينثني فرعا الورقتين فيوازيان بدن الجامة الكمثرية ، ويتصل بكل ورقة ورقة أخرى لها حافة مفصصة . ويتصل بقاع الجامة الكمثرية دائرة صغيرة بها زخارف نباتية من ورقتين جناحيتين في وضع متماثل .

أما المناطق الأربع الأخرى فنجد بها رسم أربع شجيرات مبسطة ، بقي لنا منها شجيرة واحدة كاملة تقريباً والجزء الأسفل من شجيرتين أخرتين . ونستطيع أن نميز من هذه البقايا نوعين من الشجيرات تتشابه كلها في جزئها العلوي ، فتتألف من ساق رفيع على كل جانب منه ثلاثة فروع متقابلة تخرج منها وريقات صغيرة متماثلة . أما الجزء الأسفل من الشجيرات فنجد منها شجيرتين قاعدتا الساق فيهما مثلثتا الشكل تكتنفان منطقة مثلثة بها جامة كمثرية ، ويقابلهما شجيرة قاعدة ساقها كمثرية الشكل رسمت عليها زخارف نباتية تشبه الرسوم النباتية في الجامة الكمثرية المجاورة وفي الدائرة الصغيرة المتصلة بأسفلها . فيبدو جذع الشجيرة كأنه جامة كمثرية أخرى أصغر حجما يتفرع من عنقها على الجانبين فرعان صغيران بكل منهما ورقة جناحية تخرج منها أخرى في وضع معكوس .

وأما الشجيرة الرابعة الناقصة فلا نشك في أنها كانت مماثلة لجارتها هذه أي أنهما كانتا ذواتي جذع كمثري ، وتكتنفان جامة كمثرية أخرى في تقابل مع الشجيرتين السابقتين .

ونرى أن الفنان أراد أن يخفف من حدة التباين في رسم جذوع الشجيرات فشابه بين مايخرج بجوارهما من أوراق . هذا مع فروق بسيطة في رسم العناصر النباتيه المتشابهة تكسب زخارف الطبق تنوعاً مقصوداً يبعدها عن التماثل المطلق الممل رغم تكرار الوحدات الزخرفية ، ويهدف إلى راحة العين الناظرة ويدفعها إلى تتبع تفاصيل الزخارف والمقارنة بينها .

وتغطى الميناء ظاهر الطبق كله بما فيه القاعدة وتزخرف ظاهر الطبق أربع مجموعات من دوائر كبيرة موزعة على جوانبه ، تتألف كل منها من دائرتين متحدتى المركز . والدائرة الداخلية تملؤها خطوط صغيرة مائلة ، ونجد خارج الدوائر خطوطاً من نفس النوع تغطى جوانب الطبق دون القاعدة التى نجد عليها بقية حروف نعتقد أنها توقيع الصانع . (شكل ٦).

أسلوب صناعة الطبق :

ولما كانت عجينة الطبق طينية ذات لون أحمر عند حرقها ، فقد عمد الخزاف - كما كان متبعاً منذ العصر الطولونى - إلى تغطيتها بطبقة غير شفافة من الميناء القصديرية فيصبح لونها أبيض عاجياً [١] . ورسمت زخارف الطبق بالأكاسيد المعدنية بعد حرقه للمرة الأولى ثم ثبتت الرسوم بحرقه مرة ثانية فى درجة حرارة منخفضة جداً [٢] ، فصار له هذا المظهر الأخاذ الذى نعرفه بالبريق المعدنى .

ونجد بالطبق شقوقاً صغيرة شعرية فى الميناء نميزها بصعوبة ولكنها تتضح على ظاهره ، وهذه ظاهرة نصادفها كثيراً فى الخزف ذى البريق المعدنى بسبب حرقه عدة مرات لتثبيت زخارفه وما يعقب كل مرة من تبريد ، مما يؤثر على الميناء القصديرية فتحدث فيها هذه الشقوق الشعرية . وكذلك نجد هذه الظاهرة فى تحف الخزف الكبيرة الحجم التى يبست عجينتها باضافة كمية من الرمل لها حتى لا تكسر عند حرقها [٣] . وأحيانا تحدث هذه الشقوق الصغيرة نتيجة للرطوبة والأملاح الموجودة بالتربة التى دفنت فيها هذه القطع الأثرية .

أما ميناء الطبق فبرغم بياضها الناصع لكثرة ما فيها من قصدير فنجد به ثقوباً صغيرة لم تسدها الميناء ، وهذا يحدث غالباً فى قطع الخزف التى لم تيبس عجينتها كما هو الحال فى طبق غبن [٤] (شكل ٢) .

وقد أدى عدم يُبس العجينة هنا إلى اختلاف بسيط فى انحناء جانب من الطبق عن الجانب الآخر ، وهو أمر مألوف أثناء عملية الحرق فيحدث أن يتأثر جانب من الطبق

---

(١) نجد لون الميناء أحيانا يميل الى الزرقة الخفيفة إذا قل ما فيها من قصدير .

(٢) ديماند : الفنون الاسلامية (ترجمة أحمد محمد عيسى) ص ١٧٥ ،

A. Bahgat, F. Massoul: La Céramique Musulmane de L'Egypte: p, 19, 20.

(٣) A. Bahgat, F. Massoul: ibid, p. 15, 42.

(٤) A. Babgat, F. Massoul: ibid, p. 15.

بالحرارة أكثر من الجانب الآخر فيلين بعض الشيء مما يغير قليلا من قطاع الجدار في هذا الجزء .

أما تدرج اللون الذى سبقت الاشارة إليه من اللون الأصفر الداكن إلى اللون الأحمر النحاسى فى أجزاء من الطبق ، فهو أمر مشاهد فى الخزف ذى البريق المعدنى ، لأن هذه التحف النفيسة كانت تحرق فى أفران عادية وقودها الحلفاء وقش الأرز [١] . فلا نعجب إن أصاب اللهب جانباً من الطبق فلوح لونه فى بعض أجزائه فصار لونها أحمر نحاسياً . وحدث فى مواضع أخرى أن لونت الأرضية البيضاء أثناء عملية الحرق بظلال من اللون الذهبى .

الشكل العام للطبق :

والطبق فى شكله العام متطور عن أشكال الأوانى الطولونية التى نجد فيها تقليداً أميناً لخزف سامرا بأشكاله وزخارفه ، رغم ما بين النوعين من فروق بسيطة فى ألوان البريق المعدنى وبعض العناصر الزخرفية [٢] .

فنجد فى الخزف الطولونى أشكالا ثلاثة للأطباق والصحاف ، نجدها كذلك فى الخزف المعروف بخزف سامرا [٣] ، وهذه الأشكال هى :

١ — أطباق عميقة ناقوسية الشكل . لوحة (ا) شكل ١ ، لوحة (ب) شكل ١

٢ — صحون مسطحة قليلة العمق لها قاعدة منخفضة جداً أو ليس لها قاعده (لوحة(ا) شكل ٢ ، لوحة (ب) شكل ٢) .

٣ — سلاطين عميقة مخروطية الشكل (لوحة (ا) شكل ٣ ، لوحة (ب) شكل٣)

وطبق غبن من النوع العميق الناقوسى الشكل مع تطور نلمسه فى ميل جدرانه وانفراجها إلى الخارج وتقعير خفيف فى أسفلها . (لوحة) (ج) (شكل١) .

---

(١) ابن الأخوة : معالم القرية فى أحكام الحسبة : نشر (Reuben Levy) ص ٢٢٣ ،
A. Bahgat, F. Massoul: Ibid, p 27, 28.

(٢) زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر : ص ١٠٢ ،
A. Bahgat, F. Massoul: Ibid, p. 46, 47.

(٣) Pézard: La Céramique Archaïque de l'Islam et ses Origines Pl, CXLII, CXL; F. Sarre: Die Kermik von Samarra, Taf, XIII 2, XVI 2,

أما القاعدة فمنخفضة جداً بالنسبة لحجمه الكبير ويغطى الميناء كل أجزائها ، وهذه صفة تميز أطباق العصر الفاطمى المبكر الذى ورثها عن الخزف الطولونى وخزف سامرا [١]، فنجد فى الخزف الفاطمى المبكر استمراراً للأسلوب القديم . لوحة (حـ) من شكل (١) إلى شكل (٥) .

أما عن حجم الطبق الكبير فنجد أمثلة له فى مجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة من الخزف ذى البريق المعدنى الفاطمى[٢] . ويذكر المقريزى « الصحون الخزفية » فى اسمطة الدولة الفاطمية وأن الواحد منها كان يسع « سبع دجاجات وهى مترعة بالألوان الفائقة من الحلواء » [٣] . كذلك نجد فى قصيدة الشاعر عمارة اليمنى التى يرثى فيها الدولة الفاطمية بعد سقوطها نجد ذكر الأطباق الكبيرة التى كانت لسعتها تحمل على العجلات وأكتاف الرجال فيقول :

ولا حملتم قرى الأضياف من سعة الا   أطباق إلا على الأكتاف والعجل .[٤]

التوزيع الزخرفى ، (شكل ٥) :

ينقسم طبق غبن إلى ثمان مناطق مثلثة متساوية تلتقى رؤوسها فى المركز أو فى دائرة أو وريدة صغيرة حوله . وأسلوب الزخرفة فى مناطق أو جامات نجده شائعاً فى الفن الساسانى[٥] . ونرى هذا التوزيع الزخرفى الاشعاعى فى خزف سامرا [٦] (شكل ١٠) وكذلك فى الخزف الطولونى[٧] . (شكل ١٧) .

أما الموضوع الزخرفى نفسه وهو الجامات اللوزية أو الكمثرية التى تتبادل مع شجيرات مبسطة فى وضع دائرى حول المركز فنجده كذلك فى خزف سامرا [٨] .

---

(١) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣١٣

A. Bahgat, F. Massoul : La Céramique Musulmane... p. 43.

(٢) أطباق كبيرة ، أرقام سجلها ٤٣٠١ ، ١٣١٢٣ ، ١٤٩٢٣ .

(٣) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٨٧

(٤) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٩٦ ، A. Bahgat : op.cit. p. 5

(٥) Pézard : La Cérnmique Archaique de l'Islam et ses Origines p. 42.

(٦) السلطانية رقم سجل (٣٧٦٨) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة و

Pézard. : Ibid Pl. CXXXV.

(٧) القطعة رقم سجل (١٨٧٦٠) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

(٨) Pézard : Ibid. Pl. CXXXVII.

زخارف ظاهر الطبق ، (شكل ٦) :

تتألف زخارف ظاهر الطبق من أربع مجموعات من دوائر كبيرة موزعة على جوانب الطبق كل منها دائرتان متحدتا المركز ، وبداخل الدائرة الصغرى وخارج الدائرة الكبرى تهشير متقارب من خطوط صغيرة مائلة تغطى السطح كله ماعدا القاعدة . وهذا هو الأسلوب المتبع فى زخرفة ظاهر الأطباق الفاطمية المبكرة ، وهو متطور عن زخارف ظاهر الخزف الطولونى ، [1] وهذا بدوره نقل زخارفه عن خزف سامرا (شكل ١١) . فانتقل هذا الأسلوب إلى مصر فى العصر الطولونى (شكل ١٣) [2] ، وأصبح معظم القطع يزخرف ظاهرها أربع مجموعات من دوائر ذات مركز واحد موزعة على الجوانب ، كل مجموعة تتألف من ثلاث دوائر : الدائرة الوسطى غليظة داخلها دائرة رفيعة بها أسطر متوازية من نقط أو خطوط متعرجة ، والدائرة الخارجية رفيعة أيضاً وهى تفصل بين الدائرة الوسطى وبين التهشير الموجود بالأرضية . ويتألف هذا التهشير من خطوط متوازية مائلة أو مقوسة تتخللها نقط سميكة .

الشجيرة المبسطة :

أما الشجيرات المبسطة على طبق غبن فتذكرنا بشجرة الحياة المقدسة عند الفرس (Homa) . ويذكر الأستاذ George Lechler « أن شجرة الحياة البابلية الأشورية المقدسة انتقلت بحذافيرها إلى الفن الاسلامى على أيدى الساسانيين » [3] .

ولدينا أمثلة تشبه شجيرات طبق غبن فى خزف سامرا ، إذ توجد فى زخارف بلاطات الخزف ذات البريق المعدنى بجامع القيروان (سنة ٨٦٢ م - سنة ٨٦٣ م) ، وهى هنا مرسومة بأسلوب مبسط فتخرج الساق من قاعدة مثلثة منفرجة كقاعدة الشمعدان ، وبعض هذه الشجيرات تحمل فروعها عدداً كبيراً من الأوراق القريبة من الطبيعة [4] .

---

(١) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٥٣

A. Bahgat, F. Massoul: op. cit. ... P. 43

(٢) نجد على ظاهر هذا الصحن الصغير (شكل ١٢) توقيع الصانع ويمكن قراءته « بن دهان » (شكل ١٤) أو « بن خلدان » (شكل ١٣) ، وهو خزاف طولونى جديد ولعله الخزاف الوحيد الذى نعرفه فى هذا العصر . وشاع فى انتاجه رسم طائر كالأوزة يخرج من رأسها ريش طويل أو عصابة طائرة ونجد ذلك فى انتاج مسلم المبكر (شكل ٤٣) .

(٣) George Lechler: "The Tree of Life", Ars Islamica IV, p. 396.

(٤) Creswell: Early Muslim Architecture, vol. II p. 312, pl. 86 a, d; Marcais: Les Faiences de la grande Mosquée de Kairouan p. 22-30.

وفى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة سلطانيتان من الخزف من نوع سامرا (شكل ٧ ، ٨) بوسط كل منهما وريدة تتكون من أربع ورقات لوزية الشكل تلتقى قواعدها فى المركز ، ويتفرع من رأس كل منها فرعان مبسطان محملان بأوراق صغيرة متقابلة فتبدو كل منها كشجيرة صغيرة ذات جذع كمثرى الشكل . ونجد هذين النوعين من الجذوع المثلثة والكمثرية فى شجيرات طبق غبن ، ونلاحظ أن قاعدة الجذع المثلثة كانت أكثر شيوعاً فى شجرة الحياة الساسانية [١] .

وفى جامع الخليفة الحاكم نفسه نجد شجيرة نخيلية مبسطة فى حنية من الجص فى الجزء الذى يلى أسفل القبة عند نهاية المجاز [٢] ، (سنة ٣٨٠ – ٤٠٣ هـ) (سنة ٩٩٠ – ١٠١٣ م) . ويذكر الأستاذ كريسول نقلا عن فلورى أن الفروع الجانبية التى تخرج من الساق فى تموجها تذكرنا بالرسوم العراقية ، وتدل دقة رسم العناصر الزخرفية على تطور وبعد عن الزخارف الطولونية والأساليب الزخرفية فى فن الجامع الأزهر . ويعتقد أن هذا العنصر الزخرفى كان منتشراً فى هذا العصر لما فى رسمه من دقة وعناية . ويلاحظ الأستاذ كريسول أن الأوراق النباتية فى هذه الشجيرة من النوع ذى الفصين أو الثلاثة الذى تميز به عصر الحاكم .

وينطبق وصف هذه الشجيرة على شجيرات طبق غبن فنجدها رغم تبسيطها وما فيها من تماثل فى رسم الفروع أن الأوراق مرسومة بصورة أقرب إلى الطبيعة تبعدها عن رسوم الأوراق النباتية فى العصر الطولونى . ونجد فى طبق غبن أيضاً أنصاف المراوح النخيلية ذات الفصين أو الثلاثة التى انتشرت فى زخارف عصر الحاكم .

أما الأوراق النباتية فى الجزء الأسفل من الشجيرات والتى نجد فيها ورقة جناحية تخرج من الأخرى فى وضع معكوس ، فهو عنصر زخرفى نجده فى باطن العقود بالجامع الطولونى [٣] (سنة ٢٦٣ – سنة ٢٦٥ هـ) (سنة ٨٧٦ – ٨٧٩ م) . واستمر فى زخارف العصر الفاطمى فنراه فى الزخارف الجصية بالجامع الأزهر (سنة ٣٥٩ – سنة ٣٦١ هـ) (سنة ٩٧٠ – سنة ٩٧٢ م) [٤] .

---

(١) Pézard : la Céramique Archaïque de l'Islam... Pl. CXXXIX, CXLI; Migeon : Manuel d'Art Musulmane, vol II p. 170, fig 322 a, b.

(٢) Creswell : The Muslim Architecture of Egypt p. 84 fig. 30, Pl. 22 (c) ; Flury : Die Ornamente der Hakim und Ashar Moschee, seite 25.

(٣) Creswell : Early Muslim Architecture, vol. II Pl. 106. a, b.

(٤) Creswell : op. cit. Pl. 6 (b), 8 (a).

وفى إفريز من الخشب فى جامع الحاكم (سنة ٣٨٠ ـ سنة ٤٠٣ هـ) (سنة ٩٩٠ ـ سنة ١٠١٣ م) [١]، وفى باب الجامع الأزهر باسم الحاكم [٢] (سنة ٤٠٠ هـ ـ سنة ١٠١٠ م).

الجامة الكمثرية :

أما الجامة الكمثرية التى نجدها فى زخارف طبق غبن فهى وثيقة الصلة بزخارف العصر الطولونى وزخارف سامرا ، رغم ما فيها من تطور فى رسم التفاصيل [٣] .

فتذكرنا هذه الجامة بالمناطق اللوزية الشكل فى زخارف جص البيت الطولونى من طراز سامرا الثالث [٤] والزخارف المحفورة على الأخشاب من العصر الطولونى [٥] . ولكننا نجد فى طبق غبن تطوراً فى رسم العناصر الزخرفية يتضح فى تثنى العروق واستطالتها وتموج فى الأوراق النباتية واتساع فى الأرضيات بين الزخارف . وهو تطور بدأ فى العصر الفاطمى فى زخارف الجص بالجامع الأزهر [٦] ، وأصبح واضحا فى الزخارف النباتية المحفورة على الحجر بجامع الحاكم بأمر الله ، فنجد فيها إرتداداً صريحاً للأساليب الهلينستية [٧].

* * *

مما تقدم تتضح الأهمية القصوى للزخارف التى يحفل بها طبق غبن فهو سجل هام مؤرخ لبعض زخارف العصر الفاطمى المبكر . ويمكن أن ننتفع بعناصره الزخرفية لكى تساعدنا على تأريخ عدد من تحف الخزف ذى البريق المعدنى الفاطمى بشىء من الاطمئنان .

وقد أتيحت لنا فرصة الكشف عن خزافين جديدين من خزافى العصر الفاطمى المبكر ،

---

(١) Creswell: Ibid, Pl. 20 (c).

(٢) E. Pauty: Les Bois Sculptés Jusqu'à l'Epoque Ayyoubide, Pl. XXIV ; Creswell: The Muslim Architecture of Egypt, Pl. 33 b.

(٣) Wiet: Deux Pieces de Céramiques Egyptienne: Ars Islamica. vol. III part 2 p. 179.
زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٥٥ ، محمد مصطفى : دليل موجز (متحف الفن الاسلامى) ص ٥٧ — ٥٨

(٤) زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر : لوحة ١٤ ، ١٦ ، Les Tulunides, Pl. 2, 3

(٥) زكى محمد حسن : الفن الاسلامى فى مصر : لوحة ٣١ ، شكل ١ ، ٣ ، لوحة ٣٣ شكل ١ ، ٢
E. Pauty : op. cit., Pl. XII, fig. 1, 2, 3.

(٦) فريد شافعى : زخارف وطرز سامرا ص ٢١ ، ٢٢
Creswell: The Muslim Architecture of Egypt Pl. 20 (b).

(٧) فريد شافعى : المرجع السابق ص ٢٢ ، ٢٣

أولها « على البيطار » وثانيهما « هيثم (؟) بن ابراهيم »[1] قد يكون أبوه ابراهيم الخزاف الفاطمى المعروف . ونضم إلى هذه المجموعة « أبو القاسم مسلم بن الدهان » وهو خزاف فاطمى يعتبر رأس مدرسة كبيرة من الخزافين المصريين فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)[2] .

ونجد فى إنتاج هؤلاء الخزافين صفات مشتركة تميز الخزف الفاطمى المبكر ، ففيها تطور عن الخزف الطولونى وما امتاز به من زخارف . وقد سبق أن ذكرنا أشكالا ثلاثة للأطباق والصحاف فى العصر الطولونى تطورت منها أشكال الأطباق الفاطمية وهى كما يلى :

١ — النوع الأول : يمثله طبق غبن وهو نموذج متطور عن الأطباق ذات الهيئة الناقوسية (لوحة حـ شكل ١) .

ويمكن أن نضم إلى هذا النوع أطباقاً عميقة ذات جدران كروية شديدة التقعير ، وحافة مسطحة بارزة إلى الخارج نجدها شائعة فى إنتاج (مسلم بن الدهان) (لوحة ج شكل ٢) وكذلك فى طبق (هيثم بن ابراهيم) (شكل ٣٣ ، ٣٤) .

٢ — النوع الثانى المسطح ذو الحافة العريضة ويمثله فى الخزف الفاطمى المبكر طبق (على البيطار) (لوحة حـ شكل ٣) .

٣ — النوع الثالث المخروطى نجده فى بداية العصر الفاطمى فى طبق ابراهيم (لوحه حـ شكل ٥) وطبق مسلم بن الدهان (لوحة حـ شكل ٤) .

ويمتاز انتاج هؤلاء الخزافين الفاطميين المبكرين بما رأيناه فى طبق غبن ، فنجد قواعد الأطباق منخفضة جداً ، ويغطى الميناء ظاهرها كله بما فى ذلك القاعدة . وهذه صفة تميز بها الخزف الطولونى وخزف سامرا[3] . ثم اعقب ذلك تغيير فى علو القاعدة فصارت ذات ارتفاع ملحوظ تعلوها فى أغلب الأحيان مساحة عرضها سنتيمتران أو ثلاثة خالية من الميناء وذلك فى أسلوب سعد ومدرسته[4] (لوحة حـ شكل ٦ ، شكل ٤٧) . والراجح

(١) يوجد كسر وترميم يمس الحرف الثانى من الاسم والحرف الأول يقرأ (ح) أو (هـ) ونرجح ان الأسم (هيثم) .

(٢) Mohamed Mostafa: Two Fragments of Egyptian Lustre Painted Ceramics From the Mamlouk period, p. 381.

(٣) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣١٣ ،

A. Bahgat, F. Massoul: La Céramique Musulmanes p. 43.

(٤) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٣١٥ و

A. Bahgat, F. Massoul: Ibid. p. 52.

أن سعداً عاش فى عصر متأخر قليلا عن عصر مسلم وقد يصل إلى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى)[1] .

ويشبه طبق غبن فى أسلوب الزخارف على ظاهره طبق (على يطار)[2] (شكل ١٩) وطبق ابراهيم (شكل ٣١) وطبق مسلم بن الدهان (شكل ٣٦) وهو من باكورة انتاج هذا الخزاف .

ثم نجد مسلماً فى زخرفة ظاهر أطباقه يتحرر تدريجياً من هذا الأسلوب الذى ساد ، واستعمله مع غيره فى بداية العصر الفاطمى . فنرى فى كثير من قطعه طريقة خاصة فى رسم الدوائر على ظاهرها ؛ قد يكون القصد منها تخصيص علامة تميز انتاجه . وتتلخص فى أربع مجموعات من دوائر كل منها دائرتان متحدتا المركز موزعة على جوانب الطبق ، وبالدائرة الداخلية ثلاثة خطوط متوازية أو أكثر ، وأحيانا نجد هذه الخطوط بشكل أقواس ، وفى خارج الدوائر تهشير من خطوط غليظة متباعدة ، وغالبا ما ترسم هذه العلامة فى سرعة وفى غير عناية كبيرة[3] (شكل ٣٧) . وقد حاكاه فى هذه العلامة فضلا عن زخارفه تلاميذه ومقلدوه ومنهم «الحسين بن نظيف الآمرى»[4]. كذلك نجد فى طبق (هيثم بن ابراهيم) (شكل ٣٤) تطوراً فى رسم زخارف ظاهره عن أسلوب أبيه ابراهيم فى بداية العصر الفاطمى (شكل ٣١) .

أما سعد ومدرسته فقد تخلوا عن زخرفة ظاهر الأطباق بدوائر وتهشيرات فتركوا ظاهر الأوانى تكاد تخلو من الزخارف تماماً . ونجد اسم (سعد) مكتوباً بخط كوفى بسيط فى منتصف ارتفاع الجدار ، وأحياناً نجد تضليعاً بسيطاً يزخرف ظاهر أطباقه (شكل ٤٧) .

وسنعرض فيما يلى إلى من ذكرنا من خزافى العصر الفاطمى المبكر ونحلل أسلوب

(١) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٥٦

Mohamed Mostafa: Two Fragment of Egyptian Lustre painted Céramics...p. 381, الخزف الاسلامى : ص ١٢

(٢) نقرأ كلمة (على) بين دائرتين متحدتى المركز قرب الحافة ، وكلمة (يطار) فى وسط القاعدة.

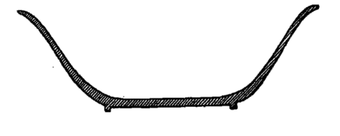
(٣) A. Bahgatl, F. Massoul : la Céramique Musulmane... p. 59, Pl. XV fig. 2, 2 bis, XVI fig. 5, 5 bis, XX.

زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٥٨ .

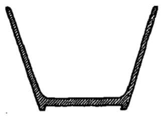
(٤) زكى محمد حسن : تحف جديدة من الخزف ذى البريق المعدنى الفاطمى ص ١٠٦ ، ١٠٧ — لوحة ١١ (شكل ٢٢) . A. Bahgat, F. Massoul ; ibid. p. 60

ونعرف من الخزافين الذين عملوا فى مصنع (مسلم) وتتلمذوا عليه (جعفر المصرى) ونجد توقيعهما معا على الطبق رقم (١٩٦٩٦) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

لوحة (١)



(شكل ١)
قطاع فى سلطانية كبيرة بمتحف الفن الاسلامى
بالقاهرة (شكل ٧) رقم ٣٧٦٦

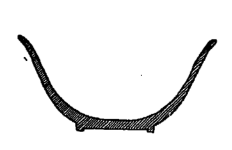


(شكل ٣)
(عن كتاب « خزف سامرا »
للأستاذ « زره » — لوحة ١٦
رقم ٢)

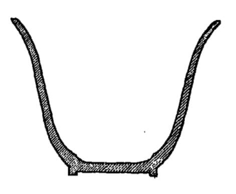
(شكل ٢)
قطاع فى طبق بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (رقم ١٢٩٩٥)

خزف سامرا

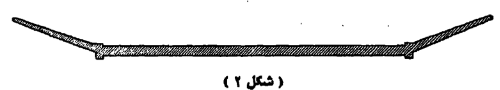
لوحة (ب)



(شكل ١)
قطاع فى سلطانية صغيرة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (رقم ١٥٩٧٤)



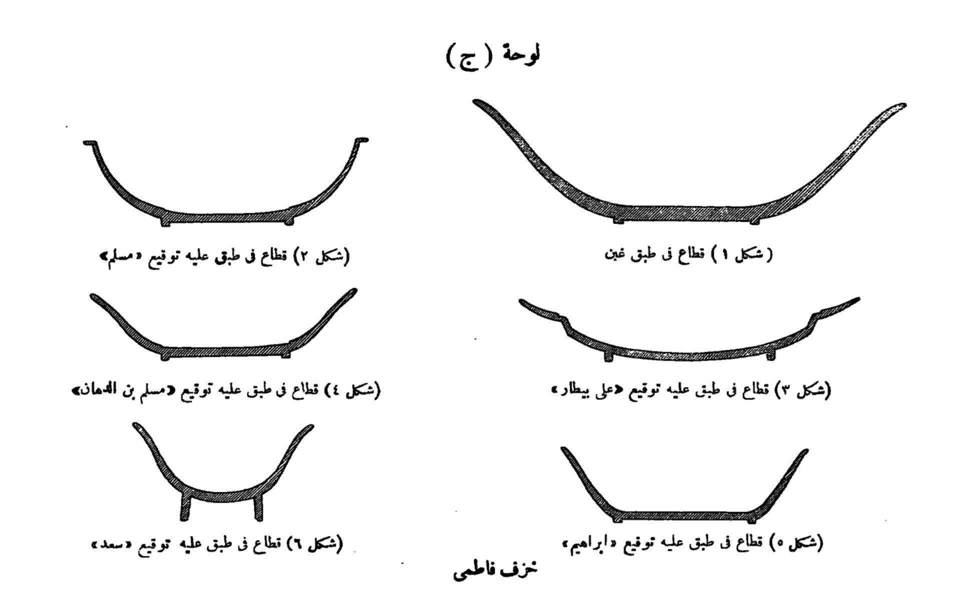
(شكل ٣)
قطاع مكمل فى قطعة من الخزف بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (شكل ١٧) (رقم ١٨٧٦٠)



(شكل ٢)
قطاع مكمل فى قطعة من الخزف بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (رقم ١٩٠٧٤/١٠)

خزف طولونى

لوحة (ج)



(شكل ١) قطاع فى طبق غبن

(شكل ٢) قطاع فى طبق عليه توقيع «مسلم»

(شكل ٣) قطاع فى طبق عليه توقيع «على بيطار»

(شكل ٤) قطاع فى طبق عليه توقيع «مسلم بن الدهان»

(شكل ٥) قطاع فى طبق عليه توقيع «ابراهيم»

(شكل ٦) قطاع فى طبق عليه توقيع «سعد»

خزف فاطمى

الزخرفة فى منتجاتهم ، ونبين مقدار ارتباطها بزخارف طبق «غبن» المؤرخ ، (سنة ٤٠٢ هـ — سنة ٤٠٤ هـ) — (سنة ١٠١٢ — ١٠١٤ م) .

أولا : على البيطار :

(١) الطبق (رقم السجل ١٤٤٦٦) (شكل ١٨ ، ١٩) ، (لوحة حـ شكل ٣) .

طبق ذو قاع مستدير قليل العمق له حافة عريضة مسطحة بارزة إلى الخارج وقاعدة منخفضة ، وبريقه المعدنى يميل إلى اللون الأحمر النحاسى . وعلى حافته فرع نباتى متموج تتفرع منه عند كل انحناء ورقة جناحية فى أوضاع متقابلة على جانبى الفرع النباتى وموازية له. وهى تشبه الأوراق الجناحية فى شجيرات طبق غبن ، ورغم صلتها بالزخارف الطولونية [١] إلا أن تموج الفرع النباتى واستطالته وأسلوب رسم الأوراق كل ذلك من مميزات الزخارف النباتية فى مستهل العصر الفاطمى .

وفى قاع الطبق أربع جامات بيضية الشكل متقابلة بينها على التبادل أربع جامات مشابهة صغيرة . ونجد بالجامات الكبيرة زخرفة نباتية مماثلة لطبق غبن ، تتألف من ورقتين جناحيتين يخرج منهما نصفا مروحة نخيلية متقابلين بينهما بقعة تشبه معين صغير ، وتظهر الأرضية خطاً رفيعا موازيا للزخارف . ولأول وهلة يستلفت نظرنا الشبه الشديد بين الأرضية التى تحد الزخارف فى طبق البيطار وطبق غبن ، مما يدل على أن العناصر النباتية نفسها متماثلة . أما انصاف المراوح النخيلية ذات الثلاثة فصوص أو فصين فى طبق غبن فنجد مثلها فى الجامات الصغيرة بطبق البيطار . وتتوسط الزخارف وريدة صغيرة حول المركز .

فالتوزيع الزخرفى فى مناطق حول المركز متشابه فى الطبقين ، وكذلك العناصر الزخرفية والأرضيات البيضاء الموازية لها . ونرى أن اختلاف شكل طبق البيطار وقصر جوانبه عن طبق غبن ، اضطر معه الخزاف أن يضغط وحداته الزخرفية فى المساحة المحددة بعكس الحال فى طبق غبن .

وأمام هذا التشابه الكبير فى زخارف الطبقين نستطيع أن نضم (على البيطار) إلى خزافى العصر الفاطمى المبكر ، كما نستطيع أن نظن أنه صانع طبقنا المنسوب إلى غبن .

---

(١) زكى محمد حسن : المرجع السابق ص ١٠٩ — لوحة ١٥ (شكل ٣٠)

(٢) القدر (رقم السجل ١٤٨٠٤) : (شكل ٢٢) .

ومن انتاج البيطار جانب من قدر حققنا عليه توقيعه الكامل « عمل على البيطار بمصر » [١] (شكل ٢٣) والقدر من النوع العريض بالنسبة لارتفاعه ، وله رقبة قصيرة عليها بالبريق المعدنى الذهبى خطوط متعرجة مائلة متوازية ، يليها على أعلى البدن شريط دائرى به صف من بقع مستديرة ، وأسفله آذان مندمجة بالبدن كحلية له . ويزحف بدن القدر خطوط متعرجة متقاطعة تكون معينات تتقاطع خطوطها فى بقع صغيرة ، فتبدو كشبكة ماتفة ببدن القدر . وبكل من هذه المعينات بقعة لوزية الشكل مرسومة بالبريق المعدنى ، يخرج من بعضها خطوط منحنية صغيرة فتصير كأنها جامة بيضية الشكل .

ويذكرنا شكل هذا القدر بالقدور الطولونية وقدور العراق ذات البريق المعدنى فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) [٢] (شكل ٢١) . أما المعينات التى تزخرف قدر البيطار فنجدها فى خزف سامرا (شكل ٩) ، وفى الخزف الطولونى (شكل ١٥ ، ١٦ ، ٢٠) ونراها تزخرف بطون العقود فى الجامع الطولونى [٣] ، وفى الحجر على مدخل جامع الحاكم ومئذنته الغربية [٤] . وكذلك نجد رسم معينين متداخلين وبهما عنصر كأسى بالحفر غير العميق على باب الجامع الأزهر باسم الخليفة الحاكم [٥] .

وتشبه البقع اللوزية الشكل على قدر البيطار الجامات اللوزية على طبق غبن .

فقدر البيطار مثال طيب للقدور فى بداية العصر الفاطمى ، وتشبهها فى هيئتها وزخارفها عدة قدور : الأولى فى مجموعة كليكيان [٦] (شكل ٢٤) ، والثانية كانت محفوظة بمتاحف الدولة ببرلين [٧] (شكل ٢٥) ، والثالثة فى متحف الفن الاسلامى (شكل ٢٦) . وهذه القدور عريضة بالنسبة لطولها وترتكز على قاعها مباشرة دون قاعدة ويغطى الميناء

---

(١) كان اسم البيطار يقرأ خطأ (البرطان) .

(٢) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٦٤ . شكل ١٨٨ .

(٣) Creswell : Early Muslim Architecture, vol II Pl. 104 a c ; 105 a.

(٤) Cresuell: The Muslim Architecture of Egypt, Pl, 17, 28 a, b.

(٥) E. Pauty : Les Bois Sculptés Jusqu'à l'Epoque Ayyoubide, Pl. XXV.

(٦) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين لوحة ٣١ شكل ٢ ؛
Pézard : la Céramique Archaïque..., Pl. CXLV ; The Kelekian Collection, pl. 8.

(٧) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين لوحة ٢٩ (شكل ٢) .

ظاهرها كله وأسفل قاعها وهذه صفات نجدها فى القدور الطولونية وقدور العراق المعاصرة لها [١] .

أما القدور فى طراز سعد ومدرسته فنجدها أكثر رشاقة ، ويتناسب عرضها مع ارتفاعها ولها قواعد مستديرة . وفيها ما سبق أن رأيناه فى أسلوب سعد من وجود مساحة سنتيمترين أو ثلاثة تعلو القاعدة خالية من الميناء ، فضلا عن زخارفها التى نعرفها فى طراز سعد [٢] . ومن هذا النوع قدر مشهور فى متحف فيكتوريا وألبرت (شكل ٢٧) وقدران فى متحف الفن الاسلامى (شكل ٢٨ ، ٢٩) .

مما تقدم نرى أوجه شبه كثيرة بين طبق البيطار وقدره وما عليهما من زخارف وبين طبق غبن الذى نظن أنه أيضاً من صنع هذا الخزاف كما ذكرنا .

ثانيا — ابراهيم :

نجد لهذا الصانع طبقاً يحمل توقيعه « عمل ابراهيم بمصر » (شكل ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢) (لوحة حـ شكل ٥) ويزخرف حافته فصوص مقوسة متلاصقة (Festoons) ، وعليه رسم فيل يكاد يملأ الطبق كله .

ورسم الفصوص على حافة الطبق موجود فى خزف سامرا [٣] والخزف الطولونى [٤] . أما رسم الفيل فقد رسم فى قطعة من المنسوجات من العصر العباسى تنسب إلى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى [٥] والشبه شديد بين الرسمين فى محاولة تجسيم العضلات بخطوط بيضاء تحد الأرجل ، وفى أشرطة من الحبيبات البيضاء تعلو أقدام الفيل . ونجد هذه الحبيبات المستديرة أو (اللآ لىء beads) شائعة فى الفن الساسانى .

ونرى على ظاهر الطبق (شكل ٣١) زخارف مطابقة تماماً لزخارف طبق غبن

---

(١) A. Bahgat, F. Massoul: La Céramique Musulmane... p. 41 pl. 1, fig. 1, 3, 4.

(٢) A. Bahgat, F. Massoul: Ibid, p. 52 Pl. VIII-XII.

ونعرف من مدرسة (سعد) الخزاف (الشريف أبو العشاق) وله فى متحف الفن الاسلامى جزء من قدر رقم ١٩٦٩٨ عليه توقيعه .

(٣) Pézard: La Céramique Archaïque de L'Islam... Pl. CXXXVII.

(٤) A. Bahgat, F. Massoul: op. cit. ...p. 44, Pl. C fig 26

ونجد الفصوص المقوسة فى مجموعة أطباق صغيرة من العصر الطولونى فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة أرقام سجلها ١٣١٩٨ ، ١٥٩٧٢ ، ١٥٩٧٤

(٥) H. Gück, E. Diez: Die Kunst des Islam, Taf. 356. Seite 557.

زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ شكل ٣٠٣ .

(شكل ٦) وطبق البيطار شكل ١٩) . وفى وسط القاعدة كلمة (صح) ونجد بقية هذه الكلمة عينها على قاعدة طبق البيطار . وذكر الأستاذ على بهجت أن هذه الكلمة قصد بها الخزاف إظهار فرحه بنجاحه فى صنع الطبق [١] . ويفسر الأستاذ جاستون فييت هذه الكلمة بأنها مجرد إشعار بمعاينة القطعة وإذن بحرقها [٢] .

أما تأريخ الطبق فيرجعه الأستاذ فييت إلى بداية العصر الفاطمى ويذكر صلته الوثيقة بالزخارف السائدة فى أواخر القرن التاسع الميلادى [٣] . وينسبه الأستاذ لين (Lane) إلى الربع الأخير من القرن العاشر الميلادى [٤] . ويؤرخه أستاذنا المرحوم الدكتور زكي محمد حسن من أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادى عشر الميلاديين [٥] .

ونرى مما تقدم أوجه شبه كثيرة بين زخارف طبق ابراهيم وطبق غبن وطبق البيطار . فنستطيع أن نقرن ابراهيم بزميله البيطار ونثبتهما فى العصر الفاطمى المبكر .

ثالثا — هيثم بن ابراهيم :

وقد أتيحت لنا فرصة تحقيق اسمه على طبق بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (سجل ١٥٩٦٦) ، فنقرأ عليه « عمل هيثم بن ابراهيم بمصر » (شكل ٣٣ ، ٣٤) .

ويزخرف هذا الطبق شريط مترابط يؤلف شكل نجمة خماسية . وتملأ الشريط حروف كأنها كتابة غريبة لعله قصد بها كتابة سحرية ، ويتوسط النجمة اسم الصانع . وفى الجوانب بين رؤوس النجمة رسم خمس حلقات بكل دائرة صغيرة تميل عن المركز قليلا ولعلها متطورة عن رسم الدائرة ذات النقطة السميكة التى نجدها فى خزف سامرا والخزف الطولونى [٦] . وعلى الحافة مثلثات صغيرة متلاصقة تشبه أسنان المنشار نراها فى خزف سامرا [٧] .

---

(١) A. Bahgat, F. Massoul: La Céramique Musulmane... p. 22, Pl. A fig. 6.

(٢) G. wiet: Deux Pièces de Céramique Egyptienne, Ars Islamica vol. III Part 2, p. 178.

(٣) G. wiet: Ibld., p. 179.

(٤) A. Lane: Early Islamic Pottery p. 22 Pl. 22 a.

(٥) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٥٤ — جمال محمد محرز : الخزف الفاطمى ذو البريق المعدنى فى مجموعة الدكتور على ابراهيم ، ص ٥

(٦) A. Bahgat, F. Massoul: La Céramique... p. 47, Pl. (c) fig. 23 24 Pl. III fig. 3.

(٧) Pézard: La Céramique Archaïque... p. 152, Pl. LXXXV, fig. 1.

ورسم النجمة الخماسية (Pentagram) نجده فى زخارف مئذنتى جامع الحاكم [1] (سنة ٣٩٣ هـ ـ سنة ١٠٠٣ م) . والمعروف أن الفاطميين كانوا يهتمون كثيراً بعلم الفلك والتنجيم وعلوم السحر ، ولا سيما الخليفة الحاكم بأمر الله [2] . وقد استخدمت النجمة الخماسية كرمز سحرى فى العصر الفاطمى والعصر الوسيط بوجه عام ، فكانت ترمز للخير أو الشر حسب وضعها واتجاه رؤوسها . ففى حالة الخير كانت ترسم فى وضع معتدل يتجه أحد رؤوسها إلى أعلى ، أما فى حالة الشر فترسم مقلوبة أى يتجه طرفان منها إلى أعلى [3] .

ونجد رسم النجمة على طبق هيثم بن ابراهيم فى وضع معتدل يتجه رأسها إلى أعلى وذلك وفق اتجاه كتابة الاسم فى وسطها . نعتقد أنه قصد من رسمها ومن الكتابة شبه السحرية المنقوشة عليها أن تجلب الخير والحظ السعيد لمشترى الطبق .

ونرى فى أساوب هذا الخزاف اختلافاً وتطوراً عن أسلوب أبيه ابراهيم ، فهذا الطبق فى شكله وحافته المسطحة والمثلثات التى تزخرفها ، والأشرطة المتقاطعة التى تملؤها شبه حروف كوفية ، كل ذلك نجده فى أسلوب مسلم بن الدهان (شكل ٤٠) ونميل إلى الاعتقاد بأن هيثما خلف أباه ابراهيم فى مصنعه فى بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وأنه عاصر مسلم بن الدهان ولذا نجد تشابهاً فى منتجاتهما .

رابعا — أبو القاسم مسلم بن الدهان :

هو رأس مدرسة كبيرة فى الخزف الفاطمى ذو البريق المعدنى ، فله عدد كبير من التلاميذ والمقلدون ونذكر منهم «الطبيب» [4] و « الحسين بن نظيف الآمرى » و «جعفر المصرى» .

وينتسب مسلم فى باكورة انتاجه إلى أبيه الدهان ، ونجد توقيعه فى فى هذه الفترة بخط واضح على باطن التحف [5] (شكل ٣٥) . ثم نراه يكتفى بذكر اسمه على قاعدة الاناء بعد أن عمت شهرته (شكل ٣٧) ويمتاز انتاج مسلم المبكر بقربه من زخارف العصر

---

(1) Creswell: The Muslim Architecture of Egypt, Pl. 26 (a), 31 (d).
(2) Creswell: Ibid, p. 22, P. 104.
(3) Creswell: Ibid, p. 104.
(4) جمال محمد محرز : الخزف الفاطمى ذو البريق المعدنى فى مجموعة الدكتور على ابراهيم ص ٨ شكل (٢) .
(5) A. Bahgat, F. Massoul: La Céramique Musulmane... Pl. XXII fig. 8, 8. bis.

الطولونى فى الرسوم النباتية ورسوم الحيوانات والطيور (شكل ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) وأعقب ذلك تحرر وبعد فى رسومه عن زخارف العصر الطولونى (شكل ٤٥ ، ٤٦) .

ونجد التوقيع الكامل لهذا الخزاف « عمل مسلم بن الدهان » على الطبق (سجل ١٤٩٣٠) (شكل ٣٥ ، ٣٦) لوحة حـ شكل (٤) ففى وسطه دائرة صغيرة بها حيوان خرافى مجنح فى فمه فرع نباتى قصير يذكرنا برسوم الطيور فى الفن الساسانى ، وتبدو عليه مسحة من الجفاف نعرفها فى ذلك الفن . ويحيط بالدائرة الوسطى إطار دائرى عريض يدور على جوانب الطبق ، بهأربع جامات بيضية الشكل فى وضع متعامد بكل منها ورقة كأسية مركبة وبينها شجيرات صغيرة مبسطة . ويتفرع من كل شجيرة على الجانبين أربع وريقات جناحية ذات صلة بالأوراق الطولونية والرسوم النباتية على طبق غبن. وهذا التوزيع الزخرفى فى أربع مناطق بيضية تتبادل معها شجيرات مبسطة نجده كذلك فى طبق غبن .

وتلعب الرسوم النباتية دوراً رئيسيا مع رسم الحيوان فى زخرفة هذا الطبق ، ثم نجد فى التحف المتأخرة من انتاج مسلم اهتماما كبيراً بالرسوم الحيوانية والطيور ، كالغزال والأرنب والطاووس فضلا عن الرسوم الآدمية . وهنا تأتى الزخارف النباتية فى المرتبة الثانية من اهتمام الفنان فتصبح أرضية أو مهاداً للحيوان ، أو لمجرد ملء الفراغ وايجاد توازن بين العناصر الزخرفية . (شكل ٤٥ ، ٤٦) .

ومن طراز مسلم الطبق (شكل ٣٨) (رقم السجل ٥٥٠٢) وينطبق عليه ما ذكرنا فى الطبق السابق . ونرى فى رسم الديك ذو الفرع النباتى فى الدائرة الوسطى شبهاً كبيراً برسومه على صحاف من الفضة المذهبة ترجع إلى العصر الساسانى [١] . ونجد بكل من الجامات اللوزية المحيطة بالدائرة ورقة نباتية من فصين تشبه نصف مروحة نخيلية محجوزة بالأبيض على أرضية بالبريق المعدنى الذهبى فيبدو شكل الأرضية على هيئة رأس طائر .

ومن هذا النوع الذى ينسب لمسلم وتتساوى فيه الزخارف النباتية ورسوم الطيور ، الطبق (شكل ٣٩) (رقم السجل ١٥٩٦١) ففى دائرته الوسطى طائر فى منقاره فرع نباتى وتخرج من رأسه عصابة طائرة كبيرة كانت شائعة فى الفن الساسانى [٢] . وفى الشريط

---

(١) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٥٩ ،

Pope: A Survey of Persian Art vol. IV Pl. 216 (a),

(٢) Pézard: La Céramique Archaïque de l'Islam et ses Origines, p. 147.

كذلك نجد العصابه الطائرة على قطعة عليها توقيع مسلم (شكل ٤٤) .

الدائرى نجد فرعاً نباتياً متموجاً تخرج منه على جانبيه أوراق كبيرة كالكلوة قريبة من الزخارف الطولونية . وعلى حافه الطبق فصوص مقوسة نعرفها فى الخزف الطولونى وخزف سامرا .

كذلك استخدم مسلم الكتابه الكوفية فى زخارف انتاجه المبكر (شكل ٤٠) ، (لوحه حـ شكل ٢) ونجد الكتابة هنا تتقاسم الزخرفة مع أربع وريقات بشكل مراوح نخيلية فى الدائرة الوسطى ، وعلى الحافة مثلثات متلاصقة نجدها فى طبق هيثم بن ابراهيم (شكل ٣٣) .

كما استخدم الأشرطة المتقاطعة يملؤها ما يشبه كتابة كوفية (شكل ٤١) على نحو ما وجدنا فى طبق هيثم بن ابراهيم .

كذلك نجد لمسلم رسم شجيرة مبسطة على قطعة تحمل توقيعه ، تذكرنا بشجرة الحياة الفارسية [1] ، ورسم الشجيرات على طبق غبن . ثم شاع رسم الشجيرات المبسطة وعلى جانبيها طائران أو شخصان فى أسلوب الخزاف الفاطمى سعد ومدرسته ، والشجيرة هنا ترسم إما بشكل ساق تتفرع من أعلاها فروع مبسطة مزهرة تخرج منها أحيانا ثمار الرمان (شكل ٤٨ ، ٤٩) ، وإما بشكل نخلة مثمرة تتدلى ثمارها (شكل ٥٠) . ونلاحظ أن رسوم الرمان شائعة فى الفن الساسانى [2] .

والأمثلة السابقة كلها من الانتاج المبكر لمسلم ، ويكفى أن تقارن رسم الطائر والغزل (شكل ٤٣ ، ٤٤) برسم مثيلهما (شكل ٤٥ ، ٤٦) لنميز مقدار التطور فى رسوم الحيوانات والطيور فى أسلوب مسلم .

إلى هنا نقف فى دراسة الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى المبكر ، وبعض الخزافين فى بداية هذا العصر . ولا زالت أشكاله وزخارفه قريبة من زخارف الطراز الطولونى والأساليب الفنية التى انبعثت من سامرا ، فضلا عن تأثيرات فارسية واضحة نكتفى بما ذكرناه منها ونأمل أن نفرد لها بحثاً مستقلا فيما بعد .

---

(١) A. Bahgat, F. Massoul : La Céramique... p. 58, Pl. XIV fig 2 ;
زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ١٥٧ وحاشية رقم ٦

(٢) Pope : A Survey of Persian Art, vol. IV Pl. 173 B ; Dimand : Studies of Islamic Ornament, Ars Islamica, vol IV, p. 315 fig. 33;
فريد شافعى : الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى : ص ٨٢

المراجع العربية

(١) ابن دقماق :
الانتصار لواسطة عقد الامصار (الجزء الرابع والخامس) القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ
وفهرست الأسماء الأعلام الواردة به للسيد محمد على الببلاوى .
(٢) المقريزى :
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـــ طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ .
(٣) جمال محمد محرز :
الخزف الفاطمى ذو البريق المعدنى فى مجموعة الدكتور على ابراهيم . القاهرة سنة ١٩٤٤م
(٤) ديماند (م . س) :
الفنون الاسلامية ـ ترجمة أحمد محمد عيسى . القاهرة سنة ١٩٥٣ م
(٥) زكى محمد حسن :
الفن الاسلامى فى مصر (الجزء الأول) من الفتح العربى إلى نهاية العصر الطولونى
القاهرة سنة ١٩٣٥
كنوز الفاطميين ـ القاهرة سنة ١٩٣٧ م
الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى ـ القاهرة سنة ١٩٤٦ (الطبعة الثانية)
فنون الاسلام ـ القاهرة سنة ١٩٤٨ م
تحف جديدة من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى ـــ القاهرة سنة ١٩٥١ م
(٦) سعيد حامد الصدر :
الخزف ـــ القاهرة سنة ١٩٤٨ م
(٧) فريد شافعى :
زخارف وطرز سامرا ـــ القاهرة (مجلة كلية آداب القاهرة م١٣ ج٢ ديسمبر ١٩٥١)
الأخشاب المزخرفة فى الطراز الأموى ـــ القاهرة (مجلة كلية آداب القاهرة م١٤ ج٢
ديسمبر ١٩٥٢) .
(٨) محمد مصطفى :
دليل موجز (متحف الفن الاسلامى) القاهرة سنة ١٩٥٤
الخزف الاسلامى ـــ القاهرة سنة ١٩٥٦
(٩) محمود صابر :
الخزف صناعة وفن وتاريخ ـــ القاهرة سنة ١٩٥٠ (الطبعة الثانية)

المراجع الأوربية

1.—La Céramique Egyptienne de L'Epoque Musulmane (Le Caire, Musée Arabe), 1922.

2.—ALY BAHGAT et FÉLIX MASSOUL: La Céramique Musulmane de L'Egypte. Le Caire 1930.

3.—BUTLER (A. J.): Islamic Pottery. London, 1926.

4.—CRESWELL (K. A. C.): Early Muslim Architecture vol. II, Oxford. 1940.
The Muslim Architecture of Egypt, vol. 1, Oxford 1952.

5.—DIMAND (M. S.): Studies in Islamic Ornament. pp. 293-337, Ars Islamica: vol. IV. Ann Arbor, 1937.

6.—EVANS (LADY, M. A.): Luster Pottery, London.

7.—FARID SHAFI'I: An Early Fatimid Mihrab In the Mosque of Ibn Tulun. Cairo, 1953.

8.—FLURY (S.): Die Ornamente der Hakim-und Ashar—Moschee Heidelberg, 1912.

9—FOUQUET: Contribution à l'étude de la Céramique Orientale, 1900.

10—GLÜCK (H.) und DIEZ (E.): Die Kunst Des Islam. Berlin, 1925.

11.—HERZFELD (E.): Der Wandschmuck Der Bauten Von Samarra und Seine Ornamentik. Berlin, 1923.

12 HOBSON (R. L.): A Guide to the Islamic pottery of the Near East. London, 1932.

13. JACQUEMART (A.): Histoire de la Céramique. Paris, 1884.

14. The Kelekian Collection of persian and Analogous Potteries, paris, 1910.

15. LANE (A.): Early Islamic Pottery. London.

16. LECHLER (G.): The Tree of Life in Indo-European and Islamic Cultures. pp. 369-420, Ars Islamica: vol. IV 1937.

17. MARCAIS (G.): Les Faiences à reflet metallique de la grande Mosqueé de-Kairawan, Paris, 1928.

18. MIGEON (G.): Manuel D'Art Musulman, Arts Plastiques Et Industriels Deuxième Edition Paris 1927.

19. MOHAMED MOSTAFA: Two Fragments of Egyptian Lustre painted Céramics from the Mamlouk period. Cairo, 1949.

20. PAUTY (M. E.): Les Bois Sculptés Jusqu'à l'Èpoque Ayyoubide. Le Caire, 1931.

21. PÉZARD (M.): La Céramique Archaïque de l'Islam et ses Origines. Paris, 1920.

22. POPE (A. U.): A Survey of persion Art, vol. IV, 1938.

23. RIVIÈRE (H.): Le Céramique dans l'Art Musulman, 1913.

24. SARRE (F.): Die Keramik Von Samarra. Berlin, 1925.

25. WIET (G.): Deux pièces de Céramique Egyptienne, Ars Islamica vol. III, part (2).

26. ZAKY M. HASSAN: Les Tulunides. Paris, 1933.

دراسات لغوية

بقلم الدكتور السيد يعقوب بكر

(٤) إنّ وأنّ ولكنّ

(أ) إنّ :

هى اسم صوت (interjection) مركب من إنْ + نَ ، وإنْ هذه اسم صوت بسيط مكون من عنصرين إشاريين هما الهمزة (مكسورة) والنون ، أضيفت إليهما نون إشارية أخرى على سبيل التقوية والتأكيد .

ولإنّ نظائر كثيرة فى سائر اللغات السامية ، منها(hinnē) « انظر ! » (behold) فى العبرية . وهذه الأداة العبرية مركبة أيضاً لا بسيطة ، فهى (nē+hen) .

والمعنى الفعلى المتعدى « انظر » ، الذى تؤديه (hinnē) العبرية ، متطور عن المعنى الاشارى « هذا » أو « ذلك » ، الذى كان لها فى الأصل . وذلك المعنى الفعلى هو السبب فى أن (hinnē) قد تنصب الاسم أو الضمير بعدها على المفعولية ، كما فى سفر التكوين ٢٢ :٧ (wayyōmer hinnē hā'eš wᵉhā'eṣīm) « فقال هو ذا النار والحطب » ، وكما فى نفس السفر ٢٢ : ١ : (wayyōmer 'elāu 'abrāhām wayyōmer hinnenī) « فقال له يا إبراهيم فقال هأنذا » . ففى هذين المثالين استعملت الأداة مع مفرد نصب بها على المفعولية . ولكنها قد تستعمل أيضاً مع جمله اسمية أو فعلية . مثال الاسمية نفس السفر ٢٨ : ١٥ (wᵉhinnē 'ānokī 'immāk) « وهأنا معك » . والأداة هنا لا تعمل فى ضمير المتكلم الذى تبتدىء به الجملة الاسمية ، ولكنها تعمل فيه فى نفس السفر ٤٠ : ٦ : (wayyar 'otām wᵉhinnām zo'ᵃfīm) « ونظرهما وإذا هما

مغتمان » [1] . ومثال دخولها على الجملة الفعلية نفس السفر ١٢ : ١١ : (hinnē-nā yūḏa'tī kī 'iššā yᵉfaṯ mar'ē 'att) « إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر » .

ومن هذه الأمثلة يصح لنا أن نستنتج أن الأداة العبرية كانت تستعمل فى أول الأمر مع المفرد ، فتنصبه على المفعولية بما فيها من معنى الفعل المتعدى « انظر » ؛ ثم صارت تستعمل أيضا مع الجملة الاسمية ناصبة « المبتدأ » فيها ، وفى هذه الحالة يكون هذا « المبتدأ » مفعولا به ويكون الخبر خبراً لمبتدأ محذوف ، فتقدير الآية التكوين ٤٠ : ٦ هو : wᵉhinnām (hem) zo'ᵃfīm ... « انظرهما ! (إنهما) مغتمان » . والمرحلة الثالثة من تطور استعمال الأداة دخولها على الجملة الاسمية دون أن ينصب المبتدأ ، ودخولها على الجملة الفعلية ؛ وفى كلتا الحالين يكون المعنى الاشارى فى الأداة منصباً على الجملة بأسرها لا على أحد جزئيها .

ومما يؤيد ما نزعمه من معنى الفعل فى الأداة العبرية فى بعض استعمالاتها أنه قد تدخل عليها نون التأكيد (الخفيفة) متوسطة بينها وبين ضمير النصب فى الأحوال الآتية : (hinnẹnnī) (انظرنى ! هأنذا) و (hinnẹkkā) (ضمير المخاطب) و (hinnẹnnū) (ضمير المتكلمين) . وغنى عن القول أن نون التوكيد مختصة بالدخول على الأفعال .

هذا المعنى الفعلى هو أيضاً السبب فى نصب إسم إنّ العربية . فقولنا إنّ زيداً قائم تقديره إنّ (= انظر) زيداً ! (هو) قائم . فقائم ليس فى الواقع خبراً لزيداً ، فان زيدا مفعول به لإنّ ، ولكنه خبر لضمير محذوف تقديره هو . وهذا يفسر السبب فى خروج اسم إن على القاعدة التى بسطها الأستاذ ابراهيم مصطفى ، عضو المجمع اللغوى بالقاهرة ، فى كتابه المبتكر « إحياء النحو » (القاهرة ١٩٣٧) ، من أن الرفع علم الاسناد [2] .

---

(١) يرى إقالد Ewald فى كتابه .Ausführliches Lehrbuch der hebr. Spr (الطبعة الثامنة جوتنجن ١٨٧٠) ، ص ٦٥٠ ، أن لهذه الأداة فى نفسها القدرة على نصب الاسم (أو الضمير) الذى تشير إليه . ويرى هذا أيضا مع بعض التحفظ كاوتش Kautzsch فى نشرته لكتاب جزنيوس Gesenius فى النحو العبرى (الطبعة الانجليزية الثانية ، اكسفورد ١٩١٠) ، ص ٤٦٩ ب ولا سيا الهامشين الثانى والثالث .

(٢) يرى ركندورف Reckendorf فى كتابه Die synt. Verh. des Arabischen (ليدن ١٨٩٨) ، ص ٣٥٤ تحت — ٣٥٦ ، أن إنّ (وأنّ) كانتا تلفتان نظر السامع إلى مبتدأ الجملة الاسمية بعدها ، ولكن بمرور الزمن حلت محل العلاقة الخاصة بين إنّ أو أنّ والمبتدأ علاقة =

ويتفق الكوفيون والبصريون على أن اسم إنّ (وأخواتها) منصوب بهذه الأدوات التى « فيها معنى الفعل »[1] ، فإنّ وأنّ بمعنى حققت ، (وكأن بمعنى شبهت ، ولكن بمعنى استدركت ، وليت بمعنى تمنيت ، ولعل بمعنى ترجيت) . ولكن يختلف الكوفيون والبصريون بعد ذلك فى سبب رفع الخبر . فيقول البصريون « إن الفعل يكون له مرفوع ومنصوب ، فكذلك هذه الأحرف ينبغى أن يكون لها مرفوع ومنصوب ، ليكون المرفوع مشبها بالفاعل ، والمنصوب مشبها بالمفعول » . ويقولون إن الفرق الوحيد بين هذه الأدوات والأفعال الحقيقية هو أن المفعول يتقدم على الفاعل مع هذه الأدوات ، بينما يتقدم الفاعل على المفعول بطبيعة الحال مع الأفعال الحقيقية . أما الكوفيون فيقولون إن الخبر مرفوع لأنه كان كذلك قبل دخول هذه الأدوات . وهذا الرأى ليس شديد البعد عن رأينا الذى بنينا عليه قولنا إن قادم فى إنّ زيداً قائم هى فى الواقع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو ، وإن التقدير انظر زيداً ! (هو) قائم . وانظر فى هذا الخلاف بين الكوفيين والبصريين ابن الأنبارى (ط ليدن ، ص ٨١ تحت — ٨٤) وابن يعيش (ط مصر ، ج ١ ، ص ١٠٢ ؛ ط ليبزج ، ص ١٢٤ تحت — ١٢٥) .

وقد تستعمل إنّ بمعنى نعم كما فى بيت عبيد الله بن قيس الرقيات :

ويقلن شيب قد علا ـ ك وقد كبرت فقلت إنّهْ

ويرجع ابن يعيش[2] هذا الاستعمال إلى الوظيفة الأصلية لإنّ من تأكيد مضمون

= أوسع بين إنّ أو أن والجملة الاسمية بأسرها ؛ فلم يعد التأكيد منصبا على المبتدأ ، وإن ظل منصوبا ، ولكن على الجملة الاسمية كلها .

ويدل النحاة العرب على هذه الوظيفة المتأخرة لإنّ أو أنّ بقولهم إنهما تؤكدان مضمون الجملة وتحققانه ، على حد قول الزمخشرى فى كتابه المفصل (ط القاهرة ، ج ٢ ص ١٨٦ ، السطر الأول ؛ ط كرستيانيا ، ص ١٣٥ ، س ٨ — ٩) .

(١) يقول نولدكه Nöldeke أيضا فى كتابه Zur Gramm. des class. Arabisch (فينا ١٨٩٦) ، ص ٤٠ ، الهامش الثانى ، إن إنّ قريبة فى المعنى من الفعل . ولكن لا يصح أن نوافق د . هـ . ملر D. H. Müller (Das Substantivum verbale ، فى Orientalische Studien Theodor Nöldeke . . . gewidmet ج ٢ ، جيسن Giessen ١٩٠٦ ، ص ٧٨٥ — ٧٨٦) فى قوله إن إنّ فى العربية و hinnē و heu (التى سيجىء ذكرها) فى العبرية أسماء أفعال . فهى فى الحقيقة أسماء أصوات قد تؤدى معنى الفعل .

(٢) ط القاهرة ، ج ٨ ، ص ٧٨ و ١٢٤ — ١٢٥ ؛ ط ليبزج ، ص ١١٣٣ تحت — ١١٣٤ و ١١٧٦ تحت — ١١٧٧ فوق .

الجملة الاسمية(«وإنما خرجت إنّ إلى معنى أجل لأنها تحقيق معنى الكلام الذى تدخل عليه فى قولك إن زيداً راكب ، فلما كانت تحقق هذا المعنى خرجت إلى تحقيق معنى الكلام الذى يتكلم به المخاطب القائل كما كانت تحقق معنى كلام المتكلم ، فصارت تارة تحقق كلام المتكلم ، وتارة تحقق معنى كلام غيره ») . وهو يقول إن هاء إنه فى هذا البيت هى هاء السكت ، لا ضمير متصل ، لأنها لو كانت للاضمار لثبتت فى الوصل كما تثبت فى الوقف . وهو يمثل [1] لإن هذه فى الوصل بقول عبد الله بن الزُّبير « إن وراكبها » رداً على قول عبد الله بن زَبير له « فلعن الله ناقة حملتنى إليك » [2] .

وانظر أيضاً عن إنّ أو إنه التى بمعنى أجل ابن هشام (مغنى اللبيب (القاهرة ١٣٥٦هـ) ج ١ ، ص ٣٦) وركندورف (Arabische Syntax) (هيدلبرج ١٩٢١) ، (§ 65,2) وبروكلمان (Brockelmann) (المرجع المذكور فى ص ١١١ ، ج ٢ (برلين ١٩١٣) (§ 10, d, γ) .

* * *

قلنا إنَ إنّ مركبة من إنْ + نَ . وإنْ هذه اشارية أيضاً بمعنى « انظر » ، ولكنها بطبيعة الحال دون إنّ فى قوة الاشارة . وهى التى يسميها النحاة العرب إنْ المخففة من الثقيلة. وهذه التسمية خاطئة ، فان إنْ هى الأصل فى إنّ . والأوْلى أن توصف إنّ بأنها « المثقلة من الخفيفة » .

وإنْ لاتغير عادة اعراب المبتدأ فى الجملة الاسمية بعدها، فيقال إنْ زيد لذاهب . ولكن يقول سيبويه [3] ان إنْ تنصب « المبتدأ » فى لغة أهل المدينة وبعض العرب ، فيقال إن زيداً لذاهب « انظر زيداً ! (هو) ذاهب » . والسبب فى أن إنْ لا تنصب عادة كإنّ ان قوتها الاشارية (وهى كما قلنا أضعف من القوة الاشارية فى إنّ) لم تبلغ بها مرتبة الفعل الاشارى « انظر » .

---

(١) ط القاهرة ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ؛ ط ليبزج ، ص ٢٨٩ تحت .

(٢) يرى فليشر Fleischer فى كتابه Kleinere Schriften ، ج ١ (ليبزج ١٨٨٥) ، ص ٤٢٥ آخر سطر — ٤٢٦ السطور الثلاثة الأولى ، أن الأفضل فى إنّ التى بمعنى أجل أن تفسر بأنها إنّ المؤكدة العادية محذوفا بعدها المبتدأ أو الخبر .

(٣) ج ١ ، ط بولاق ، ص ٢٨٣ ؛ ط باريس، ص ٢٤٤ . وانظر ابن الأنبارى ص ٨٨—٩١

وإن هذه لها نظائر عدة فى سائر اللغات السامية ، منها (hen) فى العبرية ، ومعناها أيضا « انظر » ولكنها أقل استعمالا من الأداة المركبة (hinnē) . وقد وردت كذلك بمعنى « نعم » فى حالة أشار إليها بول (Buhl) فى نشرته لقاموس جزنيوس (الطبعة ١٧ ، ليبزج ١٩٢١) ، ص ١٨٥ ، العمود الأول ، وذلك فى سفر التكوين ٣٠ : ٣٤ (wayyōmẹr lāḇān hen lū yehī kiḏᵉḇāreḵā) « فقال لابان هوذا ليكن بحسب كلامك »[1] .

على أن (hen) تعنى عادة « نعم » فى عبرية المشنا[2] . وهذا هو أيضاً معنى (ʾēn) (بالهمزة بدلا من الهاء) فى السريانية[3] والأرامية الفلسطينية المسيحية والأرامية الفلسطينية اليهودية والتلمود البابلى .

هذا المعنى « نعم » الذى استعملت فيه أيضا إنّ العربية تطور عن المعنى الاشارى « هذا » . وفى هذا يقول فنكلر (Winckler)[4] : « إذا أراد البابلى أو الشرقى أن يقول « نعم » و « لا » خفض رأسه إلى الامام أو الخلف وقال تبعا لذلك annā (هذا) = « نعم » و ullā (ذلك) = « لا » . »

* * *

وإذا ألحقنا ما بانّ كفتها عن العمل[5] ، كما فى قوله تعالى (٢ : ١٠) : « وإذا قيل لهم

---

(١) فسر الآية على هذا النحو أيضا دلمان Dillmann فى كتابه Die Genesis (ليبزج ١٨٨٢) ، ص ٣٢٨ . وهذا المعنى يوافق السياق (انظر الآية ٣٢) ، ويؤيده أن نبرة hen أتاح أى نبرة فاصلة كبرى ؛ ولو كانت hen بمعنى انظر لمالت إلى النصب ولم يمكن الوقوف عليها .

(٢) انظر زاخس Sachs فى كتابه Die Partikeln der Mischna (كرشهاين Kirschhain, N. L. ١٨٩٧) § 43 .

(٣) ʾin فى السريانية الغربية . ويرى بروكلمان فى كتابيه Grundriss der vergleichenden Gramm. der sem. Spr. (ج ١ (برلين ١٩٠٨) ، ص ١١٢ — ١١٣) و Syr. Gramm. (ليبزج ، ١٩٥١) (79 § الملاحظة) أن الحركة الطويلة فى ʾēn السريانية ترجع فى الأصل إلى تأثير الوقف . وهذا هو أيضا رأى شلتس Schulthess بصدد ʾēn الأرامية الفلسطينية المسيحية ؛ وذلك فى كتابه Grammatik des Christlich-palästinischen Aramäisch (توبنجن Tübingen ١٩٢٤) 29,3 § . ويرى كلاهما أن الصيغة الأصلية هى ʾin .

(٤) Altorient. Forschungen السلسلة الثالثة ، ص ٤٢٧ تحت

(٥) يقول ابن عقيل (ط القاهرة ١٩٣٥ ، ج ١ ، ص ٢١٤ ؛ ط ليبزج ، ص ٩٧) إن نصب « المبتدأ » بعد إنما ، الذى حكاه الأخفش والكسائى ، استعمال شاذ .

لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » . وإنمـا هنا تؤكد مضمون الجملة الاسمية بعدها أكثر مما تؤكده إنّ . وقد تكون إنما حرف حصر كما فى قوله تعالى (٩ : ٦٠) : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » . ويختلف النحاة العرب فى معنى التوكيد ومعنى الحصر أيهما أسبق ؛ انظر لين (Lane) ، ص ٠ ١ ، عمود ب — ج . والظاهر أن المعنى الثانى متطور عن الأول ؛ انظر فليشر ، المرجع المذكور (فى ص ١١٠) ، ج ١ ، ص ٥٠٦ — ٥٠٨ . وفى هذا يقول ابن يعيش [1] : إن ما زادت إنّ تأكيداً على تأكيدها فصار فيها معنى الحصر .

وقد تدخل إنما ، دون إنّ ، على الجمل الفعلية ، كما فى قوله تعالى (٦٠ : ٩) : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين . . . أن تولّوهم » .

والسبب فى أن ما تكف إن عن العمل وتهيئها للدخول على الجمل الفعلية هو أن القوة الاشارية فى إن تنصب كلها على ما ، فتكون الجملة بعدها كأنها بدل منها ، وهنا يستوى أن تكون اسمية وفعلية ، فاذا كانت اسمية ظل مبتدأها بطبيعة الحال على حالة الرفع : إنما زيد قائم = انظر هذا ! زيد قائم ؛ إنما يقوم زيد : انظر هذا ! يقوم زيد . وما هذه ، كما هو واضح ، إشارية أضيفت لتزيد القوة الاشارية فى إنّ . ويسميها النحاة العرب زائدة ، وهى تسمية صحيحة من ناحية الشكل ، فما زائدة حقاً ، ولكنها تسمية لا تتناول الموضوع .

وما فى إنما عنصر إشارى بسيط ، وهى ليست ما الموصولة كما يزعم ركندورف [2] . ولا ريب فى أن ما الموصولة إشارية فى الأصل ، ولكنها الآن ذات وظيفة خاصة محدودة ، ومثلها فى هذا ما الاستفهامية . أما ما فى إنما فلا تزال عنصراً إشارياً بسيطا .

(ب) أنّ :

اسم صوت كإنّ ، وهى مركبة من أنْ + نّ . [3] وأنْ هذه اسم صوت بسيط مكون من عنصرين إشاريين هما الهمزة (مفتوحة) والنون ، أضيفت إليهما نون إشارية أخرى على سبيل التقوية والتأكيد .

---

(١) ط القاهرة ، ج ٨ ، ص ٥٦ ؛ ط ليبزج ، ص ١١١٣

(٢) Die synt. Verh. des Arab. (ص ٧٢٣ ؛ الهامش الأول) و Arab. Syntax (§ 65.7 فى الصدر) . وهو يفسر « إنما جاء أنا » كذا : إن ما (الذى) جاء (هو) أنا .

(٣) فيلبي Philippi Wesen und Ursprung des Status cons. im Hebr.) (فيمار Weimar ، ١٨٧١) ، ص ١٨٧) .

ومعنى أنّ في الأصل كمعنى إنّ ، أى « انظر » ، ومن ثم نصبت « المبتدأ » في الجملة الاسمية بعدها [1] . فقولنا أعلم أن زيداً قادم = أعلم : انظر زيداً ! (هو) قادم . فكانت أنّ في الأصل تلفت نظر السامع إلى زيد . ولكنها أخذت فيما بعد تشير إلى الجملة كلها : أعلم هذا : زيد قادم ؛ ولكن ظلت « زيداً » على النصب . انظر الهامش الثانى فى ص ١٠٨

* * *

أنْ الداخلة في تركيب أنّ تستعمل ثلاثة استعمالات في العربية . فهى قد تكون مصدرية ، وعندئذ يليها فعل دائما ، ماض مثل بلغنى أن جاء زيد ، أو مضارع منصوب [2] مثل أريد أن تفعل .

وقد تكون أنْ « مخففة من الثقيلة » (وان كان الأولى هنا أيضا أن يقال «أنّ المثقلة من الخفيفة ») . وأنْ هذه تأتى بعدها جمل اسمية كأنّ ، ولكن المبتدأ هنا ضمير الشأن واجب الحذف ، كقوله تعالى (٢٠ : ٨٩) أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ، أى أنه لا يرجع . ونادراً ما تعمل أنْ « المخففة » ، ولكن لا يستحسن سيبويه ذلك [3] .

وقد تتقدم أنْ القول كقوله تعالى (١٩ : ١١) فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا . ومن الغريب أن الفعل الذى يسبق أنْ هذه يجب ألا يكون فعل القول ولكن أن يكون فعلا فيه معنى القول كأوحى ونادى . انظر ابن يعيش (ط القاهرة ، ج ٨ ، ص ١٤٢ ، س ٢ — ٣ ؛ ط ليبزج ، ص ١١٩٢) وابن هشام (المغنى ، ج ١ ، ص ٣٠ — ٣٢) . ويقول ابن هشام إن الكوفيين لا يسلمون بأنْ هذه التى يسميها سائر النحويين أن المفسرة .

وأنْ في هذه الاستعمالات الثلاثة اشارية [4] . فبلغنى أنْ جاء زيد (حيث أنْ مصدرية)

---

(١) لا يرجع نولدكه (المرجع المذكور ، ص ٤٠٠ ، الهامش الثانى) وبارت Barth فى كتابه Die Pronominalb. in den sem. Spr. (ليبزج ، ١٩١٣ ، ص ١٠٣ ، الهامش الثانى) عمل النصب فى أن إلى طبيعتها نفسها ولكن إلى قياسها على إنّ .

(٢) انظر فيما شذ عن ذلك لين ، ص ١٠٠٤ ، عمود ب — ح .

(٣) انظر ابن يعيش (ط القاهرة ، ج ٨ ، ص ٧٣ ، س ٢ ؛ ط ليبزج ، ص ١٢٢٩ ، س ٢٢) . ويزعم البصريون اعتمادا على هذه الاستعمالات النادرة أن أنْ « المخففة » تعمل ، وهو ما يخالفهم فيه الكوفيون (انظر ابن الأنبارى ، ص ٨٨ — ٩١) .

(٤) يرى بريشون Perruchon (Les particules arabes 'أنْ', 'أنّ' 'que', et le démon. assyr. 'annu' ؛ مجلة ZA ، المجلد الرابع ، ص ١٨٥ — ١٨٨) أن اسم الإشارة =

= بلغنى هذا : جاء زيد . وأريد أن تفعل (حيث أنْ مصدرية أيضا) = أريد هذا : تفعل. وأفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا = أفلا يرون هذا : لا يرجع إليهم قولا .

ونصب المضارع بعد أن المصدرية ليس مرجعه إليها ، فهى إشارية خالصة ، ولكن إلى أن الفعل يدل على غرض . فالمضارع المنصوب ، كما يقول ركندورف [1] ، غائى ('der modus finalis') . وهو دائما مسبوق بحروف وصل (conjunctions) ، أى أنه يكوّن دائما جملة فرعية (subordinate clause) . فالمضارع المنصوب يعبر إذن عن غرض لفاعل الجملة الأساسية (principal clause) ؛ ولما كان يدل على غرض ، فهو يشير إلى الاستقبال . انظر تفصيل ذلك وأمثلته فى كتاب ركندورف Arab. Syntax الفصل ٢٧

وإذا ألحقنا ما بأنّ كفتها عن العمل، وهيأتها للدخول أيضاً على الجملة الفعلية . وماهذه، التى يسميها العرب زائدة كافة ، هى مثل ما فى إنما عنصر إشارى بسيط . وهى فى « أعلم أنما زيد قادم » (حيث أن مكفوفة) وفى « أعلم أنما يقوم زيد » (حيث دخلت أنّ على جملة فعلية) معمولة لأنّ فى محل نصب بها ، والجملة بعدها بدل منها فى محل نصب . ويقول ابن يعيش [2] إنه يجوز أن تكون ما زائدة مؤكدة ، فلا تكفّ أنّ عن العمل ، فيقال « أعلم أنما زيدا قادم » . وهنا نقول إن ما معمولة لأنّ فى محل نصب بها ، وزيداً بدل من ما منصوب ، وقادم خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو .

(ح) لكنّ

وما قيل عن أنما يصدق تماما على لكنما . ولكنّ ، كسائر أخوات إنّ ، تنصب الاسم

= annu « هذا » فى الاكادية قد يكون الأصل فى حرف الوصل أنْ أو أنّ ، وأن هذا الحرف لابد أنه كان فى الأصل اسم اشارة . وهو يبنى رأيه هذا على أنه فى معظم اللغات تتفق صيغة حرف الوصل الذى بمعنى أنّ والذى يتقدم الجملة الفرعية مع صيغة اسم اشارة أو اسم موصول فى اللغة الواحدة تمام الاتفاق . وهو يقول ان هذا الاتفاق التام فى الصيغة يرجع الى أن الجملة الفرعية كانت فى الأصل بجملة أساسية يتقدمها اسم اشارة .

وبريشون محق فى قوله إنه لابد أن أنْ أو أنّ كانت فى الأصل اسم اشارة . ولكن لا يلزم أن الأصل فيها annu الأكادية ، والأولى أن يقال إن الصيغ الثلاثة كلها من عناصر اشارية واحدة .

(١) Die Synt. Verh. des Arab., § 34.

(٢) ط القاهرة ، ج ٨ ، ٥٧ ؛ ط ليبزج ، ص ١١١٣

وترفع الخبر ؛ فإذا « خففت » أو بمعنى أصح ردّت إلى صيغتها البسيطة الأولى (لكنْ) ، لم تعمل (خلافاً للأخفش ويونس)[1] وأمكنها الدخول على الجمل الفعلية .

ولكنْ هذه تقابل lāk̲en العبرية [2] . وهذه الأداة العبرية تعنى عادة « لذلك » (كمثيلتها lkn فى الفينيقية) . ولكن هاوپت Haupt [3] ، وكازانوفتش Casanowicz [4] دللا على أن لها ثلاثة معان أخرى هى « حقاً كذلك » و « لا أبدا » و « حسنا » .

وقد حلل هاويت lāk̲en وفق معانيها المختلفة على النحو التالى :

(١) فى lāk̲en «لذلك» - lā هى لام الجر ، والعنصر الثانى هو الظرف ken « كذلك » .

(٢) فى (lāk̲en) « حقاً كذلك » نجد الظرف (ken) أيضاً ، ولكن — (lā) هى لام التأكيد .

(٣) فى (lāk̲en) « لا أبدا » نجد الظرف أيضاً ولكن — (lā) هى لا النافية ، فيكون المعنى الأصلى للاداة هو « ليس كذلك » . و (lāk̲en) فى هذه الحالة تقابل لكنّ التى للاستدراك فى العربية ، إذ أن معنى « جاءنى زيد لكنّ عمرا لم يجيء » هو « جاءنى زيد ؛ ليس كذلك عمرو : لم يجيء » .

(٤) فى (lāk̲en) « حسنا » — (lā) هى لام التأكيد ولكن (ken) فى هذه الحالة هى الصفة (ken) « صحيح » (من الجذر kwn) .

وهكذا نجد هاوپت يقترح تفسيرات مختلفة لصيغة (lāk̲en) . ولكن ركندورف وكونيج (König) ونولدكه وبارت يقترحون كلٌّ تفسيراً واحداً . فركندورف [5] يحلل لكنّ و (lāk̲en) إلى (la) المؤكدة + (ak) (= ʼak̲ « لكن » فى العبرية) + (inna) . وكونيج [6] ونولدكه [7] يعدان — (lā) لام الجر . وبارت [8]

---

(١) المغنى ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ، س ١٢

(٢) بارت (المرجع المذكور فى ص ١١٣ ، 24 d §)

(٣) Micah's Capucinade ؛ JBL ، المجلد ٢٩ ، الجزء الثانى Part ، ص ١٠٤ ، هامش ٦١ .

(٤) Note on some usages of לָכֵן ؛ JAOS ، المجلد ٣٠ ، ص ٣٤٣ — ٣٤٦

(٥) Die synt. Verh. des Arab. ، ص ٣٦٤ — ٣٦٥ والهامش الأول ص ٣٦٥

(٦) Hist.-krit. Lehrg. der herb. Spr. ، ج ٢ (ليبزج ، ١٨٩٥) ، ص ٢٧٦

(٧) فى Lit. Zentralblatt ، ١٩١٣ ، ص ٢٣٠ (ننقل هذه الاشارة من بول فى نشرته قاموس جزنيوس ، ص ٣٥١ ، عمود ب) .

(٨) المرجع المذكور فى ص ١١٣ ، ص ٧٥ (الهامشان ٥ و ٦) .

يقول إن — (lā) قد تكون (la) الاشارية (محركة بحركة طويلة) ؛ وإن لام الجر لا يصح توقعها قبل أداة أصلية ، كما أن الفتحة الطويلة تدل على أن الأداة لا تشتمل على حرف الجر (la) أو (li) .

ويهاجم ايتان (Eitan) [1] رأى بارث ويقول إن (lāken) « لذلك » تتكوّن من لام الجر والظرف (ken) (مثل هاوپت !) ، وإن (lāken) « لكن » تتكون من حرف الجر lᵉ + ʼāken « لكن » ، وإن (lāken) « حقا كذلك» تتكون من (lā) المؤكدة + الظرف (ken) (مثل هاوپت !) . وهو يرى أن لكنْ ولكنّ فى العربية مكونتان من حرف الجر la + ʼak (= ʼak « لكن » فى العبرية) (مثل ركندورف !) + ʼin أو ʼinna .

ونعلق على هذا كله فنقول إن (lā) فى (lāken) « لكن » لا يمكن أن تكون لا النافية كما يزعم هاوپت ، فان هذه هى (lō) فى العبرية . وليس من الصحيح أن لام الجر لا ترد قبل أداة أصلية كما يزعم بارث ، وذلك بدليل لأنّ ولكى وغيرهما . والفتحة الطويلة فى (lā) لا تنفى أن (lāken) مشتملة على حرف الجر (la) أو (li) كما يزعم بارث ، وذلك بدليل (lārob) « كثيراً » و (lāʿad) « دائما » و (lāneṣah) « دائما » فى العبرية ، حيث مُدّت فتحة حرف الجر . فالمقطع lā فى lāken يمكن أن يكون لام الجر ، ولكن يمكن أن يكون أيضا عنصراً إشاريا أو أداة توكيد ؛ وعندئذ يستقيم التفسير التالى :

(ken) العبرية معناها « كذلك » و (lāken) معناها « لذلك ؛ حقا كذلك (وهذا المعنى يمكن أن يتضمن أيضاً المعنى « حسنا » الذى اقترحه هاوپت وكازانوفتش) ؛ لكن » . والتطور من « كذلك » إلى « لذلك » يجد مثيلا له فى (so) الانجليزية ؛ فلا حاجة إلى لام الجر لتحقيق المعنى « لذلك » . والمعنى « حقا كذلك » تدل عليه كما هو واضح (lā) الاشارية أو المؤكدة + ken . والمعنى « لكن » تطور عن « حقا كذلك » ؛ فان التأكيد ينطوى على التفرقة والتمييز .

و (lākin (na)) فى العربية معناها « لكن » ، ولكن ليس هذا المعنى أصليا . فهى مسبوقة بالواو فى كثير من الأحيان كقوله تعالى (٢ : ١٧٧) « ليس البر أن تولوا

(١) Heb. and Sem. Particles ، AJSL ، المجلد ٤٥ ، ص ١٩٨ — ٢٠٠

وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البرّ من آمن بالله» ، وكقوله تعالى (٢ : ١٢) «ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» ، وهذه الواو ما كانت لترد لو أن «لكن» حرف وصل أصلى بمعنى «لكن» . فأرجح الظن أن المعنى «لكن» (lākin (na)) تطور عن «حقا كذلك» . ومعنى هذا أن (lākin (na)) كانت فى الأصل ظرفا (بالمعنى الأوربى adverb) ، ثم استعملت حرف وصل . ويؤيدنا فى هذا ما يقوله بعض النحويين [1] من أن لكن للاستدراك تارة وللتأكيد تارة أخرى ، وما يقوله فريق آخر من النحويين من أن لكنّ ، مثل إنّ ، مؤكدة فقط ، وأن معنى الاستدراك ليس إلا مصاحبا لمعنى التأكيد .

ويقول الفراء [2] إن لكنّ مكونة من لكنْ + أنّ . وهذا الاشتقاق يتمشى وما نعرفه من أن لكنّ ، دون لكنْ ، تنصب الاسم بعدها ؛ فيظهر أن قوة النصب فى لكنّ ترجع إلى أنّ المضمنة فيها . واشتقاق ركندورف وايتان للكنّ من (la + 'ak + 'in(na)) يجب رفضه لأنه ليس فى العربية ('ak) تقابل ('ak) «فقط» فى العبرية .

والخلاصة أن لكنّ مكونة ، كما يقول الفراء ، من لكنْ + أنّ ، وأنّ لكنْ تقابل (lāken) العبرية ؛ وأن كلا من هاتين الأداتين مكونة من (lā) إشارية أو مؤكدة + kin (فى العربية > ken فى العبرية) «كذلك» . و (kin) هذه مكونة من كاف التشبيه + نون إشارية بمعنى «هذا» أو «ذلك» ، فمعناها الأصلى هو «مثل هذا» أو «مثل ذلك» [3] . ولها نظائر عدة فى سائر اللغات السامية ، نذكر منها على سبيل المثال (kn) «هكذا» فى النقوش العربية الجنوبية القديمة (كما فى نقش جلازر السبئى ١٣٧٩ ، س ٤) ، و (kn) «هكذا» فى رأس شمرا (17 : II : 54) ، و (ken) «كما يلى» فى آرامية العهد القديم والآرامية المصرية .

---

(١) المغنى ، ج ١ ، ص ٢٢٥ — ٢٢٦ (السطران الأول والثانى) .

(٢) المغنى ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ، س ٣

(٣) مما يؤسف له أن قاموس كولر Köhler العبرى على حداثته لا يزال يردد (ص ٤٤٢ ، عمود ب) الرأى القديم القائل إن ken «هكذا» تطورت من ken «صحيح» .



انو لیتمان

إنوليتمان ENNOLITTMANN

١٦ سبتمبر سنة ١٨٧٥ — ٤ مايو سنة ١٩٥٨

للدكتور مراد كامل

لا تكاد تذكر الدراسات الشرقية حتى يذكر اسمه ، ولا تقام لذلك هيئة إلا دعى إليها ، يفيد الناس على تباينهم من رأيه ، ويرشفون من علمه .

ذلك هو الأستاذ إنوليتمان ولد فى مدينة « أولدنبرج » بألمانيا فى السادس عشر من شهر سبتمبر من سنة ١٨٧٥ وما جاز مرحلة التعليم الثانوى حتى تنقل فى جامعات برلين وجريفسفالد وهاله ، وستراسبرج. وفى عام ١٨٩٨ أجازته جامعة هاله بدكتوراه فى الفلسفة وما كاد اسمه يلمع فى الأفق الأمريكى حتى بادرت البعثة الأمريكية إلى سوريا بضمه اليها عضواً من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٠ .

وعند عودته من سوريا وكلت إليه جامعة برنستن بالولايات المتحدة الأمريكية تدريس اللغات السامية سنة ١٩٠١ . وكان من حظ جامعة « بلتمور » بأمريكا أن ترى ليتمان أستاذاً زائراً بها .

ثم قدر لسوريا أن تراه للمرة الثانية من سنة ١٩٠٤ إلى سنة ١٩٠٥ بين بعثة جامعة برنستن الأثرية . وكان الألمان على نية إرسال بعثة سنة ١٩٠٥ إلى « أكسوم » العاصمة القديمة للملكة الأتيوبية ، فلم يجدوا لرئاستها أهلا غير أستاذنا ليتمان وعند عودته من أتيوبيا سنة ١٩٠٦ رأى الألمان أنهم أولى برجلهم فعينوه أستاذاً للغات السامية فى جامعة « ستراسبرج » وقد ظل بها يفيد الطلاب والوافدون من علمه حتى سنة ١٩١٤ .

غير أن هذا الجهد الواسع لم يقصر أمره على الرقعة الألمانية وحدها . بل جاوزها إلى غيرها خلال تلك الفترة التى قضاها أستاذاً بجامعة ستراسبرج فقد ندبته مصر للتدريس بجامعتها القديمة فيما بين سنتى ١٩١٠ و ١٩١٢ .

كما نادته أمريكا عام ١٩١٣ ليكون ضمن بعثتها إلى « سرديس » لدراسة النقوش اللودية بالأناضول ، وفيما بين سنتى ١٩١٤ ، ١٩١٧ رأيناه أستاذاً فى جامعة جوتنجن الألمانية ثم أستاذاً فى جامعة « بن » إلى سنة ١٩٢١ ثم أستاذاً فى جامعة « توبنجن » وهناك فى هذا الركن الهادىء كان يقصد إليه طلاب العلم من الألمان والنازحين يفيدون من خبرته وعلمه وينتفعون بمكتبته التى جمعت الكثير من أمهات الكتب وأصول المراجع .

وفى عامى ١٩٢٩ ، ١٩٤٨ كان ليتمان أستاذاً زائراً فى جامعة القاهرة ينشر للناس فى مصر صفحات فيها جهد تلك الأعوام الخالية ، الأمر الذى حدا الجامعة أن تعبر عن تقديرها لهذا العالم فمنحته الدكتوراه الفخرية فى الآداب عام ١٩٥١ ومن قبل قدرت له جامعة « هاله » قدره فمنحته دكتوراه فخرية فى اللاهوت عام ١٩٢٣ .

وكما انتفعت الجامعات من علمه أفادت المجامع من خبرته فلا يكاد يذكر مجمع إلا ذكر من بين أعضائه اللامعين اسمه فهو فى مجمع اللغة العربية بمصر كما هو فى مجمع كوبنهاجن وامستردام وباريس وروما وبرلين وجوتنجن وفينا .

كفاية طبقت الآفاق ، وتقدير شهدت به مختلف الهيئات .

هذه صفحة حياة الأستاذ ليتمان نقرأ فيها جهداً غير مقطوع الحلقات ، فهو من بيئة علمية إلى أخرى ومن مشاركة هنا إلى مشاركة هناك ، همه أنى كان علم يفيده ، وبحث يستقصيه ، وخبرة يستزيدها ، ولقد عددنا له ما ألف وكتب فوجدناه يربى على السبعمائة ، فى أبواب متنوعة ومناح مختلفة ، فله :

١ — فى لغات الحبشة وأدبها .
٢ — فى النقوش السامية .
٣ — فى الدراسات العربية .
٤ — فى تاريخ التقدم العلمى .
٥ — فى الدراسات الفارسية والتركية .
٦ — فى الدراسات الجرمانية .
٧ — فى مآثر من مات من العلماء .
٨ — فى نقد الكتب .

وهانحن عارضون لكل باب من تلك الأبواب الثمانية بشىء من التعريف والتنويه .

١ — لغات الحبشة وأدبها

اتجه الأستاذ ليتمان للدراسات الحبشية فخصها بجهد مشهود كشف به للناس من خفايا لم تكن لهم على بال وكانت أبعد ما تكون عن أن يضمها كتاب أو يستوعبها بحث ، وهو لهذا يعد بحق زعيم هذه الناحية فى العصر الحاضر وتجد له فيها أبحاثا تناولت لغات حبشية مختلفة كالجعز والتيجرى والتيجرنيا والامهرية والهررية والجالا .

وأعرف ماله من هذه الدراسات ترجمته لكتاب اليوبيل ذلك الكتاب الدينى الذى ضاعت معالمه فى اللغات القديمة على اختلافها ولم تحفظه الا اللغة الحبشية القديمة (الجعز) نقل اليها عن اليونانية التى كانت قد نقلته عن العبريه . وقد عرض هذا الكتاب لتقسيم تاريخ العالم الى عصور يوبيل ومن هذا كان اسمه ، وهو معروف فى الحبشية أيضا باسم « مصحف كوفالى » أى كتاب التقسيم . وأهم ما نفيد من هذا الكتاب حديثه عن اللاهوت اليهودى فى العصور الأخيرة قبل ظهور المسيحية .

وغير هذا فللاستاذ بحث عن الضمائر فى لغة التيجرى وآخر تكلم فيه عن الفعل وصوره المختلفة فى هذه اللغة .

وكان بمكتبة جامعة « برنستون » لفائف تتضمن أشياء فى السحر فحرص الأستاذ على اخراجها وعرضها فى صورة علمية مبسوطة مشروحة ، له فى ذيلها تعقيبات وتوجيهات .

وشىء آخر فى السحر وقف له الاستاذ وقتا غير قليل ، وبذل فيه عناية مشكورة هو الكتاب المعروف باسم « أردئت » أى التلاميذ ، مكتوب بالحبشية وفيه الكثير من الخوارق التى جرت على ايدى اتباع المسيح مستخدمين فى ذلك أسماء وما وراءها من اسرار وما لها من قوة . ويقرأ الدارسون للاستاذ ليتمان جزاين من أربعة اجزاء للبعثة الألمانية الى أكسوم هما الأول والرابع ضمنها نتائج دراساته وكشفه حين كان رئيسا لتلك البعثة فتكلم فى الأول عن البعثة ، ثم عرض لتاريخ اكسوم القديم ووصف النقود التى عثر عليها هناك مع اسهاب وتفصيل . ومن بين تلك القطع النقدية التى استرعت انتباهه والتى كان لها أثر واضح فى تاريخ المسيحية فى الحبشة قطعتان باسم الملك « عيزانا » . أحداهما تحمل شارة الوثنية والأخرى تحمل شارة المسيحية فدله استقصاؤه وهدته خبرته الى أن يكون أول مؤرخ يحدثنا عن السنة التى كانت الديانة المسيحية فيها الديانة الرسمية للحبشة وهى سنة ٣٤٠ ميلادية .

كما أودع الجزء الرابع عرضا للنقوش السبئية واليونانية والحبشية القديمة .

وهذه الأجزاء الأربعة التى أنفرد منها ليتمان بجزئين وشارك فى الجزئين الآخرين هى المرجع الرئيس لكل دارس لتاريخ اكسوم ، أو راغب فى الألمام بتاريخ الحبشة القديم .

وهناك نص حبشى ذو شأن لفيلسوفين من فلاسفة الحبشة هما زرء يعقوب وتلميذه ولدحيوت . لم يفت الأستاذ أن يعنى به ويخرجه للناس صفحة واضحة معها الكثير من التعليقات والحواشى وضم اليها ترجمة الى اللاتينيه .

وغير هذا النص السابق نص آخر باللغة الأمهرية حوى تاريخ الملك تيودور الذى حكم بين عامى ١٨٥٥ ، ١٨٦٦ عنى الأستاذ بنشره ليعرف الناس صفحة من صفحات التاريخ الهامة فى هذا الركن من العالم تضم الكثير من الحوادث عن صلة الحبشة بغيرها من البلاد المجاورة فى تلك الحقبة الزمنية . ولم يقصر الأستاذ ليتمان جهده فى زورته للحبشة على تلك المناحى التى تحدثنا عنها من نقوش وآثار وتاريخ بل جلس الى الشعب يسمع منه لغته ولهجاته ويتعرف الى عاداته ويدرس ادبه حتى اذا ما اجتمع له ما اراد خرج على الناس بمجلدات أربعة تتناول فى تفصيل هذه النواحى : تقرأ فى الأول منها القصص التى كانت تجرى على الألسن والعادات التى كانت تشيع بين قبيلة التيجرى كما تقرأ فى الثانى ترجمة وضعها بالأنجليزية لهذا المجلد الأول ويطالعك الثالث بالكثير من أغانى قبيلة التيجرى التى بلغت سبعمائة قصيدة هى لا شك مادة للبحث المقارن الذى يوازن بين هذا الأدب وبين الأدب فى الجاهلية العربية وهذه لا شك ثروة تفيد فى مناح كثيرة . وكما ترجم الأستاذ الجزء الأول الى الانجليزية كذلك ترجم المجلد الثالث الى الألمانية فى مجلد رابع .

وللاستاذ شىء آخر فى الأغانى التيجرية فقد جمع جانبا منها مما نظم فى مدح حكام ارتريا من الطليان ضمنه كتابا نشره بلغته الأولى ثم ترجمه .

كما له دراسات فى اللغة الهررية عرض فيها للحديث عن تلك اللغة وأساليبها .

ودراسات أخرى فى الأمثال التى تجرى على السنة المتكلمين بلغة التيجرنيا جمعها فى كتاب حافل بالكثير منها .

وللامهريين اغانى قيصرية قديمة جمع الأستاذ الكثيرمنها باللسان الأمهرى القديم وعنى نفسه بشرحها والتعليق عليها كما ترجمها الى الألمانية وله بعد هذا بحث تكلم فيه عن أوزان

الشعر فى لغة الجالا وهذا شىء جديد يعد إبداعا من الباحث فلم يسبقه فى هذا الميدان أحد قبله .

واذا كنا قد تكلمنا عما للاستاذ من نصوص وابحاث ودراسات منشورة فى هذا الباب فلن يفوتنا أن نختمه بأعمال أخرى نعرفها له ونعرف أنه قد أعدها للنشر : منها كتاب له فى قواعد اللغة الحبشية القديمة وآخر عن قواعد لغة التيجرى ثم شىء جدير بالتنويه والاشارة هو ذلك القاموس التيجرى الألمانى الانجليزى الذى أربت جزازاته على خمس وسبعين الفا وقد شرع فى نشره منذ سنتين ولم يتم بعد .

٢ — النقوش السامية

هذا باب ما أحوج والجه الى بصر عميق وتفهم واسع والمام شامل باللغات ثم ذهن حاضر وبديهة مواتية ونهج واضح فليس الأمر مع النقوش السامية باليسير .

وقد اجتمع للاستاذ ليتمان من هذا كله حظ وافر جعله إمام المشتغلين بهذا الموضوع من المستشرقين وحسبك أن تطالع معنا بعض أثاره فى هذا الباب لتدين بما دان به له العلماء

نذكر لك على سبيل المثال من دراساته فى النقوش وحل مغلقاتها وتفهم رموزها ودلالاتها .

اللوبية : فله عنها مقال فى ابجديتها وأصلها الذى أخذت عنه ، وفق فيه الى استنباط أنها اشتقت من ابجدية النقوش العربية الشمالية القديمة .

ثم الفينيقية : وقد ظفر فيها بنقش الملك كلمو قرأه ثم نشره وعلق عليه .

ثم العبرية : وقد ضمن كتابه الذى نشره حاويا للنقوش السامية الكثير من تلك النقوش العبرية تلك ، كما ضمن كتابا له آخر شيئا من النقوش العبرية التى فى ستراسبرج .

ثم السريانية : وله فيها عملان الأول ماضمنه منها كتابه عن النقوش السامية والثانى ما نشره منها فى القسم الثانى من المجلد الرابع من مطبوعات البعثة الأمريكية الى سوريا .

ثم التدمرية : وقد عثر منها على نقشين دينين فى مدينة تدمر نشرهما فى مقال له . كما أفرد لتلك النقوش فصلا فى كتاب عن النقوش السامية .

ثم النبطية : وقد أودع كتابه عن النقوش السامية شيئاً منشوراً من نقوشها ، كما خص

القسم الأول من الجزء الرابع من مطبوعات البعثة الأمريكية إلى سوريا بطائفة من تلك النقوش ، ثم ما نشره سنة ١٩٥٥ عن النقوش النبطية التى عثر عليها فى مصر .

ثم العربية الشمالية القديمة : وله فيها خطوة موفقة تكاد تكون كشفاً ، فقد وفق إلى حل رموز النقوش الصفوية ثم الثمودية . وله كتاب ألفه سنة ١٩٠١ عن النقوش الصفوية كما له باب بين أبواب كتابه فى النقوش السامية عن تلك النقوش أيضاً وغير هذين فإنك تقرأ له القسم الثالث من الجزء الرابع من مطبوعات البعثة الأمريكية إلى سوريا ، ففيه الكثير عن تلك النقوش .

أما عن النقوش الثمودية فلا يزال كتابه الذى خرج به على الناس سنة ١٩٠٣ مضمناً إياه جهده الموفق فى حل معميات تلك النقوش مرجعاً للباحثين فى هذا الميدان .

ولا ننسى له كتابه الأخير فى هذا الباب الذى ألفه سنة ١٩٤٠ وعنوانه ثمود وصفا الذى جمع فيه خلاصة أبحاثه المختلفة عن النقوش الصفوية والثمودية .

ثم السبئية : وله فى نشر بعض نقوشها جهد مشكور تقرؤه فى المجلد الرابع من المطبوعات البعثة الألمانية إلى أكسوم .

ثم العربية : وقد ضمن القسم الرابع من الجزء الرابع من مطبوعات البعثة الأمريكية ١٣٨ نقشاً منها ثم، ما نشره سنة ١٩٤٩ عن النقوش العربية القديمة .

ثم اللودية : وله فيها محاولة تذكر بالتقدير والاجلال فقد اهتدى إلى حل رموز أبجديتها حين كان عضواً فى البعثة الأمريكية إلى سرديس . ونشر نقوشا لها .

ثم الحبشية القديمة : وقد عثر منها على نقوش حين كان رئيسا للبعثة الالمانية الى إكسوم نشرها وشرحها وعلق عليها فى المجلد الرابع من مطبوعات تلك البعثة . كما نشر سنة ١٩٥٠ بحثاً عن تلك النقوش .

ثم اليونانية واللاتينية : وقد نشر منها شيئا فى الجزء الثالث من مطبوعات البعثة الأمريكية إلى سوريا وهى النقوش التى وجدتها البعثة الأمريكية هناك .

٣ — الدراسات العربية

إن من يعرف ليتمان يعرف له حنينه إلى كل ما يتصل بالشعب من أدب وعادات وتقاليد ، إذ تلك الصفحة فيها الكثير من حياة الشعب فى غير غموض ولا مواربة . من أجل ذلك كنت ترى ليتمان حيث حل مبعوثاً أو زائراً حريصاً على أن يتصل بتلك الطبقة الشعبية ، يجلس إليها ويدرس كل ما يتصل بها . وقد قدمنا طرفاً من ذلك فى الحديث عن دراساته فى الحبشة . ونسوق هنا طرفاً آخر من ذلك اللون فى البلاد العربية .

فله كتاب شامل للكثير من القصص الشعبى بلهجة أهل بيت المقدس وآخر عن الأغانى التى نظمت فى الحديث عن الحماة على السنة العامة ، وغير هذين مؤلف له جمع فيه الكثير من المقطوعات الشعبية فى فلسطين وسوريا ترجمها بعد أن شرحها وذيل لها .

وفى عام ١٩٢٠ وضع مؤلفاً فى لغة غجر الشام ذكر فيه قواعد لتلك اللغة وختمه بثبت يضم مفرداتها .

ولا يزال قراء الألمانية يقرءون له ترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة بأسلوب ادبى رائع يمتاز بالجمل القصيرة السهلة وقد قدم له بدراسة مسهبة تكلم فيها عن تاريخ هذا الأدب ومميزاته وخصائصه . وأعاد ترجمته سنة ١٩٥٧ .

كما ترجم إلى الألمانية أيضاً طرائف من القصص العربى العامى مع شرح واف ودراسة عميقة وتعليق طويل .

ولم يفته أن يجمع الكثير من الأمثال الدارجة والأحاجى العامية المسموعة فى القاهرة وأن يضمنها كتابا له مع تعليق منه عليها وشرح لاشاراتها ومدلولاتها .

كما جمع أيضاً الكثير من الأغانى الوطنية المصرية فى كتاب له قدمه بدراسة وافية ثم ترجمه إلى الألمانية .

وقد أفرد كتابا للأغانى الخاصة بالزار جمع شتيتها ثم شرحها وترجمها .

كما نشر تلك القصيدة الشائعة على ألسنة المادحين فى مصر التى عرضت لزواج النبى بالسيدة خديجة ثم رحلته الى بصرى .

وغير هذا كله فقد عنى نفسه بنشر سيرة السيد أحمد البدوى مع مقدمة طويلة فيها دراسة تاريخية شاملة .

وظهر كتاب له عن الأغانى الاسلامية العربية فى بعض الأنبياء والأولياء والصالحين كابراهيم واسماعيل ومريم وهاجر .

٤ — تأريخ التقدم العلمى

للاستاذ ليتمان رسالة نشرها عام ١٩٤٢ أرخ فيها للمجهودات العلمية للعلماء من الألمان فى دراسة الشرق الأدنى من سنة ١٨٠٠ إلى سنة ١٩٤٠ جمع فيها جمهرة من هؤلاء الرجالات الذين قضوا أعمارهم فى البحث والتنقيب بعيدين عن بلادهم والذين كللت مجهوداتهم آخر الأمر بدراسة ناجحة لا تزال مرجع كل باحث فى الفنون المختلفة من لغة وأدب وعلم وتاريخ تخص الشرق الأدنى .

٥ — الدراسات الفارسية والتركية

نعرف هنا مقالا للأستاذ ليتمان عن هاروت وماروت ثم ، شرحا لرسوم رضائى عباس أفاض فيه وعرف بمدلولاته .

كما خص الأغانى الشعبية التركية فى آسيا الصغرى بكتاب له جمع فيه شيئا منها .

كما نشر قصة من خيال الظل التركي بعد شرحه لها شرحا ينبىء عن فهم الأستاذ لدقائق الأدب الشعبى التركي .

وشىء آخر نشره الأستاذ من ذلك الأدب الشعبى هو حوار طويل عن الزواج باللغة التركية يعطيك صورة واضحة عن ذلك المعنى الذى كان يغوص عنه الأستاذ ليتمان من تعرف ما يتصل اتصالا وثيقا بالشعب وكيف يعالج أموره فى أسلوب فكاهى .

٦ — الدراسات الجرمانية

ولم ينسى الأستاذ ليتمان أن يخص لغته بشىء من عنايته فقد دبج مقالات عدة فى بعض اللهجات السائدة فى شمال المانيا الغربى . ثم جمع شيئا من القصص الفريزى كما يجرى على السنة سكان آلت ونجبرج ثم ترجمه الى الألمانية .

وقد أوشكت هذه اللهجة أن تزول ولم يبق ممن يتحدث بها الا نزر يسير .

٧ — مآثر من مات من العلماء

ومن شأن العالم أن يعنى بالحديث عمن تستأثر به المنية ويسبق الى الدار الآخرة ، ذلك وفاء يقوم به العالم للعالم تخليدا لذكراه وتنويها بما خلف . وليس غير العلماء أعرف بجهود ز ملائهم وادرى بمآثرهم لذلك كان ليتمان وهو الصديق للكثير من العلماء فى البلاد المختلفة حريصا على أن يكتب فى هذا الباب فهو فيه حجة رأى وصاحب ، حين لم يتيسر الرؤية والمصاحبة للكثيرين .

نعد للاستاذ ليتمان فى هذا الباب ما يربى على العشرين مقالا عدد فيها مآثر زملاء وأصدقاء منهم : جويدى ، ونولدكه ، وسنوك دو هرغرونية ؛ وياكوب ، ونالينو ، ومتفوخ وما يرهوف ، وقد جمعها تلاميذه فى كتاب قدموه له وهو فى الثمانين .

٨ — نقد الكتب

النقد العلمى كالتأليف سواء بسواء يدل على سعة علم ونظر ثاقب فالناقد العالم لا يقنع حين ينقد بتتبع الزلات وحصر الهنات بل هو يكشف للمؤلف عما عمى عليه ويدله على مواطن الضعف ويجمع له ما غاب عنه ويكمل له ما نقص ، فهو بذلك يعد ركنا لا غنى للعلم عنه .

من أجل ذلك درجت المجلات العلمية المعروفة أن تكل الحديث عن الكتب الى علماء مختصين فاذا رأينا أن للاستاذ ليتمان فى هذا الباب مايربى على الخمسين مقالة فى أعرف المجلات العلمية عرفنا له قدره فى الأوساط العلمية ومنزلته فى ذلك الميدان .

هذه صفحة من صفحات الأستاذ انو ليتمان الذى خسر العلم بوفاته عالما منصفا مثمرا قلما يجود الزمن بمثله .

منتخبات من :

كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار

لابن عبد المنعم الحميرى

خاصة بالجزر والبقاع الإيطالية

تحقيق

الدكتور أمبرتو ريتزيتانو

لفت المستشرق المغفور له لاڤى پروڤنصال منذ سنة ١٩٣١ [١] أنظار المثقفين ولا سيما المستشرقين منهم إلى وجود معجم جغرافى تاريخى عنوانه « الروض المعطار فى خبر الأقطار » من تصنيف أبى عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى . وبعد مضى بضع سنوات من ذلك التاريخ نشر المحقق المذكور النص العربى والترجمة الفرنسية لكل ما يتعلق ببلاد الأندلس والبرتغال وجنوب فرنسا الوارد ذكره فى كتاب الروض المعطار [٢] . وقد أسهب البحاثة فى مقدمة هذه النشرة فى وصف المخطوطات المختلفة التى اعتمد عليها وفى إيضاح الصلات

(١) كان ذلك أثناء انعقاد مؤتمر المستشرقين بمدينة ليدن فى سبتمبر سنة ١٩٣١ راجع
Actes du XVIII International des Orientalistes, Leyde 1932, p. 138-40

(٢) راجع « صفة جزيرة الأندلس منتخبة من — كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار — لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى » القاهرة سنة ١٩٣٧ . ثم ضم هذا النص والترجمة الفرنسية فى مؤلف واحد (أبريل سنة ١٩٣٨ واختصرنا عن هذا الكتاب بكلمة « صفة ») كذلك اعتنى لاڤى پروڤنصال بنشر منتخبات أخرى من « الروض المعطار » وهى :

Une description inédite du Phare d'Alexandrie, Mélanges Maspéro, III, pp. 161-171 (Mémoires de l'Inst. Franç. d'Arch. Or., t. LXVIII, Le Caire, 1935)

القائمة بين هذا النص والمعاجم الجغرافية السابقة له [1]. ثم أبدى رأيه عما هو الأرجح لديه فيما يتعلق بشخصية مؤلف هذا الكتاب طبقاً لما أدى إليه بحثه.

ولما كانت هناك أدلة جديدة — ولعلها مقنعة — تعزز قيمة حجج الأستاذ الفرنسي تارة وتبطلها تارة أخرى، فإننا نرى من الأصلح أن نذكر هنا مجملا لما عرضه المستشرق على الباحثين لإيضاح المناقشة.

استعان لافي بروفنصال بأربع مخطوطات وصفها وصفاً مُسهباً في مقدمة « صفة جزيرة الأندلس » منها نسخة كاملة في مجلدين (رمز إليها بحرف « ت ») جاء في آخرها.

« هذا آخر الجزء الثاني من الروض المعطار في خبر الأقطار [للشيـ]ـخ الفقيه العدل أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي محمد عبد الله بن عبد المنعم بن ع[بد المنعم الحمير]ى رحمة الله عليه وتمامه جميع الكتاب في صبح يوم الجمعة السابع عشر من شهر صفر [الخير أ]حد شهور سنة ست وستين وثمان(*sic*) مائة بساحل جُدة المعمورة. وفرغت من تقييـ[ـده يوم عاش]وراء لعام ١٠٤٩ .. على يد .. إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم الأقاوى» [2].

وبعد حصوله على هذين العنصرين وهما: إسم المؤلف والتاريخ (٨٦٦ هـ [3]) الوارد في أول الذيل المذكور والذى حمله على غير محمله في نظرنا، فقد التجأ المحقق إلى مراجعة

Une héroine de la résistance musulmane en Sicile au début du XIII siècle, Oriente Moderno, XXXIV (Roma, 1954) pp. 283-288.

انظر النص تحت مادة (أنطالة)

Une description arabe inédite de la Crète (Studi Orientalistici in onore di G. Levi Della Vida, vol. II, Roma 1956, pp. 49-57).

لا أعلم علم اليقين عما إذا كان المستشرق G. Wiet قد نشر منتخبات من كتاب «الروض المعطار» تتعلق بمصر كما وعد بذلك في بحثه

Un résumé d'Idrîsî, Bull. Soc. Royale de Géogr, d'Egypt, XX, 1939, p. 161.

حيث قال: « ... أما نصوص (الروض المعطار) الخاصة بمصر فستنشر عن قريب ».

(١) أسهب لافي بروفنصال في الموضوع الخاص بهذه المصادر في مقدمة « صفة جزيرة الأندلس» ، ١١ — ٢٦ (XXI—XXVI بالأرقام الرومانية)

(٢) مقدمة « صفة جزيرة الأندلس » ص ٢١ (XI بالأرقام الرومانية).

(٣) كان Dozy و Gaudefroy—Demombynes قد سبقاه إلى هذه الملاحظة . راجع مقدمة « صفة جزيرة الأندلس » ص ١٤ (XIV بالأرقام الرومانية) كما سبقه إلى ذلك الأستاذ Nallino . راجع : الذكرى المئوية لميكيل آمارى، بلرم ١٩١٠، ١ / ٣٢٧ و ٢ / ٦٤٠—٦٤١ (*Centenario della nascita di M. Amari*) واختصرنا عنه بـ « الذكرى المئوية ».

مجموعات التراجم الكبرى وعلى رأسها « كشف الظنون » . ووجد نفسه أنه أمام روايتين لنص واحد نسبا لمؤلفين عاشا فى عصرين مختلفين .

وفى الواقع ذكر حاجى خليفة « الروض المعطار » مرتين متتاليتين (تحت رقمى ٦٥٩٦ و ٦٥٩٧ من طبعة Flügel) فنسبه مرة لأبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد الحميرى المتوفى سنة ٩٠٠ هـ [١] ومرة أخرى للشيخ العمدة أبى عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى ولم يذكر سنة وفاته .

وقد دفع ذلك الأستاذ بروفنصال إلى إيجاد علاقة مباشرة بين التاريخ الوارد فى المخطوطة « ت » (أى سنة ٨٦٦ هـ) وهذا التاريخ الجديد (أى سنة ٩٠٠ هـ) ممـا جعله يستنتج أن مؤلف هذا الكتاب عاش فى النصف الثانى من القرن التاسع للهجرة .

ثم قاده البحث إلى ملاحظة أمرين لا يستهان بهما فيما يختص بتحديد عصر المؤلف ـــ أو المؤلفين ـــ طبقاً لرأيه [٢] :

(أولا) إستفادة القلقشندى فى كتابه « صبح الأعشى » الذى تم تأليفه فى سنة ٨١٤ / ١٤١٢) من « كتاب الروض المعطار » .

(ثانيا) وجود مؤلف إسمه « جنى الأزهار من الروض المعطار» نسبته بعض المصادر إلى المقريزى (المتوفى سنة ٨٤٥ / ١٤٤٢) وظل لافى بروفنصال يعتبره نصاً مختصراً من « الروض المعطار » حتى بعد ما كتبه فى هذا الموضوع كل من Vollers [٣]

---

(١) هكذا بالأرقام

(٢) كان Gaudefroy—Demombynes قد سبقه إلى لفت أنظار الباحثين إلى هذين الأمرين . راجع مقدمة « صفة جزيرة الأندلس » ص ١٣ — ص ١٤ (XIII–XIV بالأرقام الرومانية) .

(٣) كان المستشرق Vollers هو أول من اعتبر « جنى الأزهار » مختصرا لكتاب « نزهة المشتاق » للشريف الإدريسى قام به ـــ كما هو الأرجح عنده ـــ كاتب من كتاب القرن العاشر الهجرى أو لاحق له نسب تصنيفه إلى المقريزى لذيوع شهرته وقتئذ . وراجع :

(K. Vollers, *Note sur un Manuscrit arabe attribué à Maqrizi*, Bull. Soc. Khéd, de Géogr. du Caire, IIIème Série, Num. 2, 1889, pp. 131-139

أما العنوان « جنى الأزهار من الروض المعطار » فجاء محيرا للمحققين واعتقدوا أنه إختصار لكتابنا « الروض المعطار » . ويلاحظ فى هذا الموضوع أن الادريسى أعقب تأليف « نزهة المشتاق » ـــ

سنة ١٨٨٩ Blochet سنة ١٩٢٥ [١] ــ أى قبل ظهور « صفة جزيرة الأندلس » ــ و Wiet سنة ١٩٣٩ [٢] والثلاثة متفقون على اعتباره مختصراً لـ « نزهه المشتاق » للادريسى كما يتضح جليا بمقارنة النصين .

بناء على ما سبق كان الراجح عند الأستاذ پروفنصال أن هناك نصين سميا : « الروض المعطار » قام بتصنيفهما كاتبان عاشا فى عصرين مختلفين وينتسبان إلى بنى حمير ، وذلك مما لا يتعارض لانتمائهما للمغرب [٣] . وغلب على ظن لافى پروفنصال أن المصنف الثانى قلد سالفه دون أن يشير إلى تلك السرقة الأدبية على الاطلاق .

وقبل أن ننتقل إلى عرض الآراء الأخرى التى أبداها المستشرق الفرنسى يستحسن تحليل ترجيحاته السالف ذكرها ومناقشتها على ضوء أدلتنا الجديدة .

هذا ويجب ألا يفوتنا أن السنة المذكورة فى ذيل المخطوطة «ت» (وهى سنة ٨٦٦ هـ) اعتبرها لافى پروفنصال تاريخا انتهى عنده الحميرى من وضع كتاب « الروض المعطار » ولكن يغلب على الظن أن هذه السنة تحيلنا إلى تاريخ « نسخ النسخة » التى استعان بها الناسخ الثانى وهو إبراهيم بن يحيى الأقاوى ويرجع ترجيحنا هذا إلى سببين أساسيين :

= (الذى أهداه إلى الملك روجار Ruggero النورماندى) بتأليف آخر سماه « روض الأنس ونزهة النفس » (أهداه إلى الملك جليام الأول Guglielmo وذلك يفهمنا معنى عنوان المختصر السالف ذكره والمنسوب إلى المقريزى (راجع « تاريخ مسلمى صقليه » لـ « ميكيلى آمارى ») (واختصرنا منه بـ « آمارى ت ») ٣ / ٦٨١ وتعليق Nallino ــ الذى اعتنى بنشر الطبعة الثانية من تاريخ مسلمى صقلية ــ والذى يحدثنا عن وجود رواية ثالثة لـ « نزهة » المشتاق بمكتبة جامع حكيم أوغلو على باشا باستنبول .

(١) راجع R. Blochet, *Catalogue des mss. arabes des nouvelles acquisitions* (1882-1944), Paris, 1925, N. 5919.

(٢) راجع G. Wiet, *Un résumé d'Edrîsî*, Bull. Soc. Royale de Géogr. d'Ègypte, XX, 1939 pp. 161-163.
نشر فيه هذا المحقق النصوص المتعلقة بمصر الواردة فى كتاب « جنى الأزهار » وأثبت فى المقدمة عدم وجود أى علاقة بين « الروض المعطار » و « جنى الأزهار » الذى نسبه هو أيضا إلى المقريزى ولم يستدرك المستشرق Wiet النتائج التى كان Vollers قد وصل إليها من قبل كما اعترف بهذا فى تعليق له نشر فى نفس المجلة ج ٢ سنة ١٩٤٠ ص ٣٦٧ . وأخيرا نضيف إلى ما سبق أن المقريزى لم يترجم لصاحب « الروض المعطار » فيما رجعنا إليه من مؤلفاته .

(٣) وراجع ما كتبه فى هذا الموضوع لافى پروفنصال فى مقدمة « صفة جزيرة الأندلس » ص ١٦ (XVI) ولاسيما ما جاء عند المستشرق الإيطالى Nallino فى « الذكرى المئوية لميكيلى آمارى » ٣ / ٦٤١ من اللواحق والتصحيحات .

(ا) إن لفظة « تمام » ــ التي بحثنا عنها عبثا في القواميس العربية ــ لا تدخل في إصطلاحات النساخ الذين إعتادوا أن يختموا عملهم في نسخ المخطوطات بعبارات غير المذكورة . وعلى ما أعتقد أن الورقة المثقوبة هي التي أدت بالمحقق إلى الهفوة فقرأ « تمامه » بدلا من « بتمامه » وهو التصويب في نظرنا .

(ب) وحتى لو أننا افترضنا جدلا أن السنة المذكورة تعتبر تاريخا لانتهاء المؤلف من وضع « الروض المعطار » ، فليس من المعقول أن يصف نفسه بعبارات التفخيم والمديح على الصورة الواردة في هذا النص والأرجح أن يكون ذلك من كلام النساخ فإذا اتضحت صحة هذه النظرية بطل العنصر الأول من العنصرين اللذين أوقعا لافي پروفنصال في الخطأ على ما أعتقد . أما العنصر الثاني وهو ذكر كتاب « الروض المعطار » مرتين متتاليتين عند حاجي خليفة فهو عمل غير مألوف عنده وذلك يحملنا على الشك في ذلك . ولو افترضنا أننا أمام سهو صاحب « كشف الظنون » (أو أحد معاونيه) الذي لم يخطر بباله ما هي الصلة القائمة بين كتابي « الروض المعطار » فينبغي علينا بعد ذلك أن نصل إلى حل لمشكلة التاريخ المذكور هناك (أي : سنة ٩٠٠ هـ) الذي يعزز بلا شك نظرية لافي پروفنصال التي تخبرنا عن وجود مؤلفين مختلفين .

ولكن الذين لهم دراية بالمخطوطات يعرفون حق المعرفة تلك الهفوات العديدة التي يقع فيها النساخ عند نقلهم للأرقام العربية ، وكم من مرة نجدهم يخلطون « سبعمائة » بـ « تسعمائة » حتى إن كثيراً من المؤلفين الاسلاميين حرصوا على أن يفرقوا بين هذين الرقمين بقولهم : « في السبعمائة بتقديم السين » و « في التسعمائة بتقديم التاء » منعا لوقوع هذا اللبس . من أجل هذا كله نتساءل : ما هي القيمة المطلقة الفاصلة التي يجب علينا أن نعيرها لمثل هذا التاريخ ؟

فبناء على ما سبق يحسن بنا أن نقرأ سنة وفاة الحميري الواردة في « كشف الظنون » «سبعمائة» بدلا من «تسعمائة» كما اقترح (Gaudefroy-Demombynes)[1] من قبل . ولم يقبل لافي پروفنصال وجهة نظره ــ وهي وجهة نظرنا ــ حيث أن سنة ٩٠٠ هـ كانت تتفق في رأيه مع سنة ٨٦٦ هـ التي اعتقد أن الحميري قد انتهى فيها من تأليف « الروض المعطار » .

(١) راجع مقدمة « صفة جزيرة الأندلس » ص ١٥ (XV) .

وهناك دليل آخر مما يؤيد نظريتنا نشير إليه فيما يلى :

فى الواقع أنه عندما لاحظنا أن ناشر طبعة استانبول لـ « كشف الظنون » (المجلد الأول سنة ١٣٦٠ - ١٩٤١) لم يشر إلى النص الثانى لـ « الروض المعطار » كما احتوته طبعة (Flügel) إطلعنا على النسخ الأربع المخطوطة بدار الكتب المصرية ، فوجدنا أن ثلاثا منها (وأرقامها : فهارس ١٠٨ ومكتبات ١٤٦ ومكتبات ١٤٧) تتفق على تاريخ وفاة المؤلف (وهو ٩٠٠ هـ) وعلى اسمه وهو : أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الحميرى ، فى الرواية الأولى ، والشيخ العمدة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى فى الرواية الثانية . أما النسخة الرابعة (فهارس ٧٤ تيمور) فنجد أن الاسم فى الرواية الأولى هو : أبو عبد الله الشيخ محمد بن محمد الحميرى (المتوفى سنة ٩٠٣) ، وفى الرواية الثانية ورد إسمه كما يلى : الشيخ العمدة أبو عبد الله الشيخ محمد بن عبد الله بن نعيم الحميرى (المتوفى سنة ٧٢٣) . وعلى ضوء هذا الدليل اتجه تفكيرنا إلى التساءل : هل كان التاريخ الأول تحريفا للثانى وأن الناسخ قد نقل « تسعمائة » بدلا من « سبعمائة » ؟ وهل فاتته كتابة « عشرين » ؟

ومهما يكن من أمر فاننا نؤكد أن هذا التاريخ الأخير « ٧٢٣ هـ » لم يقع تحت أنظار لافى بروفنصال مع العلم أنه كان يؤيد نظريته عن المؤلف الأول وهى القائلة إنه قد عاش فيما بين القرنين السابع والثامن للهجرة .

ولدينا عنصر آخر يثبت هذا وهو ما جاء فى مادة «لوجارة» [1] فى «الروض المعطار» وهذا نصها (أنظر ص . . .) :

« لوجارة : مدينة فى بلاد الروم فى البر الكبير ، كان طاغية صقلية قد نقل إليها من بقى بصقلية من المسلمين . . . وطال مقامهم بها أعصاراً . . . إلى أن أجلاهم عنها صاحب صقلية الآن . . . » ويفهم من هذا النص أن مصنف « الروض المعطار » كان على قيد الحياة أيام الملك شارل الثانى (Carlo II) الذى ترجع إليه مسئولية القضاء على مسلمى « لوجارة » سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) وكان فردريك الثانى (المدعو « طاغية صقلية » فى النص) قد نقلهم إليها فى الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادى .

---

(١) ولوجاره (Lucera) بلدة فى إقليم (Puglia) بإيطاليا الجنوبية أورد ذكرها الحميرى فى « الروض المعطار » (أنظر فيما يلى تحت مادتها) .

وكما جاء هذا التفصيل التاريخى معززاً لنظرية لافى پروفنصال السابق ذكرها جاء كذلك مبطلا لنظريته القائلة إن هناك مؤلفا « ثانيا » (توفى سنة ٩٠٠ ﻫ) قد سرق النص الذى كتبه أحد سلافه بعد أن أدخل عليه بعض التعديلات ونسبه إلى نفسه . ولكن بناء على ما ذكرناه أصبحت نظرية پروفنصال لا تستند إلى سند قوى . ولنفترض جدلا أن هناك مؤلفا « ثانياً » فهل وصل شرود الفكر عنده حداً لا يسمح له بتعديل النص الخاص بمادة « لوجارة » (المشار إليه فيما سبق) والذى يعتبر دليلا قاطعا على سرقته الأدبية ؟

* * *

والآن وبعد أن انتهينا من المناقشة بصدد المؤلف الثانى المزعج (الذى لم يكن له وجود فى رأينا) فإننا نستطيع فى سهولة ويسر أن نتناول المؤلف « الأول » (بل المؤلف « الوحيد » فى نظرنا) وهو : أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى الذى عثر لافى پروفنصال على ترجمته فى القسم الذى لم ينشر بعد من كتاب « الاحاطة فى تاريخ غرناطة »[1] وقد وجدنا ترجمته مختصرة وشاملة لتاريخ وفاته سنة ٧٢٧ ﻫ فى « الدرر الكامنة »[2] ولم يشر إبن الخطيب ولا العسقلانى إلى تأليفه المسمى « الروض المعطار » .

من كل هذا يتضح أن مؤلف « الروض المعطار » شخص واحد هو : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى ، وأنه توفى سنة ٧٢٣ ﻫ أو ٧٢٧ ﻫ وهذا يتفق تماماً مع العبارة التى أوردها المؤلف عن عصره فى ماده « لوجاره » . أما سبب اللبس فى وجود روايتين لكتاب « الروض المعطار » فمرجع ذلك كما وضح لنا هو ما وقع فيه صاحب « كشف الظنون » من ذكره للكتاب مرتين بعبارتين مختلفتين ولعل سبب ذلك أنه عمل جذاذتين للكتاب فى وقتين مختلفين وعند الترتيب الأبجدى للكتاب لم يستبعد إحداهما فتسبب عن ذلك هذا الخلط الذى وقع فيه الأستاذ پروفنصال بالاضافة إلى ما ظنه من أن التاريخ المذكور فى نسخة « ت » هو تاريخ التأليف وليس تاريخ النسخ كما هو واضح من عبارة الختام .

* * *

(١) نقل لافى پروفنصال هذه الترجمة فى مقدمة « صفة جزيرة الأندلس » ص ١٧ (XVII)

(٢) ورد اسمه فى هذا النص كما يأتى : محمد بن عبد المنعم الصنهاجى الحميرى أبو عبد الله بن عبد المنعم السبتى . راجع « الدرر الكامنة » طبعة حيدر أباد ١٣٥٠ ﻫ ٤ / ٣٢ — ٣٣ رقم ٨٥ . وأصاب لافى پروفنصال — الذى فاته هذا المصدر — عندما قال إن الراجح عنده أنه توفى بعد سنة ٧٠٩ ﻫ (مقدمة « صفة جزيرة الأندلس » ص ١٨ XVIII - ١)

وبعد ظهور نشرة لافى بروفنصال فى عالم المطبوعات ، حصل معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية على فيلمين لنسختين مخطوطتين أخريين وهما :

« ا » نسخة كاملة من مكتبة « بيرم » ملحقة بمكتبة « نور عثمانية » باستانبول رقم ٤٤ جاء فى طرتها « كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار » تأليف الشيخ الامام العالم العلامة أبى عبد الله محمد بن عبد المنعم بن الحميرى ، أما فى آخر ورقة من المخطوط فجاء الاسم فيها هكذا : الشيخ الفقيه العدل أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله محمد بن أبى محمد عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميرى . وعدد أوراق نسخة « ا » ٤٠٩ (٢٤ × ٣٦ سم) تسطير ٣١ بخط نسخى جيد [١] .

« مة » — نسخة كاملة من مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة ، رقم ٣٦٥ [٢] جاء فى طرتها : « الروض المعطار فى خبر الأقطار » تأليف الشيخ العالم العلامة المتقن الأثرى الاخبارى أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميرى . أما فى آخر ورقة من المخطوط فجاء الاسم فيها هكذا : « الشيخ الفقيه العدل أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله محمد بن أبى محمد عبد لله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميرى . عدد الأوراق : ٣٢٨ (٢٠ × ٢٧ سم) تسطير ٣٣ بخط نسخى معتاد تاريخ النسخ ٩٧١ هـ .

وليس فى امكاننا أن نثبت العلاقة القائمة بين النسختين اللتين اعتمدنا عليهما فى تحقيق النصوص الخاصة بالجزر الايطالية وبقاعها ، ومع ذلك فالأرجح أن ناسخ النسخة التى رمزنا اليها بالرمز « ا » وناسخ النسخة التى رمزنا اليها بالرمز « مة » قد استعان كلاهما بنص واحد كما يدل على هذا بعض الهفوات المشتركة فيهما [٣] .

إستعان الحميرى فى الحصول على معلوماته عن الجزر والبقاع الايطالية بالمصادر التاريخية والجغرافية التى كانت قد انتشرت فى العصر الذى عاش فيه كما استعان بهذه المصادر نفسها

---

(١) واجع « فهرس المخطوطات المصورة » تصنيف فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٤ ، ١ / ٥٦٣ رقم ٣٢

(٢) سجل هذا الميكروفيلم فى « معهد المخطوطات العربية » تحت رقم ٢١ ولم يذكر فى الفهرس المشار إليه فى التعليق السابق لأنه ضم إلى مجموعة المعهد بعد ظهوره سنة ١٩٥٤

(٣) مثال ذلك أن أورد كلاهما ذكر مدينة « مازر » Mazara وكتباها « هازر » .

للحصول على غير ذلك من معلومات ، وقليلا ما ذكر هذه النصوص . وأورد المصنف ذكر البلدة أو البقعة مرتين فى بعض الأحيان ، ومثال ذلك ذكر مدينة Trapani التى أتى بمعلوماته عنها فى موضعين مختلفين وتحت إسمى « إطرابنش » و « طرابنش » ومدينة Aci تحت إسمى « إلياج » و « لياج » مما يدل على أنه اعتمد على مصدرين أو أكثر دون أن يقارن بينهما أو بينها .

وكثيرا ما تعرفنا على النصوص الجغرافية التى إستفاد منها المصنف فى « الروض المعطار » وأشرنا إليها فى تعليقاتنا تاركين لغيرنا الوصول إلى تعريف المصادر الأخرى التى لم نوفق فى الوصول إليها .

أما التسميات الجغرافية ومعظمها أسماء تتصل بصقلية — فهى كلها معروفة اللهم إلا القليل منها الذى لم يشر إلى ذكره فى النصوص التى اطلعنا عليها والأرجح عندنا أنها وردت فى « الروض المعطار » محرفة لدرجة لا تسمح لنا بفهمها ، وبطبيعة الحال اقتبس الحميرى الأخبار المتعلقة بايطاليا من « نزهة المشتاق » للشريف الادريسى ومن « رحلة » إبن جبير ولكنه أدخل عليها التفاصيل التاريخية الممتعة التى لا توجد عندهما ، كما ذكر فضلا عنهما بعض الأبيات الشعرية .

ومما يلفت النظر عدم ذكر الحميرى لكثير من البقاع والجزر والمدن الوارد ذكرها عند من سبقوه من الجغرافيين العرب ، ولا نعلم علم اليقين إذا كان هذا النقص يرجع إلى المصنف ذاته أو إلى ناسخ من النساخ الذين يحتمل أنهم أسقطوا بعض الأخبار من أصل الروض المعطار » .

وأخيرا نشير إلى أنه يوجد فى هذا المعجم بعض الأخبار عن صقلية ذكرت فى مواضع مختلفة من النص عند ذكر البقاع الخاصة بالمغرب وبالأندلس . مثال ذلك وجود تلميحات إلى حوادث وقعت فى عصر روجار الثانى تحت مادة « الأحاسى » (وهى تقع فى المغرب) الشىء الذى دفعنا إلى نشر هذا النص أيضا فى ذيل النصوص المتعلقة بايطاليا .

[١ ص]

بسم الله الرحمن الرحيم *

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم رب يسر [١]

الحمد لله الذى جعل الأرض قراراً ، وفجر خلالها أنهاراً ، وجعل فيها [٢] رواسى ألزمتها استقراراً [٣] ، ومنعتها اضطراباً وانتثاراً ، وجعلها قسمين : فيافى وبحاراً ، وأودع فيها من بدائع الحكم وفنون المنافع مابهر ظهوراً وانتشاراً ، وأطلع [٤] فى آفاقها شموساً وأقماراً ؛ جعلها ذلولا ، وأوسعها عرضاً وطولا ، وأمتع بها شيباً وشباباً وكهولا ، وعاقب عليها عيوثاً وقبولا [٥] ، وأذرى فى المشى فى مناكبها تسويغاً للنعمة الطولى ، وتتميما لإحسانه الذى نرجوه فى الآخرة والأولى ، إن فى ذلك لعبرة لمن صار له قلب وسمع وبصر وفهم مقولا ومعقولا ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا [٦] .

أحمده على جزيل آلائه التى والى أمدادها ، وأحصى [٧] أعدادها ، وعم بهـا البرية وبلادها ؛ وصلى الله على نبيه الكريم الذى زويت له الأرض فرأى غايتها ، وأبصر نهايتها ؛ وأخبر أن ملك أمته سيبلغ ما رآه وينتهى إلى حيث قدره الخالق وأنهاه .

وبعد : فإنى قصدت فى هذا المجموع ذكر المواضع المشهورة عند الناس من العربية والعجمية ، والأصقاع التى تعلقت بها قصة ، أو كان فى ذكرها فائدة ، أو كلام فيه حكمة ، أو لها خبر طريف ، أو معنى يستملح أو يستغرب ويحسن إيراده ، أما ما كان غريبا عند

---

* رأينا من المناسب إعادة نشر هذه المقدمة لما فيها من الاختلافات عن النص الذى أخرجه المستشرق لافى بروفنصال فى (صفة) .

(١) مه : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله ، (رب يسر وأعن) .

(٢) فى سورة النمل ، آية ٦٠ (لها) .

(٣) مة : (استقفارا)

(٤) فى الأصلين : طلع

(٥) مة : (فبولا) .

(٦) سورة الإسراء ، آية ٣٥

(٧) مة : (وأحصر) .

الناس ، ولم يتعلق بذكره [1] فائدة ، ولا له خبر يحسن إيراده ، فلا ألم بذكره ، ولا أتعرض [2] له غالباً استغناء عنه [3] واستثقالا لذكره ؛ ولو ذهبت إلى إيراد المواضع والبقاع على الاستقصاء لطال الكتاب ، وقل إمتاعه : فاقتصرت لذلك على ذكر المشهور من البقاع وما فى ذكره فائدة ونكبت عما سوى ذلك ، ورتبته على حروف المعجم لما فى ذلك من الإحماض [4] المرغوب فيه ، ولما فيه من سرعة هجوم الطالب على اسم الموضع الخاص من غير تكلف عناء ولا تجشم تعب ؛ فقد صار هذا الكتاب محتوياً على فنين مختلفين : أحدهما ذكر الأقطار [5] والجهات ، وما اشتملت عليه من النعوت والصفات : وثانيهما [6] الأخبار والوقائع والمعانى المختلفة بها ؛ الصادرة عن مجتلبها ؛ واختلست ذلك من ساعات زمنى وجعلته [7] فكاهة نفسى ؛ وأنصبت [8] فيه فكرى وبدنى ؛ ورضته حتى انقاد للعمل ، وجاء حسب الأمل فأصبح طارد الهموم [9] ملقحاً للغموم [10] شاهداً بقدرة القيوم ، مغنياً عن مؤانسة الصحب ، منبها على حكمة الرب ؛ باعثاً على الاعتبار ، مستحضراً لخصائص الأقطار ؛ مثيراً لآثار الأمم وأحداثها ، مشيراً إلى وقائع الأجيال وأنبائها ؛ ثم إنى قسته بالكتاب الأخبارى المسمى « بنزهة المشتاق » [11] فوجدته أعظم فائدة وأكثر أخباراً وأوسع فى فنون التواريخ وصنوف الأحداث مجالا حتى فى وصف البلاد فإنه إنما ذكر نبذة

---

(١) مة : (بذكر)
(٢) فى الأصل : تعرض
(٣) الأصل : (عنها) وضبطناه ليستقيم السياق .
(٤) مة : (الإحماص) والتصويب من « صفة » .
(٥) الأصل و (مة) : الأقدار ، والتصحيح من (صفة) .
(٦) مة (ثانيها) .
(٧) الأصل و (مة) : (جعلت) والتصحيح من (صفة) .
(٨) الأصل : (إن نصبت) و (مة) : (وإن نصب) واعتمدنا على (صفة) .
(٩) مة : (العموم) .
(١٠) مة (للهموم) .
(١١) ذكر الشريف الادريسى (وهو : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الذى ولد بسبته سنة ٤٩٣ / ١١٠٠) فى مقدمة « كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الأسباب التى من أجلها أمر رجار الثانى ملك صقلية بوضع هذا الكتاب القيم الذى لم ينشر منه إلا بعض الأجزاء . أما القسم الخاص بإيطاليا فنشره المستشرقان : آمارى (Amari) وسكيا باريلى (Schiaparelli) بروما سنة ١٨٧٨ وقاما بترجمته إلى اللغة الإيطالية .

منها وشيئا قليلا فى مواضع مخصوصة معدودة ، بل إنما عظم حجمه بما اشتمل عليه من قوله : « ومن فلانة إلى فلانة خمسون ميلا أو عشرون فرسخاً ، ومن فلانة إلى فلانة كذا وكذا » أما الخبر عن الأصقاع بما يحسن إيراده ، ويلذ سماعه ، من خبر ظريف ، أو وصف يستغرب أو يستملح ، فإنما يوجد فيه فى مواضع / قليلة معدودة إلى غير ذلك من عسر وجدان الناظر فيه مطلوبه بأول وهلة ، بل بعد البحث والتفتيش . [١ ظ]

وجعلت الايجاز فى هذا الكتاب قصدى ، وحزمت[1] على الاختصار جهدى ؛ حتى جاء نسيج وحده ، مليحاً فى فنه ، غريبا فى معناه ، مبهجا للنفوس المتشوقة ، مذهبا للأفكار المحزنة [2] ؛ مؤنسا لمن استولى عليه الانفراد ورغب عن معاشرة الناس ، ومع هذا فقد لمت نفسى عن التشاغل بهذا الوضع الصاد عن الاشتغال بما يغنى عن أمر الآخرة والمهم من العلم المزلف عند الله تعالى وقلت : « هذا من شأن البطالين وشغل من لا يهمه وقته » ثم رأيت ذلك من قبيل ما قيل فيه : « روّحوا [3] هذه النفوس ، ومن حسن [4] تعليلها بالمباح المنشط إلى ما هى به أعنى ؛ ثم هو مهيع يسلكه الناس ، واعتنى به طائفة من العلماء ، وقيده جماعة من أهل التحصيل ؛ فلا حرج بالاقتداء بهم ، بل أقول : أعوذ بالله من علم لا ينفع ، وأستغفره وأستقيله ، وأسأله التجاوز عن الهفوات ، والصفح عن الاشتغال بما لا يعنيه [5] فى الآخرة : فيارب عفواً عن اقتراف ما لا رضى لك فيه !! فأنت على كل شىء قدير !

إطْرابنْش * Trapani

[١٩ ص] / بجزيرة صقلية مدينة قديمة أزلية على ساحل البحر والبحر محدق [6] بها من جميع جهاتها . وإنما يسلك إليها على قنطرة على باب شرقيها ومرساها بالجانب الجنوبى

(١) مة : (حومت) .
(٢) مة (المحرقة) .
(٣) الأصل : (زوجوا) وضبطناه بناء على (مة) .
(٤) الأصل : (جنس) وما أثبتنا عن (صفة)
(٥) مة : (يفيد) .

* أنظر أيضا مادة (طرابش) القادمة . توجد بعض الأخبار الواردة هنا فى (نزهة المشتاق) ص ٣٣ — ٣٤ وفى (رحلة الكنانى) (وهو: ابن جبير) ونشر آمارى النصوص المتعلقة بإيطاليا فى « المكتبة العربية الصقلية » ليبسج ١٨٥٧ (واختصرنا عنها بـ« آمارى م ») ص ٩٥ — ٩٦
(٦) مة : (يحدق) .

منها وعلى نحو عشرة أميال منها جبل يدعى بجبل حامد [1] والصعود إليه هو من إحدى جهاته ، رهم يرون أن منه يكون [2] فتح هذه الجزيرة ولا يتركون مسلما يصعد إليه ولذلك أعلوا فيه ذلك المعقل فلو أحسوا بحادثة حملوا حريمهم فيه وقطعوا القنطرة [3] وأطرابنش هذه فى البسيط لاماء لها إلا من بئر على البعد منها .

ألياج * Aci

[٢٠ ص] / موضع بجزيرة صقلية بالقرب من مدينة قطانية [4] وبالقرب منه جبل النار [5] وهو جبل عظيم منيف كثير الثمار ويقطع فيه عدد السفن من خشب الشرع والأرجل [6] الضخمة وغير ذلك . ويذكر أهل صقلية أنه انفجر من جبل النار نهر جار [7] يجرى أياماً يراه الناس وبقى أثره هناك إلى الأبد متحرقا أسود لا ينبت شيئاً من النبات . وفى جبل النار هوة عظيمة كانها ثغر يخرج منها ريح شديدة . ويذكرون أنه قذف فيها حجر قد لف فى كساء فبقى هاويا ساعة ثم رفعت الريح ذلك الكساء إلى أعلى العنق وذهب الحجر سفلا . وفى هذا الجبل طائر تسميه العامة عقيق [8] الجبل يتعلق [9] برجليه من الشجر ويدلى رأسه

(١) سيرد ذكره فيا بعد .

(٢) الأصل : (يكون منه فتح . .) وحذفنا لفظ (منه) لتكراره ولأنه حذف فى مادة (حامد) القادمة .

(٣) سيرد ذكر هذه الأخبار فى مادة (حامد) القادمة .

* سيذكر الحميرى هذا الموضع فيا بعد (أنظر : لياج) . لم أجد ذكر الأخبار الواردة هنا فى المصادر التى اطلعت عليها والتى جمعها آمارى فى (المكتبة العربية الصقلية) ولا أعرف من أين استقاها المصنف . أما الطائر المذكور فى آخر المادة فلعله يحسن مقارنته بما جاء فى (كتاب الإشارات فى معرفة الزيارات) لعلى بن أبى بكر الهروى وهذا نصه : « . . وحدثنى رجل من علماء البلاد أنه رأى حيوانا على شكل السمان رصاصى اللون يطير من وسط هذه النار ويعود إليها وقال : هو السمندل . » (آمارى م — ص ٧٥)

(٤) سيرد ذكرها فيا بعد .

(٥) هو البركان المسمى (Etna) وسيرد ذكره فى مادة (البركان) القادمة .

(٦) الأصل : (الأجل) والتصويب عن (مة) ، (والأرجل) نوع من الخشب (أنظر فهرس اللغة الذى وضعه لافى بروفنصال فى « صفة » .

(٧) مة (حار) .

(٨) مة (عقيق) ولم أجد ذكر هذا الطير عند (الدميرى) .

(٩) مة (معلق) .

ويسمع له صوت يتأدى إلى سامعه منه قول القائل : « اتع اتع » وإذا قرب منه المرء طار ثم نزل على غصن وسمع له صوت يتأدى إلى سامعه منه : « قرقرت [1] بك قرقرت [1] بك » وتسير من الباج إلى مسيني .

أنبدوشة * Lampedusa

[ص ٢٥] / جزيرة فى البحر بينها وبين أقرب بر من إفريقية حيث قبودية [2] مجريان وبها مرسى مأمون يكن من كل ريح ويحمل الأساطيل الكثيرة وليس فيها شىء من الثمار ولا من الحيوان ؛ وهى جزيرة خالية من الناس [3] ومكمن للعدو .... وسافر من تونس حسن [4] (؟) إلى الاسكندرية فلما لجج فى البحر وقارب هذه الجزيرة اختل بعض ألواحه وعمل الماء وخاف الغرق فلجأوا إلى هذه الجزيرة ونزلوها وبلغ الأمير الأجل أبازكريا ملك إفريقية خبرهم فبعث إليهم واستنقذهم وكانوا أشرفوا على الهلاك وفى ذلك يقول أبوعمرو عثمان بن عتيق بن عمر بها [5] .

أنطالّة ** Entella

[ص ٢٧] / حصن عظيم ومعقل منيع من حصون جزيرة صقلية فيه تحصن محمد بن عباد القائم بأمر المسلمين فى جزيرة صقلية . فلما كانت سنة ست عشرة وستمائة عقد الصلح

---

(١) مة (فرقت)

* أنظر (نزهة المشتاق) ص ١٩

(٢) راجع (نزهة المشتاق) ١٩ و (معجم البلدان) لياقوط

(٣) فى (مة) : العامر .

(٤) هذا الاسم غير واضح فى نسختنا ، أما فى (مة) فتوجد كلمة تشبه (حفن) ولا توجد هذه الأخبار التاريخية فى (نزهة المشتاق) ولا فى المصادر العديدة التى اطلعنا عليها . ومن المحتمل أن الناسخ سقط منه جملة أو أكثر كما يظهر ذلك من سياق الكلام . ولا يعرف من (حسن) هذا .

(٥) فى (مة) توجد بدلا من الكلمتين الآخرتين كلمة رسمها (عربها) وترك بها أيضا سطر أبيض خال من الكتابة كما فى نسختنا . ولم نستدل بعد البحث الطويل عن معرفة هذه الشخصية .

** جاء هذا النص مطولا وموضحا لما ورد مختصرا فى (المغرب فى حلى المغرب) لابن سعيد وهذا نصه :

« . . . وثار فى أنطالة محمد بن عباد وعظم أمره واجتمع إليه المسلمون ودام أمره إلى أن كبر الأنبرطور فاشتغل بحربه حتى أذعن ابن عباد لما تكاثر عليه الفرنج ولم ير أحدا من المسلمين ينصره فغدر به الأنبرطور وقتله وبقيت بعده بنته فى أنطاله وغدرت بثلاثمائة فارس من فرسان الأمبرطور أطلعتهم =

مع الأنبرور طاغية جزيرة صقلية وغيرها ، على أن يدخل تحت طاعته ، ويأخذ جميع أمواله وذخائره ، ويجهزه فى قطائع إلى ساحل إفريقية ، ولا يقتله . وأبت ابنته أن تدخل فى هذا الصلح ، وامتنعت فى هذه القلعة ، وقالت لأبيها : « أنا فداؤك فان لقيت خيراً ، اتبعتك ، وإن كان غير ذلك ، فلا بد أن أنكى أعداءك وآخذ بثأرك على قدر الاستطاعة ! » ولما أحدقت به القطائع ، وغابوا عن العيون ، قال له الموكلون به : « إن السلطان قد وفى لك ، ولم يحنث فى يمينه ! وها نحن قد توجهنا إلى إفريقية ، وهو لم يقتلك ؛ ونحن نغرقك فى البحر ونريح دين المسيح منك ، فالذى صنعت فى هذه الجزيرة ، مثله لاينسى ! » ثم غرقوه ، وعادوا بجميع أمواله إلى الأنبرور .

وحمدت ابنته رأيها وزادت بصيرة فى الامتناع بذلك المعقل المعانق للسحاب ، وجعلت تغادى شن الغارات وتراوحها ، بمن خاف غدر الأنبرور من فرسان المسلمين ورجالهم .

ثم ارسلت فى سنة تسع عشرة إلى الأنبرور : « إنى امرأة ، وقد بليت بمحاربة الرجال ومداراتهم ! وقد ضقت ذرعا بالأولياء منهم والأعداء ، وضعفت نفسى ؛ ومعى من صناديد الأبطال من لا ينقاد لمرادى . فأرحنى وأرح نفسك وأهل مملكتك من هذا النصب الدائم ، بأن توجه لى ثلاثمائة من أبطالك الذين لا يهابون ولا ينخدعون ؟ لأدخلهم ليلا إلى هذا الحصن ويحتوون عليه ، فاذا ملكوه ، ودخلت أنا بعد ذلك فى طاعتك ، لم يكن بعد ذلك شىء يتوقع منه عائد فأفكر فيما خاطبتك به ، والله يخير ويختار » .

قال : وكان الأنبرور قد طالت إقامته وإقامة جموعه على حصارها . فرأى ذلك غنيمة لا يجب أن تؤخر انتهاز الفرصة فيها فاختار ذلك العدد وأرضاهم ، وأنفذهم فى الليل . ففتحت لهم باب قلعتها ، وفرقتهم على أنطالة بحيل تمت عليهم . فلما ولى الظلام وتبينت الوجوه ،

= على أن تمكنهم من الحصن وقتلتهم ثم قتلت نفسها » (راجع : B. Moritz, *Ibn Saîd's Beschreibung von Sicilien* المنشور فى (الذكرى المئوية) ١ / ٢٩٤

وسبق أن أخرج المستشرق لافى پروفنصال هذا النص ونشر ترجمته إلى الفرنسية فى مجلة (الشرق الحديث *Oriente Moderno* السنة ٣٤ ، روما ١٩٥٤ ص ٢٨٣ — ٢٨٨ وعند ذلك يتساءل القارىء : من أين يا ترى استقى الحميرى أخبار الحوادث الخاصة بثورة محمد بن عباد على فريدريك الثانى أثناء الربع الأول من القرن الثالث عشر ؟ للايجاب على هذا السؤال أنظر ترجيح لافى پروفنصال فى مقدمة « صفة » ص ٢٤ — ٢٦ .

ركب الأنبرور إلى جهة الحصن يطلع إلى أعلامه كيف هى على سوره . فإذا برؤوس أبطاله [1] معلقة ما بين شرفاته ، وأعلام المسلمين منشورة ، وطبولهم عاملة ، وكلمتهم عالية . فسقط فى يده ، ونظر الفرنج إلى ما لم يكن فى حسابهم ، ولا خطر لهم أنه يتم فى المنام بالأحلام :

قال : فأراد الأنبرور أن يبلغ فى هذه القضية غرضه بحيلة تتوجه [2] عليها . فأرسل إليها : أنت قد غششت ، ولا أبالى بمن مات من أهل ملتى ! وقد ظهر لى أن ما فى الدنيا إمرأة تصلح أن يكون لى فيها ولد غيرك : فتعالى حتى تم ذلك ! فأنت ، إن بقيت على ما أنت عليه ، وحصلت فى أيدى الفرنج ، قطعوك عضواً عضواً ! فاختارى لنفسك ما ترينه مصلحة ! » فأجابته : « وصلنى كتابك . وفهمت حقه وباطله . وأبلغنى بعض عيونى الذين لم أزل أبثهم عليك أنك قلت : إن هذا عجب ! إمرأة تمكر بثلاثمائة رجل ! وليس هذا بعجب ! وقد أنزل فى الكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى ذكر النساء : « إن كيدهن عظيم » . فهذا من ذلك . وإنما العجب منى ومنك إذ أنا مقيمة فى نشزة من الأرض ، ولا ناصر ، وأنت / تملك مسيرة نصف شهر ، ولك الجيوش التى تغص بها الأرض ، [٢٧ ظ] والخزائن ، والأموال ، والخواص أصحاب الآراء ! وقد أثر فيك توقفك ، وشغلتك عن مهمات أمورك ، وقدرت عليك أكثر مما قدرت على ، وأنكيت فيك أشد من نكايتك فىّ ! وها أنا أقطع عليك السلاسل فى الحيل ! فتكفى حيلتك فى أبى ثم حيلتى فى أبطالك ! ومن الآن فأيئس أن أحصل لك فى يد وفى جسدى روح ، وأنا مقاتلتك ومكايدتك حتى تفنى ذخائرى التى بهذا الحصن ويعجز أهل حمايتى . فاذا انتهيت إلى هذا الحد ، فعلت ما سيبلغك ! » .

قال : فيئس الأنبرور منها وقال : « ما لهذه إلا المطاولة ! » فبنى حصناً فى مرابطة حصنها ، وصار (إلى) [3] جنده يترددون على ذلك الحصن ، كلما كلت طائفة ، استجدت [4] غيرها ، إلى أن بلغت الحد الذى وعدت به . فسمت نفسها .

---

(١) مة (أبطالة) .

(٢) مة (يتوجه) .

(٣) هكذا فى الأصلين ويظهر انها زيادة من الناسخ .

(٤) مة (استنجد) .

البُرْكان * Vulcano

/ هو اسم الأطمة [1] التى يخرج منها النار كالتى بجزيرة صقلية [2] وهو بركان عظيم [٥٩ ص] لا يعلم فى العالم أشنع منظراً منه ولا أغرب خبراً منه ؛ وهو فى جزيرتين [3] شمالا من مدينة بلرم وإذا هبت الريح الجوفية سمع لها دوى هائل كالرعد القاصف ، فتخرج النار منها وإنما تظهر بالليل ناراً حمراء ذات ألسن تصعد فى الجو وكان برفريوس [4] الفيلسوف قد شخص من مدينة صور إلى صقلية لينظر إلى البركان فيعاين فعل الطبيعة هنالك ويخبر عنه وعن / العلة فيه بقول واضح . فمات بها وقبره معروف وقبر [٥٩ ظ] جالينوس [5] أيضا هنالك معلوم . وكان شخص من مدينة رومة يريد الشام ليلقى أصحاب

---

* استقى الحميرى بعض الأخبار الواردة هنا من (ديوان صلة السمط وسمت المرط) لابن شباط الذى نقلها بدوره عن البكرى (آمارى م — ص ٢١٠) راجع أيضا مادة (صقلية) ح ٣

(١) فى الأصل : الاسم الأطمة .

(٢) يقصد هنا المصنف البركان Etna الذى سبق أن سماه (جبل النار) فى مادة (الياج)

(٣) يرجح أن الحميرى قصد بالجزيرتين :

(ا) إما « جزيرة البركان » نفسها (المسماة الآن : Isola Vulcano) وأى جزيرة أخرى من الجزر المتعددة الواقعة حول جزيرة صقلية القريبة من سواحلها الشمالية ذكرها الحميرى فى « نزهة المشتاق » كالآتى :

استرنجلو (Stromboli) ، ليبر (Lipari) دندمة (Salina) فيكوذة (Filicuri) أركوذة (Alicuri) .

(ب) وإما « جزيرة البركان » والجبل القائم على الطرف الشمالى منها (المسمى اليوم Vulcanello) الذى كان فى القرون الغابرة منفصلا عن « جزيرة البركان » ذاتها حتى اعتبره الجغرافيون العرب قديما جزيرة ثانية مستقلة عن الأولى . ولعل هذا يوافق الواقع .

أما آمارى بناء على ما كتب ابن شباط (نقلا عن البكرى) فى « ديوان صلة السمط وسمت المرط » (أنظر : آمارى م — ص ٢١٠) فأثبت أن الجزيرتين هما Vulcano و Stromboli (راجع أيضا : آمارى ت — ٢ / ٥٠٤) . وقد أشار الحميرى إلى الجزيرتين فى مادة « وادى الخراطين » كما سيأتى ذكره .

(٤) ترجم له العرب وكتبوا اسمه (فرفوريوس) لزيادة المعلومات عن هذا الفيلسوف وإقامته بصقلية راجع مقدمة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى على بحثه المعنون : إيسا غوجى لفرفوريوس الصورى نقل أبى عثمان الدمشقى ، القاهرة ١٩٥٢

(٥) اسمه: كلوديوس جالينوس ، ولد حوالى سنة ١٣٠ م ، أنظر ترجمته فى « طبقات الأطباء والحكماء » لابن جلجل (تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥) ص ٤١ — ٥٠ .

عيسى عليه السلام . قالوا : وفى ملك بطليموس أحد ملوك اليونانيين وصاحب علم الفلك وواضع المجسطى [1] ظهرت جزيرة البركان بصقلية . وقالوا أيضاً : إذا صرت من قطانية إلى كذا ففى المغرب منه جبل النار وهو جبل عظيم منيف [2] كثير الثمار ويقطع منه عدد السفن من خشب الشرع والأرجل الضخمة وغير ذلك . ويذكر أهل صقلية أنه انفجر من جبل النار نهر جار يجرى أياما يراه الناس وبقى أثره هنالك إلى الأبد متحرقا أسود . ويذكرون أنه قذف فيها حجر فى كساء فبقى هاويا ساعة ثم رفعت الريح ذلك الكساء إلى أعلى العنق وذهب الحجر سفلا . قالوا وجبل النار بصقلية شأنه عجيب فان ناراً خرجت منه فى بعض السنين كالسيل العرم لا تمر بشىء إلا حرقته حتى تنتهى إلى البحر فتركت تتجه طائرة على صفحته حتى تغوص فيه .

بَلَرْم * Palermo

[٦٦ ظ] / هى قاعدة بلاد جزيرة صقلية ومدينتها العظمى وهى المدينة المسماة بالمدينة حسبما عناه ابن رشيق [3] فى قوله فى ذكر هذه البلدة [4] :

أختُ المدينةِ [5] فى اسمٍ لا يُشاركها فيه سِواها من البلدانِ والتمسِ

---

(١) خلط الحميرى هنا — كما خلط بعض المؤرخين العرب من قبله — بين بطليموس الملك وبطليموس قلاوديوس (صاحب « المجسطى » الذى عاش فى القرن الثانى بعد الميلاد) أنظر ترجمته فى « طبقات الأطباء والحكماء » لابن جلجل المذكور ص ٣٥ — ٣٨

(٢) مة : (صيف) .

* أنظر « نزهة المشتاق » ص ٢٢

(٣) هو أبو على الحسن بن رشيق القيروانى المتوفى بمازر (Mazara) فى صقلية سنة ٤٥٦ وقيل ٤٦٣ (أنظر مادة « مازر ») ، ترجم له أبو البركات عبد العزيز الميمنى السلفى الراجكوتى فى بحثه : « ابن رشيق » (القاهرة ١٣٤٣) وأورد البيتين فى مؤلفه : « النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف القيروانى » (القاهرة ١٣٤٣ ، ص ٤٠) ولمعنى البيتين راجع مادة « صقلية » القادمة .

(٤) ورد البيتان تحت مادة (صقلية) القادمة وبأول لوحة ٣٥٧ ظ تحت مادة (مدينة) وجاء فيها : (. . وغلب على بلرم ، قاعدة مدن جزيرة صقلية ، اسم المدينة أيضا وفيها قال أبو على ابن رشيق فعينها (البيتان) .

(٥) جاء فى « النتف من شعر ابن رشيق » للراجكوتى المذكور وفى « ديوان صلة السمط » لابن شباط (آمارى م — ص ٢١٢) (العدينة) وهو تحريف ظاهر كما لاحظ هذا الأستاذ نالنو (راجع : آمارى ت — ٢/٥٦٧ - ٢)

وعظّمَ اللهُ مَعنى ذِكرِها قسماً قُلْ إذا شِئْتَ أهلَ العلمِ أوْ قَسِ

وبلرم هذه دار الملك بصقلية فى مدة الاسلام ومدة الروم ومنها كانت تخرج الأساطيل للغزو . [و] [1] هى على ساحل البحر والجبال محدقة بها ولها ساحل حسن وفيها من المبانى الحسنة ما هو مشهور وفيها المساجد والفنادق والحمامات وحوانيت التجار / [٦٧ ص] وبها الجامع الأعظم الذى كان فى الزمن القديم وفيه من البناءات وغرائب الصنعة وأجناس التزويق والحنايات [2] كل شىء حسن ؛ ولها ربض [3] هو مدينة أخرى محدق بالمدينة من جميع جهاتها . وبها المدينة القديمة المسماة بالخالصة التى كان بها سكنى السلطان والخاصة فى أيام المسلمين وباب البحر ودار الصناعة . والمياه بجميع جهات مدينة صقلية مخترقة جارية متدفقة وفواكهها كثيرة ومبانيها ومتنزهاتها حسنة رائقة . وكان إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أمير إفريقية نزل على « بلرْم » هذه حين توجه إلى صقلية غازياً ففتح بلرم هذه ودخلها سنة سبع وثمانين ومائتين . وقتل [4] من أهلها بشراً عظيما ثم عفا عنهم . وكان المتولى لحربها ابنه أبو العباس الذى كان ولى عهده وتخلى له عن التدبير عندما أظهر التوبة وأنه يريد الحج ثم أظهر أنه يخاف ابن طولون صاحب مصر ولا يمكنه الجواز عليه بمصر فصرف وجهه وجدّه إلى الجهاد وأزال المظالم ونادى مناديه بردها وحضور المتظلم [5] إلى مجلسه . ومات وهو محاصر « كشنتة » من صقلية [6] وكان مُنع من النوم وبه زلق الأمعاء فوُصف له دواء عمله

---

(١) الزيادة عن (مة)

(٢) مة : (الكتابات)

(٣) بناء على ما ورد عند الجغرافيين العرب — ولاسيما عند ابن حوقل فى كتابه (المسالك والممالك) يمكننا الجزم بأن مدينة (بلرم) كانت مقسمة فى النصف الثانى من القرن العاشر للميلاد إلى ثلاثة أقسام وهى :

القصر (il Cassaro) والخالصة (la Kalsa) والربض المحتوى على حارة المسجد والحارة الجديدة ، وحارة الصقالبة . ولزيادة التفصيل عن تخطيط مدينة (بلرم) قديما راجع البحث القيم المنشور فى « الذكرى المئوية » ج ٢ ص ٢٩٥ — ٤٢٦ وعنوانه : (الطوبوغرافية القديمة لمدينة بلرم M. Columba, *Per la topografia antica di Palermo*

(٤) الأصل : (وقيل) .

(٥) مة : (المتكلم) .

(٦) هذا خطأ جغرافى فإن « كشنتة » (Cosenza) توجد فى إقليم « قلورية » (Calabria) لا فى جزيرة صقلية . وقد أورد الحميرى ذكر هذه المدينة فيما يأتى فكتبها سهواً (لشنتة) . لزيادة التفصيل عن الفتوحات التى قام بها بصقلية وبقلورية كل من أبى إسحق ابراهيم بن أحمد (٢٦١ — ٢٨٩ / ٨٧٥ — ٩٠٢) وابنه أبى العباس عبد الله بن ابراهيم (٢٨٩ — ٢٩٠ / ٩٠٢ — ٩٠٣) راجع : آمارى ت ٢/٨٤ — ٩٤ و ٩٩ — ١١٦ و ١٤٨ — ١٥٠

وعرض له الفواق فقيل : الانطلاق والفواق علتان مفنيتان ؛ ولم يشرب ذلك الدواء واشتغل إبراهيم بنفسه وزادت العلة فمات فى ذى القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين وأدى أهل كشنتة الجزية وهم لايعلمون بموته . وحمل إلى المدينة (sic) بلرم بعد أن صبر فدفن بها وقبره فى بلرم مشهور [1] .

بلكين [?] *

[٦٧ ص] / جبل بلكين فى جزيرة صقلية وفيه المغارة العظيمة التى فيها الدفين المكنوز الذى وضعه هناك صاحب قطانية [2] وقد أعجزت الناس الحيلة فى الوصول إليه . قال محمد ابن سعيد الأنصارى الأرجوانى [3] : أنه أتى هذا الغار فى نفر أرادوا الوقوف عليه ومعاينة ما فيه . قال : وكان ديراً للرهبان يسكنونه وله باب واسع يكون طوله مائتى ذراع فى مثلها وله مما يلى القبلة باب آخر صغير قال : فنزلت أنا وصاحب لى فيه فاذا بين أعلاه وقعره نحو ستين قامة ، وأنزلنا مع أنفسنا سرج الشمع وبقى سائر أولئك النفر فى أعلى الغار ينتظرون تحريكنا للحبال التى أرسلونا بها فيجذبونها . قال : ثم سرنا فى الغار منحدرين فى طريق يسلك تجاه الجنوب حتى أفضينا إلى بئر عمقها نحو ست قيام [و] [4] نزلنا إليها . فاذا بطريق يشرع فيها فسرنا مدة منحنين نحو نصف ميل أيضا ثم لم تزل تقصر علينا حتى سلكناه حبواً حتى وصلنا إلى مجلس كبير مملوء بحجارة قدر كل حجر نصف القنطار . فنظرنا فى إخراج تلك الحجارة فعلمنا إن أخرجنا منها حجراً واحداً فما زاد ، سد المسلك الذى دخلنا منه . قال : ورأيت للمجلس المذكور من خلال الحجارة بابا آخر من جهة القبلة مرتفعا عن أسفله بنحو القامتين ومنه أدخلت إليه تلك الحجارة والله أعلم . قال : وقد صنع

---

(١) لزيادة التفاصيل عن هذه الحوادث التاريخية (التى لخصها آمارى فى « تاريخ مسلمى صقلية » ٢ / ٩٨ — ١١٥) راجع « أعمال الأعلام » لابن الخطيب (أنظر : الذكرى المئوية ٢ / ٤٤٣) و « نهاية الأرب » للنويرى (آمارى م ص ٤٥٢) و « كتاب العبر » لابن خلدون (آمارى م — ص ٤٧٥) .

* لم أجد ذكرا لهذا الجبل فى المصادر التى أطلعت عليها ومن الجبال التى تشبه تسميتها « بلكين » هذا : Monte Pellegrino ببلرم ، وأورد الادريسى ذكره وكتبه « بلقرين » (« نزهة » ص ١٨) .

(٢) من يا ترى صاحب قطانية هذا ؟

(٣) لم أهتد إلى معرفة هذا الشخص .

(٤) الزيادة من « مة » .

أمام[1] ذلك المجلس طاق محفور في ناحية المغارة وله فتح قصير يكون شبرين في مثلها لا يدخل فيه الداخل إلا بتعب شديد ومشقة مجهدة يذكرون أنه ينزل منه إلى / مكان [٦٧ ظ] صعب ينزل فيه بحيلة ولطف يوصل منه إلى سماط عظيم يكون طوله نحو مائة ذراع في عرض سبعين ذراعا وعلوه كثير ، وفيه عجائب عظيمة من حياض مملوءة بضروب من مياه الحكمة وصور قد وضعت لفنون من المنفعة قال : فأردنا الدخول إليه والوقوف على عجائبه فخشينا أن ينفد الشمع الذي كان معنا فنهلك . قال : فانصرفنا من حيث دخلنا . وكان دخولنا إثر صلاة الصبح فما وصلنا إلى موضع الحبال التي توازي باب المغارة إلا بعد هزيع من الليل فتعلقنا بالحبال وخرجنا وقد كان أصحابنا آيسوا منا . ويقال : إن صاحب قطانية أدخل هذا الدفين هناك من أسفل غربي الجبل من مغارة أخرى كانت تنفذ إلى هذه ثم سُدَّ بابها بطين الحكمة فالله أعلم ويذكر أن محمد بن سعيد هذا وجد هناك مالا عريضا وأصاب فيه خيراً كثيراً .

ثِرْمة * Termini

/ قلعة في جزيرة صقلية وهي في الشرق من المدينة[2] وعلى مرحلة منها وهي على أكمة [٩٨ ظ] مطلة على البحر وهي من أجلّ القلاع وعليها سور يطيف بها وبها آثار أولية وبها ملعب غريب الصنعة يدل على قدرة بانيه وبها حصن محدث وحمتان متقاربتان من أجل الحمات وبها مياه جارية عليها كثير من الأرحاء ولها بادية ورباع رائقة ويصنع بها من الأطرية مايتجهز به إلى كثير من الآفاق من جميع بلاد قلورية[3] وغيرها من بلاد المسلمين وبلاد النصارى ، وتحمل منها الأوساق الكثيرة . وبها وادي السُّلَّة[4] وهو نهر كبير كثير الماء غزيره يصاد به البوري في زمن الربيع والسمك الكبير المعروف بالتن . وفي أسفل البلد قلعة وحماتها أغنت أهلها عن اتخاذ الحمام وهي على غاية من الخصب وسعة الرزق وبينها وبين بلرمة[5] المعروفة بالمدينة خمسة وعشرون ميلا .

---

(١) الأصل : « أيام » والتصحيح عن « مة » .

* أنظر « نزهة المشتاق » ٢٣ — ٢٤

(٢) يقصد بـ « المدينة » مدينة « بلرم » وسبق أنه « . . . غلب على « بلرم » قاعدة مدن جزيرة صقلية ، اسم المدينة أيضا » (أنظر مادة « بلرم » جـ ٢) .

(٣) يقصد هنا إقليم Calabria بإيطاليا الجنوبية وسيرد ذكره .

(٤) هو النهر المسمى الآن Fiume di Termini وكان اسمه باليوناني ποταμός Σοῦλλας وباللاتيني Flumen Sulle (انظر الترجمة الايطالية لنزهة المشتاق ص 28 ح 3) .

(٥) هي مدينة « بلرم » السابق ذكرها .

جَنْوَةَ * Genova

[١١٤ ظ] / مدينة فى بلاد الروم على ساحل بحر الشام[١] وهى مدينة قديمة البناء حسنة الجهات شاهقة البناء وافرة البشر[٢] كثيرة المزارع والقرى والعمارات وهى على قرب نهر صغير[٣] وأهلها تجار مياسير يسافرون براً وبحراً ويقتحمون سهلا ووعرا . ولهم أسطول ومعرفة بالحيل الحربية والآلات السلطانية ولهم بين الروم عزة أنفس .

حامِد ** Erice

[١٢٣ ظ] / جبل حامد بجزيرة صقلية بينه وبين طرابنش[٤] نحو عشرة أميال . وهو جبل عظيم شامخ الذروة عالى[٥] القنة حصين منيع وفى أعلاه أرض سهلة للزراعة ومياهه كثيرة والصعود إليه هو من إحدى جهاته . وهم يرون أن منه يكون فتح هذه الجزيرة ولا يتركون مسلما يصعد إليه ولذلك أعدوا فيه ذلك المعقل فلو[٦] أحسوا بحادثة حملوا حريمهم فيه وقطعوا القنطرة[٧] .

الحَمَّة *** Bagni Segestani

[١٣٢ ظ] / قلعة حصينة شامخة بجزيرة صقلية . هى من أحسن البقاع : والبحر على ثلاثة أميال منها ولها مرسى عليه حصن يعرف بالمدارج[٨] والمراكب سائرة به راجعة تليه ، ويصاد به التن بالشباك . وسميت هذه القلعة بالحمة لأن فيها حمة حامية يخرج ماؤها من

---

* « نزهة المشتاق » ٧١ — ٧٢

(١) بحر الشام عند الإدريسى — الذى اعتمد فى النقل عنه الحميرى — هو البحر الأبيض المتوسط

(٢) مة : البشره

(٣) هو النهر المسمى الآن : Bisagno .

** « نزهة المشتاق » ٣٤

(٤) انظر (إطرابنش) فيا سبق و (طرابنش) فيما يأتى .

(٥) فى الأصل وفى (مة) : عال .

(٦) فى (مة) : فلما .

(٧) سبق الحميرى أن أشار إلى هذه الأخبار فى مادة « إطرابنش » .

*** انظر « نزهة المشتاق » ص ٣٤

(٨) (المدارج) هذه تقع اليوم فى المنطقة المسماة Castellamare del Lido (ولمعرفة اشتقاق تسمية « المدارج » انظر الترجمة الايطالية لـ « نزهة المشتاق » ص 39 — 1) .

جرف [1] قريب منها يستحم الناس فيها [2] وماؤها رطب وبقربها أنهار وأودية عليها أرحاء وبها بساتين وجنات وأبنية ومتنزهات ومزارع طيبة .

حصن الحمّة * [?]

[١٣٣ ظ] / بجزيرة صقلية وهو بلد كبير فيه حمامات كثيرة قد فجرها الله سبحانه وتعالى ينابيع فى الأرض وأسالها عناصر لا يكاد البدن يحتملها لافراط حرها .

الخالصة ** Kalsa

[١٤٠ ظ] / هى كانت دار الامارة بصقلية مدة المسلمين فيها ، ولما تغلب العدو على بعض مدنها ونشأت الفتنة [3] بها واتفق الناس بها على تقديم

(١) فى الأصلين (حرف) والتصويب من المعاجم ومما سيأتى فى مادة (سرقوسة) .

(٢) مة : (فيه) .

* أنظر « رحلة الكنانى » (آمارى م ٩٤) .

** أنظر مادة (بلرم) السابقة ، ح ٦ ؛ وسميت هذه الناحية من مدينة (بلرم) Χάλεσα فى المصادر اليونانية كما سميت فى المصادر اللاتينية : Chalcia و Halcia و Chalesa و Alza و Alcza (راجع G. M. Columba, *Per la topografia antica di Palermo* فى « الذكرى المئوية » ٢/٢٩٨ ، ١ -) .

(٣) يمكننا أن نقسم تاريخ جزيرة صقلية أثناء الفتح الإسلامى إلى ثلاث فترات رئيسية :

(ا) فترة خضوع الجزيرة لسلطة الأغالبة بالقيروان وقد تحققت فى أثنائها — بعد نزول أسد ابن الفرات فى مدينة مازر (Mazara) سنة ٢١٢/٨٢٧ — فتح مدينة (بلرم) Palermo (٢١٦/٨٣١) و (مسينى) Messina (٢٢٩/٨٤٢) و (قصريانة) Castrogiovanni (٢٤٥/٨٥٩) ثم سقطت (سرقوسة) Siracusa (٢٦٤/٨٧٨) أما (طبرمين) Taormina فلم تسقط إلا سنة ٢٨٩/٩٠٢ بعد حصار طويل لها .

(ب) فترة خضوع جزيرة صقلية للفاطميين من أوائل القرن العاشر الميلاد ، بعد استيلائهم على إفريقية وعلى مصر . ثم ابتداء من منتصف القرن العاشر إلى منتصف القرن الحادى عشر أصبح حكم الجزيرة مقصورا على أسرة الكلبيين التى تمتعت بشىء غير قليل من الاستقلال وكانت هذه الفترة فترة ازدهار ثقافى واقتصادى واجتماعى وحاول فيها الولاة الكلبيون توسيع الفتوحات فى داخل الجزيرة وفى خارجها إلى أبعد مدى .

(ج) فترة الفتنة التى ظهرت بوادرها بالجزيرة حوالى سنة ١٠٤٠ م والتى فتحت أبواب الجزيرة للنورمنديين وخير مثال يذكر فى هذا ما قاله الحميرى فى مادة (صقلية) حيث جاء فيها : « ... ثم كان فيها من العلماء والعباد والفقهاء والشعراء وأعيان الناس ما لا يأخذه عد ولا يأتى عليه إحصاء ؛ إلى أن طال الأمد وقست القلوب واختلفت الأهواء ووقعت الفتن بين أهلها وخلفت فيهم خلوف ومضت الأعصار الطويلة فتغلب عليها النصارى فى سنة أربعمائة وثلاث وخمسين » (وزيادة التفصيل الخاصة =

الحسن [1] بن يوسف [2] فافتتح قلعتين كانتا فى أيدى الروم فى يومين متواليين وذلك فى ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ثم افتتح مدينتى الامارة : الخالصة والظاهرية [3] فى يومين متواليين أيضا ، وقتل جميع من كان فيها من الروم وهدم الظاهرية يوم الخميس من العام ثم هدم الخالصة ضحى يوم الجمعة من الغد وفى ذلك يقول [4] صاحب صقلية حينئذ على بن الخياط الربعى [5] من قصيدة :

فتحنا به الحصنين بالسيفِ عَنوةً وعاد المصلى حيثُ كان المصلّبُ

= بالحوادث التى سبقت الفتح النورمندى لصقلية ، وراجع المصادر المذكورة فى بحثى : « العلاقات بين النورمنديين وبنى زيرى من الفتح النورمندى لصقلية حتى وفاة رودچيرو الثانى : ٤٥٣/٥٤٨ هـ ١٠٦١/١١٥٤ م (المنشور فى « مجلة كلية الآداب » بجامعة القاهرة ، المجلد ١١ الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٤٩) وفى بحث الدكتور حسين مؤنس : « المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية » (المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٤ ، العدد ١ ، مايو سنة ١٩٥١ ص ١٠٠ وما يليها) .

(١) كان بالأصل : الحسين ، والتصحيح عن المراجع المذكورة فى الحاشية التالية .

(٢) إن الفترة التى سماها المؤرخون العرب باسم (الفتنة) هى فترة غامضة كل الغموض فى تاريخ مسلمى صقلية لعدم اتفاق المصادر المختلفة على الحوادث التاريخية التى وقعت فى أثنائها . وبالرغم من هذا كله ففى إمكاننا أن نجزم بأن ابتداء فترة الفوضى بل (الفتنة) فى الجزيرة كان عندما طرد منها عبد الله بن المعز (٤٣١/١٠٣٩ — ١٠٤٠) وانتهاءها كان سنة ٤٤٤/١٠٥٢ — ١٠٥٣ عقب زل الحسن (وقيل : الحسين) بن يوسف الملقب (صمصام الدولة) . لزيادة التفصيل عن هذه الحوادث . التى لخصها آمارى فى « تاريخ مسلمى صقلية » ٤٧٨/٢ — ٤٩٠ وراجع : ابن الأثير (آمارى م — ص ٢٧٥) وأبا الفداء (آمارى م — ص ٤١٣ — ٤١٤) والنويرى (آمارى م — ص ٤٤٥) وابن خلدون (آمارى م — ص ٤٨٣ — ٤٨٤) وابن أبى دينار (آمارى م — ص ٥٣٣) .

(٣) لم أهتد إلى هذا المكان .

(٤) الظاهر أنه سقطت كلمة أو أكثر من النص ، لأن ابن الخياط لم يكن إلا شاعرا كما سنذكره فى الحاشية التالية .

(٥) كان بالأصل : (الربيعى) . وكان أبو الحسن على بن محمد بن على الربعى — المعروف بابن الخياط — هذا من جلة أصحاب أبى الطاهر التجيبى الذى أكثر من إنشاد غرر شعره فى فتنة المسلمين بصقلية وفى مدح الأمراء الكلبيين من بنى أبى الحسين بها (راجع : المختار من شعر بشار ، اختيار الخالديين وشرحه لأبى الطاهر اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبى البرقى ، اعتنى بنشرة السيد محمد بدر الدين العلوى ، القاهرة ١٩٣٤ ، وراجع أيضا : المغرب لابن سعيد ، اختيار B. Moritz لشعراء صقلية (فى « الذكرى المئوية » ١ / ٢٩٨) . ويوجد مختارات مختلفة من شعر ابن الخياط =

الخالية * [?]

/ هما جزيرتان فى أرض جزيرة صقلية فى ناحية مسينى وهما جزيرتا البركان واحدة كبيرة والأخرى صغيرة . وفى هاتين الجزيرتين تتقد النار أبداً فيرى لهب النار بالليل ودخانه بالنهار ، ومن العجائب أن النار فى إحدى الجزيرتين حديثة ولم تكن بها قبل وأنها ضعفت فى الأخرى مذ ذاك . وهاتان الجزيرتان وما يليهما تسمى جزائر أوليا سميت باسم أولين الذى ذكرت الفلاسفة الجاهلية أنه كان أميراً فى تلك الجزائر وكان يعلم أهلها بما يجدّ فى الرياح لتجارب حفظها فاتخذوه إلهاً . [١٤٥ ظ]

رِيُو ** Reggio (di Calabria)

/ مدينــة من بلاد قلورية [١] على ضفــة المجــاز إلى صقليــة وبين ريو و / مدينة مسينى [٢] من جزيرة صقلية سبعة أميال وذلك سعة المجاز بين المدينتين وريو مدينة صغيرة فيها فواكه كثيرة وبقول وهى متحضرة ولهــا أسواق عامرة وحمامات وسورها حجر وهى على البحر [٣] فى الضفة الشرقية من المجاز . [١٨٦ ص] [١٨٦ ظ]

سَرَقوسة *** Siracusa

/ هى مدينة بينها وبين جزيرة صقلية مجاز لطيف وهى كبيرة عليها ثلاثة أسوار وهى من مشاهير المدن وأعيــان البلاد . يقصدها كل حاضر وباد من جميع الأقطار [٢١٥ص]

= فى « اختيار الصيرفى للدرة الخطيرة من شعراء الجزيرة » الذى نشره المستشرق الإيطالى « دى ماتيو »

أنظر: I. Di Matteo, *Antologia di poeti arabi siciliani, estratta da quella di Ibn al-Qaṭṭā'*, Palermo 1937, p. 9-15

وعلق الاستاذ « جابريلى » F. Gabrieli على تحقيق « دى ماتيو » المذكور فى بحثه : *L'Antologia di Ibn aṣ-Ṣairafī sui poeti arabo-siciliani* (*Boll. del Centro di Studi filologici e linguistici siciliani*, II, 1-15) Palermo. 1954

* فى (مه) : « خلية » لم ترد هذه التسمية فى المصادر الأخرى ويفهم مع هذا أن المقصود هنا جزيرتان من مجموعة الجزر التى سميت — وما زالت تسمى الآن Lipari أو Eolie من اسم Eolo اله الرياح عند اليونانيين القدماء .

** أنظر « نزهة المشتاق » ص ٥٩ — ٦٠ و ٩٢

(١) هو الإقليم المسمى الآن Calabria

(٢) هى مدينة Messina التى سيرد ذكرها .

(٣) كان بالأصل : وهى على على بحر البحر ، وفى (مة) : على بحر البحر .

*** راجع (نزهة المشتاق) ص ٢٩ حيث يوجد جزء من المعلومات الواردة هنا .

والبحر محدق بها من جميع جهاتها والدخول إليها والخروج عنها على باب واحد شمالها. ولها مرسيان وليس مثلهما فى جميع البلدان : أحدهما أكبر من الآخر وبها فوارة اليهودى [1] تنبع من جرف على حاشية البحر وهى عجيبة الأمر وبها ما بأكثر المدن من الأسواق ذوات السماطات والخانات والديار والحمامات والمبانى الرائقة والأفنية الواسعة. ولها إقليم كبير وضياع ومنازل حصينة زكية المزارع توسق فيها السفن بالطعام. وفى سرقوسة مات أسد بن الفرات [2] الفقيه كان وجهه زيادة الله الأغلبى أمير القيروان غازيا إلى صقلية فسار إليها مقلعا من سوسة ودخلها فى عشرة آلاف فارس وكان أميراً / قاضيا فقاتل [٢١٥ ظ] أهلها وفتح فيها بلاداً وتوفى بها. وافتتحت سرقوسة [3] سنة أربع وستين ومائتين وكان جعفر بن محمد التميمى أخرج أبا العباس أحمد بن عبد الله بن يعقوب بالصائفة فهزم أهل سرقوسة وقتل منهم مقتلة عظيمة وحاصرها براً وبحراً وفتحها بعد تسعة أشهر من نزوله عليها فى شهر رمضان من العام المؤرخ وأصاب فيها من المغانم ما لم يكن يصاب مثله فى مدينة من مدن الشرك ولم يحي من علوجها أحدا ولا أفلت منهم نافخ ضرمة [4] وسرقوسة مدينة كبيرة عليها ثلاثة أسوار ولها مرسى يعرف بالمينا الصغيرة وبينه وبين مرسى المينة الكبيرة حفير وعلى الحفير قنطرة إلى المدينة. والمينا الكبيرة مرسى مشتى للسفن والفوارة على المرسى وعليها مسجد.

الشاقّة * Sciacca

[٢٢٨ ص] / بلدة بجزيرة صقلية على ساحل البحر مشرفة بها عمارات وأسواق ومتاجر وديار

(١) لعلها (فوارة النبودى) التى أشار إليها صاحب « نزهة المشتاق » فقال المستشرقان اللذان اعتنيا بتحقيق هذا النص : مما لاشك فيه أن (نبودى) هذا هو نهر Anapus (أنبوس) وحرف ناسخ من نساخ « نزهة المشتاق » حرف الـ (س) الأخير وكتب بدلها (دى) أما الإدريسى فخلط بين نهر Anapus (وهو نهر يقطع مدينة (سرقوسة) وبين Fonte Aretusa (وهو عين من عيونها) . انظر الترجمة الإيطالية ا « نزهة المشتاق » ص 34 - 1

(٢) توفى أسد بن الفرات سنة ٢١٣ / ٨٢٨ ودفن فى مكان بين (قطانية) Catania و « قصريانة » Castrogiovanni راجع آمارى ت ، ١ / ٤٠٢

(٣) كان بالأصل « صقلية » ويظهر من التاريخ وتتابع الأحداث خطأ ذلك (افتتحت صقلية سنة ٢١٢) .

(٤) لخص آمارى الحوادث التاريخية الواردة هنا فى « تاريخ مسلمى صقلية » ١ / ٥٣٠ - ٥٥١ ولزيادة التفصيل عن حصار سرقوسة وسقوطها ، راجع : ابن الاثير (آمارى م - ٢٤٣) وابن خلدون (آمارى م - ص ٤٤٩ - ٤٥٠) وابن الخطيب (الذكرى المئوية ٢ / ٤٧٣ - ٤٧٤) .

* راجع (نزهة المشتاق) ص ٣٢ .

كثيرة وهى أم الأقاليم التى تليها والأعمال التى حولها . ومرساها أبداً معمور والسفر إليها من إفريقية وطرابلس أبدا كثير وعملها هو عمل قلعة البلوط [1] وقلعة البلوط حصن منيع عالى[2] الذرى شامخ صعب الارتقاء ، له بوادٍ شريفة خصيبة [3] وضياع طيبة وأصناف من الثمار غريبة ، وبها عيون وأودية عليها كثير من الأرحاء وكان بها خلق كثير فانتقلوا إلى الشاقة ولم يبق به إلا رجال قلائل يحرسونه عن من يريده . ومن هذه القلعة إلى البحر إثنا عشر ميلا ومنه إلى الشاقة [4] سبعة أميال ومن الشاقة [4] إلى مازر [5] مرحلتان .

شكلة * Ischia

[٢٣١ ظ] / جزيرة فى البحر الشامى وهى قريبة من نابل [6] الساحلية وهى جزيرة خصيبة تسمى ميور ويقال للجزيرة « شكلة ميور » [7] . وبينها وبين نابل ثلاثون ميلا وبالقرب من مرسى البوالص [8] من جزيرة صقلية قلعة تسمى شكلة [9] أيضاً وهى من أجل القلاع وأفضل البقاع وهى من البحر على ثلاثة أميال وهى بادية وحاضرة وبها أسواق وتجارات وخيرات وجنات . ويسافر إليها فى البحر من / بلاد قلورية [10] ومن [٢٣٢ ص] إفريقية ومالطة [11] وغيرهما وباديتها طيبة وبها أنهار غزيرة عليها أرحاء . ومن الغرائب أن بها عيناً تعرف بعين الأوقات [12] تجرى فى أوقات الصلوات وتجف [13] فى غير ذلك .

(١) هى تسمى الآن Caltabellotta وسيرد ذكرها .

(٢) كان بالأصل : عال .

(٣) فى « مة » : حصينة

(٤) كان بالأصل : الشافية .

(٥) كان بالأصل وفى « مة » : هازر أو هارز .

* واجع (نزهة المشتاق) ص ١٧ و ٣٠

(٦) هى مدينة Napoli وسيرد ذكرها .

(٧) هذا المكان أطلق عليه باللاتينية : Iscla Major .

(٨) لزيادة التفصيل عن هذا المكان انظر مادة (مرسى على) — ١

(٩) هى Scioli التى ورد ذكرها فى (نزهة المشتاق) ص ٣٠

(١٠) كان بالأصل « قليوريه » والمقصود Calabria التى سيرد ذكرها فيما يأتى من النص .

(١١) (مة) : بالطة .

(١٢) لم يرد ذكر لهذا المكان — الذى سمى فى العصر الحديث Donna Lucata — إلا فى هذا الموضع . وقد أشار إليه الإدريسى فى « نزهة المشتاق » ص ٣٠

(١٣) كان بالأصل : « تجفت » والتصحيح من (مة) ومن (نزهة المشتاق) ص ٣٠

شَنْت مارْكو * San Marco

[٢٣٥ ظ] / قلعة بصقلية عظيمة ذات آثار قديمة وعمارتها كثيرة وبها أسواق وحمام وجمل من الفواكه والثمار ، ولها بادية ومزارع واسعة ومياه ناشعة وينبت بها من جميع جهاتها البنفسج الزكي الرائحة العطر . وساحلها حسن تنشأ به المراكب من خشب جبالها .

شَفْلُودِى ** Cefalù

[٢٣٦ ظ] / مدينة بجزيرة [١] صقلية كثيرة الخصب واسعة المرافق منتظمة الأشجار والأعناب وغيرها مرتبة الأسواق وفيها جبل على قنته قلعة لم يُر أمنع منها اتخذوها عدة لأسطول يفجوهم من جهة المسلمين .

صِقِلِّيَة *** Sicilia

[٢٤٧ ظ] / جزيرة صقلية فى قطعة من البحر الشامى ؛ بينها وبين أقرب بر من مالطة ثمانون ميلا .

إفتتحها المسلمون فى صدر الاسلام ؛ وغزاها أسد بن الفرات الفقيه أميراً وقاضياً سنة اثنتى عشرة ومائتين [٢] ؛ بنزع قيمة البطريق النصرانى ، قائد صاحب صقلية [٣] ، والظفر بها ؛ فولى زيادة [٤] الله أسد بن الفرات ، القاضى الفقيه على جيش إفريقية من قريش والعرب والبربر وغيرهم ، وأقره على القضاء مع القيادة .

---

* راجع (نزهة المشتاق) ص ٢٥ ؛ وتقع San Marco على البحر فى الساحل الشمالى للجزيرة .

** راجع « نزهة المشتاق » ص ٢٤ (حيث كتبت : جفلودى) و « رحلة الكنانى » لابن جبير (آمارى م — ٨٧) .

(١) كان بالأصل : (مدينة جزيرة) والتصحيح من « مة » .

*** ليس فى إمكانى أن أحدد تحديدا دقيقا المصادر المختلفة التى اعتمد عليها الحيرى لإيراد الأخبار الجغرافية والحوادث التاريخية التى ذكرها فى هذه المادة بالرغم من أننا نفهم مما ذكر هنا أن المصنف استقاها غالبا عن الادريسى وعن البكرى كما سوف نشير اليه فيما بعد .

(٢) الموافق الربيع سنة ٨٢٧ م .

(٣) لزيادة التفصيل الخاص بغزو أسد بن الفرات لصقلية راجع — علاوة على آمارى ت ، ١/ ٣٩٤ — ٤١٧ — المصادر الآتية : النويرى (آمارى م — ص ٤٢٨) وابن عذارى (آمارى م — ص ٣٥٤ — ٣٥٥) وأبا بكر المالكى ، ناقلا عن أبى العرب (آمارى م — ص ١٨٣ — ١٨٤) وابن أبى دينار (آمارى م — ص ٥٠٧) .

(٤) يريد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير القيروان (٢٠١ — ٢٢٣ / ٨١٧ — ٨٣٨) .

فخرج أسد فى جيش عظيم وجمع كثير وعدة كاملة فى شهر ربيع الأول ، من العام المذكور ؛ وكان فصوله من مدينة سوسة فى سبعين مركبا ، يوم السبت للنصف من ربيع الآخر ؛ ووصل إلى مرسى مازر [1] يوم الثلاثاء بعده ؛ وكانت طريقه من المرسى على قلعة بلوط [2] ؛ ثم على قرى الرفش (؟) ثم صار إلى قلعة الدب وسميت بذلك ؛ لأنهم أصابوا فيها دباً أنيساً ؛ ثم إلى قرية الطواويس وسميت بذلك لأنهم أصابوا فيها طاووسا [3] . ثم إلى معركة بلاطة [4] ، وهناك ظهر لهم جمع الروم فنازلهم ، فانهزم المشركون ، وأصيب لهم كراع وسلاح ؛ ولذلك سميت معركة بلاطة وهو اسم ملك النصارى . ثم رحل إلى حصون الروم وقراهم يغير ويسبى [وينكى] [5] وبث السرايا [6] فى جميع الجزيرة . وكثرت المغانم عند المسلمين وصاروا فى رغد من العيش ؛ وسارع الناس إلى إمدادهم من إفريقية والأندلس ؛ وحاصر أسد مدينة سرقوسة وقاتلهم [7] براً وبحراً وأحرق مراكبهم [8] وقتل جماعة من أهلها .

ومات أسد سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو محاصر لسرقوسة [9] ؛ ووقع الموتان فى عسكر المسلمين ؛ واختلفت عليهم بعده الولاة .

---

(1) هى مدينة Mazara الآن وسيرد ذكرها .

(2) تسمى بالإيطالية : Caltabellotta ذكرها الحميرى فى مادة (شاقة) وسيرد ذكرها فيما بعد .

(3) لم يتعرض المؤرخون لذكر هذه المواضع ولم نهتد للمصادر التى استقى الحميرى هذه الاخبار عنها . وحاول آمارى — بناء على المصادر العربية — تحديد سير أسد بن الفرات وجنوده بصقلية عقب نزولهم بمازر Mazara (راجع : آمارى ت — ١/ ٣٩٩ — ٤٠١ وتعليقات Nallino عليه وعلى من تناول هذا الموضوع) أما (قرى الرفش) فكتبت فى (مة) : قرى الريش .

(4) قال آمارى (فى « تاريخ مسلمى صقلية » ١/ ٣٩٦ ح ٢) أن هناك بجزيرة صقلية مواضع مختلفة أطلق عليها اسم « بلاطة » (المشتقة من platea اللاتينية) ومن المرجح أنه يقصد بها هنا (رحل البلاط) الواقع فى منتصف الطريق بين « بلرم » (Palermo) و « الشاقة » (Sciacca) . ومن الممكن أيضا أن تكون تسمية الموضع الذى اشتبك فيه الجيشان مأخوذة من اسم قائد الجنود البيزنطيين وهو « بلاطه » (Palata) .

(5) الزيادة من (مة) .

(6) كان بالاصل (الثرايا) والتصحيح عن (مة) .

(7) كان بالاصل : (قابلهم) والتصحيح عن (مة) .

(8) مة : (مراكبها) .

(9) كان بالاصل : (مرقوسة) والتصحيح عن (مة) .

ثم كان فيها من العلماء والعباد والفقهاء والشعراء وأعيان الناس ما لا يأخذه عد ولا يأتى عليه إحصاء ؛ إلى أن طال الأمد وقست القلوب واختلفت الأهواء ووقعت الفتن [1] بين أهلها وخلفت فيهم خلوف ؛ ومضت الأعصار الطويلة ؛ فتغلب عليها النصارى فى سنة أربعمائة وثلاث وخمسين [2] .

وما زال الطاغية رجار الفرنجى يفتحها قطراً قطراً ويأخذها كفراً كفراً — إلى أن استولى على جميعها ؛ وذلك فى / مدة ثلاثين عاماً [3] إلا أنه أقر الناس بها على دياناتهم [4] وشرائعهم، وأمنهم فى أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذراريهم ؛ وأقام على ذلك مدة حياته إلى أن مات سنة أربع وتسعين وأربعمائة [5] . فخلفه ابنه رجار الثانى [6] فحذا حذوه وسار بسيرته فركن إليه الناس ورضوا بتسليم الأمور له . [٢٤٨ ص]

(١) سبق أن أشرنا فى مادة (خالصة) إلى ما يقصد به المؤرخون العرب بالفتنة فى صقلية .

(٢) الموافق سنة ١٠٦١ م .

(٣) ظهرت قوة النورمنديين فى البحر المتوسط فى منتصف القرن الخامس (الحادى عشر م) وقد بدأت السلطة الإسلامية تتلاشى بالتدريج من صقلية إلى أن انتهت نهائيا منها — ومن سائر جزائر البحر المتوسط التى كانت للسلمين — سنة ٤٨٤ / ١٠٩١

(٤) كان بالاصل : (دايانيهم) والتصحيح عن (مة) .

(٥) الموافق ١١٠١ ؛ قال عنه الشريف الادريسى فى (نزهة المشتاق) ص ٢٠ — ٢١ :

« . . . ولما كان فى سنة أربع مائة وثلاث وخمسين سنة من سنى الهجرة افتتح غرر بلادها وقهر بمن معه طغاة ولاتها وأجنادها ، الملك الأجل والهمام الأفضل المعظم القدوة السامى الفخر رجار (Ruggero) بن تنقرين (Tancredi) ، خيرة ملوك الافرنجيين ، ولم يزل يفرق جموع ولاتها ، ويقهر طغاة حماتها ويشن عليهم الغارات فى الليل والنهار ويرميهم بصنوف من الحتوف والبوار ، ويعمل فيهم ماضى الشفار وعوامل القنا الخطار إلى أن استولى على جميعها غلبة وقهرا وفتحها قطرا فقطرا وملكها ثغرا فثغرا وذلك فى مدة ثلاثين عاما ولما صار أمرها اليه واستقر بها سرير ملكه نشر سيرة العدل فى أهلها وأقرهم على أديانهم وشرائعهم وأمنهم فى أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذراريهم ثم أقام على ذلك مدة حياته إلى أن وافاه الأجل المحتوم وتقضاه يومه المعلوم فتوفى فى سنة ٤٩٤ وهو ببعض بلاد قلورية (Calabria) بقلعة مليطو (Mileto) فدفن بها . . . » .

(٦) كان رجار الثانى (Ruggero II) عند وفاة أبيه طفلا فلم يتسلم مقاليد الحكم إلا فى سنة ١١١٢ ؛ وقال عنه الشريف الإدريسى فى (نزهة المشتاق) ص ٢١ :

« . . . ثم ورث الملك بعده ابنه الملك المعظم المسمى باسمه المقتفى أثر سننه رجار الثانى وأقام الدولة وزين المملكة وشرف السلطنة وأعطى الأمور أقساطها من النظر الجلى والفعل المرضى مع نشر العدل وإقامة الأمان والفضل حتى انقادت الملوك إلى طاعته وأعلنوا بشعار مشايعته ومتابعته وسلموا مقاليد بلادهم اليه وتواردوا من كل الجهات عليه رغبة فى التفيء بأفياء مملكته والسكنى تحت ظلال أمنه ورحمته ، وملكه لا يزيد على الايام إلا رفعة وعلوا وشماخة وسموا إلى حين تأليفنا هذا الكتاب . » .

وصقلية — اسم لاحدى مدنها فنسبت الجزيرة كلها إليها وفيها مدن كثيرة ؛ وهى جزيرة عظيمة ضخمة حصينة خطيرة .

قيل — إن فيها مائة بلد وثلاثين بلدا بين مدينة وقلعة غير ما بها من الضياع والمنازل .

وطول هذه الجزيرة سبعة أيام وعرضها خمسة أيام وفتحت فى سنة اثنتى عشرة ومائتين ؛ فتحها زيادة الله بن إبراهيم بن الأغاب أمير القيروان ، بعث إليها أسد بن الفرات كما قدمناه فمشى فى مراكبه إلى سرقوسة [1] مدينة من مدن الجزيرة فنزل بمرساها وقاتل البطريق الذى كان بها حتى قتله .

قالوا — ومعنى صقلية باللسان القديم : تين وزيتون [2] ؛ وهو الذى أراد أبو على حسن بن رشيق [3] فى مدح قاعدتها بارم المدعوة باللسان العربى : المدينة — فى قوله :

أخت المدينة فى اسم لا يشاركها   فيه سواها من البلدان والتمس

---

(١) Siracusa وقد ورد ذكرها .

(٢) يوجد فى المصادر العربية أن تسمية (صقلية) اشتقت من كلمتين يونانيتين هما συκῆ بمعنى (تين) و ἐλαία بمعنى (زيتون) ولكننا لا نجد هذا الاشتقاق — الذى لا يقبله من له دراية باللغة اليونانية القديمة — عند المؤرخين اليونانيين

وتناول ميكيل آمارى هذا الموضوع (تاريخ مسلمى صقلية ، ٢ / ٥٦٨ و ـ ١) وقال إن المؤرخين اللاتينيين للقرن الثالث عشر وقعوا فى نفس الخطأ وكتبوا : Graece Sicalea quod latine est ficum et olivam . وأول من نسب له هذا الاشتقاق هو النحوى اللغوى أبو بكر محمد بن على بن الحسن بن البر التميمى الذى ترجم له القفطى وقال (انباه الرواة ، تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ، ٣/١٩٠ — ١٩١ ، القاهرة ١٩٥٥) : « فاضل كامل ، ولد بصقلية ورحل عنها فى طلب العلم إلى جهة المشرق ، وروى كثيرا من اللغة ، ثم استوطن صقلية وصحب ابن منكود صاحب مازر (وهو : القائد عبد الله ابن منكوت الذى جاء ذكره عند ابن الاثير وأبى الفداء والنويرى ، انظر : آمارى م — ص ٢٧٥ ، ٤١٤ ، ٤٤٥) من مدن صقلية ، فقربه وأدناه ، وأكرم محله وأجل مثواه . . . » وممن أخذ عن ابن البر : ابن القطاع الصقلى وابن مكى الصقلى وابن الرشيق الذى يرجح أنه سمع مسألة اشتقاق تسمية (صقلية) من شيخه ابن البر ونسبه بعض المؤرخين اليه كما نسبه بعضهم إلى ابن البر نفسه . راجع : ابن دحية ، المطرب (تحقيق الابيارى وعبد الحميد وأحمد بدوى ص ٥٣ ، القاهرة ١٩٥٤) والسيوطى ، كتاب بغية الوعاة ص ٧٥ — ٧٦ (طبعة مصر ١٣٢٦) وابن شباط ، عند آمارى م — ص ٢١٢ (نافلا عن « تثقيف اللسان » لابن مكى . مخطوط مراد ملا ١٧٢٥ باستنبول ورقة ٢١ ظ) .

(٣) لزيادة التفصيل عن ابن رشيق انظر مادة « بلرم » السابق ذكرها .

وعظَّم اللهُ معنى ذكرِها قسماً [1]   قلْ إذا شئتَ أهلَ العلمَ أوْ فقس

يشير إلى قوله تعالى : « والتين والزيتون . . . » .

وقال البكرى [2] ـ سميت صقلية باسم : سيقلو أخو أنطال [؟] [3] الذى به سميت : أنطالية [4] وكانت تعرف قبل : ترى قريا ؛ ومعناه باللسان الاغريقى : ثلاثة فى أربعة [5] ؛ وإنما ذلك لثلاثة مواضع مشرفة فيها ؛ وهى : بلرم التى هى قاعدتها ، وباجنة [6] ، ولياوم [؟] [7] ؛ وبين صقلية وبلد انطالية خليج من البحر .

---

(١) قال ابن دحية (« المطرب » ص ٥٣) : « . . . قوله فى هذا البيت * وعظم الله معنى لفظها قسما * يريد قول الله جلّ جلاله (والتين والزيتون) [كما جاء فى سورة : ٩٥ ، آية : ١] قال مجاهد فى صحيح البخارى : هو التين والزيتون الذى يأكل الناس : وقال الحسن : هو التين الذى يؤكل ، والزيتون الذى يعصر . . . » .

(٢) استقى الحميرى كثيرا أو قليلا من معلوماته الخاصة بصقلية من (كتاب المسالك والممالك) للبكرى (المتوفى ٤٨٧/١٠٩٤) الذى لم يصل الينا منه إلا الجزء المتعلق بالمغرب (راجع : *Description de l'Afrique Septentrionale*, éd. M. G. De Slane, Alger 1911 (traduction, Alger 1913).

أما القسم الذى أورد البكرى فيه أخبارا عن صقلية فلم يصل إلينا منه إلا النزر اليسير الوارد فى كتب المتأخرين مثل « ديوان صلة السمط وسمت المرط » لابن شباط (راجع : آمارى م ص٢٠٩ــ ٢١٣) وما ذكره الحميرى هنا . أما المصادر التى استعان البكرى بها فى وضع (كتاب المسالك والممالك) فانظر مقدمة (صفة جزيرة الأندلس) ص ٢٤

(٣) غير واضح فى (ا) وفى (مة) .

(٤) فى (مة) : أنطاكية ، وكلاهما تحريف لكلمة (ايطالية) كما جاء فى (نزهة المشتاق) ص ٣ ؛ وهذه التسمية نادرة جدا عند الجغرافيين العرب الذين استعملوا للاشارة اليها إما (أرض أنكبردة) أو (بلاد الأنبردية) راجع ما كتب فى هذا الموضوع C.F. Seybold فى (الذكرى المئوية) ٢/٢٠٧ — ٢٠٩) .

(٥) من أين ، يا ترى ، استقى البكرى هذه المعلومات الخاصة باشتقاق بعض للتسميات الجغرافية الايطالية التى لم يجىء ذكرها فى المصادر الأخرى ؟ والتى نقلها الحميرى بشئ كثير من التحريف ؟ ولم نفهم ما قصد به المصنف بعبارة « ثلاثة فى أربعة » . أما « تريا قريا » فالراجح عندنا أنه تعريب « Τρινακρία » الواردة فى النصوص اليونانية (ومن المحتمل أن هذا اللفظ مشتق من τρία ἄκρα أو τρεῖς ἄκραι بمعنى « ثلاث ذرى » وجاء النص العربى توكيدا لهذا المعنى .

(٦) جاء اسمه فى (نزهة المشتاق) ٥٦ (باشنو) ويسمى الآن : Pachino الواقع فى الزاوية الجنوبية القصوى لجزيرة صقلية .

(٧) مة : (لياووم) والراجح عندنا أنه تحريف ولعله « الفاور » il Faro الواقع فى الزاوية الشمالية الشرقية لصقلية حيث (مسينى Messina) كما جاء فى المصادر الأخرى .

وقال أرسيوس[1] : عرض جزيرة صقلية مائة وسبعة وخمسين (sic) ميلا ؛ وطولها مائة وسبعة وسبعون ميلا . وقال غيره : دور صقلية الذى يحيط بها خمسمائة ميل . وطول جزيرة صقلية من جبل بلرم إلى جبل بحيتة [؟] [2] ؛ وعرضها من جبل باجنة إلى جبل انتسوا [؟] [3] عند مرسى على ؛ ويذكر أنها مثلثة الشكل .

وقال بعضهم : لا أدرى جزيرة فى البحر أكثر منها بلاداً ولاعمارة أقطار — فالثلث الشرق منها من مسينى إلى جزيرة الأديب [4] [؟] مائتا ميل — ومن جزيرة الأديب إلى طرابنش أربعمائة وخمسون ميلا ، وهو الوجه الجنوبى ؛ والوجه الثالث من طرابنش [5] إلى الحراش [6] إثنتان (sic) وخمسون ميلا . وهى كثيرة الزرع والضرع والفواكه .

وبلرم — قاعدتها — فى شمال الجزيرة : على سبع ليال من المجاز .

وبجزيرة صقلية : البركان العظيم ، الذى لا يعلم فى العالم أشنع منظراً منه ولا أغرب خبراً . وهو [7] فى جزيرتين شمالا من هذه الجزيرة [8] . وإذا هبت الريح [9] الجوفية سمع له دوى هائل كالرعد القاصف .

وقد كان برفوريوش [10] الفيلسوف شخص من مدينة صور إلى صقلية لينظر إلى

---

(1) ورد هذا الاسم فى المصادر العربية (هروشيش) و (هروصيس) وهو Paulus Orosius المؤرخ الذى عاش فيما بين القرنين الرابع والخامس للميلاد ولزيادة التفصيل عنه وعن نشاطه الأدبى راجع : (طبقات الاطباء والحكماء) لابن جلجل (الذى سلف ذكره) ص ٢ ح ١

(2) لم نهتد إلى اسم هذا الجبل ولعله جاء محرفا .

(3) غير واضح بالأصل ولعله تعريب اسم Lilibeo (ليليبيو ؟) وكان موضعا مشهورا بصقلية أعاد العرب بناءه وسموه « مرسى على » Marsala

(4) كذا بالأصل ولعلها : جزيرة الأرنب ، كما فى « نزهة المشتاق » ٥٨

(5) Trapani سبق أن أشار اليها الحميرى وكتبها : (إطرابنش) وسيرد ذكرها فيما بعد .

(6) جاء فى (نزهة المشتاق) ص ٥٨ : [. . . والوجه الثالث من طرابنش إلى الحراس إلى « الفارو » (المسمى الآن Faro) مائتا وخمسون ميلا] وضرب الحميرى صفحا عن (الفارو) فلم يتعرض لها بذكر . أما « الحراش » الذى يفهم من النص أنها مدينة أو بقعة من البقاع — فيرجح أمارى أنها جمع (حرش) بمعنى (الأثر) .

(7) كان بالأصل : وهى ، والتصحيح عن (مة) .

(8) قد ورد ذكر (الجزيرتين) والأخبار الأخرى فى مادة (البركان) السابقة .

(9) مة : الرياح .

(10) مة : برفوريوس (راجع مادة « البركان » السالف ذكرها) .

[٢٤٨ ظ] البركان ويعاين فعل الطبيعة هناك ويخبر عنه وعن العلة فيه يقول / واضح فمات بها وقبره بها معروف ، وقبر جالينوس أيضاً هناك معلوم ؛ وكان قد شخص من مدينة رومة يريد الشام ، ليلقى أصحاب عيسى عليه السلام .

وبصقلية [١] مياه حامضة ، وبها معدن من الكبريت الأصفر الذى لا يوجد بموضع مثله ، وهو بجزيرة البركان ؛ وله قطاعون وعمالون عالمون بتناول ذلك قد تمرطت شعورهم وتصلبت [٢] أظفارهم ؛ ويذكرون أنهم يجدونه فى بعض الأزمنة سائلا متميعا ، فيجدون له فى الأرض مواضع يجتمع فيها ؛ ثم يجدونه فى غير ذلك الأوان وقد تحجر وحمض فيقطعونه بالمعاول .

وبجزيرة صقلية آبار ثلاث عند قلعة مينا [٣] من إقليم سرقوسة يخرج منها فى وقت معلوم من السنة زيت النفط ؛ وذلك فى شهر شباط وتشرين [٤] بعده ، وينزل من [٥] البئر عليه على درك ويرقى على درك آخر ؛ ويخمر الذى يدخل البئر رأسه ، ويسد [٦] مسام أنفه وإن تنفس فى أسفل البئر هلك من ساعته ؛ وما أخرج منه وضع فى قصار يعلو الدهن منه .

وفى بعض التواريخ — أن جزيرة صقلية كان يسكنها فى قديم الزمان أمة مهملة كانت تأكل الناس ؛ ويقال — إنه كان فيها جنس من المسوخ ، بعين واحدة .

وفى السنة التى بويع فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه — سار قسطنطين بن هرقل فى ألفى مركب ، يريد بلاد [٧] المسلمين فسلط الله تعالى عليه عاصفاً من الريح فغرقها ،

---

(١) من هنا إلى آخر الوصف (« . . . وضع فى قصار يعلو الدهن منه ») مأخوذ من البكرى ؛ راجع « ديوان صلة السمط وسمت المرط » لابن شباط (آمارى م — ص ٢١٠) .

(٢) عند ابن شباط : نصلت .

(٣) فى الغالب يريد الحميرى هنا : « قلعة ميناو » (Mineo) التى ذكرها الإدريسى فى (نزهة المشتاق) ص ٤٦

(٤) عند ابن شباط : (شهرين) . راجع : آمارى م — ٢١٠

(٥) مة : فى

(٦) مة : يشد .

(٧) ساقط من (مة) .

ونجا قسطنطين ، فلجأ إلى صقلية ، فصنعوا له حماما ، ودخله فقتلوه فيه [1] ؛ وبمدينة صقلية نهران مطردان من عين واحدة .

وكان بجزيرة صقلية ملوك وقواد وجيوش للمسلمين ورؤساء وعلماء وصالحون ؛

فصنف ابن القطاع « الدرة الخطيرة فى محاسن الجزيرة » — ذكر فيها شعراءها ، وجملة من رجالها [2] .

وكان تغلب العدو عليها فى سنة أربعين — أو ستين على الرواية الأخرى — وأربعمائة .

---

(١) يجدر الإشارة هنا الى أن أنبراطور البيزنطيين حينذاك كان « قسطانز بن هرقل » (٦٤١ — ٦٦٨ بعد الميلاد) لا (قسطنطين) كما جاء فى المراجع العربية . وللتفصيل الخاص بهذه الحوادث — التى لخصها آمارى فى (تاريخ مسلمى صقلية) ٢/٢٠٩ الى ٢٢٢ — راجع ابن عبد الحكم وابن الأثير (آمارى م — ١٦٢ و ٢١٥) ولا سيما المصادر العديدة التى أشار اليها المستشرق الإيطالى كايتانى « حوليات الإسلام » (L. Caetani, *Annali dell'Islam*, Milano, 1918, VIII, 92-103).

(٢) هو أبو القاسم على بن جعفر بن على المعروف بابن القطاع . ولد بصقلية سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) قرأ على ابن البر اللغوى (انظر مادة « صقلية ») وعلى أئمة أدباء الجزيرة فوفد على مصر فى حدود سنة ٥٠٠ هـ واتخذها مقرا له وتوفى فيها سنة ٥١٥/١١٢١ . ومن أهم مؤلفاته الخاصة بجزيرة صقلية نذكر فضلا عن (تاريخ صقلية) المفقود — كتاب (الدرة الخطيرة فى شعراء الجزيرة) على ما يظهر خلط الحميرى مؤلف ابن القطاع بـ « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام الذى لم يصل الينا منه إلا ما اختاره كل من العماد الاصفهانى فى « الخريدة » وابن سعيد فى « المغرب » (ونشره B. Moritz فى « الذكرى المئوية » ٢/ ٢٩٢ — ٣٠٥) وعلى بن منجب الصيرفى (ونشر Di Matteo هذا الاختيار وترجمه الى الايطالية فى بحث له عنوانه *Antologia di poeti arabi siciliani*, Palermo 1937 (وراجع أيضا F. Gabrieli, *L'antologia di Ibn aṣ-Ṣairafi sui poeti arabo-siciliani*. "Boll. del Centro di Studi filologici e linguistici siciliani" Vol. II, 1954). وسبط ابن الجوزى فى « مرآة الزمان » (راجع : آمارى ت ، ٢/٥٧٢ — ٢) . أما الـ « مختصر من الكتاب المتخل من الدرة الخطيرة من شعراء الجزيرة » (مصورة محفوظة بدار الكتب المصرية ، تاريخ تيمور ٢٢١٦) فالأرجح عندى أنه اختصار لمصنف مجهول اعتمد فيه على اختيار أبى إسحاق ابن أغلب للدرة الخطيرة والذى لم يصل الينا . وقد قمت بتحقيق نص هذا المختصر وبترجمة بعض قصائده الى الايطالية وسينشر عن قريب بايطاليا . وراجع أيضا البحثين اللذين قمت بهما عن ابن القطاع المذكور : *Notizie bio-bibliografiche su Ibn al Qaṭṭā' "il siciliano"* Rendiconti dell'Acc. Naz. dei Lincei, vol. IX, fasc. 5-6, Roma 1954, pp. 260-294; *Un commento di Ibn al-Qaṭṭā' "il siciliano" ad alcuni versi di al-Mutanabbī*, Rivista degli Studi Orientali, vol. XXX. Roma 1955, pp. 207-227.

ومن بكاها : عبد الجبار بن حمديس ، الشاعر ، فى قصيدته المشهورة التى أولها [1] :

قضتْ فى الصِبا النفسُ أوطارَها وأبلغهــا الشيْبُ إنذارَها
نعم وأُجيلَتْ [2] قداح الهوى عليهــا فقسَّمن أعشارَها

يقول فى آخرها :

ذكرتُ صقليـةَ والأسى يُهيّج للنفْـس تذكارها
فإن كُنت أخْرجتُ من جنة فأنى أحـدِّث أخبارها [3]
ولولا ملوحة ماء البـكاء حسبت دموعىَ أنهـارها [4]

وزعموا أن فى جزيرة صقلية — فى ناحية منها — عينان [5] تجريان :
إحداهما — أيمّا امرأة شربت منها حبلت . والأخرى — أيمّا أنثى شربت منها حبلت وتوأمت ،

طارَنْت * Taranto

/ مدينـة كبيرة قديمة على قطيعة من البحر الشـامى [6] بالقرب من الوادى

[٢٥٧ ص]

(١) هو عبد الجبار بن أبى بكر بن محمد المعروف بابن حمديس شاعر صقلى مشهور ، ولد بسرقوسه (Siracusa) سنة ١٠٥٦ م وغادرها متجها إلى إفريقية ومنها إلى اشبيليه حيث احتفى به المعتمد ابن عباد . توفى ابن حمديس سنة ١١٣٣ م بميورقة وقيل ببجاية ، وله ديوان(نشره « اسكياباريلى » Schiaparelli بروما سنة ١٨٩٨) نستطيع أن نعتبره مصدرا مهما للحوادث التاريخية التى شاهدها الشاعر فى صقلية وبلاد الأندلس وإفريقية . انظر ترجمته عند أمارى ت ٢/٥٩٢ — ٦٠٢ بما فيها من المراجع . وترجم له الأستاذ جابرييلى فى كتيبه المعنون : ابن حمديس (مازر Mazara ١٩٤٨) .

(٢) كذا بالديوان وفى « مة » : أخلت ؛ وفى « ا » : أحلت .

(٣) سورة الزلزلة ، آية ٤

(٤) فى الأصل : «نهارها » وصححناه اعتمادا على استقامة الوزن وعلى نص القصيدة التى فى ديوان ابن حمديس (ص ١٥٣ — ١٥٦) والتى نشرها أمارى (« المكتبة العربية الصقلية » ص٥٤٨ — ٥٥١) كما نشرها حسن حسنى عبد الوهاب (« الذكرى المثوية » ٢/٤٨١ — ٤٨٢) ناقلا عن (أعمال الأعلام) لابن الخطيب . وترجم المستشرق فون شاك هذه القصيدة إلى اللغة الألمانية (راجع A. F. von SCHACK, *Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sicilien* Stuttgart 1877, vol. II, p. I7-20) .

(٥) كذا بالأصل والأفصح « عينين » .

* راجع (نزهة المشتاق) ص ٦٢

(٦) البحر الشامى هو المسمى الآن : البحر الأبيض المتوسط .

المعوج [1] فى بلاد الروم وهى حسنة المبانى والديار كثيرة التجار والسفار توسق منها السفن ويقصدها الرفاق [2] وهى ذات متاجر وأموال طائلة ولها مرسى فيه بحر حى [3] وفى شمالها بحيرة تدويرها [4] من القنطرة إلى أن تعود إلى باب المدينة اثنا عشر ميلا . وهذه القنطرة بين البحر الحى والبحيرة ، وطول القنطرة من جهة ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسة عشر ذراعا . وفى هذه القنطرة منافس تفرغ من البحر إلى البحيرة فى اليوم مرتين وفى الليل مرتين وتفرغ فى هذه البحيرة ثلاثة أودية ، وعمق هذه البحيرة من ثلاثين قامة إلى خمسة (sic) عشرة قامة إلى عشر قيم . ويحيط بهذه المدينة البحر الحى والبحيرة من كل الجهات خلا الوجه الواحد منها .

طَبَرمين * Taormina

/ حصن بصقلية منيع بينه وبين مسينى مرحلة وهو بلد شامخ رفيع أزلى من أشرف [٢٥٩ ص] البلاد وهو جبل مطل على البحر وبه مرسى حسن والسفر إليه من كل الجهات ويحمل منه كثير من الغلات وفيه منازل وأسواق وتجتمع فيه القوافل الواصلة من مسينى وبه ضياع صالحة ومزارع طيبة وبه معدن الذهب وبه الجبل المشهور المسمى بالطور [5] وأنهار غزيرة عليها أرحاء كثيرة وبها جنات قلائل ولها واد عليه قنطرة عجيبة يدل بناؤها على قدرة بانيها وقوة سلطانه [6] وبها ملعب من ملاعب الروم القديمة تدل

---

(١) هو النهر المسمى الآن Tara (انظر « نزهة المشتاق » ص ٧٤ من الترجمة الايطالية) .

(٢) كان بالأصل : « الربان » ، والتصحيح عن « مة » وعن « نزهة المشتاق » .

(٣) « البحر الحى » هو البحر ذو الجزر والمد أى عكس البحر الميت . راجع Dozy, *Suppl. aux dictionnaires arabes* .

(٤) غير واضح بالأصل وضبطناه اعتمادا على « نزهة المشتاق » .

* راجع « نزهة المشتاق » ص ٢٧ ؛ وكتبت فى « مة » : طبرمينا . وكانت من أمنع حصون صقلية وأشدها واستولى جيوش المسلمين عليها سنة ٣٥١ / ٩٦٢ بعد حصار دام سبعة أشهر ونصف ، وسميت « المعزية » نسبة إلى المعز (راجع : ابن الأثير والنويرى عند : آمارى م ص٢٦٣ و٤٣٨) وكان أول من فتحها (سنة ٢٨٩ / ٩٠٢ وقيل ٢٨٧) هو ابراهيم بن أحمد كما سيرد ذكره فيما يلى .

(٥) يرجح محققا « نزهة المشتاق » أن هذا الجبل هو المسمى الآن Castelmola أو المسمى Monte Venerella (راجع الترجمة الايطالية لنزهة المشتاق ص ٣١ – ٢) .

(٦) يشير هنا الحميرى — أو على الأصح الإدريسى — إلى القنطرة (أى : الجسر) التى سمى بها النهر المعروف الآن باسم Alcantara أو Cantara (راجع ترجمة « نزهة المشتاق » ص ٣١ – ٣) .

[٢٥٩ ظ] / رسومه على شرف ملك وشناعة [١] قذر [٢] .

وكانت طبرمين فتحت على يد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب فى سنة تسع وثمانين ومائتين بعد أن حاصرها ووقف بنفسه يحرض المسلمين على القتال ومس الفريقين ألم الجراح وهم كل بالانحياز [٣] فقرأ قارىء كان بين يدى إبراهيم : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم » [٤] إلى آخر الآية .

فحمل حينئذ جملة العسكر وأهل البصائر منهم بنيات صادقة [٥] فانهزم الكفرة وولوا هاربين وقتلهم المسلمون [٦] أبرح قتل واقتفوا آثارهم فى بطون الأودية ورءوس الجبال . ودخل إبراهيم ومن معه طبرمين بلا عهد ولا عقد فقتل وسبى والتجأ بعضهم إلى بعض القلاع [٧] وفى ذلك يقول شاعرهم [٨] .

قد فتّح الله طبرْمينا فى عام سبع وثمانينا
وشهر شعبان فأعظم به شهراً يراه الله ميموتا
فأيد[٩] الله إمام الهدى وزاده عزاً وتمكينا

ثم رحل طالبا لكل من قلورية[١٠] من الروم بقتل وسبى فهزموا بين يديه ، ومضى لشنته [١١] فحاصرها فطلبوا الأمان وأداء الجزية فأبى ولم يجبهم . وحلت به علته التى مات

(١) كان بالأصل : « سماحة » وضبطناه اعتمادا على « مة » وعلى « نزهة المشتاق » .
(٢) هذا الملعب من أهم الملاعب التى بناها اليونانيون بجزيرة صقلية .
(٣) مة : بالإيحاز .
(٤) سورة الحج ، آية ١٩
(٥) مة : مارقه .
(٦) كان بالأصل : المسلمين ، والتصحيح عن « مة » .
(٧) أورد آمارى تفاصيل هذه الحوادث التاريخية فى « تاريخ مسلمى صقلية » ٢/٩٩—١٠٥ معتمدا على ما ورد عند ابن الأثير والنويرى (راجع : آمارى م ص ٢٤١ و٤٥٢) .
(٨) مة : شاعره .
(٩) « مة » : فأيده .
(١٠) هو إقليم Calabria الذى سيرد ذكره . وكان بالأصل : قلودية ، والتصحيح عن « مة » .
(١١) « . . . ومضى لشنتة ... » ساقط من « مة » ، و « لشنتة » هى المسماة الآن Cosenza (وسيرد ذكرها) التى اتجه اليها ابراهيم بن أحمد بعد انتصاره على طبرمين .

منها وزادت العلة به فمات سنة تسع وثمانين وحمل إلى بلرم فدفن بها وأدى أهل لشنته الجزية وهم لا يعلمون بموته . وكان فتحه لمدينة طبرمين [1] سنة سبع وثمانين ومائتين ، وقتل من أهلها بشرا عظيما ثم عفا عنهم وكان متولى حرب أهل بلرم ابنه أبو العباس [2] الذى كان جعله ولى عهده .

طَرابُنْش * Trapani

[٢٦٣ ص] / أخرها شين معجمة بجزيرة صقلية والنصارى يسمونها إطرابنة ؛ وبينها وبين مرسى على ثلاثة وعشرون ميلا وهى مدينة قديمة مسورة بيضاء كالحمامة وبينها وبين مدينة تونس مسيرة يوم وليلة والسفر منها وإليها لا يتعطل شتاء ولا صيفا . وبها السوق والحمام وجميع مايحتاج إليه من مرافق المدن ولكنها فى لهوات البحر لاحاطته بها من جهاتها الثلاث . وأدنى البر منها من جهة واحدة ضيقة والبحر فاغرفاه لها من سائر الجهات وأهلها يرون أنه لا بد من التقامه لها ومحرثها عظيم وكان سكانها مسلمين ونصارى وللفريقين فيها مساجد وكنائس وبركنها من جهة المشرق جبل حامد [3] وهو جبل عظيم مفرط السمو متسع فى أعلاه فيه معقل للروم وبينه وبين الجبل قنطرة تتصل [4] به وفى الجبل بلد كبير يقال إن حريمه من أحسن حريم هذه الجزيرة . وبهذا الجبل الكروم ويقال إن فيه نحوا من أربعمائة عين متفجرة والصعود إليه هين من إحدى جهاته وهم يرون أن منه يكون فتح هذه الجزيرة ولا يتركون مسلما يصعد إليه ولذلك أعدوا فيه ذلك المعقل فلو أحسوا بحادثة جعلوا حريمهم فيه وقطعوا القنطرة .

وطرابنش هذه فى البسيط لا ماء لها إلا من بئر على البعد منها والبحر محدق بها من جميع جهاتها وإنما يسلك إليها على قنطرة [5] ومرساها فى الجانب الجنوبى منها وهو مرسى ساكن غير متحرك تشتى فيه أكثر السفن آمنة من جميع الأنواء سوجه هادىء عند هيجان الرياح

(١) كان بالأصل : بلرم ، وصححناه اعتمادا على ما سلف ذكره وعلى المصادر التاريخية .

(٢) كان بالأصل بياض بمقدار كلمة وضبطنا اسم أبى العباس (عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ابن الأغلب) من المصادر التاريخية .

* راجع « رحلة الكنانى » (آمارى م ٩٤ — ٩٦) . وقد ورد ذكرها فيما تقدم فى حرف الهمزة (إطرابنش) .

(٣) قد ورد ذكره فيما مضى .

(٤) مة : متصل .

(٥) من هنا إلى آخر المادة مأخوذ من « نزهة المشتاق » ٣٣ — ٣٤

ويصاد به السمك الكثير ويؤخذ (1) بها التن بشباك كبار ويؤخذ (1) ببحرها المرجان السني ، وعلى بابها سباخ الملح . ولها إقليم واسع الجهات وأرضها من أكرم الأرضين في الزراعة كثيرة الفوائد والغلات وأسواق المدينة رحبية ومعايشها خصيبة وبقربها جزيرة الراهب وجزيرة اليابسة وجزيرة مليطمة (2) . وطرابنش يسافر إليها في أيام الشتاء لجودة مرساها واعتدال بحرها وهوائها ؛ وبينها وبين جبل حامد نحو عشرة أميال .

عَلْقَمة Alcamo

[٢٧٩ ص] / بلدة (3) بجزيرة صقلية كبيرة منيعة فيها السوق والمساجد وسكانها مسلمون .

غَلْيانه Gagliano

[٢٩٠ ص] / مدينة بجزيرة صقلية كان نزل عليها المسلمون سنة خمس عشرة ومائتين في زمن زيادة الله بن الأغلب ملك القيروان وعملها (4) ؛ وكان نائبه بها عثمان بن قرهب (5) وكان وصل إذ ذاك من الأندلس مراكب كثيرة وأمير الأندلس إذ ذاك عبد الرحمن بن الحكم كانوا فصلوا من طرطوشة يريدون بلاد الروم فأخرجتهم الريح إلى صقلية فنزلوا جزيرة طرابنش من صقلية فأصاب الأندلسيون فيها كثيرا وفتحوا معاقل وأثروا في الروم آثارا كثيرة ، ثم صار المسلمون بأجمعهم إلى غليانة فحصروها وتغلبوا على ربضها وغنموا ما فيه ووقع الوباء في المسلمين هناك ؛ فمضوا بأجمعهم إلى ناحية طرابنش من صقلية ، وصاحب أمر الروم يقتص آثارهم وينتهز الفرصة فيهم لكثرة المرضى والضعفاء . فلما ألح عليهم صاحب الروم وأحرجهم كبروا عليه فقاتلوه ، وأفرغ الله تعالى عليهم الصبر فقتلوا عامة الروم وغنم

(1) مة : يوجد .

(2) تسمى الآن هذه الجزر : Favignana و Levanzo و Marettimo (انظر ترجمة « نزهة المشتاق » ص٣٨) وكانت (مليطمة) بالأصل : (منطمة) والتصحيح عن (مة) وعن « نزهة المشتاق »

(3) كان بالأصل : بلد ، وصححناه للسياق .

(4) اختلف المؤرخون العرب في ذكر تسلسل الحوادث التاريخية التي أوردها الحميري هنا وحدد وقوعها في سنة ٢١٥ / ٨٣٠ ؛ ولزيادة التفاصيل التي أدت إلى فتح مدينة « بلرم » (Palermo) يرجع إلى ما ذكره أماري ت — ٢ / ٤١٨ — ٤٢٨ والمصادر العديدة المذكورة فيه .

(5) كان بالأصل : (موهب) ، والتصحيح عن المراجع التي اطلعنا عليها ولا سيما (البيان المغرب) لابن عذاري (أماري م — ص ٣٥٦) و (أعمال الأعلام) لابن الخطيب (الذكرى المئوية ، ٢/٤٧١ - ١٢) .

المسلمون خيلهم وسلاحهم وقتلوا بروطة [؟][1] صاحب أمرهم ثم اختلف الامر بين صاحب الأندلسيين وصاحب الافريقيين وصار مع كل واحد منهما طائفة [2]. ثم رجع الناس بجزيرة صقلية إلى عثمان بن قرهب واستقاموا فضيقوا على أهل بلرم حتى سألوا الأمان فأجابهم المسلمون إلى ذلك وخرج بطريقها ومن معه وغنم المسلمون ما فيها ؛ وكان النصارى ببارم يوم نزول المسلمين عليها سبعين ألفا فلم يبق منهم عند خروجهم لطول الحصار وموالاة القتل عليهم ووقوع الموتان فيهم إلا / نحو ثلاثة آلاف . واستوطن المسلمون مدينة بارم واستولوا على ما جاورها فكان فتحها سببا لافتتاح الجزيرة وبعث ابن قرهب إلى زيادة الله بن الأغلب بهدايا من الرقيق وغير ذلك فاستقل ذلك وعزله وقدم للجزيرة غيره [2] . [٢٩٠ ظ]

غَيْطة Gaeta

/ جزيرة للنصارى بازاء نابل بينهما مجرى على المجاز إلى صقلية عرض المجاز ستة أميال . [٢٩٢ص]

قَطانية * Catania

/ مدينة كبيرة فى جزيرة صقلية وهى مدينة أزلية وعليها نهر يسقى أرضها ويقال إن مدينة قطانية كانت فى القديم سبع مدن بأسوارها ذلك بيّن فى آثارها وإلى تلك المدن جاب الماء على آزاج معقودة من جبل النار كان فيه بركان حمة ؛ وتسمى مدينة قطانية بمدينة الفيل [3] وذلك أن فى صفاة على سطح قصر عظيم من المدينة — وهو القصر الذى يشرف على دار الملعب — صورة فيل بجسد قائم قد نحت من حجر صلد أسود يشبه بحجر النشفة الذى يكون بالبركان إلا أنه صلب شديد . وكانت هذه الصورة قد انكبت على رأسها فلما كان بعد الخمسين والأربعمائة من الهجرة أتى القائد المعروف [٣١٤ص]

---

(١) لا شك أن هذا تحريف ، فقد كان اسم قائد جنود الروم : Teodoto كما ورد فى المصادر العربية إذ كتبت فيها : « تودط » (آماري م — ص ٤٣٠) و : « ثودوط » (آماري م — ص ١٦٦) .

(٢) أشار ابن الأثير إلى هذا الخلاف (راجع : آماري م — ص ٢٢٥) .

* راجع (نزهة المشتاق) ص٢٨

(٣) لزيادة التفاصيل عن (الفيل) الذى هو شعار مدينة قطانية راجع الترجمة الإيطالية ل « نزهة المشتاق » ص ٣٣ ج ٢ و « الذكرى المئوية » ١ / ٦٥ — ٦٦

بابن الثمنة [١] إلى تلك الصورة فأمر أن ترد إلى خير الاستواء وزعم أن من فعل ذلك يملك جزيرة صقلية . وبمدينة قطانية موضع يسمى بحمام فتيلة ويزعم أهلها أن ابنة ملكها فى غابر الزمان اشترطت على ملك آخر خطبها أن يبنى لها حماما تسخنه فتيلة فبناه وجرى على الموضع ذلك الاسم .

قَلْعَة بَلُّوط * Caltabellotta

[٣١٧ ظ] / بجزيرة صقلية تقدم ذكره فى رسم الشاقة فى حرف الشين المعجمة .

قَلَوْرِيَّة Calabria

[٣١٨ ص] / مدينة بجزيرة صقلية (sic) [٢] كان إبراهيم بن أحمد بن الأغلب صاحب القيروان وأعمالها غزا صقلية بنفسه وفتح فيها مدنا منها طبرمين وحاصر قاورية هذه فقتل وسبى فهوبوا منه ثم مضى لشنتة [٣] فلم يزل يتعرفه الفتح والنصر حتى عرض له المرض الذى مات منه فحمل إلى مدينة بلرم فدفن بها [٤] .

قَصْرِيَانَّة Castrogiovanni

[٣٢١ ص] / من أعظم مدائن الروم بصقلية وأكثرها جمعا ، فتحها العباس بن يزيد بن الفضل ابن يعقوب بن المضاء العامل بصقلية لأبى إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب صاحب القيروان . وكان العباس وجه سرية إلى بعض النواحى فغنموا وأخذوا أعلاجا ثم قدموا واحدا منهم ليقتلوه فقال لهم : لا تقتلونى فإن لأميركم عندى نصيحة .

---

(١) ابن الثمنة هذا هو الذى فتح أبواب جزيرة صقلية للفتح النورمندى ، راجع بحثى : العلاقات بين النورمنديين و بنى زيرى من الفتح النورمندى لصقلية حتى وفاة ردجيرو الثانى (روجار) ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة المجلد ١١ ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٩

* انظر مادة « الشاقة » .

(٢) هذا خطأ جغرافى جسيم ولا نعلم المصادر التى اعتمد عليها الحميرى فى ذكره (قلورية) بأنها مدينة بجزيرة صقلية . إذ المعلوم أنها إقليم فى إيطاليا الجنوبية .

(٣) هى : Cosenza التى سيرد ذكرها فيما بعد .

(٤) انظر التفاصيل الخاصة بفتوحات ابراهيم بن أحمد بن الأغلب فى « قلورية » فى مادة (لشنتة) .

فأرادوه على أن يعلمهم بها فلم يفعل فأتوا به العباس فقال له : / « أتعطيني الأمان على [٣٢١ ظ
نفسي وأهلي وأدلك على موضع تفتح منه قصريانة » ؟

فأدخله العباس في بيت وأغلق عليه ثم نادى في أصحابه بالركوب ومضى وجعل العلج بين يديه في يوم مطير وثلج ، والناس لا يعلمون أين يريد ، فمضى حتى قرب من قصريانة فنزل . فلما غشيهم الليل نزل حتى صار إلى قرب المدينة * فوجه نائبه في رجل كثير ووجه معه العلج وأقام هو في خيله ورجله على باب المدينة * [1] . فمضى نائبه مع العلج حتى أتى به إلى قناة يخرج منها ماء المدينة ، فأدخل منها الرجال ودخل معهم حتى أتى بهم العلج إلى باب الحصن وأهله في غفلة ؛ فوضعوا السيف على الحرس فقتلوهم وسمع أهل المدينة الصياح فأتوا من كل ناحية إلى باب الحصن فلم يزل المسلمون يضاربونهم على الباب حتى فتحوه وكبر المسلمون خارج الباب ودخلوا المدينة وهرب الروم ودخل الناس فافترقوا في المدينة يقتلون ويغنمون حتى أخذوا كل ما فيها وأحرقوها . ولم يكن للروم في تلك النواحي أكبر منها ولا أوسع ولا أكثر قمحا . وكان فتحها في شوال سنة أربع وأربعين ومائتين وبعث أبو إبراهيم بالفتح رسولا إلى المتوكل معه هدايا شريفة وخيار ما سبي منها من وصيف ووصيفة [2] .

قصر سعد *

/ بجزيرة صقلية على فرسخ من المدينة وهو على ساحل البحر وحوله قبور كثيرة [٣٢٢ ص]
للمسلمين وهو موصوف بالفضل والبركة مقصود من كل مكان وبإزائه عين وداخله مساكن وبيوت منتظمة وهو كامل المرافق للسكنى . وفي أعلاه مسجد من أحسن مساجد الدنيا مفروش [3] بحصر نظيفة [4] وقد علق فيه نحو الأربعين قنديلا من أنواع الزجاج

---

(١) النص الذي بين النجمتين ساقط من (مة)

(٢) واجع التفاصيل الخاصة بفتح (قصريانة) في يناير سنة ٨٥٩ م على يد العباس بن الفضل في آماري ت ٢/٤٥٥ — ٤٦٩ (والمصادر العربية العديدة المذكورة هناك) و « الذكرى المئوية » ٢ / ٤٧٢ — ٤٧٣

* راجع « رحلة الكناني » (آماري م — ص ٨٨ إلى ٨٩) وآماري ت — ٢ / ٥٠ — ٢

(٣) كان بالأصل وفي (مة) « (مفروض) » وضبطناه اعتمادا على نص « رحلة الكناني » .

(٤) كان بالأصل (قطيفة) والتصحيح عن (مة) وعن « رحلة الكناني »

والصفر . وفى أسفل القصر بئر عذبة وله إمام يصلى بهم الفريضة والتراويح فى رمضان [١] .
وبمقربة من هذا القصر بنحو ميل إلى جهة المدينة قصر آخر على صفته يعرف بقصر جعفر [٢]
وداخله ساقية تفور بماء عذب .

قَوْصَرة * Pantelleria

[٣٢٨ ص] / جزيرة تلى مدينة مازر [٣] من صقلية بينهما مجرى وهى فى شرقى جزيرة مليطمة [٤]
وهى من جزيرة الراهب [٥] بين جنوب وشرق وتوازى الشاقة [٦] ومازر وبينهما مجرى .

وكذلك من قوصرة إلى بر إفريقية مجرى . وجزيرة قوصرة ترى من مدينة مازر .

وترى أيضا من إقليبيا [٧] من بر إفريقية . لأن هذه الجزيرة جبل مشرف عال جداً
ولها مرسى من جانب الشمال وهى مقطع للخشب الجيد ويحمل منها إلى صقلية . وفيها معز
برية تصاد هناك كثيراً ، وهى مكمن للغزاة من المسلمين والروم .

وكانت فيها للمسلمين على الروم أيام صمصام الدولة وقيعة مجحفة ومقتلة [٨] عظيمة [١'] .

---

(١) هل هذا خبر يوثق بصحته أم أن الحميرى نقل ذلك وغيره من المصادر القديمة ، عازيا إياه إلى العصر الذى عاش فيه وهو القرن السابع أم الثامن للهجرة النبوية ؟

* راجع (نزهة المشتاق) ص ١٩ . لزيادة التفصيل عن هذه الجزيرة والفتح العربى لها والاستيلاء النورمندى عليها . الخ . وراجع البحث القيم الذى نشره حسن حسنى عبد الوهاب فى « المجلة التاريخية المصرية » (المجلد ٢ ، العدد ٢ ، سنة ١٩٤٩ ص ٥٥ — ٧٣ تحت عنوان : (قصة جزيرة قوصرة العربية) . ونشر هذا البحث باللغة الفرنسية فى *Proceedings* of the "Royal Society of Historical Studies" vol. 1, 1951, p. 57—78

(٢) راجع « رحلة الكنانى » (آمارى م — ص ٨٩) وآمارى ت م — ٢/٤٠٧ – ١

(٣) Mazara وسيرد ذكرها فيما بعد .

(٤) Marettimo التى سبق أن أشار الحميرى إليها تحت مادة طرابنش .

(٥) Favignana التى سبق أن أشار إليها تحت مادة طرابنش .

(٦) Sciacca التى أشير إليها فيما سبق .

(٧) راجع (معجم البلدان) حيث كتبت « إقليبية » .

(٨) كان بالأصل : (مقبلة) ، والتصحيح عن (مة) .

(١') لم تشر المصادر العربية التى اطلعنا عليها إلى حدوث احتكاكات بين المسلمين والروم فى (جزيرة قوصرة) أيام الحسن صمصام الدولة بن يوسف المذكور (وهو : أبو الفتوح يوسف بن عبد الله الملقب : ثقة الدولة) الذى كان عزله سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢ — ١٠٥٣ (لزيادة التفاصيل عن هذه الفترة التى سميت « عصر الفتنة » بالجزيرة انظر مادة (الخالصة) حاشية ا ج

وهى جزيرة صغيرة حصينة [1] فيها آثار وأشجار ولها من جهة الجنوب مرسى مأمون يكن من رياح كثيرة .

كِرْكَنْت * Girgenti

/ مدينة بجزيرة صقلية وهى متحضرة عامرة بالوارد والصادر ولها قلعة سامية [٣٣٢ ظ] حصينة ومدينتها حسنة زاهية قديمة العمران وهى من أعظم الحصون مقصودة من سائر الآفاق ، وبها أسواق جامعة لأصناف الصنائع وضروب المتاجر وبها حدائق وجنات وغلات والبحر منها على ثلاثة أميال وبينها وبين مدينة الشاقة [2] مرحلة / فى البحر ؛ [٣٣٣ص] وهى خمسة وعشرون ميلا وهى فى نشز من الأرض يحيط بها سور . وفيها آثار للأول وبها أصنام . وهى أكثر بلاد صقلية طعاما .

لشنتة ** Cosenza

/ مدينة بجزيرة صقلية كان نزل عليها إبراهيم بن أحمد الأغلبى ملك إفريقية [٣٤٤ ظ] لما توجه إلى صقلية غازيا وذلك بعد أن فتح طبرمين / فحاصر لشنتة فطلبوا منه [٣٤٥ص] الأمان وأداء الجزية لهم فأبى ولم يجبهم وحلت به علته التى مات منها فاشتغل بنفسه وزادت العلة فمات . وأدى أهل لشنتة الجزية وهم لا يعلمون بموته وحمل إلى مدينة بلرم فدفن بها .

---

(١) مة : خصيبة .

* راجع (نزهة المشتاق) ص ٣١ — ٣٢ وكتبت (جرجنت) أما فى (مة) فكتبت (كركيت) .

(٢) قد وردت ذكرها فيما سبق .

** قد مر ذكرها تحت مادة (بلرم) Palermo وكتبها الحميرى سهوا هنا وهناك (لشلته) وهو تحريف لمدينة (كسنثه) Cosenza الواقعة فى إقليم (قلورية) Calabria فى جنوب إيطاليا كما ورد فى (كامل التواريخ) لابن الأثير (آمارى م — ص ٢٤٢ و ٢٦٨) وفى « المختصر فى أخبار البشر » لأبى الفداء (آمارى م — ص ٤١٢) وفى « نهاية الأرب » للنويرى (آمارى م — ص ٤٥٣) وفى « كتاب العبر » لابن خلدون (آمارى م — ٤٧٥) وفى « أعمال الأعلام » لابن الخطيب (الذكرى المئوية — ٢ / ٤٤٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧) وتوجد تفاصيل أخرى عن حصار (كشنته) على يد ابراهيم بن أحمد الأغلبى (المتوفى سنة ٢٨٩ ﻫ) فى المصادر المذكورة التى اعتمد عليها (آمارى) لكتابة الباب الخاص بغزوات ابراهيم الأغلبى بـ « قلورية » فى مؤلفه « تاريخ مسلمى صقلية » ٢/٩٩ — ١١٨ .

لوجارة * Lucera

[٣٤٦ ص] / مدينة فى بلاد الروم فى البر الكبير كان طاغية صقلية نقل إليها من بقى بصقلية من المسلمين إذ كانوا له جنداً وعدة لأعدائه يجد نفعهم فنقلهم إلى هذه المدينة تحوّطا [٣٤٦ ظ] عليهم لحاجته إليهم وتخوفا منهم إذ كانوا أعداداً جمة / فعمروها ومدنوها وصارت لهم بها أحوال عظيمة . وكانوا أنجاداً وطال مقامهم بها أعصاراً إلى أن اختلفوا وتحزبوا وافترقت كلمتهم وآل أمرهم فى هذا العهد القريب إلى أن أجلاهم عنها صاحب صقلية الآن [1] فتحكمت فيهم النوائب وتشتت أمرهم فأخرجوا وأسروا وقتلوا وتفرقوا فى البلاد فمنهم من ذهب إلى المشرق ومنهم من صار إلى إفريقية وافترقوا فى بلادها [2] وصارت مدينة لوجارة رومية ولم يبق فيها منهم أحد .

إياج ** Aci

[٣٤٦ ظ] / بلد فى جزيرة صقلية على البحر من البلاد القديمة العمران ذات أسواق وبادية ومزارع طيبة زاكية حارة المزاج يحصد بها المزروع قبل غيرها من بلاد الجزيرة ويحمل

* تعتبر (لوجارة) فى إقليم (بوليا) Puglia آخر مقر استقر فيه المسلمون بإيطاليا الجنوبية ، نقلهم إليها الأمبراطور فريدريك الثانى Federico II ملك صقلية حينما ثار عليه ابن عباد وأنصاره فى أنطالة Entella بجزيرة صقلية سنة ١٢٢٢ و ١٢٢٣ بعد الميلاد (راجع مادة « أنطالة » السابقة) وبلغ عدد المسلمين المنفيين فى (لوجارة) عشرين ألفا وعاشت هذه الجالية الإسلامية عيشة نشطة منتجة حتى سنة ١٣٠٠ م وهى السنة التى حوصرت فيها المدينة وقضى على أغلبية المسلمين المقيمين بها . ولزيادة التفاصيل راجع :

P. Egidi *La Colonia Saracena di Lucera e la sua distruzione*, Napoli, 1912; A. Abbatantuono, *I Saraceni in Puglia*, "Japigia" Bari 1931 II, 318-339; F. Gabrieli, *Federico II e la cultura musulmana*, "Annals of the Faculty of Arts" Ayn Shams University, Vol. I 1951, p. 125-129.

(١) يفهم من هذه الجملة أن مصنف (الروض المعطار) كان على قيد الحياة أيام وجود « كارلو الثانى » (Carlo II) الذى ترجع اليه مسئولية القضاء على مسلمى « لوجارة » فى عام ١٣٠٠/٧٠٠ .

(٢) لزيادة التفصيل عن تشتيت مسلمى صقلية المذكور فى كل من مصر وإفريقية وبلاد الأندلس راجع مقدمة تحقيق لـ « لمحة البهجة العلية فى بعض أهل النسبة الصقلية » لمحمد بن الطيب القادرى (فصلة من مجلة *Mélanges islamologiques* التى يقوم بنشرها دوريا « المعهد الفرنسى للآثار الشرقية » المجلد الثالث ، القاهرة سنة ١٩٥٦) .

** « نزهة المشتاق » ، ٢٨ ؛ انظر أيضا « الياج » السابقة .

منها الزفت والقطران والخشب ، وفى الغرب منها جبل النار المشهور ، وبينها وبين بلد قطانية ستة أميال .

لنباذة * Licata

/ هو حصن بجزيرة صقلية فى أعلى صخرة يحدق به البحر والنهر ولا يدخل إليه إلا من باب واحد وبه مرسى تسافر المراكب إليه وتحمل الأوساق وبه عمارة وسوق وله عمل واسع وأرضه زكية المزارع ونهره يصب فى البحر ويسمى الوادى الملح [1] ، وبه سمك طيب كثير الشحم لذيذ المأكل . وبين لنباذة [2] وكركنت خمسة وعشرون ميلا . [٣٤٦ ظ]

مازر ** Mazara

/ مدينة بجزيرة صقلية تلى قوصرة [3] بينهما مجرى ؛ ومازر مدينة مشهورة [4] على الساحل الموازى لافريقية وهى من مدينة بلرم فى الجنوب وبها واد ترسى السفن فيه وهى مدينة [5] فاضلة شامخة لاشبه لها ولا مثال فى شرف المحل ، اليها الانتهاء فى جمال الهيئة والبناء ، وما اجتمع فيها من المحاسن لم يجتمع فى غيرها . وأسوارها حصينة شاهقة وديارها حسنة وبها أزقة واسعة وشوارع وأسواق عامرة بالتجارات وحمامات وخانات وبساتين وجنات طيبة المزرعات [6] . [٣٥٠ ظ]

يسافر إليها من جميع الآفاق وإقليمها كثير الاتساع يشتمل على منازل كثيرة جليلة وضياع ، وبأصل سورها الوادى المعروف بوادى المجنون [7] . وبينها وبين مرسى على ثمانية عشر ميلا .

---

* « نزهة المشتاق ٣١ » واشتق الاسم من اللاتينى *Lympiados* (وفى اليونانى : Ὀλυμπιάδος ، راجع الترجمة الايطالية لنزهة المشتاق ص ٣٦ ، ٢) .

(١) المسمى الآن Fiume Salso وسماه الإدريسى « الوادى المليح » وهو أصح .

(٢) مة : « لنياذة » .

** نزهة المشتاق ٣٢ — ٣٣ ؛ « مازرة » أو « مازر » مدينة على الساحل الجنوبى من جزيرة صقلية وهى أول بلد امتلكها الجيش الأغلبى الفاتح على يد قائده أسد بن الفرات سنة ٢١٢/٨٢٧ .

(٣) بالإيطالية Pantelleria وقد ورد ذكرها فيما سبق .

(٤) مة : مسورة .

(٥) كلمة (مدينة) ساقط من (ا) ولكنها موجودة فى (مة) .

(٦) فى (مة) وفى « نزهة المشتاق » : مزدرعات .

(٧) هو النهر المسمى الآن : Mazaro .

ومن مفاخرها أن منها الفقيه الامام أبا عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم التميمي المازري [1] صاحب « المعلم بفوائد مسلم » و « شرح التلقين » وغير ذلك [2] نزيل المهدية . لقي اللخمي وعبد الحميد بن الصائغ [3] وبرع في العلم وانتهت إليه رياسة العلم في وقته ولا يسمى بالامام أحد بافريقية سواه . وسارت مقالاته وفتاويه في الأقطار وقصد الناس إليه . وتوفي بالمهدية سنة ست وثلاثين وخمسمائة . وكان رحمه الله على متانة / علمه حسن الخلق [٣٥١ ص] مليح الدعابة . اجتاز عليه وهو مع أحد أصحابه نصراني في يده زجاجة خمر فوضع صاحبه يده على أنفه فاستهجن فعله ونسبه إلى الرياء وقال له : « اشتهر في الناس أن ريحها طيب — أو غير كريه — ولولا أن الشرع حرم شربها لم يكن بها عيب » .

واجتاز عليه وهو مع أصحابه بائع تفاح فأخرج من جيبه خرقة حلها ودفع لصاحب التفاح جملة الذي كان فيها ، ثم نفض الخرقة وأنشد :

ما زلتُ أشربها خمراً مشعشعةً حتى نفضتُ على مكيالها كيسي

وصعد هو وصاحب له سطحاً لارتقاب هلال فإذا امرأة على سطح آخر تلتمس الهلال أيضاً فقال الامام أبو عبد الله :

طلعتْ للبدر تنظره فأرتْنا البدر قد طلعا

فقال صاحبه :

أنْزِلوا عنا فتاتكمو لم تدعْ ديناً ولا ورعا

فقال له : هذا من الرياء . وقبره في المنستير .

---

(١) نشر الأستاذ الفاضل حسن حسني عبد الوهاب بحثا قيما عن (الإمام المازري) جاء فيه أنه أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري (من منشورات لجنة البعث الثقافي الافريقي ، ملتزم الطبع والتوزيع : دار الكتب الشرقية ، تونس) .

(٢) يعني : (المعين على التلقين) و (التلقين) تأليف أبي محمد عبد الوهاب بن علي الثعلبي المالكي قاضي بغداد (المتوفى سنة ٤٢٢ هـ) انظر كشف مؤلفات الإمام المازري في بحث الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب المذكور ، ص ٥٩ — ٧٥

(٣) هما : علي بن محمد الربعي المعروف بأبي الحسن اللخمي من أبناء القيروان صاحب (التبصرة) المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ، وعبد الحميد بن محمد الصائغ من أبناء القيروان أيضا المتوفى سنة ٤٨٦ هـ . وهذان الإمامان هما شيخا المازري (انظر : حسن حسني عبد الوهاب « الإمام المازري » ص ٣٧ — ٣٨

وحكى عمن قال : كنت أرى ليلة كل يوم جمعة نوراً هابطاً من السماء متصلا بقبر الامام أبي عبد الله المازرى .

وبمازر توفى الأديب أبو على حسن بن رشيق القيروانى مؤلف « العمدة » وغيره[1] سنة ست وخمسين وأربعمائة .

مرسى عَلىّ * Marsala

[ص ٣٦٣] / من جزيرة صقلية وفيها أيضا مرسى البوالص[2] ؛ ومرسى على هذه كانت مدينة قديمة من أشرف بلاد صقلية وكانت قد خربت ودثرت فعمرها القومس[3] رجار

---

(١) وكان فى الأصل : وغيرها .

* « نزهة المشتاق » ، ٣٣ » .

(٢) قال محققا « نزهة المشتاق » (راجع النص ص ٣٠ - ١) أن رسم هذا الاسم يختلف فى المخطوطات العديدة لكتاب « نزهة المشتاق » حيث ورد هكذا : الفوالص ، البوالص ، البرانص ، الراماص . أما فيما يختص بموقع « مرسى البوالص » بجزيرة صقلية فمن الصعب تحديده بالضبط (انظر الترجمة الايطالية لـ « نزهة المشتاق » ص ٣٤ - ٦ المواصلة إلى ص ٣٥) حيث قال المستشرقان آمارى واسكيا پارېلى أنه من المحتمل تحديد موقع « مرسى البوالص » فى الركن الجنوبى الشرقى لجزيرة حيث La Marza المشهور الآن بـ Porto di ulisse (وأجازا وقوع تحريف « مرسى البوالص » إلى « مرسى البولص ») . وجاء الحميرى وزاد فى الطين بلة فقد ذكر هذا المرسى :

أولا : فى مادة « شكلة » الواقعة فى الجنوب الشرقى لجزيرة صقلية وقال إن « مرسى البوالص » قريبا منها .

ثانيا : فى مادة « قرشقة » إذ جعلها من مراسيها ، وها هو نص كلام الحميرى :

قرشقة جزيرة للنصارى تقابل مدينة رومة ويقال هى بالقرب من سردانية وبينها وبين ساحل افريقية نصف يوم وبينها وبين ساحل تونس أربعة أيام وكانت للرومانيين ثم خرّبها المسلمون قديما ، وقيل هى عامرة ولها مراس مشاتى كثيرة ومن مراسيها مرسى البوالص وآخر يعرف بمرسى الزيتونة وبها زوايا كثيرة وجبال داخلة فى البحر وطولها مائة وستون ميلا وهى كثيرة الخير وافرة النعم وقد غنمها المسلمون أيام عبد الرحمن بن الحكم وآبارها قريبة الأرشية ؛ وفى القبلة منها جزيرة سردانية بينهما فى البحر عشرون ميلا .

ثالثا : وذكر الحميرى « مرسى البوالص » هنا فى مادة « مرسى على » الواقع فى الطرف الأقصى لغربى جزيرة صقلية .

فلم نفهم ماذا يريد المصنف بذكره فى هذا المكان .

(٣) « القومس » (وفى بعض النصوص العربية : « القومش ») هو لقب Conte فى الايطالية و Comte فى الفرنسية و Count فى الانجليزية .

الأول وسوراً عليها سورا ؛ فصارت ذات عمارة وأسواق وجبانات ولها إقليم واسع ، وسفر أهل بلاد إفريقية إليها كثير وشرب أهلها من آبار عذبة في ديارها مع مياه العيون التي حولها . وبها فنادق وحمامات وبساتين ومزارع وبينها وبين طرابنش ثلاثة وعشرون ميلا .

مسيني * Messina

[٣٧٦ ص] / هي مدينة في ركن جزيرة صقلية في شرقيها والجبال من الناحية الغربية محيطة بها وهي إحدى قواعدها ساحلها بهيج وأرضها طيبة المنابت وبها جنات وبساتين ذات ثمار كثيرة وعليها أنهار غزيرة عليها أرحاء كثيرة وهي من أجل البلاد وأكثرها عمارة والسفر منها وإليها قصدا وهي دار الانشاء [1] وبها حط وإقلاع من جميع بلاد الروم الساحلية وبها مجتمع السفن الكبار والمسافرون والتجار من بلاد الروم والاسلام ؛ وأسواقها رائقة وسلعها نافقة وقاصدوها كثير . وفي جبلها [2] معدن الحديد الذي يتجهز به إلى جميع البلاد المجاورة لها ومرساها عجيب مشهور ترسي به السفن العظام وتكون من الشاطيء بحيث يتناول ما فيها من البر بالأيدي وبها المجاز الذي يعبر منه إلى بلد قاورية وبحره صعب المجاز لاسيما إذا التقت المياه الداخلة والخارجة في وقت واحد لايكاد يسلم مركب إلا أن يشاء الله تعالى . ومسافة الواسع من هذا المجاز عشرة أميال . وسعة الضيق منه ثلاثة أميال . وبينها وبين طبرمين مرحلة . وهي مشهورة بالخمر الطيبة وفي مطالع قصيدة لابن قلاقس : [3] .

---

* راجع « نزهة المشتاق » ٢٦ — ٢٧ . وكتبت اسم هذه المدينة في « مة » : مسيتا .

(١) بالمخطوط : « انشا » واعتمادا على « نزهة المشتاق » رأينا من الضروري إضافة أداة التعريف ليستقيم المعنى والسياق . ويقصد بذلك « دار إنشاء الأساطيل » كما يفهم من العبارة التي في آخر هذه المادة .

(٢) كانت بالأصل : جبليها .

(٣) هو أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي المعروف بابن قلاقس اللخمي الأزهري الاسكندري الملقب القاضي الأعز ، شاعر ولد بالاسكندرية سنة ٥٣٢ هـ ورحل إلى صقلية ووصل إلى مرسى « مسيني » Messina سنة ٥٦٣ هـ وأقام بالجزيرة نحو عامين . ثم رجع إلى الديار المصرية وغادرها إلى اليمن وتوفي بعيذاب سنة ٥٦٧ هـ . ولابن قلاقس :

(ا) ديوان مطبوع اعتنى بإخراجه خليل مطران ، مصر ١٣٢٣ / ١٩٠٥ ، ويوجد بدار الكتب المصرية (آداب ٩٦ م) « مختار ديوان ابن قلاقس » أثبت فيه ابن نباته من الشعر ما كان من أبناء فكر الشاعر وحذف منه ما نسب إليه في ديوانه من غير شعره .

(ب) « ترسل الأعز أبي الفتوح » (مخطوط بدار الكتب المصرية ، آداب تيمور ٦١٧) وسأقوم بنشره قريبا =

من ذا يمسينى على مسينى[1]

قال الأديب أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي تميم[2] من أهل العصر :

ياسيدى قد جاء مسّينى	أرقّ من حالى ومن دينى
جاء به مرّتينُ فى دنّه	لاعطبتْ أجفانُ مرّتينِ
وليس يُدنيني من دنّه	إلا ندى موسى بن ياسين

وهذه المدينة مسينة رأس جزيرة صقلية وبها دار صنعة لانشاء الأساطيل .

ميلاص * Milazzo

/ حصن بجزيرة صقلية كبير القطر مليح الهيئة وثيق البنية وقلعته منيعة من [٣٨٢ ظ أحسن البلاد وأجلها تشبه الحواضر فى العمارات والأسواق وما بها من المواد والأرفاق وهى على ساحل البحر والبحر محدق بها[3] » من جهاتها إلا من جهة شمالها يدخل إليها منه[4] ويسافر إليها براً وبحراً ويتجهز منها بالكتان الكثير ؛ ولها مزارع زاكية ومياه غزيرة ومصايد للتن . وبينها وبين مسينى[5] مرحلة .

= (ج) « الزهر الباسم فى أوصاف أبي القاسم » وهو كتاب ألفه ابن قلاقس فى أبي القاسم بن حمود زعيم أهل صقلية من المسلمين فى عصره ، لم يصل إلينا منه إلا ما اختاره العماد الإصفهانى (انظر : خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء مصر ، نشره : أحمد أمين وشوقى ضيف واحسان عباس ، (القاهرة ١٩٥١ ، جـ ١ ص ١٤٥ — ١٦٥

(د) روضة الأزهار فى طبقات الشعراء ، وهو كتاب مفقود ، ذكره الصفدى فى « الوافى » ١/ ٥٤ (راجع : بروكلمان ، ذيل ١/ ٢٦١)

ولابن قلاقس ترجمة فى مصادر مختلفة ذكرها محققو « خريدة القصر » المذكورون .

(١) أورد ياقوت هذا المصراع فى « معجم البلدان » ونسبه مرة إلى ابن قلاقس ومرة أخرى إلى ابن حمديس (راجع : آمارى م ، ١١٥ و ١٢٥ حيث يقرأ : « قال ابن أحمد ليس الصقلى » بدلا من « قال ابن حمديس الصقلى » وهو الصواب كما جاء فى تصحيحات آخر « المكتبة العربية الصقلية » ص 42

(٢) لم نهتد إلى اسم هذا الشاعر فى المصادر العربية التى أطلعنا عليها .

* « نزهة المشتاق » ٢٦

(٣) بالأصل (البحر محدق بها يحدق بها البحر) والجملة كما يبدو مضطربة .

(٤) فى « نزهة المشتاق » : (منها) وهو أصح .

(٥) Messina وقد ورد ذكرها

نابل * Napoli

ص٣٨٣] / عمل عظيم فى البر الكبير من بلاد الروم. وبينها وبين مرسى مسينى من جزيرة صقلية إثنان وثلاثون ميلا [١]. ومدينة نابل هذه حسنة أولية عامرة ذات أسواق نافقة السلع وافرة البضائع والأمتعة. وبين نابل وإسطانة [٢] جبل نار [٣] لا يتوصل إلى بركانه لأنه دائم الدهر يرمى بالنار.

وادى الخراطين ** [؟]

ص٤٠١] / هو جزيرة بناحية جزيرة صقلية وبقربها جزيرة أخرى يقال لها ولهذه: جزيرتا البركان [٤]. وإنما سميت بوادى الخراطين لأن كل خرط بصقلية هناك يخرط بأرحاء الماء.

الأحاسى ***

جزيرة الأحاسى على نحو عشرة أميال من المهدية بإفريقية ذات أحساء بينها وبين البر مجاز قريب كان نزل به الروجار [٥] طاغية صقلية فى أسطول له أو من ناب عنه متوسلا إلى المهدية وبلاد المسلمين. وطمع فى أن يصادف فى المسلمين غرة وينتهز منهم فرصة وذلك

---

* « نزهة المشتاق ٧٩ » وكلمة «أيضا» فى أول النص عطف على «نابل» أخرى ذكرت فى الأصل قبل هذه وهى فى المغرب (راجع أيضا « نزهة المشتاق » ص ١٩)

(١) هذا التقدير خطأ جغرافى ومن المحتمل أن يكون سقوط كلمة أو أكثر من النص قد سبب الوقوع فى هذه الهفوة.

(٢) أورد الإدريسى اسم المدينة المسماة الآن Stabia هكذا: اسطانة وبسطانة واسطاية (انظر « نزهة المشتاق » ٧٩)

(٣) هو البركان المسمى الآن: Vesuvio

* * لم أجد ذكرا لـ « وادى الخراطين » فى المصادر الجغرافية التى اطلعت عليها ولا توجد جزيرة من الجزر المختلفة الواقعة بالقرب من صقلية يطلق عليها اسم يشبه هذا الاسم.

(٤) انظر مادة (البركان) السابقة.

* * * بالرغم من أنها تقع فى المغرب رأينا من المفيد نشر هذا النص لوجود تلميحات إلى حوادث وقعت فى العصر النورماندى.

(٥) هو « روجار » (Ruggero) الثانى النورماندى (١٠٩٥ — ١١٥٤) ملك صقلية الذى يرجع اليه فضل تأليف « نزهة المشتاق » بمعرفة الشريف الادريسى كما أشرنا اليه فيما سبق.

فى عام سبعة عشر وخمسمائة فعكس الله تعالى عليه مقصودة ونصر المسلمين عليه وذلك فى [زمن] [1] سلطان الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب المهدية ويكفى فى التعريف بخبر هذه الكائنة كتاب الحسن هذا إلى بعض الجهات معلما بما سناه الله من الفتح فيه [2] : أن الرجار صير أسطوله المخذول نحو المهدية — حماها الله تعالى — فى نحو من ثلاثمائة مركب حمل على ظهورها ثلاثة آلاف راكب وزهاء ألف فارس. وكان الرجار قد رام إخفاء [3] كيده ومكره فمنع السفر إلى سواحل المسلمين فسقط إلى الساحل مركب من حمالة أسطوله عرفنا من ركابه شريرة حاله ولم نكن قبل ذلك مهملين لما يقتضيه هذا الحادث من التأهب والاستعداد واستضمام [4] الأجناد إلى الأجناد والتحريض على مفترض الجهاد. فاستظهرنا باستضمام العرب المطبقة [5] بنا فأقبلوا أفواجا أفواجاً وجاءوا مجىء السيل يعتلج اعتلاجا ويتدفق أمواجا فأمواجا وكلهم على نيات من الجهات خالصة وعزمات غير مفردة فى مواقف الموت ولا ناكصة. ووصل الأسطول المخذول ونزلوا على عشرة أميال من المهدية بجزيرة هنالك ذات أحساء بينها وبين البر مجاز متدانى العبرين قريب ما بين / الشطين هين مرامه سهل على الفارس والراجل خوضه واقتحامه [6] [٩ ظ] فتبرع إليهم من جندنا ومن انضاف إليهم من العرب المنجدة لنا طائفة أوسعت أعداء الله طعناً وضرباً وملأت قلوبهم خوفا ورعباً. فلما عاينوا ما نزل بهم أنزلوا عن ظهور مراكبهم ما كان أبقاه الغرق من أفراسهم وكانت نحو ستمائة فرس وظنوا إنهم إن امتطوا متونها مستلئمين وصدموا بها جيوش المسلمين أمكنهم بعدها انتهاز فرصة. فأكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم وجعل الدائرة عليهم وولوا أدبارهم يرون الهزيمة غنيمة والهرب غلباً وتركوا أفراسهم ومضاربهم وكثيراً من أسلحتهم وعددهم نهباً مقسما وفيئاً مغتنما.

والحمد لله الذى أيد الاسلام ونصره وأعلاه وأظهره [7].

---

(١) الزيادة من « مة ».

(٢) الأرجح أن الحميرى ابتداء من هنا نقل أغلبية هذه الأخبار التاريخية عن « رحلة التيجانى » (راجع : آمارى م ٣٩٦ — ٣٩٧).

(٣) بالأصل : إطفاء، والتصويب من « مة ».

(٤) الأصل ، الاستضمام ، وضبطناه ليستقيم المعنى والسياق من « مة ».

(٥) « مة » : المطبقة.

(٦) الأصل : التحامة ، والتصويب من « مة ».

(٧) توجد تفاصيل هذه المعركة التى اشتبك فيها جنود روجار وجنود الحسن بن على عند : آمارى ت ، ٣/٣٨٥ وما يليها من الصفحات.

فهرس الأعلام الجغرافية الخاصة بايطاليا الواردة فى النص

mu'ǵam, cioé anche delle voci non attinenti all'Italia, mi ha dimostrato che notizie sulla Sicilia si possono ricavare anche da quelle rubriche che trattano in genere della toponomastica andalusa e maġribina. Ad esempio ragguagli di carattere storico e di interesse non secondario per le vicende dell'isola in epoca normanna si trovano nella voce: *al-Aḥāsī*, quasi interamente dedicata all'impresa di Ruggero II su al-Mahdiyyah; dato il diretto rapporto delle notizie con la nostra isola, ho creduto opportuno includerle in fondo al presente lavoro.

Umberto Rizzitano
Roma—Cairo

Al-Ḥimyarī si é abbondantemente servito per le notizie sull'Italia —come del resto per quelle sulla Spagna ecc.—delle fonti storico-geografiche esistenti all'epoca in cui visse: ma, salvo rarissime eccezioni, si guarda bene dal citarle, anzi talvolta la irruenza dell'incursione indiscriminata verso il materiale a sua disposizione, genera in lui tale confusione d'idee da indurlo inavvertitamente a fare uso di fonti diverse per lo stesso toponimo, che si trova perciò registrato e trattato in due punti differenti del *mu'ǵam* (1). Talvolta i testi che stanno alla base delle notizie trasmesseci dal *Rawḍ* non sono stati rintracciati (quelli individuati con certezza li ho segnalati in nota), ma non é escluso che ulteriori ricerche possano fare luce sulla questione. Quanto ai toponimi, fra cui prevalgono di gran lunga quelli sulla Sicilia, solo di pochissimi non mi é stato possibile trovar notizia, o perché inesistenti nelle fonti consultate ovvero perché la forma araba troppo corrotta non mi autorizzava a sicuri raccostamenti.

Com'é facile arguire, al-Ḥimyarī per le notizie relative all'Italia ha saccheggiato—ma spesso anche mutilato—il *Nuzhat al-muštāq* di al-Idrīsī ed in misura minore la *Riḥlah* di Ibn Ǵubayr. La unica differenza fra le informazioni del nostro compilatore e quelle dei suoi due predecessori consiste nel fatto che in *Kitāb ar-rawḍ* spesso abbondano le notizie di carattere storico e talvolta le citazioni di versi di poeti e letterati che in qualche modo si riallacciano con la storia del toponimo trattato.

Di alcune località—siciliane soprattutto—oggetto di trattazioni più o meno ampie nelle fonti arabe storico-geografiche, prime fra tutte il citato *Nuzhat al-muštāq*, non si trova traccia nel *Kitāb ar-rawḍ*, non so se per omissione del compilatore ovvero per mutilazione dei vari copisti. Talvolta poi si dà il caso di località citate per inciso qua e là, senza che siano state, o saranno, oggetto di trattazione in rubriche specifiche. Finalmente dirò che una rapida lettura di tutto il

(1) Mi riferisco soprattutto agli esempi di Trapani ed Aci che vengono illustrate rispettivamente sotto le rubriche إطرابنش e إلياج e poi nuovamente descritte alle voci طرابنش e لياج come se si trattasse di due località diverse dalle prime.

Culturale" della "Società per gli Stati Arabi" *Ǧāmiʿat ad-duwal al-ʿarabiyyah*. Eccone la descrizione:

(*A*) Ms. «ا» della Biblioteca "Bayram" annessa alla "Nūr Osmaniyyeh" di Costantinopoli, N. 44. Secondo il frontespizio la compilazione é opera di: Abū ʿAbdallāh Muḥammad b. ʿAbd al-Munʿim b. al-Ḥimyarī, mentre il *colophon* porta il nome completo di: Abū ʿAbdallāh Muḥammad b. Abī ʿAbdallāh Muḥammad b. Abī Muḥammad ʿAbdallāh b. ʿAbd al-Munʿim b. ʿAbd an-Nūr al-Ḥimyarī. 409 ff. 24 × 36) di 31 righe ciascuno, di calligrafia *nasḫī* comune di diverse mani [1].

(*B*) Ms. «مـ» della Biblioteca dello *šayḫ al-Islām* ʿĀrif Ḥikmat di Medina, N. 365 [2]. Il *muʿǧam* secondo il frontespizio é opera di: Abū ʿAbdallāh Muḥammad b. Muḥammad b. ʿAbdallāh b. ʿAbd al-Munʿim b. ʿAbd an-Nūr al-Ḥimyarī; il *colophon* porta invece il nome completo: Abū ʿAbdallāh Muḥammad b. Abī ʿAbdallāh Muḥammad b. ʿAbdallāh b. ʿAbd al-Mun ʿim b. ʿAbd an-Nūr al-Ḥimyarī, esattamente come nella copia precedente. La copia risale al 971 Eg. e comprende 328 ff. (20 × 27) di 33 righe ciascuno, di calligrafia *nasḫī* comune.

Per quanto non sia facile stabilire con esattezza il rapporto esistente fra i due mss. che mi sono serviti per il presente lavoro, tuttavia ritengo che le copie « ا » e « مـ » possano avere avuto, come testo base, lo stesso esemplare [3].

---

[1] Cfr. il Catalogo dei microfilm edito dal citato Istituto: *Fihris al-maḫṭūṭāt al-muṣawwarah*, a cura di Fu'ād Sayyid, Cairo 1954, p. 568.

[2] Il microfilm è contrassegnato presso il citato "Istituto mss. arabi" col N. 21, e non é compreso nel *Catalogo* in quanto venuto a far parte della menzionata microfilmoteca dopo la sua pubblicazione.

[3] Ciò è dimostrato da alcuni comuni errori di copiatura, quali ad es. مازر (Mazara), che diventa, per entrambi i copisti مازز, forse già contraffatto nella copia di cui si sono serviti gli amanuensi di « ا » e di « مـ ».

primi decenni del 700 Eg., lo stesso dettaglio infirma la teoria del "secondo" al-Ḥimyarī morto, secondo il *Kaśf aẓ-ẓunūn*, nel 900 Eg. Chi, infatti, si sentirebbe autorizzato di addebitare a quest'ultimo la dabbenaggine di avere lasciato inalterato il testo del predecessore finanche nell'espressione "attuale", tanto anacronistica a due secoli di distanza dai fatti di Lucera quanto denunziatrice del plagio letterario supposto dal Lévi-Provençal? E chissà che, a leggere attentamente da capo a fondo tutto il *Rawḍ*, non si possano cogliere qua e là altre testimonianze di questo tipo.

Ora soltanto, e dopo avere liberato il terreno dalla presenza indubbiamente importuna del "secondo" autore—per me mai esistito—e dopo avere di conseguenza ammessa la possibilità, per al-Qalqaśandī, di consultare il *Rawḍ* per il suo *Ṣubḥ al-a'śà*, ora soltanto —dicevo—possiamo con più agio avvicinarci a quel al-Ḥimyarī (l'unico secondo me) che si lega al lessico geografico: si tratta di Abū 'Abdallāh Muḥammad b. 'Abd al-Mun'im aṣ-Ṣinhāǧī al-Ḥimyarī la cui biografia, rintracciata dal Lévi-Provençal nella parte rimasta ancora inedita della *Iḥāṭah fī ta'rīḫ Ġarnāṭah* (1), l'ho trovata riassunta in *ad-Durar al-kāminah* dove viene integrata con la data di morte: 727 Eg. (2), che sta a confermare *grosso modo* le congetture dell'arabista francese (3). Ma nè Ibn al-Ḫaṭīb né al-'Asqalānī—concordi nel considerarlo discendente da famiglia originaria di Ceuta—accennano al suo *Kitāb ar-rawḍ al-mi'ṭār*.

Dopo la pubblicazione del Lévi-Provençal sono venute alla luce altre due copie di *ar-Rawḍ*, microfilmate dall'Istituto mss. arabi, (*Ma'had al-maḫṭūṭāt al-'arabiyyah*) dipendente dalla "Direzione

(1) Testo in *La Péninsule Ibérique*, Introduzione, XVII. Di questo prezioso testo é stata iniziata la pubblicazione di un'edizione critica ad opera di Muḥammad 'Abdallāh 'Inān di cui é uscito il I° vol. Cairo 1955.

(2) Il nome dell'autore é qui: Muḥammad b. 'Abd al-Mun'im aṣ-Ṣinhāǧī al-Ḥimyarī Abū 'Abdallāh b. 'Abd al-Mun'im as-Sabtī. Cfr. *ad-Durar al-kāminah*, Ḥaydar Ābād 1350 Eg., IV, 32-33, 65.

(3) Infatti il Lévi-Provençal ritenne che fosse posteriore al 709 Eg. Cfr. *La Péninsule Ibérique*, Introduzione, XVIII, n. I.

aderire impegnato ormai, com'era, nell' accettazione di quell' 866 Eg. quale data di composizione del *Rwaḍ*. Rifiutando invece, per le ragioni esposte, tale interpretazione, ci sentiamo per cosí dire meno impegnati ad accettare una data (900 Eg.) la cui validità può anzi essere ulteriormente posta in dubbio da un nuovo elemento qui di seguito indicato: sorpreso, infatti, che la seconda citazione relativa ad al-Ḥimyarī manca affatto nell'edizione di Costantinopoli (1360/1941) ho consultato i diversi mss. del *Kaśf aẓ-ẓunūn* esistenti presso la "Dār al-kutub" del Cairo: delle quattro copie esaminate, tre (NN. *Fahāris*, 108; *Maktabāt*, 147; *Maktabāt* 146) concordano nella data di morte dell'autore (900 Eg.) e nel nome, che nella *prima* delle due rubriche è: Abū 'Abdallāh Muḥammad b. Muḥ. b. Muḥ. al-Ḥimyarī, nella *seconda*: *śayḫ al-'umdah* Abū 'Abdallāh Muḥammad b. Muḥammad b. 'Abdallāh b. 'Abd al-Mun'im al-Ḥimyarī. Nel quarto esemplare (N. *Fahāris*, 4) il nome è: Abū 'Abdallāh *aś-śayḫ* Muḥammad b. Muḥ. al-Ḥimyarī nella *prima* rubrica; Abū 'Abdallāh Muḥammad b. 'Abdallāh b. Nu'aym al-Ḥimyarī, nella *seconda*; quanto alle date, ne abbiamo finalmente due: 903 Eg. nell'una, 723 Eg. nell'altra, per cui vien fatto di pensare (ma questa volta forse con eccessiva indulgenza alla fantasia!) che anche in questo caso il تسعمائة originale sia stato trasformato in سبعمائة per falsa lettura del copista, che avrebbe anche lasciato cadere il عشرين. Ma, ripeto, é pura congettura.

Comunque sia, questo nuovo dato cronologico (723 Eg.) valorizza l'ipotesi del Lévi-Provençal di trovarsi, per "uno" dei due autori, di fronte ad uno scrittore vissuto a cavallo fra il VII e l'VIII sec. Eg. come ulteriormente confermato da quel che si legge nella voce *Lūǵārah* "Lucera" qui di seguito pubblicata: "*... fino a che li espulse dalla città l'attuale capo della Sicilia ...*", accenno inequivoco alla cacciata da quella località—dove erano stati relegati da Federico II fin dal 1223—degli ultimi nuclei di Musulmani presenti nell'Italia meridionale; e la distruzione del superstite gruppo lucerino avvenne, com'é storicamente noto, ad opera di Carlo II d'Angiò nel 1300, che corrisponde appunto al 700 Eg. Se questo particolare sta a suffragio della tesi secondo la quale il *Rawḍ* sarebbe opera di un autore vissuto fino ai

peregrino nella sintassi araba, non appartiene alla terminologia cui ci hanno abituato i copisti, che d'abitudine concludono invece la propria fatica con "وبتمامه تم" o formule simili. Le condizioni del foglio—cui accenna appunto il Lévi-Provençal—ma anche il quasi identico segno grafico delle due parolette (تمامه e بتمامه) sono certamente i diretti responsabili della falsa lettura;

2°) ammesso—ma non concesso—che la prima parte dell'*explicit* includente la data dell'866 Eg. sia da attribuire ad al-Ḥimyarī, vien fatto di chiedersi come mai l'autore sia ricorso a quelle espressioni ambiziose per presentarci il proprio scritto, e non già alla solita formula, contenuta entro i limiti della modestia, cui siamo abituati. Anche questo dettaglio induce a pensare che ci troviamo di fronte alle parole del copista che vuole appunto presentarci l'autore con quei lusinghieri الشيخ الفقيه العدل.

Se questa congettura à esatta, essa verrebbe ad invalidare uno dei due argomenti che avrebbero indotto in errore il Lévi-Provençal; l'altro é rappresentato dallo sdoppiamento—per lo meno fortuito se non arbitrario—del *Rawḍ* in due diverse rubriche del *Kašf az-ẓunūn*. Ma anche supposto di essere di fronte alla disattenzione di chi—Ḥāǧǧī Ḫalīfah od uno dei suoi collaboratori?—non si pose il problema del rapporto fra i due *Rawḍ*, rimane sempre a favore della tesi dei "due autori"—sostenuta dal Lévi-Provençal—la questione della data; quel 900 Eg. segnato come anno di morte dell'autore del nostro *mu'ǧam*. Ma quale valore assoluto, o determinante, possa o debba darsi a questo dettaglio, sa bene chi lavora sui manoscritti, in cui i segni diacritici possono falsare talmente la lettura, che alcuni autori ebbero spesso l'avvertenza di venire in aiuto al lettore, e nel caso specifico del quasi identico disegno delle due parole «تسعمائة e سبعمائة» chiarirono: « في التسعمائة بتقديم التاء » e « في السبعمائة بتقديم السين ».

Sono perciò portato a leggere—con Gaudefroy-Demombynes(¹)—سبعمائة "700 Eg.", rettifica cui Lévi-Provençal non ha però potuto

(¹) Cfr. *La Péninsule Ibérique*, Introduzione, XV.

dal *Nuzhat al-muštāq* di al-Idrīsī, ulteriormente dimostrata—ma dopo la pubblicazione di *La Péninsule Ibérique*—dal Wiet nel 1939 (1).

Sulla base di questi nuovi elementi—ma salvo errore da parte di Ḥāǵǵī Ḫalīfah, si aggiunge—lo studioso pensò allora all'esistenza di due redazioni del *Kitāb ar-rawḍ al-mi'ṭār* (la seconda plagio inconfessato della prima), scritte in epoche diverse da autori differenti, caratterizzati dal comune etnico: al-Ḥimyarī, non contrastante, come forse potrebbe apparire, con la loro origine maǵribina (2).

Ma prima di passare alle ulteriori supposizioni dell'orientalista, è indispensabile esaminare, sotto una luce che spero nuova, i singoli punti delle sue illazioni. Innanzi tutto occorre tenere presente che l'866 Eg. segnato sul *colophon* del ms. "T" non é da accettare senza riserve quale l'anno in cui al-Ḥimyarī avrebbe terminato il suo *Rawḍ*, ma è piuttosto da ritenere come data di esecuzione della copia (non necessariamente la "prima") da cui deriva l'esemplare consultato dal Lévi-Provençal, ultimato nel 1049 Eg. dall'amanuense Ibrāhīm b. Yaḥyà b. Ibrāhīm al-Aqqāwī che, come succede spesso nei *colophon*, ha trascritto anche il testo con cui il precedente copista aveva concluso il proprio lavoro di copiatura. La supposizione é avvalorata da due fatti:

1°) l'espressione تمام, oltre a non essere segnalata dai lessici ed oltre a trovarsi elemento di un costrutto (تمامه جميع الكتاب) piuttosto

(1) G. Wiet, *Un résumé d'Idrîsî*, Bull. Soc. Royale de Géogr. d'Egypte, XX, 1939, pp. 161-168 (edizione delle voci del *Ǵany al-azhār* relative all'Egitto). Il Wiet (in una nota rettificatrice—*ibid.* XX, 1940, p. 367—lo studioso confessa di avere ignorato che agli stessi risultati era giunto, mezzo secolo prima, il Vollers), ritiene al-Maqrīzī autore dell'epitome, che non ha alcun rapporto—chiarisce—con il nostro *ar-Rawḍ al-mi'ṭār*. Ad ulteriore conferma di questa affermazione si può aggiungere che il poligrafo sembra non avere conosciuto Ibn 'Abd al-Mun'im in quanto invano ne ho cercato notizie nelle sue opere bibliografiche.

(2) Su questa possibilità, cfr. *La Péninsule Ibérique*, Introduzione XVI; Ma già il Nallino aveva scritto che "la nisbah al-Ḥimyarī non ha nulla di strano in Africa e in Spagna, ove molti personaggi facevano rimontare la loro origine alla tribù di Ḥimyar, attraverso i quattro rami di Dhû Ru'ayn, Aṣbaḥ, Yaḥṣub e Hawâzin" citando come fonte al-Maqqarī, ed. Leida I, 189 (*Centenario della nascita di M. Amari*, Palermo 1910, II, p. 641 delle "Aggiunte e correzioni").

bio-bibliografiche, prima fra tutte il *Kašf az-ẓunūn*, ed ebbe l'impressione di trovarsi di fronte a due redazioni diverse, ad opera di autori vissuti in epoche differenti, di uno stesso scritto.

Infatti Ḥāǧǧī Ḫalīfah registra sotto due rubriche successive il *mu'ǧam* intitolato *ar-Rawḍ al-mi'ṭār fī aḫbār al-aqṭār* (con una minima variante fra i due titoli) attribuito, nella prima, ad Abū 'Abdallāh Muḥammad b. Muḥ. b. Muḥ. al-Ḥimyarī morto—si aggiunge—nel 900 Eg.; nella seconda invece allo *šayḫ al-'umdah* Abū 'Abdallāh Muḥammad b. 'Abd al-Mun'im al-Ḥimyarī, su cui non si danno ulteriori ragguagli (1). Naturale, quindi, la tentazione dello studioso—dopo avere messo in rapporto la data segnata sul *colophon* del ms. "T" (ripetiamo: 866 Eg.) con questa seconda del decesso—di ritenersi sufficientemente documentato su un al-Ḥimyarī vissuto nella seconda metà del sec. IX Eg. Senonché l'ulteriore indagine non poteva fargli ignorare fatti (del resto già segnalati dal Gaudefroy-Demombynes) (2) cronologicamente contrastanti con quelle date, e cioè:

1°) L'utilizzazione del *Kitāb ar-rawḍ* da parte di al-Qalqašandī nel suo *Ṣubḥ al-a'šà* (terminato nell' 814/1412);

2°) L'attribuzione ad al-Maqrīzī (m. 845/1442) del *Ǧany al-azhār min ar-Rawḍ al-mi'ṭār* che il Lévi-Provençal continuò a ritenere una epitome del *Rawḍ* nonostante fosse già stata supposta dal Vollers (1889) (3), quindi confermata dal Blochet (1925) (4), la sua derivazione

(1) *La Pénisule Ibérique*, Introduzione, XIII-XIV.

(2) *Op. cit.*, Introduzione, XIV, n. 2.

(3) Il Vollers per primo pensò trattarsi di una riduzione di *Nuzhat al-muštāq* di al Idrīsī; quanto all'epitomatore, egli ritiene trattarsi piuttosto di un autore del X sec., o posteriore, che l'avrebbe attribuito ad un corifeo per dar maggior credito al proprio lavoro (Cfr. VOLLERS, *Note sur un manuscrit arabe attribué à Maqrīzī*, Bull. Soc. Khéd. de Géogr. du Caire, III Série, N. 2, 1889, pp. 131-139) A proposito del titolo, che mise sulla falsa strada quanti lo ritennero riduzione del nostro *Rawḍ*, é da tenere presente che anche al-Idrīsī scrisse un *Rawḍ*, cioè: *Rawḍ al-uns wa nuzhat an-nafs*, ossia seconda redazione del suo *Nuzhat al-muštāq*, dedicata a Gugliemo 1° (Cfr. *Storia dei Musulmani di Sicilia*, 2a ed. Catania 1933-39, III, 681 dove il Nallino segnala in nota una terza redazione dell'opera geografica idrīsiana).

(4) Cfr. R. BLOCHET, *Cat. des mss. ar. des nouvelles acquisitions* (1884-1924) Parigi 1925, N. 5919.

dandoci nell'erudita "Introduzione" precisi ragguagli sui manoscritti utilizzati e sul rapporto, diremo di filiazione, fra i precedenti *ma'āǵim* storico-geografici (¹) ed il *Kitāb ar-rawḍ al-mi'ṭār*, ma soprattutto formulando congetture sull'autore, anzi—come ritenne—sui "due" autori e sull'epoca cui dobbiamo verosimilmente fare risalire le loro compilazioni.

Desiderando con argomenti nuovi, e spero probanti, avvalorare o infirmare le varie tesi del Lévi-Provençal, ritengo indispensabile agli effetti della chiarezza riassumere qui di seguito quanto egli ebbe occasione di sottomettere al giudizio degli studiosi.

I mss. consultati per l'edizione dei testi furono quattro: tre incompleti ed un quarto (ms. "T") quasi integrale in due volumi. "... Ce ms. "T", dont le premier tome est acéphale—chiarisce l'arabista francese—a conservé par contre le dernier feuillet du tome second; celui-ci porte d'importantes indications qui permettent d'identifier l'ouvrage e de le "*dater*". Bien qu'une déchirure malencontreuse ait largement écorné le texte de ce *colophon*, il est possible de le rétablir à peu près dans son entier. Une première notice s'exprime ainsi:

هذا آخر الجزء الثانى من الرّوض المعطار فى خبر الأقطار [للشيـ] خ الفقيه العدل أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى محمد عبد الله بن عبد المنعم ابن ع [بد المنعم الحمير] ى رحمة الله عليه ، وتمامه جميع الكتاب فى صبح يوم الجمعة السابع عشر من شهر صفر [الخير أ] حد شهور سنة ست وستين وثمان [*sic*] مائة بساحل جدة المعمور . وفرغت من تـقيـيـ [ـده يوم عاش] وراء لعام ١٠٤٩ . . . على يد . . . إبراهيم بن يحيى بن ابراهيم الأقاوى . . . » (²)

Con questi primi elementi—il nome dell'autore ed una *data* cui, a mio giudizio, è stata data un'interpretazione diversa dalla reale—il Lévi-Provençal si accinse alla consultazione della grandi raccolte

(¹) La questione relativa alle fonti ispano-maġribine di Ibn 'Abd al-Mun'im é stata ampiamente trattata dal Lévi-Provençal. Cfr. *La Péninsule ibérique ecc.*, Introduzione XXI-XXVII.

(²) *La Péninsule Ibérique*, Introduzione, XI.

L'ITALIA

nel *Kitāb ar-rawḍ al-mi'ṭār fī ḫabar al-aqṭār*

di IBN 'ABD AL-MUN'IM AL-ḤIMYARĪ

Fu il compianto Lévi-Provençal che nel 1931, in occasione del XVIII Congresso Internazionale degli Orientalisti [1], segnalava all'attenzione del mondo erudito, e degli arabisti in particolare, l'esistenza del *mu'ǵam* storico-geografico intitolato: *Kitāb ar-rawḍ al-mi'ṭār fī ḫabar al-aqṭār*, compilazione di un certo Abū 'Abdallāh Muḥammad b. 'Abd al-Mun'im al-Ḥimyarī.

A qualche anno di distanza da quella comunicazione lo studioso pubblicava, in superba edizione critica, il testo arabo e la traduzione francese delle rubriche relative alla Spagna, al Portogallo ed al Sud-Ovest della Francia, tratte appunto dal repertorio in questione [2],

---

[1] Tenutosi a Leida nel Sett. 1931. Cfr. *Actes du XVIII Congrès International des Orientalistes*, Leyde, 1932, pp. 238-240.

[2] Lévi-Provençal, *La Péninsule Ibérique au Moyen-Âge d'après le* "kitāb ar-rawḍ al-mi'ṭār fī ḫabar al-akṭār" *d'Ibn 'Abd al-Mun'im al-Ḥimyarī*, Leiden 1938 (Publications de la "Fondation De Goeje"). Altri estratti dal *Rawḍ* dovuti allo stesso studioso, sono: *Une description inédite du Phare d'Alexandrie*, Mélanges Maspéro, III, 161-171 (*Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie Orientale*, t. LXVIII, Le Caire, 1935); *Une héroïne de la résistance musulmane en Sicile au début du XIII siècle*, *Oriente Moderno*, XXXIV (Roma 1954), pp. 283-288 (testo arabo e traduzione francese; cfr. qui avanti p. ١٣٢ ss.); *Une description arabe inédite de la Crète*, *Studi Orientalistici in onore di G. Levi Della Vida*, II, Roma, 1956, pp. 49-57. Non so dire se G. Weit abbia pubblicato le voci relative all'Egitto estratte dal *Rawḍ* di al-Ḥimyarī, come lascia capire nel suo *Un résumé d'Idrīsī*, Bull. Soc. Royale de Géogr. d'Egypte, XX, 1939, p. 161 (più ampiamente citato qui avanti a p. 12 n. 1) dove si legge "... Les textes du *Rawḍ mi'ṭār* concernant l'Egypte seront publiés prochainement".

whole is a living and flexible system that can be modernized, revised, and changed in its details (as long as the *essence remains untouched*) in order to realize an ideal state to different peoples in different countries, and at different times. The essence is no more that what is clearly canonized by the Coranic Text and the Tradition or Sunna.

The Islamic civilization which was based upon the Quran, was able to assimilate Persian, Greek, as well as Indian cultures. And it was the Islamic civilization that preserved a great part of the old greek pagan (وثنى) legacy by the encouragement which the translators received from the state. Many translators were non-moslems if not the great majority. Libraries, Schools, Universities—Al Azhar—are all witnesses that Culture or civilization no matter from what source it follows has found in Islam all the encouragement it could hope to have in order to flourish and interchange — give and take — with Islamic Culture. Love of knowledge, respect for the learned and zeal for learning are all too evident attributes of Islamic society ; and sayings of the Prophet, since the early days of his mission, in which he preached the love of knowledge and the will to acquire it are often cited in every day language.

These are the fundamental basis upon which the Islamic state was built and from its religious code it was inspired by the canons :

" Al Shura " general consultation, equality among believers, justice in the distribution of wealth, firm and permenant basis for family life, law abiding dealings with others, Peace among all Islamic and non Islamic states, and finally an almost religious respect for all mental efforts which brings about an ardent appeal to all to learn, respect and cherich knowledge disregarding from where or from whom it comes.

building the state upon sound and practical basis of personal dealings and the judicial laws which they may consult in all disputes or quarrels.

In practice we can mention the codes which the Khalif Omar ordered his representatives in the different countries to follow in judging the people and settling their disputes. We can also remind of the sources of Islamic Law in general.

(VI) The Islamic State in its dealings with other States insists upon peace as a basis.

The essence of the principle which governs the foreign relations is: not to fight those who have neither fought you or forced you to imigrate from your homes or country.

" Allah forbiddeth you not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that you should show them kindness and deal justly with them. Lo ! Allah loves the just dealers.

Allah forbiddeth you only those who warred against you on account of religion and have driven you out from your homes and helped to drive you out, that ye make friends of them-Whosoever maketh friends of them—(all) such are wrong-doers " (1).

And he Says : " And if they incline to peace, incline thou also to it " (2).

This corresponds in modern practice to being enemies unto whom who have shown enemity towards you, and friendly towards those who have been friendly.

The expansion of the Islamic state, and the difficulty of making the people so huge in number and dispersed on so many lands to choose their state leader has forced the new system of having the leadership heriditary. Khalifates became numerous after the Ommayads in Syria, Abbassids in Bagdad, Fatimids in Egypt, Ommayads in Spain. And thus the Islamic state had to adopt the ministry system and Diwans from the conquered nations. This proves that the Islamic system as a

---

(1) ممتحنة 60/8-9. (2) الأنفال 8/61.

(IV) The Stability of the Family Unit.

The Quran has laid down an orderly system for the Family. The marriage is a life time contract, and divorce is permissable on occasions where the continuity of mutual life is impossible. It is unanimously admitted that divorce is the most hated liscence in Islam by God. The wives are not to exceed four but should be treated by law with justice and equality. Those forbidden to a man in marriage are clearly named with precision.

In practice, by applying the Islamic marriage principles, the Islamic society and others just as well were purged from all other harmful forms of marriage. Marriage with close relatives; difference between a free wife and slave-wife; the acceptance of one man's conferring (خلع) his wife upon another man and so forth.

By thus establishing family relations upon firm principles and sound social basis the children grew up in Islam knowing their fathers and geneology; and the relation between father and son grew more solid; and the whole society stood firm and sound because its units-families were interlinsed with solid links and bound with firm bonds.

This system as a social principle facinated other nations and brought Islam nearer to their hearts compared to what they were used to of having children with no father or related to a false one or permitting exchange of wives or dealing with a wife as though she was an article in market liable to be bought or sold.

(V) Organisation of Worldly Relations تنظيم المعاملات.

The Islamic Code systematized the rules of المعاملات as the Quran and the Sunna ordained.

Islamic Code still prevails besides civil codes in all Islamic countries and prevails alone in some of them. Legislators specialized in comparative law have often lauded and praised the Islamic Code when they studied it. If we study ancient codes—Roman, or Persain—and compare them with the Islamic we can perceive the great difference between them and realize how much has Islam done in the field of

And he says the same in Surat محمد verse 38.

And in practice we are told how Khadija خديجة, the Prophet's wife, as well as Osman عثمان, the third Khalif, have spent generously upon their fellow believers or for God's sake في سبيل الله : Lo, Ye are those who are called to spend in the way of Allah, yet among you there are some who hoardeth. And as for him who hoardeth, he hoardeth only from his soul. And Allah is the Rich and Ye are the poor.

2. Al-Zakat الزكاة .

Giving part of what we own as a regular tax to the State was decreed by the Quran. Moreover it is one of the five fundamental basis الأركان الخمسة upon which the belief in Islam is built. Verses decreeing the Zakat are many. And in practice we remember how the battles of Al-Riddah الردة (The Revolt) which first Khalif Abu Bakr أبو بكر launched against those who refused to fulfill the law of the tax or the Zakat. Abu Bakr taught the rebels that there can be no delay or refusal in fulfilling the law which was laid down for the common welfare.

Zakat or general Capital tax and all other state income such as the fifth of the war spoils غنائم, other gains of Spoils الفيء and the state tax paid by unbelievers and all charity gathered from the rich and paid freely and willingly after all other obligations — all these — were spent on the common welfare, and it corresponds in modern terms to the regulating of tax laws laid upon the rich in order to enable the state to fulfill public duties and care for the needy and guard them against the miseries of poverty.

In practice Omar exempted the non-moslems who are poor from paying the tax of Al-Gizya, He also distributed in general all material aid upon all the needy in the State. This is what is called in the modern State "Social Insurance". A principle laid and applied in Islam since its early beginings.

And in applying this principle—of equality and abolishment of class segregation—was one of the great facilities that permitted the Arabs to conquer Persia.

The persian community was strictly divided unto four classes and the class of land workers الحراثين or the like were forced to stay imprisonned in their own class having no right whatsoever to look up unto the higher classes no matter how rich or how intelligent they may be. Thus the Persians accepted floodingly the new religion in the belief that it was a better one in as much as it preaches equality and guranteed equal chances in public life for everybody.

(III) The Responsibility of the State in the fair distribution of Wealth among all citizens or believers:

1. The Quran has prohibited misery and hated it and it has urgently pushed the rich to give out, for the general profit, from what God has generously bestowed upon them [1]:

" Who hoard their wealth and enjoin avarice on others and hide that which Allah Hath bestowed upon them of His bounty. For disbelievers we prepare a shameful doom ".

He says [2].

" And let not those who hoard up that which Allah has bestowed upon them of His bounty think that it is better for them. Nay it is worse for them. That which they hoard will be their collar on the Day of Resurrection ".

And he says [3]:

" They who hoard up gold and silver and spend it not in the way of Allah, unto them give tidings (O Mohammad) of a painful doom. On the day when it will (all) be heated in the fire of hell, and their foreheads and their flanks and their backs will be branded therewith, (and it will be said unto them): Here is that which ye hoarded for yourselves now taste of what ye used to hoard ".

---

(1) النساء 4/37.

(2) آل عمران 3/180.

(3) التوبة 9/34-35.

Then he urges the Prophet to consult the believers المؤمنين when he says [1]:

"Therefore forgive and ask for pardon for them, and consult them in the affair ..."

When we look through Islamic history and read the many cases in which the Prophet himself used to consult the Sahaba الصحابة and the followers about his غزوات or small campaigns, as in the case of أحد, we realize how much the Prophet was keen on fulfilling this Qoranic principle of Consultation. الشورى as a basic principle in Society or in the Islamic State then is a form of what is now called :

True Democracy in the constitutional jurisprudence.

(II) The Society in Islam is built upon brotherhood and equality between all believers.

God says [2]: "and hold fast, all of you together, to the cable of Allah, and do not seperate. And remember Gods Goodness towards you, how that when you were enemies, He united your hearts, and by his favour you became brethern".

In the حجرات it is said [3]:

"Only the faithful are brethern".

Likewise there are many verses on the "Religious Brotherhood [4]". In all the Islamic countries the Hadith that says that the believers are like the teeth of a comb كأسنان المشط, and many were the anecdotes reporting how سلمان the Persian and بلال the Abbassinyan, both being war-slaves, were very generously and kindly treated by the Prophet. "He is nearest to God who of you is most rightous", إن أكرمكم عند الله أتقاكم was a known and professed rule in that Society.

---

(1) آل عمران 3/159.

(2) آل عمران 3-/103.

(3) حجرات 49/9.

(4) التوبة 9/11, الأحزاب 33/5.

THE ISLAMIC CONCEPT OF STATE

BY

Prof. YAHYA EL KHASHAB

Faculty of Arts, Cairo University

When we speak of the Islamic Concept of State we hold the Quran as the principle source of this idea.

The Quran is a code of religion as well as a code of worldy relations. This code was to organize the lives of the people and the relations between themselves as well as the general government in the interior of the State and its relations with foreign governments. When we take the Quran as basis of all this we also refer to the application of its rules and we then mention the " Tradition " or " Sunna " which the Prophet and his successors have set out, and then the rules adopted by Islamic rulers after the " Rashidin ".

The Quran was the governing constitution during the life of the Prophet. Its rules were carefully followed when it was yet a new call to a new faith, and the Arabs used to come to the Prophet himself in all difficulties of application and it was always he who cleared up problems and showed them the right path.

The Quran builds the State on some basic principles :

(I) Al-Shura (General Consultation between moslems) is the basis of government. In the Quran, surat al-Shura, it is said [1]:

> "and those who answer the call of their Lord and are constant at prayers, and whose affairs by consultation among themselves...".

---

[1] 42/38 الشورى

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Cairo University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

Back numbers of this Bulletin are available at 30 P.T. for each Part.

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XVIII—PART I

MAY 1956

Cairo University Press
1958

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XVIII—PART I

MAY 1956

Cairo University Press

1958





المجلد الثامن عشر — الجزء الثانى

ديسمبر سنة ١٩٥٦

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٥٩

تصـــدر هذه المجلة مرتين كل سـنة ، فى مايو وديسـمبر . وتطلب من مكتبة
جامعـة القـاهرة بالجيزة . وتوجه المكاتبات الخاصـة بالنـاحية العلمية
الى المشرف على تحريرها السـيد الأستاذ عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة
وثمن الجزء الواحد من اى مجلد ثلاثون قرشا مصريا

فهرس القسم العربى

نقوش خربة براقش

على ضوء مجموعة محمد توفيق

للدكتور خليل يحيى نامى

المجموعة الثالثة [1]

نقش رقم ٧٦

قطعة من نقش مكونة من ثلاثة سطور وهى مكسورة ومقشورة ، ولا يظهر من السطرين الأول والثالث إلا بقايا بعض الحروف ، ومن الجائز أن يكون هذا النقش هو نقش هاليفى رقم ٥٧٣[2] = RES رقم ٣٠٥٧ .

. . . .

(١) . . . .

(٢) [ب] ى ت هـ س م .

(٣) . . . .

الترجمة

(١) . . . .

---

(١) نشرت المجموعة الثانية من هذه النقوش فى مجلة كلية الآداب المجلد السابع عشر الجزء الأول مايو سنة ١٩٥٥ ص ١ — ٢٢ ، وهى تتضمن النقوش من ٦٠ إلى ٧٥ ، وقد سقطت مقدمة نقش ٦٠ فى الطبع وهى : قطعة من نقش مكونة من ثلاثة سطور ، مرسوم على يمينها رسم الحية واسم الإله (ود) ، وذلك النقش هو نقش هاليفى رقم ٥٣٢ = GL رقم ١٣١٦ = RES رقم ٣٠١٩

(٢) نقش هاليفى رقم ٥٧٣ مكون من سطر واحد فقط ، أنظر JA المجموعة السادسة مجلد ١٩ ص ٢٤٣

(٢) يتهم

(٣) . . . .

التعليقات

(١) ى ت هـ س م = [ب] ى ت هـ س م :

نسخ هاليفى هذه اللفظة كما يلى : ى ث خ س[١] م ، ولكن الظاهر فى صورة محمد توفيق لهذا النقش هو ما سبق أن أثبتناه فى النص ، وقد قرأ المستشرقون هذه الكلمة وفق ما ذكرناه[٢] .

نقش رقم ٧٧

قطعة من نقش مكونة من ثلاثة سطور ، والسطران الأول والثالث منها مكسوران ومقشوطان ، ولا يظهر منهما إلا بقايا عدة حروف ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من مدينة براقش .

. . . .

(١) و أ و س | و ر . . . . د أ ل | و ع م . .

(٢) و ب | ذ م أ د | ب ن | أ ى د و هـ س م | و ى و [م] | .

(٣) . . . أ هـ ل | أ ر . . . . . .

الترجمة

(١) و أ و س . . . . . .

(٢) وبما أضافوه من ملكهم الخاص ، ويوم أن .

(٣) . . . . أهل . . . .

التعليقات

(١) . . . د أ ل | و ع م . . . :

---

(١) أنظر نقش هاليفى رقم ٥٧٣ فى JA المجموعة السادسة مجلد ١٩ ص ٣٤٣

(٢) RES المجلد السادس ص ٢ نقش رقم ٣٠٥٧

من الجائز أن تقرأ هذين العلمين هكذا : و د د إل وعمكرب = و د و د ايل وعمكرب .

(٢) و ى و . = و يوم .

نقش رقم ٧٨

قطعة من نقش مكونة من ثلاثة سطور ، والسطران الأول والثالث منها مكسوران ومقشوطان وهى مبنية مقلوبة فى الحائط تحت النقش السابق ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من مدينة براقش .

. . . .

(١) و و د د أ ل | و ع س ب | و و هـ ب | و ب .

(٢) ى ن | ب أ م ر هـ | و د م | و م ر ض و هـ ى .

(٣) م ل ك س | . . . . ك ب ر | هـ [ج ر ن | ى ث ل .

الترجمة

(١) و و ددئيل (أو ودودئيل) وعسب ووهب . . .

(٢) . . بأمر (الإله) ود وأصدقاء . . .

(٣) ملكه . . . . كبير المدينة يثل

التعليقات

(١) و ع س ب = وعسب :

جاء هذا العلم من قبل فى نقش RES رقم ٢٥٦٦ س ٢٤ ، كما جاء منتهياً بميم التمييم فى نقش RES رقم ٣٩٠٢ رقم ٥١ ، وكذلك فى نقش رقم ٣٦١ من نقوش حيد بن عقيل س ١ [1] .

(٢) و ب . . . :

الباء غير واضحة تماماً فى صورة هذا النقش ، ومن الجائز أن تكون ألفا .

(1) A. Jamme, Piéces Epigraphiques de Heid bin ' Aqil, p. 205.

(٣) ك ب ر | ه . . . = كبر هجرن يثل :

من الجائز أن تقرأ هذه الفقرة كما يلى : كبر هجرن يثل = كبير المدينة يثل . ونجد فى نقش RES رقم ٣٠٢٢ = نقش ٤٦ من هذه المجموعة س ٤ ما يلى : وبعى سميع ذى بلح كبر يثل ، ونجد هذا الكبير أيضاً فى نقش RES رقم ٢٥٣٥ = نقش توفيق رقم ٣٣ س ٦ ، كما جاء فى نقش توفيق رقم ٨٧ ما يلى : م | ك ب ر | ى ث ل ، وجاء أيضاً فى نقش توفيق رقم ٨٣ = Hal رقم ٥٦٧ ما يلى : م | و ب | و د د أ ل | ذ يفعن | كبر وقد جاء اسم ذلك الكبير أيضاً فى نقش RSE رقم ٣٠٤٩ س ٢ = نقش توفيق رقم ٧٣

نقش رقم ٧٩

قطعة صغيرة من نقش مبنية بالعرض فى أعلى الحائط وهى تتكون من سطرين مكسورين ومقشوطين ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى .

. . . .

(١) . . . .
(٢) ط ر | أ ل

التعليقات

(٢) من الجائز أن تقرأ السطر الثانى هكذا : [أ س] ط ر | أ ل [أ ل ت ن] !

نقش رقم ٨٠

قطعة من نقش مبنية مقلوبة تحت النقش السابق ، وتتضمن ثلاثة سطور مكسورة ومقشوطة ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من مدينة براقش .

. . . .

(١) [ع] ث ت ر | ذ ى ه ر ق
(٢) ذ ى ث ل | ع ذ ر [م |
(٣) [ح] ف ن م | ص د ق | م [ل ك |

الترجمة

(١) عثتر ذو يهرق
(٢) كبير (أو من شعب) يثل عذر أو (عاذر) !
(٣) حفن صادق ملك !

التعليقات

(١) ث ت ر = عثتر .
(٢) ا ى ث ل = ذ يثل :
أثر الذال ظاهر فى صورة محمد توفيق لهذا النقش ، وقد ترجمنا : (ذيثل) بكبير يثل أو من شعب يثل .
ع ذ ر . = عذر [م] :
أثر حرف الميم ظاهر فى صورة هذا النقش .
(٣) . ف ن م | ص د ق | م :
لا نعرف هل تقرأ هذه الفقرة كما يلى : حفنم | صدق | ملك معن = حفن صادق ملك معين كما فى نقش RES رقم ٢٨٨٦ س/١ ، أو أن نقرأها كما يلى : حفنم صدق ملكى معين على اعتبار أن الملك حفن صادق مشترك فى الملك مع والده كما فى نقش RES رقم ٣٠٤٩ = توفيق نقش رقم ٧٣ س ٢ ؟ نقش RES رقم ٣٠٥٢= نقش توفيق رقم ٨٩ [١]

نقش رقم ٨١

قطعة صغيرة من نقش مبنية مقلوبة فى جدار الحائط . وهى مكونة من ثلاثة سطور ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من مدينة براقش .

. . . .

(١) و و د م | و ن [ك د ح م |

---

(١) هو مشترك فى النقشين مع والده وتهنيل د ي ا م .

(٢) م ع ذ ر | ب ا
(٣) . | و ق ه أ ل

التريجمة

(١) و (الاله) و د و (الاله) نكرح .
(٢) . . . . .
(٣) . | وقهيل . . . .

التعليقات

(١) و ن . . . = ونكرحم .
(٢) م ع ذ ر | ب ا :

الظاهر فى صورة هذا النقش نصف الحرف الأول من الكلمة الأولى ، ولا نعرف هل هذه الكلمة هى بقية اسم العلم : عم عذر وعلى ذلك نقرأ هذا السطر كما يلى : عم عذر بن ، أم كلمة : معذر اسم فنقرأ هذا السطر كما يلى : ومعذر ببيت أو بجنا وبخاصة وأننا نجد فى نهاية هذا السطر بعد حرف الباء حرفا مكسوراً !

نقش رقم ٨٢

قطعة من نقش مكونة من ثلاثة سطور مكسورة ومقشوطة ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من مدينة براقش .

. . . .

(١) . . . . | ب] ن ى | ل ح ى ع ث ت | أ ه ل | خ ض [ر ن |
(٢) أ ل أ ل ت ن | ى و م | ب ن ى | و ش ل أ | ك س
(٣) ع ث ت | م ع ن | ح ر | و ب ك ل | ش ب و [ت |

الترجمة

(١) . . . . بنو أو أبناء لحى عثت من آل خضران . . .
(٢) الآلهة يوم أن بنى وفذ . . .

(٢) عثت (شعب) معين لكى يسكنوا شبوة ويتملكوا فيها .

التعليقات

(١) . ن ى | ل ح ى ع ث ت = بنى لحى عثت .

أ هـ ل | خ ض . . — أ هـ ل | خ ض [ر ن] = أهل خضران :

جاءت خضران كاسم قبيلة فى نقش هاليفى رقم ٢٢٣ = RES رقم ٢٧٧٧ س ١١ : بن عمكرب ذ خضرن — وهذا النقش من خربة معين .

(٣) ع ث ت :

من الجائز أن تكون هذه الحروف الثلاثة هى بقية العلم الوارد فى السطر الأول من هذا النقش .

ح و ر | و ب ك ل | ش ب و . = ح و ر | و ب ك ل | ش ب و [ت] :

جاءت هذه الصيغة فى نقش Gl رقم ٩٠٤ = CIH رقم ٦٠١ = RES رقم ٢٧٢٦ س ١٣ كما يلى : ل ح و ر | و ب ك ل | ب هـ ج ر ن | ص ر و ح .

نقش رقم ٨٣

قطعة من نقش مكتوبة على إطار حجر كبير ، وهذا النقش هو نقش هاليفى رقم ٥٦٧ ، وقد قال المستشرقون أنه يكمل نقش هاليفى رقم ٥٦٨[١] ، وهو نقش توفيق رقم ٨٩ ، وهو مكتوب أيضاً على إطار حجر كبير ، كما أنه يتكون من سطر واحد كنقش هاليفى رقم ٥٦٧ = توفيق رقم ٨٣ : ولكنى أظن أن هذين النقشين لا يكملان بعضهما البعض كما يتبين من سياق النص ، ومن أشكال حروف الكتابة فى النقشين كما يتضح من صورتى توفيق لهذين النقشين ، إذ أن أشكال حروف نقش هاليفى ٥٦٧ مختلفة عن مثيلاتها فى نقش هاليفى رقم ٥٦٨ من حيث القدم والحداثة وبخاصة حرم الميم وذلك بالرغم من أن هذين النقشين قد كتبا فى عصر واحد كما يتضح من نقش RES رقم ٣٠٤٩ = توفيق نقش رقم ٧٣ ، ولذلك فانى أرى أن نقش هاليفى رقم ٥٦٧ ، ٥٦٨ لا يكونان نقشاً واحداً

(١) نقشا هاليفى رقم ٥٦٧ و ٥٦٨ هما نقش RES رقم ٣٠٥٢

بأى حال من الأحوال ولذلك جعلت كلا منهما نقشاً مستقلا قائماً بذاته ، وكل من النقشين هو عبارة عن قطعة مكسورة من نقش آخر .

. . . .

م | و ب | و د د أ ل | ذ ى ف ع ن | ك ب ر .

الترجمة

م وبحق و ددئيل أو ودودئيل اليفعانى (أو الذى من قبيلة يفعان) كبير . .

التعليقات

من الجائز أن نكمل هذا النقش كما يلى : [و ق ه أ ل | ر ى م | و ب ن س | ح ف ن م | ص د ق | م ل ك ى | م ع ن] م | و ب | و د د أ ل | ذ ى ف ع ن | ك ب ر وذلك كما فى نقش توفيق رقم ٧٣ = RES رقم ٣٠٤٩ .

نقش رقم ٨٤

قطعة من نقش مكونة من سطر واحد ، وهو نقش هاليفى رقم ٥٦٦ = RES رقم ٣٠٥١ .

. . . .

و ب | ع ث ت ر |] ش ر ق ن | و ب | ك ل | أل أل [ت | .

الترجمة

وبالإله عثتر شارقان (أو المشرق) وبحق كل آلهة . . .

نقش رقم ٨٥

قطعة من نقش مكونة من سطر واحد ، وهو مكسور ومقشوط ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

ت | ب أ ه ل | أ ر خ | ه و ف [ع ث ت | .

الترجمة

. . . ث بما خصصه (أو بما أمر به) هو فعثت . . .

التعليقات

ء و ف = هو فعثت .

نقش رقم ٨٦

قطعة من نقش مكونة من ثلاثة سطور قصيرة ، وهو من النقوش التى نسخها محمد توفيق من خربة براقش ولم يصورها ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

(١) ذ ى ه ر ق|ك ل .

(٢) م و ب|م ع ع ن|

(٣) ب [ن] ى|م ع د ك ر [ب|

الترجمة

(١) ذو يهرق . . . .

(٢) . . . .

(٣) أبناء معد يكرب .

التعليقات

(١) ذ ى ه ر ق = [عثتر] ذ يهرق

(٢) ب ى|م ع د ك ر :

من الجائز أن تقرأ هذا السطر كما يلى : ب [ن] ى | م ع د ك ر [ب] = بنو معد يكرب .

نقش رقم ٨٧

قطعة من نقش مكونة من سطرين قصيرين ، وقد نسخ محمد توفيق هذا النقش من

خربة براقش ولم يصوره ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

(١) [م ح] ف د ن | و ى د . . .

(٢) . م | ك ب ر | ى ث ل .

التعليقات

(١) . . ف د ن = [م ح] ف د ن = محفدان .

و ى د . . . :

من الجائز أن تقرأ هذه الكلمة كما يلى : و ص د ق ويكون معناها : وحقق أو أكمل ، كما أنه من الجائز أن تقرأها أيضا كما يلى : و ص ح ف ت ن !

نقش رقم ٨٨

اسم علم مكتوب بحروف كبيرة على قطعة من الحجر ، وهذا النقش هو نقش هاليفى رقم ٥٧٠ = RES رقم ٣٠٥٤

. . . .

خضلن　　　　　خضلان .

نقش رقم ٨٩

قطعة من نقش مكتوبة على إطار حجر كبير كنقش ٨٣ من هذه المجموعة ، وهذا النقش وهو نقش توفيق رقم ٨٩ هو عبارة عن نقش هاليفى رقم ٥٦٨ ، وقد قال المستشرقون إنه يكمل نقش هاليفى رقم ٥٦٧ وإنهما يكونان نقش RES رقم ٣٠٥٢ ، غير أننى فرقت بين النقشين وجعلت كلا منهما نقشا مستقلا قائما بذاته وذلك لأسباب ذكرتها فى مقدمة نقش توفيق رقم ٨٩

. . . .

و ق هـ أ] ل | ر ى م | و ب [ن] س | ح ف [ن م | ص د ق | م ل ك ى | م ع ن .

الترجمة

وقهئيل ريام وابنه حفن صادق ملكا معين .

التعليقات

ل|ر ى م|و ب . س|ح ف . = [و ق هـ أ] ل|ر ى م|و ب [ن] س|ح ف [ن م :

نسخ هاليفى هذا النقس كما يلى : ر ى م|و ب| . . س|ح ف . . . ! ولكن الظاهر فى صورة توفيق لهذا النقش هو ما أثبتناه من قبل ، ومن الجائز أن نكمل هذا النقش هكذا : [و ق هـ أ ن] ل|ر ى م|و ب [ن] س|ح ف [ن م|ص د ق|م ل ك ى|م ع ن] كما فى نقش توفيق رقم ٧٣ = RES رقم ٣٠٤٩ .

نقش رقم ٩٠

قطعة من نقش مكونة من ثلاثة سطور ، وهى عبارة عن نقش هاليفى رقم ٥٦٩ = RES رقم ٣٠٥٢ ، وفى أول النقش مسافة كبيرة مقشوطة لا يظهر فيها أى أثر للكتابة .

. . . .

(١) . . . . . ل أ|أ هـ ل|ج ب [أ ن .

(٢) . . . . . و ك|ب ك ل هـ|ش .

(٣) . . . . و أ ر ض هـ ت ى .

التعليقات

(١) أ هـ ل|ج ب . . = أ هـ ل|ج ب [أ ن] = أهل جبآن :

ورد (أهل جبآن) فى نقش توفيق رقم ٣٤ = RES رقم ٢٩٦٥ س ١ ؟ فى نقش توفيق رقم ٦٣ = RES رقم ٢٩٧٥ أ و ب س ٢ ؟ فى نقش RES رقم ٢٩٢٩ = نقش توفيق رقم ١٤١ س ١ ؟ فى نقش RES رقم ٢٩٥٢ = توفيق رقم ١٤٩ س ١ ؟ فى نقش RES رقم ٢٧٧١ س ٢ = توفيق نقش رقم ١١ .

(٣) و أ ر ب هـ ت ى = و أ ر ض هـ ت ى = وأراضى :

حرف الضاد غير واضح تماما فى صورة توفيق لهذا النقش ، ويكاد أن يكون باءاً كما نسخه هاليفى !

نقش رقم ٩١

قطعة من نقش مكونة من سطر واحد ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

ااا | أ ل أ ل ت | م ع ن | و ى ث ل | م ب [ن ى . . .

الترجمة

. . . آلهة معين ويثل مبانى . . . .

التعليقات

من الجائز أن تكون الثلاثة خطوط الرأسية الموجودة فى أول هذا النقش هى بقايا الفعل س ل أ = قدم .

م ب . . = م ب [ن ى] = مبنى أو : م ب [ن ى س م] = مبانيهم !

نقش رقم ٩٢

قطعة من نقش مكونة من ثلاثة سطور ، وهى عبارة عن نقش هاليفى رقم ٥٧٢ [١] = RES رقم ٣٠٥٦

. . . .

(١) . . | م و د د ث | و .

(٢) ص ل] و ت | ص ح ف ت ن .

(٣) م ح] ر م ت | و س ت [ر ض و

الترجمة

(١) . . أصدقاء ، و .

(١) JA المجموعة السادسة المجلد التاسع عشر ص ٢٤٣

(٢) وثيقة هذا الممر أو الخندق.
(٣) محارم أو هياكل ورضى.

التعليقات

(٢) . . و ث = [ص ل] و ث = وثيقة.
(٣) . ر م ث = [م ح] ر م ث = محارم أو هياكل.
و س ث . . = و س [ث ر ض و] [1] .

نقش رقم ٩٣

نقش مكون من سطر واحد مكسور ومقشوط حتى أن الانسان لا يكاد أن يتبين من صورته إلا بضعة حروف منه ، ولا يوجد هـذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش.

. . . . .

(١) . ش ر ع ث | ا ا . و ف .

التعليقات

من الجائز أن يكون الناقص فى أول هـذا السطر فاصل ، وقد جاءت لفظة : ش ر ع ت م فى نقش نخرى رقم ٨٠ وترجمها الأستاذ ريكمانس بـ : مجرى أقناة [2] ، أو أنه من الجائز أن يكون الناقص فى أول هذا السطر حرف ميم وعلى ذلك تقرأ الكلمة من هذا السطر هكذا : [م] ش ر ع ت : أو [م] ش ر ع ت [ن] ونترجمها بمعنى : قنوات أو القنوات ، وقد جاءت لفظة : م ش ث ر ع ن فى نقش C I H رقم ٣٠٨ = C R C رقم ٧٤ س ٧ .

نقش رقم ٩٤

قطعة من نقش مبنيـة مقلوبة فى الحائط ، وهى مكونة من ثلاثة سطور مكسورة ومقشوطة وهذا النقش هو نقش هاليفى رقم ٥٧١ [3] = RES رقم ٣٠٥٥

---

(١) أنظر المجلد السادس من RES رقم ٣٠٥٦ تعليقة ٣ س ٢
(٢) G. Ryckmans, Epig. Texte. ص ٥٥
(٣) JA المجموعة السادسة المجلد التاسع عشر ص ٢٤٧

(١) . . ع ش و ر ت | ف ر ع | . . . .
(٢) و ق] هـ أ ل | ر ى م | ب ن | أ [ب ى د ع] .
(٣) . . . . . هـ م | ت أ م ن . . . .

الترجمة

(١) العشور أو الضرائب التى جباها أو قدمها .
(٢) وقبيل ريام بن أبى يدع .
(٣) . . . . ادارة

التعليقات

(١) ع ش و ر ت | ف ر ع :

قرأ الأستاذ Ryckmans هـذه الفقرة كما يلى : ع ش و ر ت | (و) ف ر ع ، وقال إنه يعتقد أن لفظة : ف ر ع : اسم لا فعل[1] ولذلك عطفها على لفظة : ع ش و ر ت : بواو غير موجودة فى نسخة هاليفى ، وهـذه الواو التى أضافها الأسـتاذ ريكمانس إلى لفظة (فرع) غير موجودة فى صورة توفيق لهذا النقش ، ولذلك نقول أيضاً إن لفظة (فرع) فعل وأن هذا التركيب الموجود فى هذا السطر يشبه التركيب الشائع الورود فى النقوش وهو : فرع | فرع أى أن لفظـة (عشورت) تقابل الاسم (فرع) والفعل (فرع) هى جملة الصلة ومعنى الفقرة هى : العشور أو الضرائب التى جباها أو قدمها .

(٢) هـ أ ل | ر ى م | ب ن | أ . . = [و ق] هـ أ ل | ر ى م | ب ن | أ [ب ى د ع] ./.[2]

(٣) . . . . . هـ م | ت أ م ن :

نسخ هاليفى الكلمة الأولى من السطر الثالث هكذا : ع ب ض م وقرأها المستشرقون كما يلى : [س ث ب | ك ع ث ت ر | ذ] (ق) ب ض م ، ولكن الظاهر فى صورة توفيق

---

(١) RES رقم ٣٠٥٥ المجلد السادس ص ٢ تعليقة ١

(٢) وذلك كما أكملها المستشرقون من قبل أنظر RES رقم ٣٠٥٥ المجلد السادس ص ٢ تعليقة ٢

لهـذا النقش قبل لفظة (ت أ م ن) هو فاصل لحرف ميم فهاء لحرفان آخران مقشوطان كما أن هاليفى نسخ لفظـة (ت أ م ن) بهـاء نهـائية وقد قرأهـا المستشرقون هكـذا : ت أ م ن ه [م] [1] .

نقش رقم ٩٥

قطعة من نقش مبنية مقلوبة فى الحائط ، وهى مكونة من سطرين ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها عن خربة براقش .

. . . .

(١) . . . ى | ص ح ف ت ن ى | و م ح ف د | و ى [و م] .

(٢) [م ع ن] | م ص ر ن | و س ل م | و و ف ى | س م | و . .

الترجمة

(١) . . . . عمران وبرح ويوم أن .

(٢) معين مصران وسِلم أو وسلام وأمان لهم و . .

التعليقات

(١) السطر الأول مقشوط من أوله ونهايته وينقص من بدايته ما يقرب من خمسة حروف كلها مقشوطة ولا يظهر فى صورة هذا النقش أى أثر من هذه الحروف . ومن الجائز أن تكون الياء الظاهرة فى أول هذا السطر هى بقية التركيب التالى : [ى و م | س ل أ | و ب ن] ى !

و ى . . . = و ى [و م] = ويوم أن .

(٢) . . . | م ص ر ن = [معن] | مصرن | = معين مصران .

نقش رقم ٩٦

قطعة من نقش مبنية مقلوبة فى أعلى الحائط ، وهى مكونة من ثلاثة سطور ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

---

(١) JA المجموعة السادسة المجلد ١٩ ص ٢٤٣ ، RES رقم ٢٠٥٥ تعليقة ٣

(١) [ب] ن ى | و سْ ل أ | و س ق ن ى | ع ث ت ر | ذ ق ب ض [م |] .
(٢) [ب] ل ق | ب ن | أ ش ر س م | ع د | ش ق ر ن | ق د | و .
(٣) و ب | م ع ن م | . . | ح ض ر م ت | ى و م | س ث [ب] .

التزجمة

(١) بنى ونذر وقدّم لعثتر ذى قبض . . .
(٢) حجراً من البلق من أساسها حتى القمة ، مقدم البناء و . .
(٣) وبشعب معين . . حضرموت يوم أن ألزم . . .

التعليقات

(١) . ن ى | و سْ ل أ = [ب] ن ى | و سْ ل أ = بنى وسلأ = بنى ونذر
ذ ق ب ض . = ذ ق ب ض [م]
(٢) . ل ق = [ب] ل ق = حجر البلق .
ق د م | و . . = ق د م | و [م ع ذ ر] :
من الجائز أن نكمل واو العطف التى بعد كلمة : قدم بكلمة : معذر : ولا نعرف هل هذه التكملة مكانها فى هذا السطر أم فى الناقص من السطر الثالث ولذلك لم تثبتها فى النص .
(٣) و ب | م ع ن م | . . | ح ض رموت :
يوجد بين كلمة (معنم) و (حضرموت) خدش يتسع لحرفين فمن الجائز أن يكون هذا الحرفان هما : و ب ، أى أن يكون أول السطر الثالث كما يلى : و ب | معنم | [و ب] احضرموت !
ى و م | س ث = ى و م | س ث [ب] = يوم أن ألزم .

نقش رقم ٩٧

قطعة من نقش مكسورة ومقشوطة ، وهى مكونة من سطر واحد كتب بحروف كبيرة ،

وهذا النقش هو عبارة عن نقش هاليفى رقم ٤٨٩ = RES رقم ٢٩٨٤ [١]

. . . .

|ذ ى| فأمن

التزجمة

اللذان من فأمان

التعليقات

نسخ هاليفى هذا النقش كما يلى : . . ت |ذ ى| فأمن . . . ، ولكن الظاهر فى نسخة توفيق هو ما سبق أن أثبتناه فى النص .

نقش رقم ٩٨

قطعة من نقش مكونة من سطر واحد كتب بحروف كبيرة ، ومرسوم على يمين الكتابة شعار ضلفة الباب ، ومونوجرام الاله عثتر ، وهذا النقش هو نقش هاليفى رقم ٥٧٦ = RES رقم ٣٠٥٩ ولم ينسخ هاليفى من مونوجرام عثتر سوى حرف الثاء فقط ، كما أنه لم ينسخ شعار ضلفة الباب [٢] .

. . . .

شعار ضلفة الباب (ع ث ت ر) رضى و أ ل| و ب ن س| أ ر ى ش ت

الترجمة

شعار ضلفة الباب ع ث ت ر رضوئيل وابنه أريشة

نقش رقم ٩٩

قطعة من نقش مكونة من ثلاثة سطور كتبت بحروف كبيرة ، والسطر الثالث من هذا النقش مكسور ولا يظهر منه إلا رؤوس بعض الحروف ، ويوجد على يمين النقش بقايا شعار ضلفة الباب ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

---

(١) JA المجموعة السادسة مجلد ١٩ ص ٣٢٧ ، RES رقم ٢٩٨٤ المجلد الخامس ص ٢٨٢

(٢) JA المجموعة السادسة مجلد ١٩ ص ٢٤٤ نقش رقم ٥٧٦

(١) [ه] و ف ع ث ت | و و ه ب

(٢) ب ع ث ت ر | ذ ق ب ض م |

(٣) . . . . . ه و ش ع [ت |

التزجمة

(١) هو فعثت ووهب

(٢) بحق الاله عثتر ذى قبض .

(٣) . . . . . أنعمت على . .

التعليقات

(١) و ف ع ث ت = [ه] و ف ع ث ت = هو فعثت :

يظهر فى صورة توفيق لهذا النقش بقية ذيل الهاء .

(٢) ه و ش ع . = هو شعت :

الظاهر فى صورة هذا النقش جزء من حرف التاء .

نقش رقم ١٠٠

قطعة من نقش مكونة من سطر واحد ، وهى مكتوبة بحروف كبيرة ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

و ب ن] س | أ ر ى ش ت | ذ [ى |] .

الترجمة

وابنه أريشة من قبيلة أو اللذان من قبيلة

التعليقات

. س | أ ر ى ش ت | ذ . = [ر ض و أ ل | و ب ن] س | أ ر ى ش ت | ذ [ى |] :

وذلك كما جاء فى نقش توفيق رقم ٩٨ = نقش هاليفى رقم ٥٧٦ ، ونجد فى نقش

هاليفى رقم ٤٨٦ شعار ضلفة الباب لحرف ثاء فاسم : ر ض و أ ل ، وحرف الثاء هى كتابة ناقصة لمونوجرام (عثتر) كما فى نقش هاليفى رقم ٥٧٦ ومن الجائز أن نقول إن نقش هاليفى رقم ٤٨٦ يكمل نقش توفيق رقم ١٠٠ ، وعلى ذلك نقرأ نقش هاليفى رقم ٤٨٦ ونقش توفيق رقم ١٠٠ كما يلى :

شعار ضلفة البـاب — مونوجرام (الاله عثتر) رضوئيل وابنه أريشة اللذان من قبيلة . . . . ، ويشبه هذا النقش نقش توفيق رقم ٩٨ = Hal رقم ٥٧٦

نقش رقم ١٠١

قطعة صغيرة من نقش مبنية فى جدار الحائط ، وهى مكونة من سطر واحد ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

ذ ى | فأمن

الترجمة

اللذان من قبيلة فأمان .

التعليقات

يشبه هذا النقش نقش توفيق رقم ٩٧ = هاليفى رقم ٤٨٩ ، غير أن نقش توفيق رقم ١٠١ مكتوب بحروف صغيرة بينما نقش هاليفى رقم ٤٨٩ مكتوب بحروف كبيرة .

نقش رقم ١٠٢

قطعة صغيرة من نقش مكونة من سطرين مكسورين ومقشوطين ، وهى مبنية مقلوبة فى جدار الحائط ، وهذا النقش غير موجود فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

(١) . . ز ى .

(٢) ع ث ت ر .

الترجمة

(١) . . . زى .
(٢) عثتر .

نقش رقم ١٠٣

قطعة من نقش مكتوبة على حجر كبير ، ومكونة من ثلاثة سطور ، ومرسوم على يمين الكتابة شعار ضلفة الباب ، وهذا النقش هو نقش أحمد فخرى رقم ١٢٦ [١] ، كما أن السطرين الأولين من نقش توفيق يشبهان نقش هاليفى رقم ٤٩١ [٢] = RES رقم ٢٩٨٦ .

. . . .

(١) و هـ ب أ ل | و ب هـ ن س و . . .
(٢) س̽ ل [أ] | ع ث ت ر | ذ ق ب [ض | . . .
(٣) د | ش ق ر ن | ب ك ب و د ث . . .

الترجمة

(١) وهبئيل وأبناؤه . . .
(٢) قدموا لعثتر ذى قبض . . .
(٣) القمة (أو إلى أعلى) من الضرائب . . .

التعليقات

(١) س̽ ١١١ = س̽ [ل أ] = قدّم .
(٢) ع ث ت ر | ذ ق ب . = عثتر | ذ قبض .
٢ — ٣ : د ا ش ق ر ن = [ع] د | ش ق ر ن = حتى القمة أو إلى أعلى .

---

(١) G. Ryckmans, Epig. Texts, p. 77. ، أحمد فخرى An. Archaeologiacal Journey to Yemen المجلد الأول شكل ٩٨ ص ١٤٢
(٢) JA المجموعة السادسة مجلد ١٩ ص ٢٢٨

نقش رقم ١٠٤

قطعة صغيرة من نقش مبينة مقلوبة فى جدار الحائط ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

(١) هـ ن أ | و .

(٢) ع ث ت ر .

الترجمة

(١) هانئُ و .

(٢) عثتر .

نقش رقم ١٠٥

قطعة صغيرة من نقش ، وهى مكونة من سطرين ، ومرسوم على يمين الكتابة شعار الحربة ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

(١) ر ق | م ح ف د .

(٢) و ع ث ت ر ا ذ .

الترجمة

(١) . . محفدأوبرج .

(٢) وعثتر ذ .

التعليقات

(١) ر ق = [ع ث ت ر | ذ ى هـ] ر ق = عثتر ذويهرق ، ومكان التكملة التى أضفناها هو فى سطر آخر مكسور لأن رسم شعار الحربة موجود على يمين حرف الراء والقاف .

(٢) و ع ث ت ر | ذ = وعثتر ذ قبض أو عثتر ذ يهرق !

نقش رقم ١٠٦

قطعة صغيرة من نقش مبنية مقلوبة بجوار النقش السابق ، ويوجد على رسم الكتابة مونوجرام (عثتر) ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش ،

. . . .

| و ى ث ل .

الترجمة

| ويثل .

نقش رقم ١٠٧

قطعة من نقش مكونة من خمسة سطور وهى مقشوطة ومكسورة ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

(١) . . . . | [م] ع ن [م | و ذ ى ث ل] .

(٢) . . . . م | ب ن | س . . . . . .

(٣) . . | ع] ث ت ر | ذ . . . . .

(٤) م ع] ن م | و ذ ى [ث ل | م] .

(٥) . . . . ذ س .

التعليقات

(١) . . . . | . ع ن = [م] ع ن [م | و ذ ى ث ل] = معين وذويثل .

(٢) ب ن | س . . = بن | [أ شر س | عد | شقرن] = من أساسه حتى القمة أو إلى أعلى .

(٣) . . ث ت ر | ذ = [ع] ث ت ر | ذ [ق ب ض م] أ و ذ [ى هـ ر ق] ا

(٤) . . ن م | و ذ ى . . = [م ع] ن م | و ذ ى [ث ل |] .

نقش رقم ١٠٨

قطعة من نقش مكونة من خمسة سطور وهى مقشوطة ومكسورة ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

(١) |و س ط ر س [م|] .

(٢) [أ] ش ر س|ع د|ش [ق ر ن|] .

(٣) [ذ] ق ب ض م|ب ع ث [ت ر|] .

(٤) [ى] ث ل|و ق د م|[ج ن أ|] .

(٥) : .|و أ أ ش [ر|] .

الترجمة

(١) وثبقتهم !

(٢) . . . من أساسة حتى القمة أو إلى أعلى .

(٣) ذو قبض بحق عثتر .

(٤) يثل ومقدم سور .

(٥) وآشور .

التعليقات

(١) |و س ط ر س . = وسطر سم ! :

خط السطر الأول غير واضح تماماً فى الصورة ، ولا نعرف هل الناقص بعد سين (وسطرس) هو فاصل أم هو حرف ميم !

(٢) . ش ر س|ع د|ش = [ب ن|أ] ش ر س|ع د|ش [ق ر ن |] .

(٣) ق ب ض م | ب ع ث = [ع ث ت ر | ذ] ق ب ض م | ب ع ث [ت ر|] .

(٤) : . ث ل = [ى] ث ل أو [ب ى] ث ل = بيثل و ق د م | . :

الظاهر . الفاصل فى صورة توفيق لهذا النقش هو جزء من خط رأسى قد يكون جيبا ، ولذلك نقر .ء الفقرة هكذا : وقدم | [ج ن أ |] = ومقدم سور .

(٥) أش = و أ أ ش [ر |] = وآشور :

جاءت آشور) فى نقش Gl رقم ١٠٨٣ = نقش توفيق رقم ١١ س ٣ — ٤ : يوم | رنـكـ مصر | وغزت | و أ أ ش ر وهو نقش من معين ، كما جاءت أيضاً فى نقش Gl رقم ٥٥ = نقش توفيق رقم ٤٦ س ر ١ : ورنكل | بعمهسن | مصر | و أ أ ش ر | وعبر | نهرن ' ، وهو نقش من خربة براقش .

نقش رقم ١٠٩

قطعة . نقش مكونة من سطرين وهى مقشوطة ومكسورة . ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هـ ى التى نسخها من خربة براقش :

. . . .

(١) | ا ب ن | أ ب ى د ع | ر ى [م | م ل ك | م ع ن] .

(٢) س | ب ى ث ل | و ب ذ [| م أ د | ب ن | ى د ه س .

الترجمة

(١) ابن أبى يدع ريام ملك معين .

(٢) . بيثل وبما أضيف أو زاد من ملكه الخاص .

التعليقات

(١) حرف الأول من السطر الأول غير ظاهر تماماً فى صورة هذا النقش ، وقد جاء ا . يدع ريام ملك معين فى نقش هاليفى رقم ٢٢١ = RES رقم ٢٨٠١ س ١ وهو نقش خربة معين .

وجاء . خالكرب صادق بن أبى يدع ملك معين فى نقش هاليفى رقم ٢٥٧ = RES رقم ٢٨٣١ : نقش توفيق رقم ١٣ س ١ ، وهو من خربة معين أيضاً .

---

(١) أ . نقوش خربة براقش (المجموعة الأولى) مجلة كلية الآداب — المجلد السادس عشر — الجزء الأول . ١٤

ولذلك من الجائز أن المكتوب فى السطر الأول من هذا النقش هو كما يلى : [خ ل ك ر ب | ص د ق] | ب ن | أ ب ى د ع | ر ى [م | م ل ك | م ع ن] .

(٢) و ب ذ = و ب ذ [| م أ د | ب ن | ى د ه س] .

نقش رقم ١١٠

قطعة صغيرة من نقش مبنية مقلوبة تحت النقش السابق ، وهى مكونة من سطرين ، وهذا النقش غير موجود فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

(١) ق | و ع ث ت ر | ذ [ق ب ض م] .

(٢) ع ث ت ر | ش ر ق ن .

الترجمة

(١) . وعثتر ذو قبض .

(٢) عثتر شارقان .

التعليقات

(١) ق = [ع ث ت ر | ذ ى ه ر] ق = عثتر ذويهرق .

و ع ث ت ر | ذ = وعثتر ذ قبض = وعثتر ذو قبض .

(٢) ع ث ت ر | ش ر ق . = عثتر شرقن = عثتر شارقان ومعناه الإله عثتر المشرق أو المضىء أو المنير .

نقش رقم ١١١

قطعة صغيرة من نقش مكونة من سطر واحد خطه ردىء وغير واضح فى صورة محمد توفيق لهذا النقش الذى لا يوجد فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش ، وهذه القطعة مبنية على يسار نقش غير ظاهر ولا يبدو من حروفه إلا حرف ثاء فى نهايته .

. . . .

. ه ج ر | و ك ل .

هـ ج ر :

الظاهر فى صورة هذا النقش بقية حرف باء أو ألف ولذلك نقرأها : بهجر أو أهجر وقد جاءت هجر اسم مكان فى نقش GL رقم ٢٨٣ = Hal رقم ٢٢٨ = RES رقم ٢٨١٤ س ٨ ، وهو نقش معينى من خربة معين[1] ، وجاءت ذهجرم فى نقش سبأى هو نقش RES رقم ٤٢٩٠ س ٩ ، كما جاءت فى نقش نامى رقم ٧ س ٢ [2] وهو نقش سبأى من مأرب ، وفى نقش نامى رقم ٨ س ٦ ، وهو نقش سبأى من مأرب أيضاً [3] ، كما جاءت أيضاً فى نقش ريكمانس رقم ٥٣٨ س ٥ [4] ، والنقوش الثلاثة الأخيرة هى من النقوش التى كشفت عنها الحفريات التى قامت بها بعثة الدكتور Wendell Philips ، وهى مقامة فى فناء محرم بلقيس .

أما (أهجر) فقد جاء فى منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم لنظيم الدين أحمد ص ١٠٨ ما يلى : الأهجر موضع باليمن كانت ملوك حمير تسكنه ، وجاء فى صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ٧٢ : ثم يتلوه وادى سردد ورأسه أهجر شبام أقيان ، كما جاءت (الأهجر) وهى قرية فى بلد عنس فى صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ٩٢

نقش رقم ١١٢

قطعة صغيرة من نقش مبنية مقلوبة بجوار النقش السابق ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

|أل أل ت| ق ر ن [و] .

---

(١) RES المجلد الخامس ص ١٠٨ نقش رقم ٢٨١٤

(٢) نامى : نقوش عربية جنوبية (المجموعة الثانية) مجلة كلية الآداب ؛ الجزء الثانى من المجلد السادس عشر ص ٣٠

(٣) نقوش عربية جنوبية (المجموعة الثانية) مجلة كلية الآداب — الجزء الثانى من المجلد السادس عشر ص ٣٣

(٤) G. Ryckmans, Inscrpitions Sud-Arabes, Quatorzieme série, p. 272.

الترجمة

آلهة قرناو .

التعليقات

ق ر ن ، = ق ر ن [و] = قرناو .

نقش رقم ١١٣

قطعة صغيرة من نقش ، وهى مكونة من سطرين ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

(١) [ع ث ت] ر | ذ ى ﻫ [ر ق] .

(٢) [| و ع ث ر | ى [ﻫ ر ق] .

الترجمة

(١) عثتر ذويهرق .

(٢) وعثر يهرق .

التعليقات

(١) . . . ر | ذ ى ﻫ . . = [ع ث ت] ر | ذ ى ﻫ [ر ق] .

(٢) و ع ث ر | ى . . = وعثر يهرق :

أكملنا هذا السطر وفقاً لما جاء فى نقش توفيق رقم ٦٣ = Hal رقم ٤٧٨ س ٣ [١] ، ولما جاء فى نقش توفيق رقم ٧٥ = Hal رقم ٥٧٧ س ٣ — ٤ [٢] .

---

(١) نقوش خربة براقش (المجموعة الثانية) مجلة كلية الآداب ، الجزء الأول المجلد السابع عشر ، نقش توفيق رقم ٦٣ تعليقة ٣ ص ٩

(٢) نقش توفيق رقم ٧٥ فى نفس المرجع السابق ص ٢٢

نقش رقم ١١٤

قطعة صغيرة من نقش مبنية أسفل النقش السابق ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

. . م ن | ب ن ى | .

التعليقات

الحرفان الذان يسبقان حرف الميم والنون غير واضحين تماما فى صورة هذا النقش ، ويبدو الحرف الأول كأنه حرف لام أو غين ، كما يظهر الحرف الثانى كأنه حرف واو أو ثاء ؛ ولا يستطيع الانسان أن يعرف هل لفظة (بنى) فعل ماض بمعنى بنى أم هى جمع (بن = ابن) أى بنو !

نقش رقم ١١٥

قطعة صغيرة من نقش ، وهى مكونة من سطرين هما عبارة عن نقش Hal رقم ٤٩٤ = ERS رقم ٢٩٨٩ [١] .

. . . .

(١) ل | ب ن ذ .

(٢) ن س | و ق [هـ أ ل | ن ب ط] .

التعليقات

(١) ل | ب ن ذ :

أكمل المستشرقون هذا السطر كما يلى : [ورثد | . . . | ألآات | معن | و يث] ل | بن ذ [يسنكرسم] [٢] .

(٢) ن س | و ق :

أكمل المستشرقون هذا السطر كما يلى : [ب] ن س | و ق [هـ أ ل | ن ب ط] [٣] .

(١) RES المجلد الخامس ص ٢٨٣

(٢) RES المجلد الخامس نقش ٢٩٨٩ تعليقة ١ ص ٢٨٣

(٣) RES المجلد الخامس نقش ٢٩٨٩ تعليقة ٢ ص ٢٨٣

نقش رقم ١١٦

قطعة صغيرة من نقش وهى مقشوطة ومكسورة ، ومكونة من سطرين ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

(١) و ذ | ى ث [ل | .

(٢) ش ر | و و .

التعليقات

(١) و ذ | ى ث . = و ذ | ى ث [ل] .

(٢) ش ر :

من الجائز أن نكمل أول هذا السطر هكذا : [أ ل ى ف ع | ى] ش ر = إليفع يشر ، وقد جاء اسم اليفع يشر ملك معين فى نقش RES رقم ٣٣٥٥ ب.س ١ وهو من مدينة العلا ، كما جاء فى نقش RES ٣٣٤١ س ٤ وهو من مدينة العلا أيضاً وجاء اسمه أيضاً فى نقش RES رقم ٢٨١٣ س ١ وهو من خربة معين ، وفى نقش RES رقم ٢٨٦٩ س ٨ — ٩ وهو من خربة السوداء بالجوف . كما جاء فى نقش RES رقم ٢٨٩٩ اسم وقهئيل يثع وابنه إليفع يشر ملك معين .

نقش رقم ١١٧

قطعة من نقش وهى مقشوطة ومكسورة ، ويوجد على يمين النقش بضعة حروف مكسورة وعلى يسارها فاصل فرسم شعار الصاعقة فمونوجرام الإله عثتر ، ويوجد بعد ذلك المونوجرام رسم مونوجرام آخر غير واضح فى صورة هذا النقش .

نقش رقم ١١٨

قطعة صغيرة من نقش مبنية أسفل النقش السابع ، وهى مكونة من سطرين مقشوطين ومكسورين ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

(١) ر م | ب ن | .

(٢) ت ن | ب ن | م .

نقش رقم ١١٩

قطعة من نقش مقشوطة ومكسورة وهى عبارة عن نقش هاليفى رقم ٤٩٥ [١] = RES رقم ٢٩٩٠

. . .

(١) أ ن ف | م و س م م | و ع [ض م] .

(٢) ر | ع ث ت ر | ذ ق ب ض .

الترجمة

(١) مقدم بناء مزين أو مزخرف ، ومن خشب .

(٢) عثتر ذو قبض .

التعليقات

(١) موسم | و ع . . = موسم وعضم :

وذلك كما أكمل المستشرقون هذه الفقرة من قبل [٢] .

نقش رقم ١٢٠

وهو عبارة عن خربشة Graffiti مبنية مقلوبة فى جدار الحائط ، وهى مقشوطة ومكسورة ، ولم أستطع أن أقرأ منها إلا ثلاثة حروف فقط هى :

أ ص ك . . . ا

نقش رقم ١٢١

قطعة من نقش مبنية مقلوبة تحت الخربشة السابقة ، وهى عبارة عن نقش هاليفى رقم ٤٩٧ = RES رقم ٢٩٩٢ .

. . . .

(١) | و ز ى د | .

(٢) [و] ب ن ى | و ف .

(١) JA المجموعة السادسة المجلد ١٩ ص ٢٢٨

(٢) RES المجلد الخامس ص ٢٨٤ رقم ٢٩٩٠

التعليقات

( ) الظاهر فى أول السطر الثانى جزء من حرف واو ولذلك نقرأ أول هذا السطر هكذا و] بنى ، وقد نسخ هاليفى الواو فى نسخته [1] .

نقش رقم ١٢٢

قطعة من نقش مكونة من سطرين ، والسطر الأول مقشوط ومكسور ، ولا يظهر منه فى صور توفيق لهذا النقش إلا بضعة حروف ، وهذا النقش هو نقش هاليفى رقم ٤٩٨ [2] = RES رقم ٢٩٩٣

. . . .

( ) . . ان ا ا و ع | ا ا ا | و .

( ) | و ز أ | ب ن | ى د ه س . . .

الترجمة

( ) . . . .

( ) بما أضيف مما فى يده ، أو بما أضافه من ملكه الخاص .

التعليقات

( ) و ز أ | بن | يدهس :

نسخ هاليفى هذا النص كما يلى : و ث أ | ب ن | ى د ه س [3] ، وقرأه المستشرق ريكمانس كما يلى : (م) أ (د) بين يدهس [4] ، والظاهر فى صورة توفيق لهذا النقش هو ما أثبتناه من قبل ، ومعنى لفظة (و ز أ) فى هذا النص هو نفس معنى (مأد) التي ترد كثيراً فى النقوش ، وقد جاءت كلمة (و ز أ) فى النقوش السبأية في هذا المعنى

---

(١) JA المجموعة السادسة مجلد ١٩ ص ٢٢٩ هاليفى رقم ٤٩٧

(٢) JA المجموعة السادسة مجلد ١٩ ص ٢٢٩ هاليفى رقم ٤٩٨ وهو مكون من سطر واحد هو عبارة عن السطر الثانى من نقش توفيق .

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) انظر RES نقش رقم ٢٩٩٣

كما فى نقش CIH رقم ٥٤١ س ١٠٣ — ١٠٤ : كنوز أو = كما أضافوا . كما تابعوا . كما ألحقوا أو كما استمروا أو كما ضموا .

نقش رقم ١٢٣

قطعة من نقش مبنية بجوار النقش السابق ، وهى مكونة من سطرين هما عبارة عن نقش هاليفى رقم ٤٩٩ [١] = RES رقم ٢٩٩٤ .

. . . .

(١) و ق هـ أ ل] | ص د ق | م ل ك | م ع [ن] .

(٢) . . . . . س | و ف ر ع | أ ر [ض .

التزجمة

(١) وقهئيل] صادق ملك معين .

(٢) . . . . . وضرائب أو عشور أرض .

التعليقات .

(١) . . | ص د ق | ملك | م ع . = [وقهئيل] صدق ملك معن :

يظهر فى صورة توفيق لهذا النقش جزء من لام العلم وقهئيل ، وقد جاء اسم هذا الملك فى نقش هاليفى رقم ٢٥٥ س ١ وهو ابن الملك اليفع وقه ملك معين [٢] .

(٢) وفرع | أ ر . = وفرع | أر [ض] :

الظاهر فى صورة هذا النقش النصف الأعلى من حرف الضاد ، وقد نسخ هاليفى هذا النص كما يلى : وفرع | س ر ، وقرأه المستشرق ريكمانس كما أثبتناه فى النص [٣] .

---

(١) JA المجموعة السادسة المجلد ١٩ ص ٢٢٩ رقم ٤٩٩

(٢) J. Ryckmans, L'institution Monarchique ص ١٨ تعليقة ٤ وأنظر W. F. Albright Chronology فى BASOR عدد ١٢٩ ص ٣٢

(٣) RES المجلد الخامس نقش رقم ٢٩٩٤ ص ٢٨٥

نقش رقم ١٢٤

قطعة من نقش مبنية بجوار النقش السابق وهى مكونة من سطرين هما نقش هاليفى رقم ٥٠٠[١] = RES رقم ٢٩٩٥ .

. . . .

(١) و ع ب د | و ب ه .

(٢) م ل ك ى | م ع ن .

الترجمة

(١) وعبد . . . .

(٢) ملكا معين .

التعليقات

(١) و ع ب د = وعبد :

هو اسم علم وقد جاء من قبل فى النقوش العربية الجنوبية [٢] .

و ب ه . : :

من الجائز أن تقرأ هذه الكلمة هكذا : و ب ه [ن ى س م] أو : و ب ه [ن س م] !

نقش رقم ١٢٥

قطعة من نقش مكونة من سطرين ، وهى مبنية مقلوبة فى جدار الحائط ، وهذا النقش هو نقش هاليفى رقم ٥٠١ = RES رقم ٢٩٩٦

. . . .

(١) . ر ش | و ه ن أ | .

(٢) و] ق ه أ ل | ن ب ط :

---

(١) JA المجموعة السادسة المجلد ١٩ ص ٢٢٩ نقش رقم ٥٠٠

(٢) Ryck. NPS ج ١ ص ١٥٥ ؛ نقش هاليفى رقم ١٩٠ ص ٤

الترجمة

(١) . . وهانىء .

(٢) وتمثيل نبط .

التعليقات

(٢) . ق ه أ ل | ن ب ط = [و] ق ه أ ل | ن ب ط :

جاء اسم وتمثيل نبط ملك معين فى نقش JSA رقم ٣١ = RC رقم ٧٧ = RES رقم ٣٧٠٧ س ٢

نقش رقم ١٢٦

قطعة من نقش مبنية فى جدار الحائط ، وهى مكونة من سطر واحد ، ولا يوجد هذا النقش فى مجموعة هاليفى التى نسخها من خربة براقش .

. . . .

أ ب | و ب ن س .

الترجمة

. . أب وابنه .

نقش رقم ١٢٧

نقش مكون من أربعة سطور ، على يمينها رسم شعار ضلفة الباب ، وهذا النقش هو نقش هاليفى رقم ٥٠٤ [1] = GL رقم ١٠٨٧ = RES رقم ٢٩٩٩ [2] = CRC رقم ٧٦

. . . .

(١) يشرحال | بن | ألذأ | ويهنس | بحرمال | وحرم | ومعدكرب | وذرأكرب | وألذأ | بن | بحرمال | ويشرحال | وشرحال | و ش ر ح ود | بهنى | بحرمال | وحرم | وهنأ | .

(١) JA المجموعة السادسة المجلد ١٩ ص ٢٣٠

(٢) تتكون نسخة جلازر من ثلاثة سطور كما يتبين من RES رقم ٢٩٩٩

(٢) بن | معدكرب | وذرأكرب | أهل | ضمرن | أدم | ودم | شهرن | سلأ | عثتر ذقبض | وودم | ونكرح | وعثتر | ذيهرق | كل | مبنى | وتصور | صحفتن | نعرم | بجنأ | يثل | ورثد | .

(٣) أهل | ضمرن | ألألت | معن | ويثل | أأذنم | وأننسمم | وأقنيسم | وسلأسم | وأسطرسم | بن | ذيسنكرسم | وسفأيسم | بيوم | مرأسم | وقهثل | يثع | وبنسه | أليفع | يشر |

(٤) ملكى معن | وب | مرأس | شهر | يجل | يهرجب | ملك | قتبن .

الترجمة

(١) يشرحئيل بن الذأ وأبناؤه يحرمئيل وحريم ومعديكرب وذرأكرب وألذأ بن يحرمئيل ، ويشرحئيل وشرحئيل وشرح ود أبناء يحرمئيل ، وحريم وهانىء .

(٢) ابن معديكرب ، وذرأكرب من آل ضمران ، عبيد ودشهران قدموا (أو وقفوا أو نذروا) لعثتر ذى قبض وود ونكرح وعثتر ذى يهرق كل مبنى وزخرفة المرنعرم فى سور المدينة يثل ووضع .

(٣) آل ضمران حواسهم وأنفسهم وممتلكاتهم وتقدمتهم أو وقفهم ووثائقهم فى حمى آلهة معين ويثل ضد كل من يغيرها أو يخربها فى أيام سيديهم وقهثل يثع وابنه إليفع يشر .

(٤) ملكى معين وبحق سيده شهر يجول يهرجب ملك قتبان .

التعليقات

(١) ألذأ :

نسخ هاليفى هذا العلم كما يلى : أى ذأ ، وقرأه بعض المستشرقين هكذا : أ ج ب أ ى[١] ولكن الظاهر فى صورة هذا النقش هو أثبتناه من قبل

(٣) بيوم : فى وقت . فى عهد . فى أيام :

نسخ هاليفى هذه اللفظة كما يلى : بيوم ، وقرأها المستشرقون : بيومه كما هى واردة فى نسخة جلازر [٢] ، ولكن حرف الهاء لا تظهر فى صورة محمد توفيق لهذا النقش .

---

(١) CRC نقش رقم ٧٦ ص ٨٣

(٢) RES رقم ٢٩٩٩ ص ٢٨٦

(٤) ملكى معين :

نسخ هاليفى هذه الفقرة كما يلى : ملك معين ، وكذلك فى نسخة جلازر [١] ، ولكن ياء المثنى واضحة جلية فى صورة توفيق لهذا النقش ، ووجود ياء المثنى فى كلمة : ملكى تد أزال كثيراً من اللبس ، وأول السطر الرابع مكتوب تحت كلمة (يثل) الموجودة فى السطر الثالث من هذا النقش .

و ب مرأس شهرجل يهرجب ملك قتبن :

مما لا شك فيه أن الضمير فى مرأس لا يعود إلى الاسمين السابقين عليه وهما : وقهئيل يثع وابنه إليفع يشر ملكا معين ، ولذلك فانى اعتقد أن الضمير يعود على صاحب النقش وهو : (يشرحئيل ، وهو وإن كان بعيداً إلا أنه قريب أو حاضر فى ذهن الكاتب لأنه صاحب النقش ، ومن الجائز أن تقول إن أهل ضمران كانوا من القتبانيين الذين كانوا يعيشون فى مدينة يثل ولذلك أرخوا وثيقتهم باسمى ملكى البلدة التى يعيشون فيها ويتكسبون منها ، كما ختموا وثيقتهم باسم ملكهم الذين يدينون لهم بالولاء .

---

(١) RES رقم ٢٩٩٩ ص ٢٨٦ تعليقة ٣

نقل البترول خلال قناة السويس

نظرة فى ثنايا المستقبل

بقلم الدكتور ابراهيم صقر
كلية الآداب — جامعة القاهرة

الصورة العامة

مقدمة : أهمية البترول المتزايدة :

قبل بداية هذا القرن ، لم يكن للبترول أهمية كبيرة فى حياة الشعوب ، إذ لم يكن يستخدم على نطاق واسع وكان استخدامه بصورة رئيسية فى الانارة والطهى والتدفئة وفى تحضير بعض المواد الكيميائية .

ولكن منذ بداية القرن الحالى ، بدأ البترول يتغلغل فى الحياة الاقتصادية كمصدر للطاقة ثم كمصدر لكثير من المواد الأولية فى صناعات كثيرة .

فقد أدى اختراع الآلة ذات الاحتراق الداخلى Internal Combustion

وانتشار استعمالها بسبب تفوقها على الآلة البخارية ، هذا فضلا عن امتياز البترول على الفحم كمصدر للطاقة وبروز ذلك التفوق على الأخص فى وسائل النقل ذات الأهمية البالغة والمتزايدة فى النشاط الاقتصادى وحياة الانسان على وجه العموم كل ذلك أدى إلى التزايد السريع فى درجة أهمية البترول على العموم وأهميته كمصدر للطاقة على وجه الخصوص [1] .

---

(1) Pratt, Wallace E., and Good, Dorothy (editors): *Goegraphy of Petroleum*, Part 4, Chapter 31, "World Patterns of Civilian Utilization", by John W. Frey, 354-74.

It is said there; "An extensive pattern of petroleum utilization is more than an accompaniment of high living standards; it is a basic source of energy release that is the essence of the modern world", 372.

ومن أمثلة المراجع العربية « البترول فى البلاد العربية » للدكتور محمد جواد العبوسى صفحة ٣٨ — ٤٨ .

وكما يتضح من الجدول الآتى ، نجد أن أهمية البترول كمصدر للطاقة تتزايد سواء فى قيمتها المطلقة أو فى قيمتها النسبية مقارنة بمصادر الطاقة الأخرى .

جدول (١) [1]

وحدة القياس للجميع ما يساوى مليون طن مترى من الفحم

السنة	المجموع	الفحم	البترول	والغاز الطبيعى	القوى المائية
١٨٢٠	١٥	١٥			
١٨٤٠	٦٠	٦٠			
١٨٦٠	١٣٦	١٣٦			
١٨٨٠	٣١٩	٣١٠	٦	٣	
١٩٠٠	٧٧٨	٧٣٥	٢٨	١٠	٥
١٩٢٠	١٤٣١	١٢٥٠	١٤٠	٢٠	٢١
١٩٢٩	١٨٥٩	١٤٤٥	٢٩٠	٨٠	٤٤
١٩٣٨	١٨٦٥	١٣١٨	٣٩٥	١٠٠	٥٢
١٩٤٨	٢٣٩٥	١٤٤٠	٦٥٨	٢١٧	٨٠

وكانت النسب المئوية لنصيب كل من هذه المواد فى توليد الطاقة عام ١٩٤٨ كالآتى [2] .

الفحم	البترول	الغاز الطبيعى	القوى المائية
٪ ٤٩٫٧	٪ ٢٢٫٧	٪ ٧٫٥	٪ ٢٫٨

يضاف إلى ذلك نصيب الخشب والحيوانات الأليفة وقدر ذلك بـ ١٧٫٣ ٪ [3] .

(١) Woytinski, W. S. and Woytinski, E. S., *World Population and Production : Trends and Outlook*, 930.

(٢) نفس المرجع — *Ibid.*, 930.

(٣) نفس المرجع — *Ibid.*, 937.

وتقدر مصادر أخرى النسب المئوية كالآتى :

جدول (٢) [١]

السنة	الفحم	البترول والغاز الطبيعى	القوى المائية	الخشب
١٩١٣	٧٤	٦	٢,٤	١٧,٦
١٩٢٠	٦٨	١٤	٤	١٤
١٩٣٠	٦٥	١٦	٥	١٤
١٩٣٥	٦٠	٢٠	٧	١٣
١٩٤٨	٥٥	٢٨	٧	١٠

وقد استمر نصيب البترول فى توليد الطاقة فى التزايد منذ عام ١٩٤٨ . فبينما كان نصيب الفحم كمصدر للطاقة عام ١٩١٤ هو ٨٥ ٪ والبترول والغاز الطبيعى ١٢ ٪ والقوى المائية ٣ ٪ فان هذه النسب قد تغيرت عام ١٩٥٤ إلى ٤٥ ٪ ، ٤٧ ٪ ، ٨ ٪ على الترتيب [٢] .

ويلاحظ أن الانسان يزداد استعماله للطاقة مما يبرز أهمية نصيب البترول الذى يتزايد كما ذكرنا سابقاً بصورة مطلقة ونسبية معا .

ويقدر أحد الثقاة أن الطاقة المستعملة زادت منذ عام ١٩٢٠ ـ ١٣٥ ٪ ، ومنذ سنة ١٩٣٨ ٨٠ ٪ وقد زاد نصيب البترول الغاز الطبيعى من حوالى السبع عام ١٩٢٠ إلى النصف عام ١٩٥٥ . أما الفحم فقد نقص من ⅔ إلى أقل من النصف بينما زادت القوى المائية من ٣ إلى ٧ ٪ [٣] .

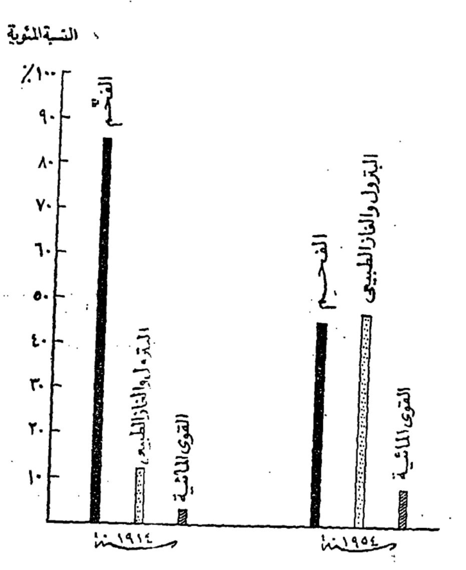
(١) Smith, J. Russell and Phillips, M. Ogden, *Industrial and Commercial Geography*, 67.

وكذلك يرجع إلى المرجع المذكور سابقاً للدكتور العبوسى صفحة ٣٩ هامش ٢ حيث يعتمد على :

George. P., *Geographie de l'energie*, 13.

(٢) حرب البترول فى الشرق الأوسط ، للدكتور راشد البراوى ، صفحة ١٧ ، ١٩ ، كذلك *Information on Oil* التى توزعها شركة شل فى مصر .

(٣) « التطلع إلى المستقبل » ، مقال لمستر بلات عضو مجلس الادارة المنتدب لشل فى مجلة *Petroleum Press Service* عدد مايو سنة ١٩٥٦ صفحة ٣ .



النسبة المئوية لمصادر الطاقة المختلفة فى العالم

ويتوقع البعض أن يتضاعف الطلب على الطاقة فى الفترة بين ١٩٥٠ ، ١٩٧٥ وبهذا يتخطى إنتاج البترول حد البليون طن [١] ، بينما يقدر البعض الآخر أن الطاقة سوف تزيد بمعدل مركب قدره ٣ ٪ مما يجعله يتوقع أن يصل إنتاج البترول عام ١٩٧٥ إلى ٦ر١ بليون طن ويقدر أن الواقع سوف يفوق هذا الرقم [٢] أضف إلى ذلك أهمية مشتقات البترول المختلفة فى التشحيم وفى استعمالها كمادة تدخل فى كثير من الصناعات وتزايد هذه

(١) عن تقرير قدم فى الولايات المتحدة فى نهاية ١٩٥٢ *Information on Oil*

(٢) « التطلع إلى المستقبل » ، لمستر بلات فى مجلة *Petroleum Press Service* عدد مايو سنة ١٩٥٦ صفحة ٣ .

الأهمية بالتزايد المطرد فى عدد المشتقات وفى زيادة أبواب استعمال كل منها والتوسع فى كل باب من أبواب الاستعمال .

ويكفى أن نقتبس هنا كلمة حديثة لأحد المختصين الغربيين عن أهمية هذه المادة . فالبترول هو :

"A raw material of the most vital necessity to the modern world and to each single nation in it. Givilization in peace-time, on its material side, is today inconceivable without abundant supplies of petroleum and its products"(1).

ولا يظن الكاتب نفسه بحاجة إلى تأكيد أهمية البترول كادة حيوية لتسيير عجلة الحرب الحديثة التى تعتمد أساساً على وسائل ميكانيكية لابد لها من البترول بمشتقاته حتى تتحرك (٢) .

ولاعطاء فكرة عن كمية البترول التى تنتج عاما بعد عام ومدى تزايدها واطراد هذا التزايد نورد الجدول الآتى :

جدول رقم ٣ (٣)

السنة	الكمية بالطن المترى	السنة	الكمية بالطن المترى	السنة	الكمية بالطن المترى
١٩٠٠	١٩,٨٥٧,٠٠٠	١٩٣٦	٢٤٥,٠٠٠,٠٠٠	١٩٤٨	٤٧٠,٠٠٠,٠٠٠
١٩٠٥	٢٩,٤٧٢,٠٠٠	١٩٣٧	٢٨٠,٠٠٠,٠٠٠	١٩٤٩	٤٨٧,٥٥٠,٠٠٠
١٩١٠	٤٤,٩٣٢,٠٠٠	١٩٣٨	٢٧٣,٠٠٠,٠٠٠	١٩٥٠	٥٢٣,٠٠٠,٠٠٠
١٩١٥	٥٩,٥٥٦,٠٠٠	١٩٣٩	٢٨٤,٠٠٠,٠٠٠	١٩٥١	٥٩٢,٠٠٠,٠٠٠
١٩٢٠	٩٦,٩١٠,٠٠٠	١٩٤٠	٢٩٢,٠٠٠,٠٠٠	١٩٥٢	٦٢٤,٠٠٠,٠٠٠
١٩٢٥	١٤٨,٣٧٠,٠٠٠	١٩٤٥	٣٦٧,٨٣٩,٠٠٠	١٩٥٣	٦٥٩,٠٠٠,٠٠٠
١٩٣٠	١٩٦,٤٧٥,٠٠٠	١٩٤٦	٣٧٠,٧٥١,٠٠٠	١٩٥٤	٦٨١,٥٠٤,٠٠٠
١٩٣٥	٢٢٦,٨٠٠,٠٠٠	١٩٤٧	٤٣٢,٢١٠,٠٠٠	١٩٥٥	٧٦٣,٠٠٠,٠٠٠

(١) Longrigg, Brigadier Stephen Hemsley, "Oil in the Middle East", *Current History*, Vcl. 30, No. 178, June 1956, 353-59, 353.

(٢) يرجع على سبيل المثال إلى : Smith and Phillips, *op. cit.*, 93-95.
البراوى : المرجع السابق ص ١٢ — ١٨ ، المبوسى : المرجع السابق ص ٣٨ — ٤٨

(٣) مراجع مختلفة مثل : United Nations, *Statisical Yearbook 1955*, 148 *Apercu de l'évolution des conditions économiques au Moyen orient*, 1952-53, 51; *Petroleum Press Service*, January 1956; and *Information on oil.*
وكذلك البراوى ، المرجع السابق ، ص ١٥

تزايد الاعتماد على البترول فى المستقبل :

ليس هذا فقط ، بل ان الباحث لينتظر فى يقين اطراد هذه الزيادة ويذكر لونجريج أن الحاجة إلى البترول تزداد عاما بعد آخر لحد أن حاجات العالم كانت ابان نصف القرن الأخير تتضاعف كل عشرة أعوام وإذا أخذنا فى الاعتبار التزايد المطرد فى استعمال البترول وارتفاع طلب الدول المتخلفة عليه بمعدل متزايد يمكننا أن نؤكد أن استعمال العالم للبترول سوف ينمو فى خلال الأعوام القليلة المقبلة إلى حد يتضاءل معه مدى استعماله اليوم [1] ويصل لونجريج فى اطمئنانه إلى حد قوله « أنه يستحيل أن يتطرق إليه الشك فى أن طلب العالم على مشتقات البترول كما تزايد فى الماضى . سوف يستمر فى التزايد بحيث يتضاعف كل عشرة أو خمس عشرة سنة [2] .

وإذ يؤكد أحد الثقاة أن الطلبات على البترول سوف تتزايد بدرجة كبيرة فى الأعوام القليلة المقبلة ، فانه يذكر أن ذلك لن يكون نتيجة للزيادة المتوقعة فى سكان العالم بقدر ما هو نتيجة للاستهلاك المتزايد للشعوب التى لم تكن حتى اليوم تستهلك مشتقات البترول بكمية كبيرة [3] .

ولا شك أن ما يحدث فى العالم الآن من انتشار فى وسائل النقل المختلفة وزيادة فى كثافتها ومن انتشار للتصنيع وتوسع فى استعمال الآلات وحلولها محل العمل اليدوى حتى فى ميدان الزراعة كل هذا يؤدى إلى توقع الازدياد المطرد فى الاستهلاك وإنتاج البترول فى العالم .

ولا شك كذلك أن انتشار الأفكار الخاصة بالعدالة الاجتماعية والمبادىء الاشتراكية وزيادة نصيب غالبية أفراد الشعوب من الدخل القومى لدولهم يرفع فى إمكانيات زيادة الطلب ولا يعوقها أو يضعفها . وقد قام kenneth E. Hill, Joseph E. Pogue يعاونهما آخرون بالبحث عن :

Future Growth and Financial Requirements of the World Petroleum Industy.

---

(1) Longrigg: "Oil in the Middle East", *Current History*, Vol. 30, No. 178, June 1956, 353-59, 353.

(2) Longrigg, *Oil in the Middle East*..., 269.

(3) Pratt & Good: *Op. cit.*, Part IV, Chapter, 1, "The Availability of Petroleum — Today and Tomorrow", by Kirtfy F. Mather, 333-43, 341 42.

تاما يبحث هذا العام انتهيا فيه إلى أننا فى العشر سنوات القادمة يمكن أن تقدر أن الطلب على البترول فى الولايات المتحدة يحتمل أن يزيد ٥٣ ٪ فيصل إلى حوالى ١٢٫٨ مليون برميل فى اليوم عام ١٩٦٥ . أما فى بقية « العالم الحر » فيقدر أن الطلب على البترول يحتمل أن يزيد ١٠٣ ٪ فيبلغ حوالى ١٢ مليون برميل فى اليوم الواحد عام ١٩٦٥ [١] .

ويبنى التقرير تقديره على أساس أن معدل الزيادة فى استهلاك البترول فى الولايات المتحدة فى الثلاث والعشرين سنة الأخيرة كان ٥٫٨ ٪ أما بقية « العالم الحر » فمعدل الزيادة فيما فى الثلاثة عشرة سنة الأخيرة كانت ١١ ٪ سنوياً [٢] .

واستحسن التقرير أن يستعمل للتنبوء بالطلب على البترول ما يسمى بمنحنى معدل الفائدة المركبة أى اتجاهاً عاماً يعطينا معدل تغير سنوياً مستمرا ويعلل التقرير السبب وراء هذه الظاهرة وهى أن الطلب على البترول يتبع منحنى معدل فائدة مركبة بأن استهلاك البترول له دخل كبير بالتكنولوجى الفنى — باعتباره عاملا إقتصادياً — يتزايد أو يتمدد بخطوات تزداد سرعتها بخلاف الظواهر البيولوجية التى تنمو فى مراحلها المتأخرة بمعدلات متناقصة ثم يتوقف نموها عندما تبلغ حد النضوج [٣] . ويذهب التقرير إلى حد تأكيد أنه ما لم تحدث هزات اقتصادية عنيفة ، فإن الطلب على البترول سوف يكون فى عام ١٩٦٥ أعلى حتى مما قدر [٤] .

ولا يضعف من قيمة هذه الحقائق امكانية استخدام مصادر أخرى للطاقة كاستخدام الطاقة الذرية والطاقة الشمسية فلا يتوقع أحد من العارفين — على الأقل فى المستقبل القريب

---

(١) Pogue, Joseph E. and Hill, Kenneth with others, *Future Growth and Financial Requirements of the World Peltroleum Industry*, 38.

(٢) *Ibid.*, 6.

(٣) *Ibid.*, 9-10.

(٤) *Ibid.*, 10 ; Woytinski and Woytinski, *op. cit.*, 922.

« التطلع إلى المستقبل » فى Petroleum Press Service عدد مايو ١٩٥٦ ص ٣ حيث يقول تقدير آخر بأن معدل الزيادة فى البترول لاستعماله فى توليد الطاقة يقدر بثلاثة فى المائة وأنه بهذا سوف يصل الاستهلاك العالمى عام ١٩٧٥ إلى ١٦٠٠ مليون طن سنوياً ويؤكد بلات ان الاستهلاك الواقعى سوف يفوق إذ ذاك هذا القدر .

أن يؤثر ذلك تأثيراً معاكساً على استعمال البترول كمصدر من مصادر الطاقة (١) . وقد جاء في أحد التقارير الحديثة ما يأتى :

"In view of the rather small percentage of oil and natural gas used for the purpose of generating electricity and the progress being made toward reducing such low profit use, it is unlikely that there will be any significant loss of revenue by the oil and natural gas industry due to the growth of atomic power. This conclusion is particularly true if one considers that even should atomic power capture the entire market for new or replacement power plant installations, existing plants requiring conventional fuels would serve out their useful lives. The more likely case that nuclear and conventional fuels will share the power generating market serves only to stregthen the conclusion... just stateds" (٢).

أضف إلى ذلك أنه بجانب استمرار استخدام البترول كمصدر للطاقة فان هناك استعمالات أخرى له يتوسع فيها كما ونوعاً ويغلب أن كل ما سوف يحدث هو تكيف مع الوضع الجديد على أساس من عوامل شتى أهمها التكلفة المقارنة والاستعمالات البديلة ومن الملاحظ أن دخول عنصر من العناصر الميدان فى إستعمال معين لا يعنى بالضرورة القضاء على العناصر الأخرى القائمة والمثل الحى فى ميدان الطاقة هو الفحم (٣) . فرغم انتشار استعمال البترول

---

(١) Panel on the Impact of the Peacefnl Uses of Atomic Energy, *Peaceful Uses of Atomic Energy: Report to the Joint Committee on Atomic Energy, Congress*, Volume 1, 45-46 ; Woytinski and Woytinski, *op. cit.*, Population, 980-82.

كذلك يرجع إلى *Petroleum Press Service* عدد مايو ١٩٥٦ ص ٣ « مصادر لا تزال بكراً » ص ١٠ — ١٧ والعبوسى المرجع السابق ص ٢٦٠ — ٢٦١ .

"Even by 1975 nuclear energy's contribution will be no higher than 7% of Europe's power needs, because it cannot practicably be subtituted for Europe's major oil consumer transport". *Newsweek*. Vol. XLVIII No. 7, August 13, 1956 "The Middlo-East Waiting Game", 22-29, 26.

(٢) Panel on the Impact of the Peaceful Uses of Atomic Energy, *op. cit.*, 45-46.

العبوسى : المرجع السابق ص ٢٦١ .

(٣) Weytinski and Weytinski, *op. cit.*, 880.

فى هذا الناحية فانه لم يقض عليه وإنما تكاملا ، بل أن إنتاج الفحم فى العالم تزايد كما أنه تحول إلى كثير من الاستعمالات الحديثة .

جدول رقم (٤) [١]

السنة	التقدم	ملاحظة
	مليون من مترى	
١٩٣٥	١١١١	
١٩٣٦	١٢١٩	
١٩٣٧	١٢٨٣	
١٩٣٨	١١٩٧	أما الجنيت فقد زاد
١٩٣٩	١٢٧٠	مقداره فى نفس الفترة
١٩٤٠	١٣٤٨	من ١٨٨ إلى ٣٧٢
١٩٥٠	١٤٧٠	مليون طن مترى
١٩٥١	١٥٤٠	
١٩٥٢	١٥٢٠	
١٩٥٣	١٥٢٤	

ومن الملاحظ أن التحول نحو التصنيع وتزايد وتعدد وسائل الاتصال وإستعمال الآلات وزيادة إنتشار إستغلال التقدم التكنولوجى فى النواحى المختلفة للحياة الانسانية فضلا عن الميل إلى الاشتراكية وإشباع أكبر عدد من الحاجات الأساسية وغير الأساسية لأكبر عدد من الناس عن طريق استغلال كل الامكانيات القائمة أحسن استغلال ممكن — كل هذا يفسح المجال لأن تستغل كل المصادر المتوفرة لدى الانسان أحسن استغلال وبأحسن صور التعاون التى تحقق أكبر أشباع ممكن .

ننتهى بعد كل ما سبق إلى أنه بقدر ما يمكن للباحث أن يرى من المستقبل يمكننا أن نقرر ليس فقط أن استعمال البترول فى المستقبل لن ينقص عما هو عليه بل أنه سيزداد وسيزداد ازدياداً كبيراً مطرداً .

(١) United Nations, *Statistical Yearbook 1955*, 138, 141.

ويمكن أيضا العودة إلى دراسة جدول (١) وجدول (٢) بهذا البحث وما حولها من معلومات وإن كان من الملاحظ ان المتاعب التى تواجه فى استخراج الفحم قد زادت مما زاد الالتفات نحو مصادر الطاقة الأخرى .

منتج لا يستهلك — مستهلك لا ينتج — لابد من تجارة :

وإذا أمعنا النظر فى قائمة الدول التى تستهلك البترول والدول التى تنتجه نجد أنه بينما الطلب على البترول يشمل العالم كله وإن كان ذلك يختلف من ناحية الدرجة من حيث درجة التصنيع واستعمال الآلة وتركز وسائل النقل الحديثة — بينما الطلب على البترول يشمل العالم كله فان الانتاج بكميات لها أهميتها يتركز فى عدد أقل جداً من المناطق [١] مثل الخليج الفارسى أو البحر الكاريبى ، أو منطقة القوقاز ، أو منطقة الخليج فى الولايات المتحدة . . الخ . وفيما عدا هذه المناطق المعدودة والمتناثرة نجد العالم فقيراً فى هذه المادة إلى درجة ملفتة بل أن منطقة كأوروبا الغربية رغم حاجتها الشديدة جداً إلى البترول — فهى ثانى سوق للبترول فى العالم — تنتج منه كمية تكاد لا تذكر [٢] .

ليس هذا فقط بل أن المناطق المنتجة الهامة فيما عدا الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى كمنطقة الخليج الفارسى ومنطقة البحر الكاريبى ومنطقة الأرخبيل الآسيوى هى مناطق لا تستهلك إلا القليل والقليل جداً مما تنتج من كميات ضخمة جداً من هذه المادة .

هذان العاملان الهامان . . . — فائض ضخم فى كثير من مناطق الانتاج وحاجة ضخمة فى مناطق الاستهلاك الأخرى فى العالم . . . يجعلان التجارة العالمية فى البترول أمراً

---

(١) Pratt and Good, *op. cit.*, "The Availability of Petroleum Today and Temerrow", by Kirtley F. Mather, Part IV, Chapter 1, 333-343, also in the same reference, "The Effect of the World Distribution of Petroleum on the Power and Policy of Nations" by Herbert Feis Part IV, Chapter 5, 392-404, 392, 395.

ومن المراجع الأخرى المبوسى ، المرجع السابق وكذلك .

Colley Jr. George S. "Looking to the future: Will More Pipelines Be Built in the Middle East", *Oil Forum*, March 1954.

(٢) أقل من ١ ٪ من إنتاج العالم فى الوقت الذى تعتبر فيه أوروبا الغربية ثانى سوق للبترول فى العالم ويتزايد استهلاكها تزايداً سريعاً مطرداً .

Pratt and Good, *op. cit.*, "Europe West of the U. S. S. R." by Lyman C. Read, Part III, Chapter 11, 240-72,240; Longrigg, "Oil in the Middle East", *Current History*, Vol. 30, No. 178, June 1956, 353-59, 354.

وفى عام ١٩٥٣ كان إنتاج العالم من البترول حوالى ٦٥٥ مليون طن مترى وكان نصيب أوروبا الغربية منها أقل من ٤ مليون طن أى حوالى ٦ر٪ .

لا محيص عنه ، بل أنهما يجعلان ك البترول التى تدخل فى التجارة العالمية كمية ضخمة ومن الأمور ذات المغزى أن البترو و الـ ة الأولى فى التجارة العالمية .

ويتضح من الجدول الآتى [1] يد سب البترول فى التجارة البحرية العالمية سواء أكان ذلك التزايد بصفة مطلقة أو ية .

البترول	التجـ ـ البحر عامة	السنة
مليون طن مترى	مليـ طن مترى	
٦٥	٤٧٠	١٩٢٩
١٠٥	٤٩٠	١٩٣٧
٢٢٥	٥٥٥	١٩٥٠
٢٥٥	٦٤٠	١٩٥١
٢٨٥	٦٦٠	١٩٥٢
٢٩٥	٦٧٠	١٩٥٣
٣١٥	٧١٠	١٩٥٤

فالموضوع إذن كما يقول Feis [2] :

"The location of the great sources of supply means that most countries can get enough only through trade".

ولابد لتحقيق هذه العمليات تجارية من وصول السلعة من المنطقة المنتجة إلى المنطقة المستهلكة أى أنه لابد من وسيلة لنقل البترول أو مشتقاته حتى تتحقق المنفعة المكانية ويفيد بذلك طرفا المبادلة .

هذه هى الصورة العامة للوضع عالمى للبترول تنتقل منها إلى الجزء الذى يهمنا فى موضوع هذا البحث بصفة أخص ، وهو منـ ة البترول فى الخليج الفارسى .

---

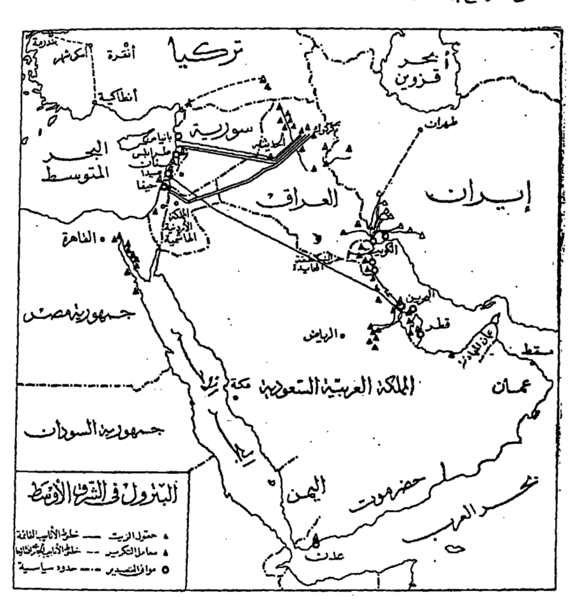
(1) United Nations, *Statistical Yearbook 1955*, 144.

(2) Pratt and Good, *op. cit.*, "The Effect of the World Distribution of Petroleum on the Power and Policy of Nations" by Herbert Feis, Part IV, Chapter 5, 392-404, 395.

الشرق الأوسط

إنتاج متزايد – مقارنة بالعالم

فلم يكن إنتاج الشرق الأوسط للبترول إنتاجاً ذا بال حتى الحرب العالمية الثانية ولكنه تزايد بعد ذلك ولا زال يتزايد بدرجة ملفتة للنظر ، ومراجعة بسيطة للجدول اللاحق تكفى للخروج بهذه النتيجة



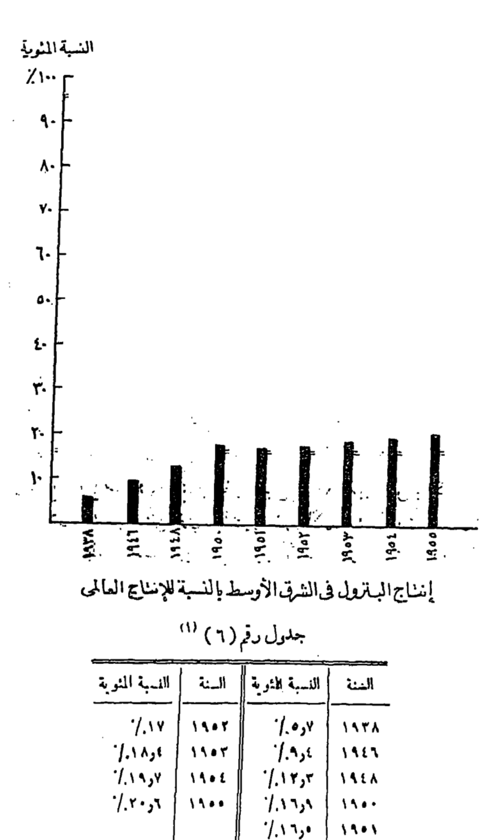
جدول رقم (٥) [١]

السنة	الشرق الأوسط	العالم	السنة	الشرق الأوسط	العالم
		مليون طن		مليون طن	مليون طن
١٩١١	٠,٠٠٢	٤٧	١٩٤٥	٢٦,٠٥	٣٥٦
١٩١٤	٠,٢٧٠	٥٦	١٩٤٦	٣٠,٩٥	٣٧١
١٩١٨	١,١٦٠	٦٩	١٩٤٧	٤ ,٧٦	٤١٥
١٩٢٠	١,٥٤٠	٩٥	١٩٤٨	٥٦,٩١	٤٦٥
١٩٣٠	٦,٣٤٠	١٩٥	١٩٤٩	٧٠,١٥	٤٦٥
١٩٣٥	١١,٤٩٠	٢٢٥	١٩٥٠	٨٦,٦٠	٥١٨
١٩٤٠	١٣,٩٠٠	٢٨٩	١٩٥١	٩٦,١٩	٥٨٢
١٩٤١	١٠,٨٨٠	٣٠٠	١٩٥٢	١٠٤,٤٤	٦٠٥
١٩٤٢	١٥,٥٤٠	٢٨٢	١٩٥٣	١٢١,٦٢٥	٦٥٤
١٩٤٣	١٦,٢٩٠	٣١٣	١٩٥٤	١٢٥,٨٨	٦٨١,٥
١٩٤٤	٢٠,٨٠٠	٣٤٨			

وقد بلغ الانتاج عام ١٩٥٥ بما فية الغاز الطبيعى ٥ر ٧٨٨ مليون طن بينما كان الانتاج عام ١٩٥٤ ٦ر ٧٠٦ مليون طن مترى . أما نصيب الشرق الأوسط فكان ١ر١٦٢ ، ٨ر١٣٧ على الترتيب [٢] وبلغت النسب المئوية لانتاج الشرق الأوسط مقارناً بالانتاج العالمى .

(١) Longrigg: *Oil in the Middle East*, Appendix 11, 276-77; *Information on Oil*, Shell Company, Cairo.

(٢) United Nations: *Economic Developments in the Middle East, 1954-55*, 58.



إنتاج البترول فى الشرق الأوسط بالنسبة للإنتاج العالمى

جدول رقم (٦) [١]

السنة	النسبة المئوية	السنة	النسبة المئوية
١٩٣٨	٥,٧٪	١٩٥٢	١٧٪
١٩٤٦	٩,٤٪	١٩٥٣	١٨,٤٪
١٩٤٨	١٢,٣٪	١٩٥٤	١٩,٧٪
١٩٥٠	١٦,٩٪	١٩٥٥	٢٠,٦٪
١٩٥١	١٦,٠٪		

(١) United Nations: *Economic Developments in the Middle East, 1945-1954*, 2; *Aperçu de l'évolution des conditions au Moyen-Orient, 1952-53*,..., 51; *Economic Developments in the Middle East, 1954-55*..., 58.

ويلاحظ أنه منذ عام ١٩٤٦ زاد إنتاج الشرق الأوسط ٣٦٠ ٪ بينما زاد إنتاج فنزويلا ١٠٠ ٪ وإنتاج الولايات المتحدة[١] ٤٠ ٪ وأنه فى عام ١٩٥٤ زاد الانتاج فى الشرق الأوسط ٨ر١٢ ٪ بينما كانت الزيادة فى العالم عموماً ٨ر٢ ٪ وفى عام ١٩٥٥ زاد الانتاج فى الشرق الأوسط ٦ر١٧ ٪ بينما كانت الزيادة فى العالم عموما ١ر١٠ ٪[٢].

مستقبل مشرق :

ليس هذا فقط ، بل أنه ينتظر تزايد الانتاج فى المستقبل وتزايد إعتماد العالم على منطقة الخليج الفارسى تزايداً مطرداً ليواجه زيادة الطلب المنتظر فى هذا العالم ويتنبأ أحد الثقاة بأن انتاج الشرق العربى يحتمل أن يزيد عن ٧٥٦ر١ مليون برميل يومياً عام ١٩٥٠ و ٢٤٠ر٣ مليون برميل يوميا عام ١٩٥٥ إلى ٨٣٠ر٤ مليون برميل يومياً عام ١٩٦٠ ثم إلى ٢٨٠ر٨ مليون برميل يومياً عام ١٩٦٥[٣] بينما الأرقام المقابلة بالنسبة للولايات المتحدة ٩٠٦ر٥ ، ٤٩٥ر٧ ، ٨٧٠ر٨ ، ٨٧٠ر٩ على التوالى[٤] .

الاحتياطيات :

ويعتمد توقع الزيادة إلى أساس متين من الحقائق فيما يختص باحتياطيات البترول الكامنة فى باطن الأرض وفى هذ الناحية يظهر لنا مركز الشرق الأوسط البارز الذى تزايد أهميته المطلقة والنسبية مع الزمن ومع تقدم الوسائل العلمية ولو أن الثقاة يختلفون فى كمية الاحتياطى فى العالم وفى أجزاء العالم المختلفة ، إلا أنهم يتفقون فيما نعلم على مسألتين :

المسألة الأولى هى النصيب الضخم لمنطقة الخليج الفارسى فى الاحتياطى إذا قيس بالمناطق الأخرى .

والمسألة الثانية ـ هى أن نصيب المنطقة يتزايد بصفة مطلقة ونسبية كلما مر الزمن وأعانت الوسائل العلمية على اكتشاف المزيد من الاحتياطى .

---

(١) أنظر *Petroleum Press Service* عدد يناير ١٩٥٦ صفحة ٣ .

(٢) United Nations, *Economic Develepments in the Middle East, 1945-55...,57.*

(٣) Pogue and Hill..., *op. cit.*, 29.

(٤) *Ibid.*, 28.

ففى تقدير أنه فى المدة بين ١٩٤٥ — ١٩٥٤ زاد الاحتياطى فى المنطقة ٢٤٠ ٪ وزادت نسبته من ٤٠ ٪ لى ٦٠ ٪ [١] من العالم .

وفى تقرير لهيئة الامم المتحدة قدر الاحتياطى فى الشرق الأوسط عام ١٩٥١ بـ ٥ر٤٩ ٪ من المجموع العالمى البالغ قرابة ١٣ بليون طن بينما كان نصيب الولايات المتحدة ٦ ر٣٧ ٪ وفى عام ١٩٥٣ أصبح نصيب المنطقتين ٣ ر٥٣ ٪ ، ٥ ر٢٤ ٪ على الترتيب من المجموع البالغ ٦ ر١٥ بليون طن [٢] . وفى آخر عام ١٩٥٥ قدر الاحتياطى العالمى بـ ١٧٨ بليون برميل بلغ نصيب الولايات المتحدة منه ١٧ ٪ أما الشرق الأوسط فبلغ أربعة أخماس ما تبقى أى حوالى ٥ ر٦٦ ٪ [٣] ويكاد يتفق هذا مع تقدير آخر ذكره لونجريج فى مقال حديث له فالولايات المتحدة وكندا نسبتها ٢٠ ـ ٢٤ ٪ ومنطقة البحر الكاريبى وبقية العالم الغربى ٤ ـ ٥ ٪ وروسيا وأوربا الشرقية ٨ ٪ وأوربا والشرق الأقصى ١ ٪ والشرق الأوسط ٦٥ ٪ [٤] . ويقدر البعض أن يتزايد احتياطى الشرق الأوسط حتى يبلغ من ٧٠ إلى ٧٥ ٪ عام ١٩٧٢ [٥] بل أن بعض تقديرات الاحتياطى المتفائلة تقدر هذا الاحتياطى الآن بـ ٧٥ ٪ من الاحتياطى العالمى [٦] .

ويذكر Longrigg أن :

" The basic facts of geology, which so greatly favour the countries of the Persian Gulf geosyncline, had set in remote prehistory the framework within which discovery was made, with such rapid and striking success, in the twentieth century. This was by no means at an end. There was room within the framework for future strikes, both within and outside the Gulf region.

---

(١) United Nations, *Economic Developments in the Middle East, 1954-55* ..., 2.

(٢) United Nations, *Summary of Recent Economic Developments in the Middle East... 1950-51,* 18; *Aperçu de l'evolution des conditions économiques au Moyen-Orient, 1952-53, 143.*

(٣) Pegue and Hill : ...,*op. cit.*,17.

(٤) Longrigg : "Oil in the Middle East", *Current History...*, 356, He adds "with the near certainty that future discoveries and revaluation will tip the scale still further in favour of theMiddle East...", 358

(٥) Longrigg: *Oil in the Middle East...*, 263.

(٦) Longrigg : "Oil in the Middle East," *Current History...*, 355.

"The future would certainly reveal these, as well as unforeseeable increases in the rates of production from the discovered fields. It is probable that the calculations made in future years will show, as recent years have shown, the proportion of Middle Eastern reserves constantly increasing as against these of other regions of the world"(1).

هذه الحقائق تهمنا فى الاطمئنان إلى مسألتين :

الأولى — هى أن إنتاج الشرق الأوسط سوف يزداد باطراد وبدرجة أكبر من المناطق الأخرى .

والثانية — هى أن إنتاجه يمكن أن يستمر لمدة أطول كثيراً من المدة التى يمكن أن يستمر الانتاج خلالها فى المناطق الأخرى .

ففى عام ١٩٣٨ كان احتياطى البترول فى الولايات المتحدة يكفى ١٤ عاماً إذا أخذنا الانتاج إذ ذاك مقياساً بينما كان الرقم بالنسبة للشرق الأوسط ٤١ عاماً ، وفى عام ١٩٤٤ ، كانت الأرقام ١٢ و ١٨٠ ، وفى عام ١٩٥٢ — ١٢ر٨٤ (٢) .

ولهذا يزداد الاعتماد على الشرق الأوسط إزدياداً مطرداً . ويذكر بوج :

"The Middle East becomes the balancing factor in equating world supply and demand"(3).

ويتوقع زيادة كبيرة فى الطلب عليه فى المستقبل ، وبينما يتوقع زيادة فى الانتاج فى الولايات المتحدة من ٥٫٩١٠ مليون برميل يوميا عام ١٩٥٠ إلى ٩٫٨٧٠ مليون برميل عام ١٩٦٥ فى الوقت الذى يزيد طلب الولايات فيه إلى ١٣ مليون برميل يومياً مما يؤدى إلى إزدياد الحاجة فى الولايات المتحدة حتى تصل هذه الحاجة إلى ٣٫٢ مليون برميل يومياً . نجد الشرق الأوسط يقدر إنتاجه المحتمل لمواجهة الزيادة العالمية فى الطلب عام ١٩٦٥ بـ ٨٫٢٨٠ مليون برميل يوميا فى مقابل ١٫٧٥٦ مليون برميلا عام ١٩٥٠ (٤) ، أى أقل قليلا من خمسة أضعاف وأعلى من نصف إنتاج « العالم الحر » ، فيما عدا الولايات المتحدة وهو قدر أقل قليلا من الانتاج المقدر للولايات المتحدة ذاتها .

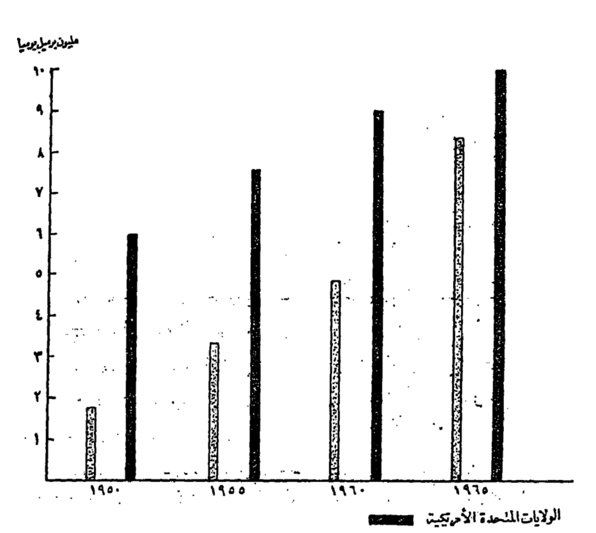
---

(١) Lougrigg: *Oil in the Middle East*.... 262-63.

(٢) *Ibid.*, 263.

(٣) Pogue and Hill: *op. cit.*, 28.

(٤) *Ibid.*, 28, 29.



الإنتاج الفعلى والإنتاج المنتظر للمناطق المحيطة بالخليج الفارسى والولايات المتحدة الأمريكية

تكاليف الانتاج :

وأكثر من هذا يمكننا أن نضيف عاملا آخر ، وهو أن تكاليف إنتاج البترول فى أمريكا لا يمكن مقارنتها بحال بتكاليف الانتاج فى الشرق الأوسط وذلك لأسباب أكثرها وطيد الدعائم ثابت الأركان حتى أننا نجد أن تكاليف الانتاج مضافاً إليها تكاليف النقل إلى أمريكا تقل عن تكاليف الانتاج فى أمريكا نفسها [1] . فاذا أمكن وجود سوق حرة للبترول فأننا ننتظر أن بترول الشرق الأوسط يمكنه أن يطرد بترول المناطق الأخرى من أسواق العالم ، بل ويغزو مناطق الانتاج الأمريكية ذاتها .

(١) الميرسى : المرجع المذكور سابقا ص ٥١ و٥٢ و٥٣

محاولة التخلص من احتكار واستغلال الشركات :

فاذا أخذنا ذلك فى الاعتبار ، وأخذنا معه فى الاعتبار كذلك أن دول المنطقة تحاول التحلل بالتدريج من الامتيازات الباهظة التى تتمتع بها الكارتل المالية للبترول . (من أمثلة ذلك الخلاف بين الملك سعود وأوناسيس فيما يختص بالنقل من جهة وبين شركة أرامكو من جهة أخرى) سواء من ناحية الانتاج أو التسويق أو التسعير ، وأمكننا أن نتخيل دخول هذا التحرر كعامل يتزايد أثره بمرور الوقت يمكننا أن نرى أن العوامل السابقة التى تؤدى بنا إلى احتمال زيادة الانتاج زيادة مطلقة أو نسبية باطراد هذه العوامل قد يضاف إليها عامل قوى يسندها ويضاعف أثرها .

ويلاحظ بهذه المناسبة أن طاقة إنتاج البترول الخام فى الشرق الأوسط هى أعلى بكثير من الانتاج الفعلى . ففى أكتوبر سنة ١٩٥٣ قدر البعض تقديراً متحفظاً للطاقة التى لم تستغل بخمسين مليون طناً سنوياً [١] . ولا شك أنه لولا القيود المختلفة التى تفرضها كارتل البترول العالمية لأمكن لهذه الكميات وأكثر منها أن تغزو أسواق العالم .

ضخامة المصدر :

هذه الزيادة البارزة فى الانتاج وانعية ومتوقعة الدافع الأساسى إليها هو حاجة العالم الخارجى المتزايدة من البترول التى يمكن أن تعتمد على إمكانيات المنطقة الضخمة فى الانتاج والانتاج الرخيص . هذا فى الوقت الذى يعتبر فيه استهلاكها من هذا الانتاج صغيراً [٢] .

هذه الحاجة الضخمة المتزايدة باطراد إلى البترول فى الخارج والفائض الضخم المتزايد باطراد فى هذه المنطقة أدى إلى تصدير كميات كبيرة متزايدة من المنطقة إلى أجزاء العالم الأخرى التى تحتاج إلى هذه المادة حتى أن الشرق الأوسط فاق المنطقة الكاريبية فى الكمية المصدرة عام ١٩٥٠ وأصبح المصدر الأول للبترول فى العالم منذ ذلك الحين .

---

(١) United Nations, *Economic Developments in the Middle East 1945-54*..., 2.

(٢) مطبوعات الأمم المتحدة المختلفة

The Financial Times, August 11, 1956.

جدول رقم (٧) [١]

الفائض من إنتاج البترول للتصدير فى العالم

المنطقة	سنة ١٩٤٦	سنة ١٩٥٠
	مليون طن	مليون طن
منطقة البحر الكاريبي	+ ٥١	+ ٧١
منطقة الشرق الأوسط	+ ٣٦	+ ٧٣
أوروبا ماعدا الاتحاد السوفيتى	— ٣١	— ٦١
الولايات المتحدة	+ ٨	— ٣٠

وقد ازدادت أهمية الشرق الأوسط فى التجارة العالمية للبترول باطراد سواء من ناحية مطلقة أو من ناحية نسبية :

فقد بلغت كمية الصادر من المنطقة من البترول الخام عام ١٩٥٣ ، ١٠٤ مليون طن زادت إلى ١١٧ مليون طن عام ١٩٥٤ ثم إلى حوالى ١٣٥ مليون طن عام ١٩٥٥ كما سجلت صادرات المشتقات زيادة مطردة أيضاً [٢] . وفى عام ١٩٥٥ بلغ الفائض للتصدير فى منطقة الخليج الفارسى حوالى ١٥٠ مليون طن بينما كان فى منطقة البحر الكاريبى حوالى ١٠٠ مليون طن [٣] .

حاجة متزايدة شمالى وغربى القناة :

ويذهب الجزء الأكبر من هذا الصادر إلى أوروبا الغربية حيث أنها فقيرة جدا فى البترول فقد بلغ إنتاج أوروبا الغربية (مجموعة المنظمة الأوربية) عام ١٩٥٣ ٣٫٨٦ مليون طن وعام ١٩٥٤ ٤٫٦٥ مليون طن أى بنسبة ٦٫ر٪ ، ٧٠ر٪ من إنتاج العالم ولا يختلف الوضع عام ١٩٥٥ عن ذلك[٤] .

---

(١) United Nations, *Summary of Recent Economic Developments in the Middle East..., 1950-51, 28.*

(٢) United Nations: *Economic Developments in the Middle East 1955-1955,...,68.*

(٣) *The Financial Times*, August 11, 1956.

(٤) « مذكرات الجغرافيا الاقتصادية لكلية التجارة عام ١٩٥٤ — ١٩٥٥ » أعطاها الدكتور عز الدين فريد ، ومطبوعات شركة شل .

ولكن أوروبا الغربية ناهضة بنشاطها الاقتصادى والحاجات المختلفة لسكانها تكون أعظم سوق عالمية للبترول فى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية : ومن الأمور الملفتة نظر الباحث أن مقدرة أوروبا على تكرير البترول قد زادت كثيراً عما كانت عليه بعد الحرب العالمية الثانية ولا زالت هذه الطاقة تتزايد باطراد . ففى عام ١٩٤٨ كانت ٢٣ مليون طن زادت عام ١٩٥٢ إلى ٨٢ مليون طن ثم ارتفعت عام ١٩٥٤ إلى ١٠٧ مليون طن ثم وصلت عام ١٩٥٥ إلى ١١٦ مليون طن [١] .

ومن المؤكد أن حاجة أوروبا من البترول سوف تتضاعف وسوف تصل إلى ثلاثة أضعاف بعد أعوام قليلة [٢] .

ويتزايد اعتماد اوربا الغربية لسد هذه الحاجة المتزايدة من البترول على منطقة الشرق الأوسط فبينما اخذت أوربا الغربية خمس حاجاتها عام ١٩٣٨ من المنطقة المذكورة نجدها تستمد أكثر من ثلاثة أرباع هذه الحاجة من المنطقة عام ١٩٥١ ويبرز الوضع بدرجة أكبر إذا تحدثنا عن البترول الخام حيث يمد الشرق الأوسط أوربا بحوالى ٩٠٪ من حاجتها منه [٣] .

كما أن كميات أخرى لها اعتبارها من بترول الشرق الأوسط الى جانب ما يذهب لاوروبا الغربية تصدر الى المناطق غربى قناة السويس وعلى الأخص الولايات المتحدة فى العالم الجديد حيث الحاجة إلى هذا البترول تتزايد لتكميل ما يستهلك من الانتاج المحلى والفارق بين الأخير وبين الطلب المحلى كبير فضلا عن أن الولايات المتحدة تفضل أن تعتمد على موارد البترول الوفيرة فى الشرق الأوسط وتستبقى بقدر الامكان ما لديها فى أرضها من احتياطات وقد بلغ المصدر من البترول الخام لنصف الكرة الغربى ١٢ مليون طن عام ١٩٥٣

---

(١) Longrigg. above mentioned article, 354.
United Nations, *Economic Developments in the Middle East*, 1951-1953-59.

(٢) Longrigg, above mentioned article, 354.

(٣) United Nations, *Summary of the Recent Economic Developments in the Middle-East*, 28.
Econom. Developments in the Middle East, 1954-1955..., 108. and *Aperçu de l'évolution des conditions économiques au Moyen-Orient, 1952-1953*, 60.

و ١٣ مليون طن عام ١٩٥٤ [١] . وفى عام ١٩٥٥ صدر الشرق الأوسط ١٤ مليون طن من البترول لأمريكا الشمالية ومليون طن لأمريكا الجنوبية [٢] .

وينتظر أن يستمر اعتماد الولايات المتحدة خاصة والعالم الجديد عموما على بترول الشرق الأوسط فى التزايد فى الأعوام المقبلة ذلك أن البعض يقدر أن حاجة الولايات المتحدة إلى الخارج للحصول على البترول سوف تصل فى عام ١٩٦٥ إلى مرتين ونصف قدر حاجتها عام ١٩٥٥ [٣] ولا شك أن الشرق الأوسط سيقوم بسد نصيب متزايد من هذه الحاجة .

نقل بترول الشرق الأوسط إلى الغرب

وبترول الشرق الأوسط الذى يصدر إلى البحر المتوسط وما وراء البحر المتوسط لى الغرب ، هذا البترول بكمياته المتزايدة لابد له أن ينقل إلى أسواق استعماله وفى عملية النقل هذه تستعمل فى منطقة الخليج الفارسى وسيلتان :

١ — الأنابيب إلى البحر المتوسط ومن ثم تستعمل الناقلات .

٢ — الناقلات من الخليج الفارسى مستعملة :

(ا) طريق البحر الأحمر وقناة السويس .

(ب) طرقا أخرى كطريق رأس الرجاء الصالح أو قناة بنما .

وبهذا ننتقل إلى مرحلة أخرى من مراحل هذا البحث .

ماذا لو امتنع مرور البترول فى القناة :

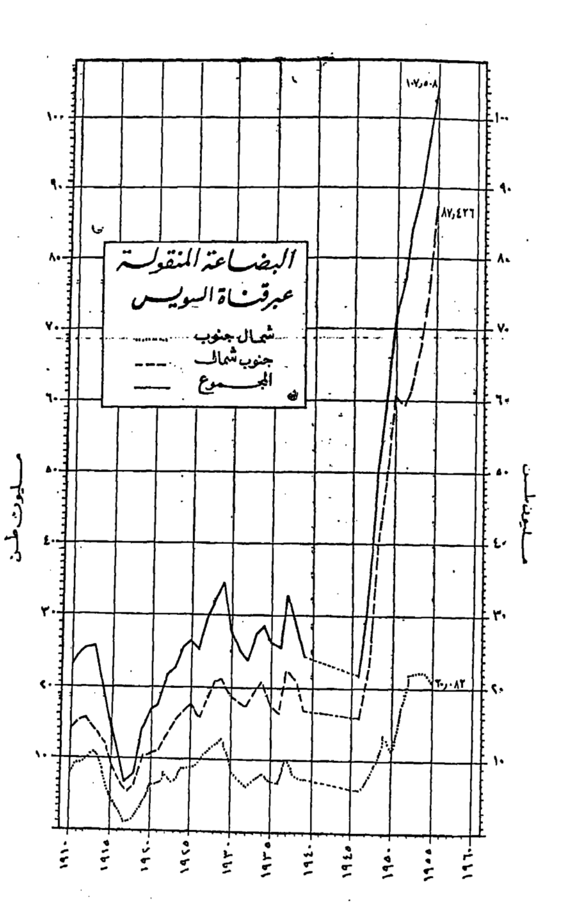
قبل أن نبدأ فى تناول موضوع البترول وحمولته المارة خلال القناة ينبغى أن نلاحظ أولا أنه رغم وجود كثير من الظروف والعقبات والقيود التى تحدد من حرية التبادل والاتجار فى العالم (ونرجو أن نتناول ذلك فى تفصيل فى المستقبل) رغم ذلك فاننا لو افترضنا

---

(١) United Nations, *Economic Developments in the Middle East, 1954-1955...*, 26.

(٢) *The Financial Times*, August 11, 1956

(٣) Pogue and Hill.... *op. cit.* 28.

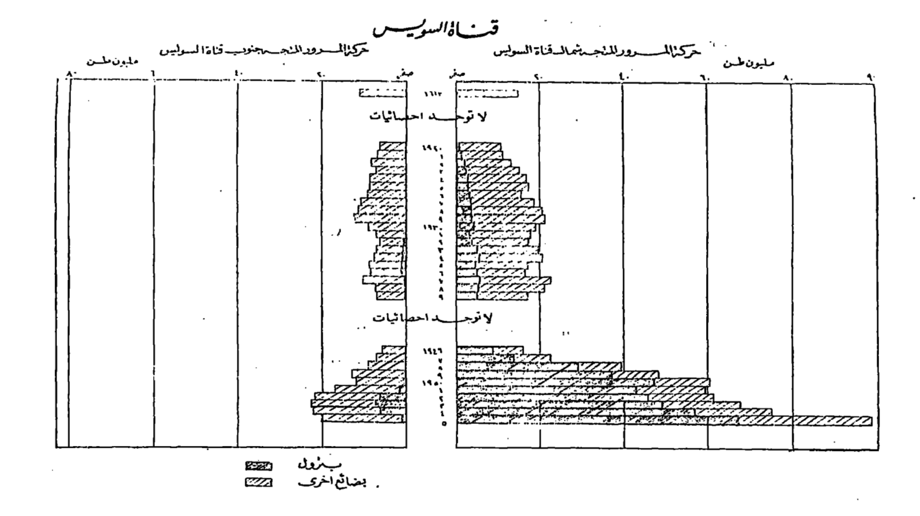

البضاعة المنقولة
عبر قناة السويس
شمال جنوب
جنوب شمال
المجموع
مليون طن
مليون طن
١٠٧,٥٠٨
٨٧,٤٢٦
٢٠,٠٨٢
١٠٠
٩٠
٨٠
٧٠
٦٠
٥٠
٤٠
٣٠
٢٠
١٠
١٩١٠
١٩١٥
١٩٢٠
١٩٢٥
١٩٣٠
١٩٣٥
١٩٤٠
١٩٤٥
١٩٥٠
١٩٥٥
١٩٦٠

عدم وجود بترول إطلاقاً ضمن البضائع التى تمر خلال القناة فسوف نجد أن البضاعة المارة خلال قناة السويس منذ عام ١٩٥١ تزيد فى كميتها عن أقصى بضاعة مرت خلال عام فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية وأنها على العموم فى تزايد مطرد ويتبين ذلك من الجدول الآتى :

البضاعة — مليون طن [(١)]

العام	عامة	البترول ومشتقاته	بضائع أخرى
١٩١٣	٢٥,٧٧٥,٠٠٠	٠,٨٠١,٠٠٠	٢٤,٩٧٤,٠٠٠
١٩٢٠	١٧,٠٤٧,٠٠٠	١,٠٥٠,٠٠٠	١٥,٩٩٧,٠٠٠
١٩٢٥	٢٦,٠٧٨,٠٠٠	٢,٩٨٣,٠٠٠	٢٣,٠٩٥,٠٠٠
١٩٢٩	٣٤,٥١٦,٠٠٠	٤,٠٦٤,٠٠٠	٣٠,٤٥٢,٠٠٠
١٩٣٠	٢٨,٥١١,٠٠٠	٤,٤٦٠,٠٠٠	٢٤,٠١٥,٠٠٠
١٩٣٥	٢٦,٣٢٨,٠٠٠	٥,٠٤٤,٠٠٠	٢١,٢٨٤,٠٠٠
١٩٣٨	٢٨,٧٧٩,٠٠٠	٥,٥٠٣,٠٠٠	٢٢,٢٧٦,٠٠٠
١٩٣٧ — ٣٣	٢٨,٠٠٥,٠٠٠	٥,٤٧٣,٠٠٠	٢٢,٥٣٢,٠٠٠
١٩٥١	٧٦,٧٥٣,٠٠٠	٤٤,٨٠٢,٠٠٠	٣١,٩٤٩,٠٠٠
١٩٥٢	٨٣,٤٤٨,٠٠٠	٥٢,٣٤٨,٠٠٠	٣١,١٠٠,٠٠٠
١٩٥٣	٩٠,٣٩٩,٠٠٠	٥٦,٦٥١,٠٠٠	٣٣,٧٤٨,٠٠٠
١٩٥٤	٩٦,٨٨١,٠٠٠	٦٣,٠٦٢,٠٠٠	٣٣,٨١٨,٠٠٠
١٩٥٥	١٠٧,٥٠٨,٠٠٠	٦٨,٧٩٨,٠٠٠	٣٨,٧١٠,٠٠٠

(١) مختصر من مطبوعات الشركة المنحلة المذكورة فى قائمة المراجع .


قناة السويس
حركة المرور المتجه شمالا قناة السويس
حركة المرور المتجه جنوبا قناة السويس
مليون طن
مليون طن
صفر
٢٠
٤٠
٦٠
٨٠
٩٠
١٩١٣
لا توجد احصائيات
١٩٢٠
١٩٣٠
لا توجد احصائيات
١٩٤٦
١٩٥٠
بترول
بضائع اخرى

فاذا حاولنا أن نبحث فى حمولة السفن المـارة وهذا مهم من ناحية الرسوم وجدنا الآتى [1] :

السنة	مجموع الحمولة	حمولة الناقلات	الحمولة الأخرى
١٩١٣	٢٠،٠٣٤،٥٠٠	٠،٤٨٩،٠٠٠	١٩،٥٤٥،٠٠٠
١٩٢٠	١٧،٥٧٥،٠٠٠	١،٠٤٩، ٠٠	١٦،٥٢٦،٠٠٠
١٩٢٥	٢٦،٧٦٣،٠٠٠	٣،٤٢٢،٠٠٠	٢٢،٣٤٠،٠٠٠
١٩٣٠	٣١،٦٦٩،٠٠٠	٥،٢١٨،٠٠٠	٢٦،٤٥١،٠٠٠
١٩٣٥	٣٢،٨١١،٠٠٠	٤،٨٦٠،٠٠٠	٢٧،٩٥١،٠٠٠
١٩٣٨	٣٤،٤١٨، ٠٠	٥،٩٩٠،٠٠٠	٢٨،٤٤٨،٠٠٠
١٩٤٦	٣٢،٧٣٢،٠٠٠	٩،٩١٩،٠٠٠	٢٢،٨١٣،٠٠٠
١٩٤٧	٣٦،٥٧٧،٠٠٠	١٦،٠٦٩،٠٠٠	٢٠،٥٠٨،٠٠٠
١٩٤٨	٥٥،٠٨١،٠٠٠	٣٢،٢٧٩،٠٠٠	٢٢،٨٠٢،٠٠٠
١٩٤٩	٦٨،٨٦٢،٠٠٠	٤٠،١٩٥،٠٠٠	٢٧،٦٦٧،٠٠٠
١٩٥٠	٨١،٧٩٦،٠٠٠	٥٢،٠٩٢،٠٠٠	٢٩،٧٠٤،٠٠٠
١٩٥١	٨٠،٣٥٦،٠٠٠	٤٦،٧٣٢،٠٠٠	٣٣،٦٢٤،٠٠٠
١٩٥٢	٧٦،١٣٧،٠٠٠	٥١،٨٢٢،٠٠٠	٣٤،٣١٥،٠٠٠
١٩٥٣	٩٢،٩٠٥،٠٠٠	٥٦،٣٧٤،٠٠٠	٣٦،٥٣١،٠٠٠
١٩٥٤	١٠٢،٤٩٤،٠٠٠	٦٥،٠١٢،٠٠٠	٣٧،٠٨٢،٠٠٠
١٩٥٥	١١٥،٧٥٦،٠٠٠	٧٥،٨٥٦،٠٠٠	٣٠،٩٠٠،٠٠٠

فاذا لاحظنا إلى جانب هذا أن نسبة الناقلات فى الحمولة الفارغة المـارة خلال قناة السويس تزايدت بدرجة بارزة ممـا يؤثر فى مقدار الرسوم التى تجبى على حمولة الناقلات

(١) محتسب من مطبوعات الشركة المتحدة المذكورة فى قائمة المراجع .

المارة ويجعلها أقل من نسبة الحمولة إذا قورنت بحمولة السفن الأخرى وتتضح هذه الظاهرة في الجدول الآتى [1] :

السنة	الحمولة الفارغة	نصيب الناقلات منها	النسبة المئوية
١٩٣٨	٥,٢٤٨,٠٠٠	٢,٨٧٥,٠٠٠	٪ ٥٤,٨
١٩٤٦	٦,٦٣١,٠٠٠	٥,١٥٠,٠٠٠	٪ ٧٧,٧
١٩٥٠	٢٧,٣٦٠,٠٠٠	٢٦,٤٢٨,٠٠٠	٪ ٩٧,١
١٩٥١	٢٣,٥٧٧,٠٠٠	٢٢,٢٢٦,٠٠٠	٪ ٩٤,٥
١٩٥٢	٢٤,٤٢١,٠٠٠	٢٢,٩٨٨,٠٠٠	٪ ٩٤,٣
١٩٥٣	٢٥,٩٤٥,٠٠٠	٢٥,١٢٥,٠٠٠	٪ ٩٦,٩
١٩٥٤	٣١,١١٤,٠٠٠	٣٠,٢١٤,٠٠٠	٪ ٩٧,١
١٩٥٥	٣٨,٩١٩,٠٠٠	٣٧,٨٩١,٠٠٠	٪ ٩٧,٣٧

فيمكننا أن نستنتج بعد ذلك فى اطمئنان أن الحمولة المارة من السفن بغير الناقلات خلال قناة السويس تزيد زيادة بارزة عن حمولة نفس السفن فى الفترة قبل الحرب العالمية الثانية وأن هذه الحمولة تتزايد باطراد كما أن رسوم المرور التى تدفعها تنطبق عليها الظاهرتان نفساهما .

ويمكن أن نتصور أن معدل التزايد هذه الكميات قد يسرع بدرجة أكبر بمرور الوقت إذا خفت حدة الحرب الباردة وخففت القيود على حرية الاتجار وزاد انتشار المبادىء التى تدعو إلى العدالة الاجتماعية وزيادة نصيب الطبقات الدنيا من الدخل القومى والاهتمام بالتصنيع والتنمية الاقتصادية عموما التى تقوم على أساس راسخ من الاختلاف فى الموارد الطبيعية مما يساعد على رفع مستوى المعيشة عموما وزيادة القوة الشرائية فى يد الناس وكذلك يؤدى إلى زيادة التبادل وقيامه على أساس متين .

ولا شك أن ما يحدث من تطور فى وسائل الاتصال وما يؤدى إليه ذلك بمرور الوقت من ترابط أجزاء العالم وتعاونها سوف ينتهى بنا إلى هذه النتيجة إن عاجلا أو آجلا .

وإذ نتناول الآن فى هذا البحث بالذات موضوع البترول يمكننا أن نذكر بهذا

(١) محتسب من مطبوعات الشركة المتمددة المذكورة فى قائمة المراجع .

الخصوص أن التوسع فى صناعة البترول بمختلف نواحيها يدعو بالضرورة إلى إقامة كثير من الانشاءات [1] ، وأن الدخل المتزايد الناجم عنه فى هذه المناطق يؤدى بالضرورة إلى زيادة رخاء هذه المناطق وبالتالى إلى زيادة حاجاتها التى تمر من الشمال إلى الجنوب خلال قناة السويس . كما أنه ينتظر بمرور الوقت أن تتزايد نسبة ما يصرف من هذه الايرادات المتزايدة على الأمور الانتاجية ومن ثم على الحاجيات الثقيلة وكذلك على أفراد الشعب وبذلك تزداد كميات البضائع التى تحتاجها هذه المناطق من شمالى وغربى قناة السويس والتى ينبغى أن تمر خلال هذه القناة حتى تصل إلى منطقة الخليج الفارسى ؛

بل قد يؤدى ما يحدث من تنمية وتطور اقتصادى إلى زيادة ما يمكن أن يشارك به هذا الاقليم فى البضاعة (الجافة) المارة من الجنوب إلى الشمال خلال قناة السويس إلى جانب نصيبه المتزايد من البترول المار خلال القناة .

وبهذا يمكن أن نؤكد أنه بصرف النظر عن أثر البترول ذاته فى حركة المرور خلال القناة فان الباحث ينتظر أن يؤثر البترول بطريق غير مباشر بزيادة التجارة الجافة خلال القناة .

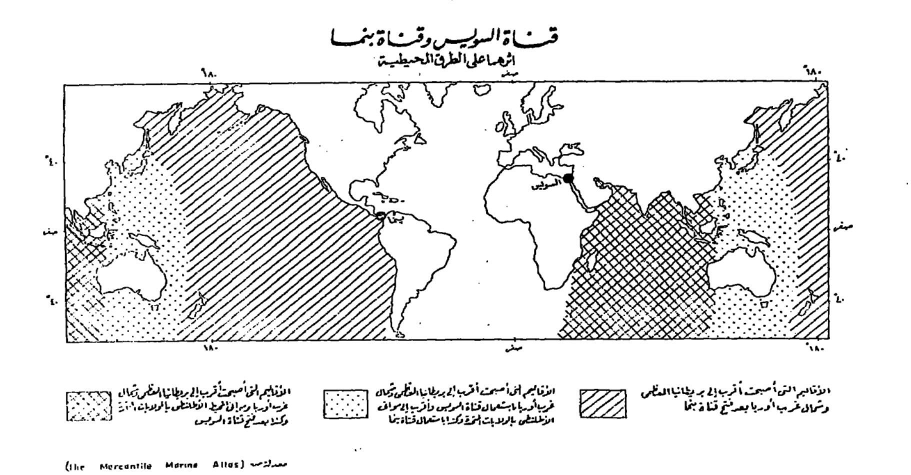
الطرق الجوية والبرية :

وإذ نتناول مشكلة نقل البترول خلال القناة وإمكانياته — ونهتم فى ذلك بصفة خاصة ببترول الخليج الفارسى يحسن أن ننظر إلى المسألة أولا فى صورتها العامة لنلاحظ أن البترول (ومشتقاته) الذى يعبر القناة يأتى من جهات مختلفة على جانبى القناة وإن كان معظمه يأتى من منطقة الخليج الفارسى . فاذا حاولنا أن نبحث فى وسائل النقل المختلفة التى يمكن نقل هذه المادة أو أى مادة أخرى بواسطتها وبدأنا فى ذلك بطرق النقل الجوى والبرى وجدنا أنه لا مجال إطلاقاً لهذه الوسائل فى أن تنافس النقل البحرى فتكاليف الانشاء والصيانة وتكاليف التشغيل المتعددة الجوانب وطبيعة وسائط النقل المختلفة وطرقه — كل ذلك يجعلنا ننتهى فى اطمئنان إلى أن النقل الجوى والبرى لا يمكنهما منافسة النقل

---

(١) يلاحظ أنه فى عام ١٩٥٥ كان مجموع واردات منطقة الخليج الفارسى خلال القناة ٢,١٤٣,٠٠٠ طناً من البضاعة بلغ نصيب الأسمنت والآلات والمواد المعدنية ١,٢٩٨,٠٠٠ طناً أى ما يوازى ٦١ ٪ منها .

قناة السويس وقناة بنما
أثرهما على الطرق المحيطية



الأقاليم التي أصبحت أقرب إلى بريطانيا العظمى وشمال غرب أوربا بعد فتح قناة بنما

الأقاليم التي أصبحت أقرب إلى بريطانيا العظمى وشمال غرب أوربا باستعمال قناة السويس وأقرب إلى سواحل الأطلنطي بالولايات المتحدة وكذا باستعمال قناة بنما

الأقاليم التي أصبحت أقرب إلى بريطانيا العظمى وشمال غرب أوربا وسواحل المحيط الأطلنطي بالولايات وكذا بعد فتح قناة السويس

مصدر: (The Mercantile Marine Atlas)

البحرى فى نقل البترول الداخل فى التجارة العالمية ويهمنا منه ما يمكن نقله خلال قناة السويس البحرية وسوف نتناول الموضوع بصفة عامة وبدرجة كبيرة من التفصيل فى بحث مقبل .

الطرق البحرية :

والطرق البحرية التى ينبغى أن نتناولها بدرجات مختلفة فى مجال بحثنا هذا هى طريق بنما وطريق كيب هورن وطريق رأس الرجاء الصالح .

بنما وكيب هورن :

ويمكننا أن نقول أنه لا مجال للمنافسة بين طريق السويس وطريق بنما على بترول الخليج الفارسى إذ يتفوق الطريق الأول على الطريق الثانى تفوقاً كبيراً سواء من ناحية المسافة أو من غيرها من النواحى ومن الأمور ذات المغزى أن أمريكا الشمالية استوردت من بترول الخليج الفارسى عام ١٩٥٥ ١٤ مليون طناً نقلت بواسطة الأنابيب أو عبر قناة السويس . وكان نصيب القناة من هذا القدر ٨٫٧٢٩٫٠٠٠ طناً فى حين أنها استوردت من المنطقة مليوناً واحداً فقط عن طريق الشرق الأقصى واحتمال ذهاب هذا القدر الصغير على أى حال إلى المناطق الشرقية من القارة وعبوره لقناة بنما حتى يصل إلى هذه المناطق احتمال صغير جداً[١] :

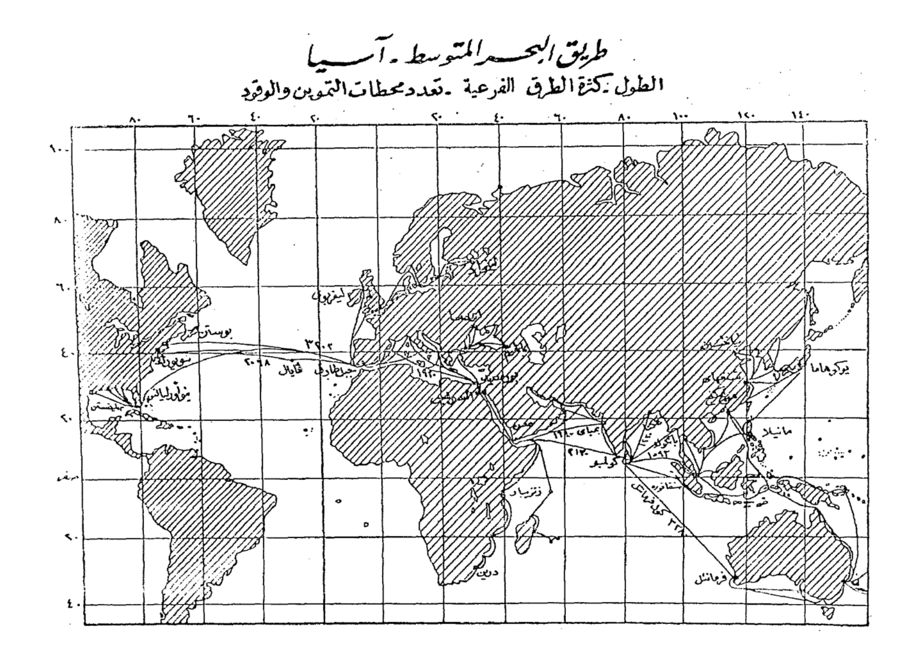
ولا شك أن تفوق طريق السويس يزداد بوضوح إذا قارناه بطريق كيب هورن الذى يدور حول أمريكا الجنوبية .

طريق رأس الرجاء الصالح :

بقى طريق رأس الرجاء الصالح . والملاحظ بصفة عامة أنه فضلا عن أن طريق السويس يمتاز عن هذا الطريق فى كثير من النواحى ، فإنه إلى جانب ذلك يتفوق تفوقاً بارزاً من حيث أنه يوفر جزءاً ضخماً من المسافة المقطوعة بين نقطة الابتداء ونقطة الوصول وطريق السويس يمتاز فى هذه الناحية حتى ولو كانت الرحلة بين أوربا وما وراء استراليا أو اليابان

---

(١) *The Financial Times*, August 11, 1956.



طريق البحر المتوسط - آسيا

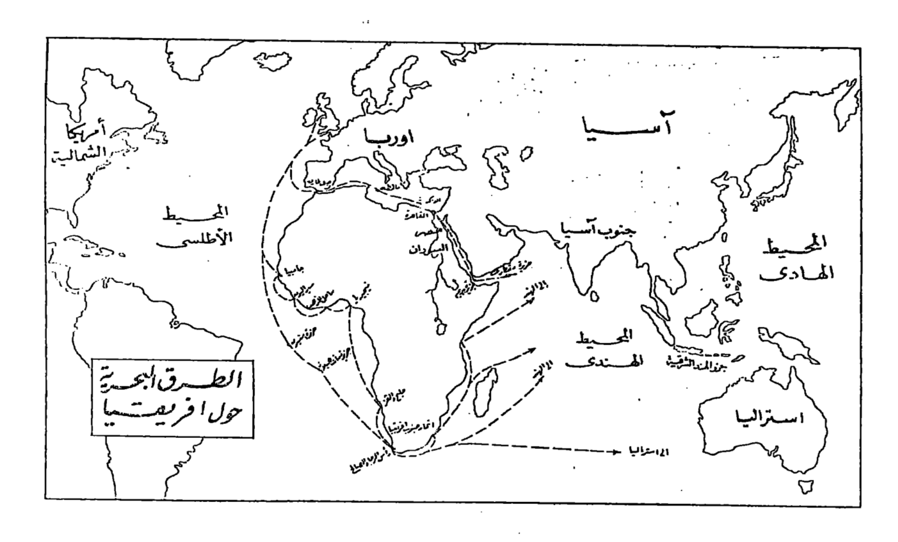
الطول - كثرة الطرق الفرعية - تعدد محطات التموين والوقود

أو بين المناطق الشرقية فى أمريكا الشمالية وبين هونج كونج ويتضح ذلك من الخريطة المرافقة كما يتضح من الجدول الآتى [1]:

إلى	الطريق المستعمل	من مرسيليا: المسافة (ميل بحرى)	مرسيليا: الوفر	هامبورج: المسافة (ميل بحرى)	هامبورج: الوفر	ليفربول: المسافة (ميل بحرى)	ليفربول: الوفر
	٪		٪		٪		٪
بومباى	رأس الرجاء	١٠٤٢٤	٥٦	١١٠٢٨	٤٠	١٠٦٨٠	٤٢
	السويس	٤٥٦٣		٦٥٦٧		٦٢٢٣	
كلكتا	رأس الرجاء	١١٣٠٠	٤٥	١١٩٠٤	٣١	١١٥٥٦	٣٢
	السويس	٦١٩٥		٨٢٠٩		٧٨٦٥	
سنغافوره	رأس الرجاء	١١٤٥١	٤٣	١٢٠٥٥	٢٩	١١٧٠٧	٢٩
	السويس	٦٥٤١		٨٥٥٥		٨٢١١	
سيجون	رأس الرجاء	١٢١٦٦	٤١	١٢٧٧٠	٢٨	١٢٤٢٢	٢٩
	السويس	٧١٧١		٩١٨٥		٨٨٤١	
يوكوهاما	رأس الرجاء	١٤١٨٠	٣٣	١٤٧٨٤	٢٣	١٤٤٣٦	٢٣
	السويس	٩٤٤٣		١١٤٥٧		١١١١٣	
تاماتاف	رأس الرجاء	٧٩٠٧	٣٥	٨٥١١	١٦	٨١٦٣	١٦٫٥
	السويس	٥١٤٤		٧١٥٨		٦٨١٤	
ملبورن	رأس الرجاء	١١٦٣٤	١٩	١٢٢٣٨	٧	١١٨٩٠	٧
	السويس	٩٣٤٨		١١٣٦٢		١١٠١٨	

ويلاحظ من الجدول كذلك أن نسبة الوفر فى المسافة تتزايد كلما قربت نقطة الابتداء أو الانتهاء من قناة السويس وأن الوفر المتزايد يتضاعف إذا قربت نقطتا الابتداء والانتهاء معا من القناة وهذا هو الحادث فعلا بالنسبة لهذه المادة فمعظم البترول الذى يمر بالقناة يأتى من منطقة الخليج الفارسى القريبة من القناة ومعظمه يتجه إلى أوربا الغربية

(1) Nousbaum R. et J., et Hutchings, G., *Compagnie Universelle du Canal de Suez...*, 154.



الطرق البحرية
حول افريقيا
أمريكا
الشمالية
المحيط
الأطلسى
اوربا
آسيا
جنوب آسيا
المحيط
الهادى
المحيط
الهندى
استراليا
الى استراليا

من الجانب الآخر للقناة ، بل أن جانباً كبيراً منه يذهب إلى الدول الاوربية فى البحر المتوسط .

فقد كان نصيب أوربا من البترول العابر من الجنوب إلى الشمال خلال القناة عام ١٩٥٥ حوالى ٥٦٫٥ مليون طناً من المجموع الذى قدره ٦٦٫٨٩٣ مليون طن وكان نصيب فرنسا وإيطاليا وحدهما حوالى ١٩٫٥ مليون [1] . ويلاحظ أن المسافة بين لندن وبين الكويت عن طريق الرأس تبلغ ١٣٤٣٧ ميلا تنقص إلى ٧٤٨٨ [2] ميلا إذا استعمل طريق السويس وهاتان هما المستورد والمصدر الأول عبر قناة السويس ، فضلا عن أن بقية المناطق المصدرة فى الخليج الفارسى والمستوردة فى أوربا لا يقل الفرق فى المسافة بخصوصها عن الفرق بين الرقمين السابقين .

هذه الحقائق تجعلنا تقرر فى اطمئنان أنه يكاد يكون لا مجال لمنافسة طريق الرأس لطريق السويس فى نقل البترول ويضاعف من اطمئناننا نشاط عجلة الاقتصاد الأوربى والاهتمام بتوفير أكبر جانب ممكن من الوقت إلى الحد الذى تفضل فيه الناقلات الفارغة والمتجهة إلى الخليج الفارسى أن تمر فارغة خلال القناة وتدفع رسوم عبورها على أن تدور حول رأس الرجاء الصالح توفيراً للوقت وإسراعا بنقل أكبر كمية ممكنة من هذه المادة إلى أوربا وأمريكا فى أقل وقت ممكن . ومن الأمور ذات المغزى بهذا الخصوص أن الناقلات الفارغة التى تمر من الشمال إلى الجنوب تكاد توازى عدد الناقلات المليئة المتجهة من الجنوب إلى الشمال كما يتضح من الجدول الآتى [3] :

السنة	الناقلات الفارغة شمال جنوب	الناقلات المليئة جنوب شمال
١٩٥١	٢٢٬٠٥٤٬٠٠٠	٢٣٬٢٢١٬٠٠٠
١٩٥٢	٢٠٬٣١٦٬٠٠٠	٢٠٬ ٤٢٬٠٠
١٩٥٣	٣٤٬٣٤٥٬ ٠٠	٢٧٬٠٥٠٬٠٠٠
١٩٥٤	٢٩٬٣٢٣٬٠٠٠	٣١٬٢١١٬٠٠٠
١٩٥٥	٢٧٬٤٥٢٬٠٠٠	٣٦٬٧٥٥٬٠٠٠

(١) محتسب من مطبوعات الشركة .

(٢) *The New York Times*, August 29, 1956.

(٣) مطبوعات الشركة .

غير أننا نلاحظ أنه فى حالة البترول الذاهب إلى أمريكا فان الوفر فى المسافة يكون أقل نسبيا ويبلغ حوالى ٣٦٠٠ ميلا[١] . وفى هذه الحالة تذكر جريدة الفيناشيال تيمز :

"It is cheaper per ton of oil carried to send a very large tanker to the Eastern Coast of the U.S via the Cape than to send a standardized tanker through the Suez-Canal". [٢]

إلا أنه لا بد من التحفظ ببعض الملاحظات على هذه الحقيقة :

١ — ان قناة السويس لا تسمح فقط بمرور الناقلات الصغيرة . بل هى تسمح بمرور سفن كبيرة وقد عبرتها عام ١٩٥٥ ٨٠٥ سفينة تتراوح حمولتها بين ٢٠٠٠٠ وما يزيد على ٣٠٠٠٠ طن منها ٦٨ سفينة تزيد حمولتها على ٣٠٠٠٠ طن[٣] . وهذا أعلى بكثير مما تسميه الجريدة Standardized tanker ومن المعروف أنه منذ عشر سنوات لم تكن توجد ناقلة بترول واحدة تزيد حمولتها على ٢٠٠٠٠ طن[٤] .

٢ — إن برامج التعميق والتوسيع فى القناة مستمرة مما يزيد من مقدرتها على تمرير ناقلات أكبر وهذا يجعل الفرق فى المسافة يكاد يتغلب على معظم الفرق فى التشغيل بين الناقلات المارة وبين أكبر الناقلات العاملة .

٣ — من العقبات التى تقف فى وجه هذا التطور عدم وجود الاستعدادات المناسبة فى الموانىء المستقبلة لهذه السفن وتقول مجلة Time مثلا :

"The average U. S. port (today) is only 39.6 ft. deep: 5 ft. too shallow for any loaded tanker over 32000 tons. As a result supertankers are forced to discharge up to one third of their loads into lighters before entering most ports, e.g. Philadelphia, terminal port for 41% of all world oil shipments". [٥]

٤ — إن الناقلات الكبيرة أبطأ وتستعمل وقودا بدرجة أكبر[٦] .

(١) *The Financial Times*, July 28, 1956.
(٢) *Ibid.*,
(٣) محتسب من مطبوعات الشركة .
(٤) *The Financial Times*, September 8, 1956.
(٥) *Time*, August 6, 1956.
(٦) *The Financial Times*, September 8, 1956.
وإن كانت الناقلات الكبيرة على العموم أقل فى مجموع تكاليف التشغيل بالنسبة للطن — ميل .

٥ — يلاحظ ان التطور فى السفن ومنها الناقلات يتكيف بدوره بظروف القناة ذلك لأن الشركات تعمل على الافادة من الوفر الضخم الذى يحققه استعمال القناة بمراعاة ظروف هذه القناة عند بناء سفنها وخاصة أن بناء سفن أضخم مما يمكنه استعمال القناة سوف يقيد إمكانياتها فى العمل تقييدا كبيرا.

ورغم ما تحققه الناقلات الكبيرة من وفر فان القناة تتفوق حتى فى حالة السفن الأصغر بالنسبة لجزء كبير من تجارة العالم فى البترول ويلاحظ أن حمولة الناقلات التى تستعمل هذا الطريق تزيد على نصف الحمولة العالمية وانها سوف تتزايد بالتزايد المنتظر فى صادرات الخليج الفارسى إلى الغرب وخاصة أوروبا. ولهذا نجد أن شركات الناقلات ترى من مصلحتها أن تتقيد فيما تدخله من تحسين أو تكبير بابعاد قناة السويس وحدود تطورها بحيث تحقق فى النهاية أحسن استفادة ممكنة لهذه الشركات وتعمل القناة من جانبها على مواجهة هذه التطورات بحيث تحقق لها أكبر فائدة ممكنة هى الأخرى. وقد كان هذا التكيف المتبادل عملية مستمرة بارزة فى تاريخ قناة السويس وبناء السفن. ويمكننا أن نضيف إلى هذه الحقائق بعض الحقائق الأخرى:

١ — إن بترول الشرق الأوسط لا يشغل كل الناقلات وإنما يشغل جزءا منها فقط. وإن الطلب على الناقلات أكبر من الموجود من خدماتها فعلا وهذا هو سر ازدحام شركات البناء والطلبات وكذلك أن التزايد فى الطلب على البترول يسابق التزايد فى أساطيل الناقلات[٢]. وقد زادت حمولة أسطول الناقلات فى العالم من ٩٫٥٧ مليون طن عام ١٩٣٨ إلى ١٨٫٢١ مليون طن عام ١٩٥١ ومن ١٧٫٧ مليون طن ١٩٥٠ إلى ٢٤٫٤ مليون طن عام ١٩٥٤ أى بنسبة ٣٨٪[٣].

---

(١) تذكر مجلة *Time* العدد المذكور.

For several reasons, tankers are unlikely to keep growing in size indefinitely. Since the Suez Canal is only 35 feet deep is too shallow for even a 40,000 ton tanker to pass with a full Load."

يرجع أيضاً إلى المراجع السابقة فى هذا الموضوع ومنها:

Hoskins, H. L., British Routes to India; Sakr (Hassan), "The Geography of the Suez Canal."

(٢) من الأمور ذات المغزى ان شركات البترول تسارع إلى السيطرة على الناقلات الخاصة عن طريق الاجارة الطويلة Long Term Charter وإن المبلغ المدفوع يغطى تكلفة الناقلة فى حوالى ٧ سنوات بالرغم من ان الناقلة يمكنها أن تستغل لمدة ٢٠ و ٢٥ عاماً.

Time, August6, 1956.

(٣) من مطبوعات الشركة.

ورغم أن شركات بناء الناقلات مشغولة تماما لعدة سنوات ، فان الصحف تأتى كل يوم بخبر طلبات جديدة .

هذه الحقائق تجعل من الضرورى استخدام كل طاقة النقل القائمة .

فإذا لاحظنا أن نسبة الناقلات التى تزيد حمولتها عن ٢٠٠٠٠ طن إلى أسطول الناقلات العالمى اليوم هى ١٢٪ فقط وانه حتى بعد أن تفرغ ترسانات السفن من بناء الناقلات المطلوبة منها أى حوالى عام ١٩٦٠ أو بعد ذلك سوف تكون نسبة الناقلات التى تزيد حمولتها عن ٣٠٠٠٠ طن ٣٠٪ من أسطول الناقلات العالمى[١] .

وإذا أخذنا فى الاعتبار أن الناقلات التى استعملت القناة مرة أو أكثر عام ١٩٥٠ بلغت حمولتها ١١ مليون طن من المجموع ، وهو ١٨ مليون وفى عام ١٩٥٣ $\frac{٢}{٥}$ وفى عام ١٩٥٥ نصف المجموع[٢] . تنتهى إلى أن هذه الحقائق تضع قناة السويس التى تخدم جزءاً فقط من الناقلات العالمية والتى تصلح لعبور معظمها والتى تتزايد صلاحيتها باطراد لعبور سفن أضخم فى مركز لا يخشى عليه بالنسبة للطرق البحرية الأخرى .

٢ — إن كمية البترول التى يمكن لمزايا الناقلات الضخمة جداً إذا استعملت أن تحولها عن طريق السويس إلى الطرق الاخرى كمية بسيطة حتى لو حدث ما يقرب من المستحيل وتحولت كلها فنلاحظ أن الكمية التى ذهبت إلى أمريكا عام ١٩٥٥ تبلغ ٨٫٧٢٩٫٠٠٠ طنا أى $\frac{١}{٨}$ البترول المار فى القناة فى نفس العام وأقل من $\frac{١}{١٢}$ من مجموع البضاعة العابرة[٣] . والواقع يبين أن نسبة البترول الذاهب إلى أمريكا من الشرق الاوسط بواسطة الطرق الاخرى غير قناة السويس والانابيب هى نسبة تافهة جداً تقل عن عشر ما يصدر اليها[٤] .

٣ — أن القناة إذا لم تكن سعتها وعمقها يسمحان بعبور بعض الناقلات الضخمة جداً وهى مليئة فان هذه الناقلات يمكنها عبور القناة وهى فارغة فى طريقها إلى الشحن . وهذا يوفر على هذه الناقلات كثيراً من الوقت .

---

(١) The Financial Times, August 8, 956.

(٢) من مطبوعات الشركة .

(٣) محتسب من مطبوعات الشركة .

(٤) The Financial Times, August 11, 956.

من كل ما سبق يمكننا أن ننتهى إلى أن مجال منافسة الطرق البحرية الاخرى لطريق السويس فى نقل بترول الشرق الاوسط الحاضر والمستقبل ورغم اتجاه الناقلات إلى التضخم فى الحجم مما يقل من نفقات تشغيلها هذا المجال التنافسى لا يكاد يذكر . ويرجو الكاتب أن يتناول الموضوع بتفصيل أكبر فى المستقبل .

قناة خارج مصر :

ويذكر البعض بين الحين والحين وغالباً ما يكونون مهددين بمشروع قناة تمتد من خليج العقبة إلى البحر المتوسط والباحث الاقتصادى حين يتناول مثل هذا المشروع ينظر إليه على أنه سوف يكون إما منافساً لقناة السويس أو مكملا لها .

أما عن المنافسة فهذا شيء لا يستقيم مع عقل إذ أن ظروف برزخ السويس من قصر فى المسافة بين البحرين واستواء فى السطح ولين فى الطبقات المحفورة ووجود البحيرات والمستنقعات فى نسبة كبيرة من المسافة وتوفر المياه العذبة عن طريق النيل ووادى طميلات كل ذلك جعل حفر القناة سهلا وجعلها تعمل ومياهها فى مستوى واحد فلا حاجة إلى أهوسة ولا تعقيدات أما قناة العقبة ففضلا عن طول المسافة نجد اختلاف مستويات المظاهر التضاريسية وصعوبة الحفر وندرة المياه . كل ذلك سوف يؤدى إلى صعوبة الانشاء وبهاظة التكاليف فضلا عن ضرورة الحاجة إلى الاهوسة .

هذا كله إلى جانب طول المسافة يجعل قناة السويس لا تمتاز من ناحية تكاليف الانشاء فقط وإنما تمتاز كذلك من ناحية التشغيل امتيازاً يجعل من المستحيل على القناة الاخرى منافستها . فاذا قال قائل أن الدول التى لا تريد خيراً لمصر قد تقبل تحمل نفقة الانشاء فكيف بها ولا مجال لمنافسة نفقات الصيانة أو التشغيل وهذه مصاريف دورية وتستمر على مر الزمن ؟

إن الباحث يمكنه أن يقطع فى اطمئنان بأنه لا مجال إطلاقاً لان تقوم قناة العقبة المقترحة بمنافسة قناة السويس وخاصة إذا أضفنا بعد ذلك ما اكتسبته قناة السويس والادارة من سمعة وخبرة تجعل المشروع — وهو فى مركز قوى جداً بظروفه الطبيعية — فى مركز أقوى بظروفه التاريخية والادارية .

وسوف نتناول النقطة الثانية ، وهى نقطة التكامل تزوداً . فقد يقول البعض مبررين

هذا المشروع ، أن الطلب على النقل بين الشرق والغرب يتزايد إلى درجة يستحيل على قناة السويس معها أن تفى بخدمته . فلابد من مكمل حتى ولو كان ذا تكلفة أكبر وبالتالى رسوم مرور أكبر وهذا القول يصح لو أن الظروف الطبيعية فى منطقة قناة السويس لاتسمح بالتوسع الكافى وبتكلفة على الاقل مساوية لتكلفة مشروع العقبة والدارس للموضوع يمكنه أن يقرر فى قطع أن منطقة قناة السويس هذه المنطقة المصرية — تقل تكاليف التوسع فيها عن أى منطقة أخرى بل يمكن إنشاء قناة أخرى إلى جانب القناة إذا لزم الامر . فلا مجال حتى لقيام مشروع مكمل فى منطقة العقبة . وإذا صحت هذه الحقائق فى حالة القناة بين خليج العقبة والبحر المتوسط ، فهى لا شك أصح فى حالة المشروع الذى «يتصور» أحيانا بين الخليج الفارسى والبحر المتوسط فهذا مشروع أقرب إلى الخيال لطول المسافة جداً ولمروره فى أكثر من دولة وللظروف الاخرى غير المواتية كما هو الحال فى مشروع قناة العقبة [1] .

والنقطة الهامة التى ينبغى ألا نغفلها ، إذ نتناول مشروع قناة العقبة هى أن المشروع فضلا عن أنه مشروع تشتق به البعض من الاستعماريين الصهونيين فى الغرب كهور بليشا مما يجعل من الصعب استساغته فى البلاد العربية فهو لا بد فى الوضع الراهن أن يمر بإسرائيل وأن ينتهى إلى إسرائيل وموقف الدول العربية جميعا من إسرائيل ومحاصرتها اقتصاديا موقف لا يحتاج منا إلى تبيان ويكفى أن نذكر أن حكومة نورى السعيد بالعراق وكانت مرتبطة بقوة بعجلة الغرب لم تملك إلا أن تسب إسرائيل والصهونية وتلعنها يوما بعد يوم . إن بيان هذه الحكومة بخصوص « تأييد » مصر فى تأميم القناة حاول أن يركز توجيه للذهن إلى العدو الأكبر إسرائيل والصهونية وبرغم علاقات المودة الوثيقة بين حكومة العراق هذه وبين الغرب خالق إسرائيل وراعيها ، فقد حافظت الحكومة العراقية محافظة مستمرة على منع بترول العراق من المرور فى أنابيب حيفا ، بل لقد توقف العمل فى مشروع الأنابيب الكبرى التى كانت سوف تتجه إليها وحولت إلى سوريا ولا يوحى الوضع بامكانية تغيير هذه السياسة بأى حال [2] .

---

(1) A General reference is Sakr (Hassan), *op. cit.*, see chapters 1—8.

(2) رغم ما ذكر بعد نسف خط الأنابيب الصغير المتجه إلى حيفا ، بواسطة أبناء الأردن فلا يزال الكاتب يعتقد ان حكومة نورى السعيد لم تكن تجرؤ على تحدى الشعور العربى إلى هذا الحد وخاصة ان الأنابيب المارة بالبلاد العربية تفى بحاجة العراق وبتكلفة أقل وهى تؤدى مهمتها على ما يرام فى الظروف العادية .

وفى أواخر ١٩٥٦ ذكرت الصحف أن العرب قدموا نصيحة إلى شركتين كبيرتين للبترول اكتشف أنهما تتعاملان مع إسرائيل بأن توقفا هذا التعامل . . . وإلا [١] .

ويمكن أن نستعمل ما سبق من حقائق فى الرد على ما يقال من إنشاء أنابيب بين خليج العقبة وحيفا . فهذه مشاريع أبعد ما تكون عن الحقيقة وسوف نمسها فيما بعد بعض الشيء ويكفى هنا أن ننقل ما ذكره لونجريج من حقيقة :

"No progress was made towards realization of the Isreali project of an Aqaba-Haifa pipe- line"[٢].

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أنه لن يحصل أى تقدم فى هذا الموضوع .

الأنابيب

وإذ ننتهى من هذه الوسائط المختلفة للنقل ونطمئن إلى أنه يكاد يكون لا مجال لها فى منافسة طريق السويس البحرى فى نقل البترول ، ننتقل إلى واسطة أخرى من وسائط نقل البترول ، وهى الأنابيب هذه واسطة هامة يجب أن نعطيها ما تستحقه من مناقشة .

المشتقات :

وينبغى بادىء ذى بدء أن نقرر أن الأنابيب إما أن تنقل البترول الخام وإما أن تنقل الغاز الطبيعى وبعض المشتقات . ونلاحظ فى الحالة الثانية أن ظروفاً كثيرة منها قلة الكمية نسبياً وتعدد الأنواع وعدم التركز النسبى فى الانتاج وتعدد الأسواق يجعل من المتعذر على الأنابيب أن تقوم وتنافس النقل البحرى فى هذه الناحية .

يضاف إلى ذلك أن هذه المشتقات على قلة نصيبها النسبى تأتى من الاتجاهين الجنوبى الشمالى والشمالى الجنوبى . كل هذا يجعل امكانية منافسة الأنابيب ذات الطاقة الكبيرة للنقل البحرى ذى الوحدات الصغيرة لا تقوم لها قائمة وخاصة أنه سيلزم فى هذه الحالة وجود أنابيب تنقل حتى المادة الواحدة من المشتقات فى اتجاهين متضادين .

(١) الاهرام ١/٨/١٩٥٦ وقد ذكرت الجمهورية فى ٨/١٠/١٩٥٦ ان شركة سوكونى فاكوم قررت إيقاف نشاطها تماماً باسرائيل .

(٢) Longrigg, *Oil in the Middle East*, 258.

ويضاف إلى ذلك نقطة هامة أخرى وهى أن التغيرات البارزة وعدم الاستقرار والاطراد فى الكميات المصدرة أو المستوردة بسبب التطورات السريعة نسبياً فى تغيرها تجعل الأنابيب التى يلزم لها استمرار العمل وبطاقة كاملة حتى يمكنها منافسة الناقلات ، فى وضع لا يبيح إطلاقاً بهذه المنافسة لأن الناقلات فضلا عن كونها وحدات صغيرة إذا قورنت بطاقة الانابيب فانها تمتاز على الانابيب كذلك بالمرونة من حيث حريتها فى تغيير اتجاه سيرها ونقط ابتدائها وانتهائها .

لهذا لا ينتظر باحث أن تقوم منافسة من الانابيب للناقلات فى نقل المشتقات المتعددة للبترول ويمكن أن تقرر هذا بكل اطمئنان .

غير أن هنالك عاملا يجب أن نلاحظه ، إذ نتحدث عن المشتقات . هذا العامل هو ميل كثير من الدول المنتجة للبترول شرقى وجنوبى قناة السويس إلى إنشاء مصانع التكرير والتوسع فيها . إلا أن تزايد الحاجة باطراد وعدم إنتاج كل الحاجة من كل المشتقات أو كل المشتقات المحتاج إليها فى هذا الجانب أو الجانب الآخر للقناة يجعلنا نطمئن إلى استمرار انتقال كميات لا بأس بها من مشتقات البترول بين المناطق الواقعة على جانبى القناة . وإذ يكون ذلك يمكننا أن نؤكد أن الكمية المنقولة تكاد تفوز القناة بها جميعاً دون منافس ينافسها .

البترول الخام :

هذا من ناحية المشتقات من الجهتين فما هو الحال إذا انتقلنا بحديثنا إلى البترول الخام ؟

شمال — جنوب :

أما البترول الخام الآتى من شمالى وغربى القناة ، فلا محل إطلاقاً لمنافسة الانابيب فيه لصغر كمياته وتعدد منتجيه وتباعدهم وعدم الاستمرار فيما يأتى من هذا الاتجاه وتعدد أسواق الاستهلاك — كل هذه العوامل تجعل من الامور المقطوع بها أنه لا مكان للأنابيب فى هذا المجال على الاطلاق حين تقارن إمكانيات النقل عبر قناة السويس .

جنوب شمال — ما سوى الخليج الفارسى :

ليس هذا فقط ، بل يمكننا أن نضيف إلى ذلك أنه إذ أخذنا المناطق جنوبى وشرقى قناة السويس . فاننا نلاحظ أنه ولو أن منطقة الخليج الفارسى تطغى طغياناً بارزاً على

ما سواها من ناحية كمية البترول الخام المصدر منها إلى المناطق شمالى وغربى القناة إلا أن هذا لا يعنى إطلاقاً أنها تنفرد بهذا التصدير فهناك مناطق أخرى مثل اندونيسيا وبورما والملايو هذه المناطق لا مجال فيها لمنافسة الانابيب لطريق السويس . وقد بلغ المصدر من هذه المناطق عبر قناة السويس عام ١٩٥٤ ١٫٠١٦٫٠٠٠ طناً زادت عام ١٩٥٥ إلى ١٫٩٦٦٫٠٠٠ طناً [1] .

وإذ ننتهى من هذا ، ننتقل إلى منطقة الخليج الفارسى ، وهى المنطقة الرئيسية فى إنتاج وتصدير البترول فيما وراء قناة السويس .

بترول الخليج الفارسى

شمال العراق :

وحين نتناول مشكلة نقل البترول من الخليج الفارسى إلى البحر المتوسط ، نلاحظ أن آبار البترول فى الأجزاء الشمالية من العراق لا تدخل فى نطاق بحثنا هذا . ذلك لأن المسافة بين الآبار والبحر المتوسط تعادل المسافة بين الآبار والخليج الفارسى . فاذا كان لابد من مد الانابيب لمسافة متساوية حتى يصل البترول إلى البحر ، فالأمر الذى لا يحتمل المناقشة هو أن البترول المنتج فى هذه المنطقة سوف يتجه نحو البحر المتوسط موفراً قطع المسافة فى البحر من الخليج الفارسى إلى البحر المتوسط .

حول الخليج الفارسى :

أما المناطق المنتجة حول الخليج الفارسى فتدخل كلها فى نطاق نقاشنا لموضوع نقل البترول للبحر المتوسط ، وهل تستعمل فى ذلك الانابيب أو الناقلات .

ويذكر لونجريج فى مقال له :

"The dilemma as between the use of sea transport or of trans-desert pipelines is... one for progressive solution in terms of costs, comparative flexibility, and above all, security".[2]

---

(١) مطبوعات شركة القناة .

(٢) Longrigg, above mentioned article, 856.

عامل التكاليف :

أما من ناحية التكاليف فنلاحظ كقاعدة عامة ان النقل المائى وعلى الاخص النقل البحرى هو أرخص أنواع النقل ويعطينا الأستاذان رسل سمث وفلبس مثلا أنه فى عام ١٩٤٣ الذى كانت معدلات النقل جميعها فيه مرتفعة كانت تكلفة نقل البترول بواسطة السكك الحديدية ٨٣ سنتا طن/ميل بينما كانت بواسطة الانابيب ٣٢ سنتا . أما بواسطة الناقلات المحيطية فكانت ١٢ سنتا [(١)] ولا داعى لأن نسترسل هنا فى أسباب رخص النقل البحرى مقارنا بالنقل بغيره من الطرق — فليس هذا فى مجال بحثنا — المهم أن نقرر الحقيقة الثابتة وهى أن تكاليف النقل المائى وخاصة البحرى أقل من تكاليف النقل بالأنابيب .

إلا أننا مع إقرارنا لهذه الحقيقة ينبغي ألا تغيب عن ذهننا حقيقة أخرى وهى أنه بينما نجد المسافة التى تقطعها الأنابيب من الخليج الفارسى إلى البحر المتوسط تزيد قليلا على الألف ميل فإن المسافة التى تقطعها الناقلات من الخليج الفارسى إلى بحر العرب إلى البحر الأحمر ثم عبر قناة السويس إلى البحر المتوسط ، هذه المسافة تبلغ حوالى ٤٥٠٠ ميل ، وبهذا نجد الطريق الاول يوفر حوالى ٣٥٠٠ ميل وهذا الوفر فى المسافة فضلا عما يؤدى إليه من توفير فى الوقت وفى عدد الناقلات المحتاج إليها على هذا الطريق فإنه يؤدى إلى وفر فى تكاليف النقل — عن طريق الاختصار الكبير فى المسافة المقطوعة — بحيث يغطى هذا الوفر ميزة النقل البحرى من ناحية التكاليف — إذا تساوت الظروف الاخرى — ويزيد .

وقد قدر الاقتصاديون فى شركة أرامكو وكذلك Burt Hull الذى أصبح فيما بعد مديرا لشركة التابلاين قدروا تكاليف النقل بما يوازى مقدارا بين ثلث ونصف تكاليف النقل بحاملات البترول [(٢)] . وقدر البعض تكاليف النقل للطن الواحد من عبدان إلى بورسعيد بما بين ٢٠ و ٢٥ شلنا بواسطة الناقلة تنخفض إلى حوالى ٧ — ١٠ شلنات إذا استعملت الأنابيب[(٣)] .

وطبقا لتقدير الوحدة الاقتصادية للشرق الأوسط فى هيئة الأمم المتحدة ، وجد أن الوفر

---

(١) Smith and Phillips, *op. cit.*, 781.

(٢) Longrigg, *Oil in the Middle East...*, 206.

(٣) البيوسى : المرجع السابق ص ١٤٨ عن :
Georges-Picot, J.: "Problèmes d'actualité du Moyen-Orient, Cours de l'Institut d'Etudes Politiques", Paris, 1949.

الناجم عن النقل بالانابيب إذا قورن باستعمال الناقلات يبلغ حوالى ٣٥ — ٤٠ سنتا للبرميل الواحد[١] . كما قدر مدير شركة تكساس التكاليف فى حالة استعمال الناقلة بما بين ٤٥ — ٥٨ سنتا للبرميل الواحد . هذه التكاليف تنخفض إلى حوالى ١٨ سنتا إذا تم النقل بالأنابيب[٢]. ويلاحظ أنه حتى لو تنازلت إدارة القناة عن الرسوم بالكامل — وهذا غير متصور — فان ذلك لن يغطى الفرق فى التكاليف .

واضح جداً من كل هذه التقديرات أنه إذا لم تدخل فى الصورة عوامل أخرى لا مجال لمنافسة الناقلات للأنابيب . وكل ما يمكن أن يقال هو أن يتقارب الفرق فى تكاليف النقل بعض الشيء وأن تتكامل الوسيلتان للقيام بالخدمات المتزايدة .

الاتجاه نحو الضخامة فى الحالتين :

ذلك لانه إذا كان الاتجاه العام فى بناء الناقلات نحو الحمولات الاضخم يوفر فى تكلفة النقل وفى الوقت . إلا أننا يمكن أن نلاحظ أن هذا هو الاتجاه أيضاً فى سعة الانابيب مما يوفر فى التكلفة ويزيد فى الكمية المنقولة فيوفر الوقت كذلك وإذا كان البعض قد قدر الاقتصاد فى تكاليف نقل البترول بالناقلات البحرية الكبيرة (حمولة ٢٠٫٠٠٠ طن) بـ ٢٠ ٪ من تكاليف النقل بالناقلات الاصغر حجماً (حمولة ١١٥٠٠ طن) فقد قدرت كميات الصلب اللازمة لانشاء أنابيب قطرها ٦ بوصات بحوالى سبعة أضعاف الكمية اللازمة لانشاء أنابيب قطرها ٢٤ بوصة وذلك بالنسبة لطاقة تبلغ ١٠٠٠ برميل من البترول الخام فى اليوم الواحد لمسافة ميل[٣] .

(Quantity of steel per 1000 barrel a day of capacity per mile)

محاولات للمخادعة :

ولا يغير من هذه الحقائق محاولات البعض التهوين من ميزات النقل بالانابيب من الخليج الفارسى إلى البحر المتوسط . ومن أمثلة هؤلاء B. Brewster Jennings

(١) فى أغسطس ١٩٤٩ وذلك بعد خصم ٢٠ سنتاً احتسب منها للاستهلاك ١٠ سنتاً : أنظر .
Sakr (Hassan), Ibrahim, *op. cit.*, 134.

(٢) العبوسى : المرجع السابق ص ١٤٨ عن :
The International Petroleum Cartel, 368-70.

(٣) Mikesell, R. F., and Chenery, H. B., *Arabian Oil*, 148-52.

فهو يتحدث عن التابلاين فيقول :

" When the line was projected it was exepected to cost about 125 million dollars to build, on the basis of that estimate it would have provided a reasonably attractive return from the economies effected as against tanker movement. In real life the line cost over 200 million dollars at which cost it will provide a very long pay-out against even normal tanker freights, and is unattractive when related to the present very low tanker rates".

ولكنه يقول فيما بعد :

"It is possible that in years to come and under different economic conditions additional pipelines could be built so as to make all or at least most of Middle-East oil required in western areas available at the Mediterranean ports..."

لماذا ؟ إنه يقول :

" But at the moment this seems unlikely".

"The present trend toward larger and therefore more economic tankers, coupled with the fact that there is little hope that pipelines will be built any more cheaply in the future than they been in the past, leads me personally to believe that pipelines to the Mediterranean will only be built to connect fields which are so situated that an almost equally long line wonld have to be built to reach the Persian Gulf" (1).

وآخر من رجال البترول وهو Colley يحاول أن يضرب على نفس النغمة ويقرر « أن خطوط الانابيب فى وضعنا الراهن تفضل قليلا — من حيث التكاليف — البواخر التى تنقل الزيت من الخليج الفارسى إلى البحر المتوسط وفضلا عن ذلك فإن الناقلات الكبرى التى يجرى بناؤها الآن سوف تزيل على الارجح هذه الميزة بفضل تكاليف إدارتها المنخفضة . من أجل ذلك فان خطوط الانابيب التى تعمل الآن بين هذه المراكز

---

(1) Jennings, B. Brewster, "The Middle East Oil Area Is Impotant beyond Exaggeration", *Oil Forum*, March, 1954, 96.

سوف تجد نفسها فى المستقبل مضطرة أشد الاضطرار إلى جعل نفقاتها متدنية إلى حد كاف تستطيع معه أن تجابه مزاحمة البواخر [١] .

والباحث المتمعن فى هذه الاقوال لا يملك إلا أن ينبعث فى نفسه الكثير من الشك والريبة .

والكاتبان المذكوران فيما سبق من كبار أصحاب المصالح فى صناعة بترول والانابيب وينبغى لذلك أن نأخذ أقوالهما فى شىء من التحفظ والحذر . فأولهما رئيس شركة سوكونى فاكوم وهى شركة ذات مصالح ضخمة سواء فى بترول العراق أو بترول العربية السعودية أو فى مشاريع الانابيب التى تنقله — وثانيهما هو نائب مدير شركة بكتل Bechtel وهى الشركة التى تقوم بمد الانابيب .

فاذا تناولنا الظروف التى قالا فيها قولهما زاد تحفظنا وحذرنا ذلك أن الخلاف بين هذه الشركات وبين دول المرور وعلى الاخص سورية ولبنان كان على أشده وكانت الدول متمسكة بأن تقتسم أرباح المرور عبر أراضيها مناصفة وكانت الشركات تحاول التخفيف من هذا الاصرار وتحاول مساندة ذلك بحجة من هنا وحجة من هناك إلى درجة المبالغة والاغراق فيها كما فعل Jennings إذ يعتقد شخصياً أن :

" A Pipeline to the Mediterranean will only be built to connect fields which are so situated that an almost equally long line would have to be built to reach the Persian Gulf "[٢].

ومن الامور ذات المغزى أن شركة التابلاين اقتبست أقوال السيدين المذكورين ووضعتها فى أحد مطبوعاتها بمناسبة معرض دمشق الدولى [٣] .

وليس من العسير الرد على أقوال الكاتبين ويكفى أن نرد عليهما من أقوال أحدهما فى

---

(١) التابلاين ونقل الزيت ، أصدرته شركة التابلاين بمناسبة معرض دمشق الدولى عام ١٩٥٤
Colley Jr., *op. cit.*, 98.
(٢) Jennings, *op. cit.*, 96.
(٣) من القرائن على محاولة المخادعة أن شركة التابلاين فى مطبوعها هذا تنبأت بأن الكمية التى سوف تنقلها الأنابيب عام ١٩٥٤ سوف تكون أقل منها عام ١٩٥٣ وقد كذبت الأرقام الواقعية هذا إذ زادت الكمية ولم تقل .

فى المكان الذى كتب فيه ما سبق ، فالكاتب الاول Jennings يقول :

"It is possible that in years to come and *under different economic conditions* additional pipe lines could be built so as to make *all or at least most* of Middle East oil required in western areas available at the Mediterranean ports...".

وإن كان يحاول إبراز الظروف غير المواتية ويقرر :

"But at the moment this seems unlikely." (1)

وإذا رجعنا إلى « كولى » نجده يستدرك بعد ما اقتبسنا سابقاً فيقول :

"New pipelines will be economically justified only under the most favorable conditions, including low construction costs, efficient management, continually high throughput...".

ثم يضيف وهذا فيما يبدو بيت القصيد .

"... and the whole hearted cooperation of the countries traversed"(2).

أما النقطة الاولى وهى تكلفة الانشاء المنخفضة فهو كفيل بالرد عليها إذ يقول فيما بعد :

"Efficient design is a challenge to engineers and they are accepting it willingly. Minimizing construction cost is a challenge to the pipeline builders, who are continually improving their methods as a necessity to survival under competitive conditions. As an indication of the progress being made studies are underway regarding mass production of 40 in. diameter pipes and required heavy pipe laying equipment"(3).

أما الادارة ذات الكفاية والعمل بأقصى طاقة فمسألتان لا تحتاجان إلى نقاش فلا يبقى إذن إلا النقطة بيت القصيد من كل هذا اللف والدوران .

---

(1) *Ibid.*, 96.
(2) Colley, *op. cit.*, 96.
(3) *Ibid.*, 104.

ويذكر Colley أنه يجب على الحكومات ذات الشأن حتى يمكن إنشاء أنابيب جديدة أن :

"Provide a stable, favorable economic climate to justify the huge investments which new pipeline facilities would require".

وأن تعطى التأكيدات بأن :

"The Government would provide continuously, for the period of the concession (a) security for title to property or rights conceded and dependability of contracts entered into (b) noninterference with managerial control of the companies partners, (c) the opportunity to make a reasonable profit on the enterprise".

هذه الضمانات فى نظر الكاتب المذكور أساسية فى أى مشروع تجارى وبغيرها لا يمكن لشركة مسئولة أن تقامر بالمبالغ الضخمة التى تطلبها من مساهميها لإنقاذ مثل هذا المشروع [1].

وكأنما يرجو الكاتب ويتوسل حين يذكر فى نهاية مقاله :

"Finally provision for favorable economic conditions is a requirement which, one trusts will be understood and accepted by the Governments of the Middle East. If this is done, the designers and the builders, and operators will accept their responsibility and the normal risks of commerce, and more pipeline will be built in the Middle East".

ثم يحاول أن يؤثر بقوة فى هذا الاتجاه ويستطرد قائلا :

"In these circumstances and in these circumstances only pipelines in that area will be a sound investment benefiting the people of the Middle East and the consumers everywhere [2].

ولكن سورية أصرت على ماذا ؟ على أن تأخذ نصف الربح الذى تحققه الشركات محتسباً على أنه الفرق بين تكاليف الناقلات المارة خلال القناة وبين تكاليف الأنابيب وانتهى الأمر بأن وقعت شركة زيت العراق مع الحكومة السورية اتفاقاً فى أواخر نوفمبر عام ١٩٥٥ يتوقع أن تحصل بمقتضاه على ٦٫٥ مليون جنيه سنوياً . وأضافت تسوية المستحق

(١) *Ibid.*, 98.
(٢) Colley, *op. cit.*, 104.

عن المدة قبلها ٨٫٥ مليون جنيه بينما كانت الشركة سنة ١٩٥٢ تقترح دفع ½ المبلغ المتوقع الآن سنويا [1] . والشركة مع ذلك وبعد ذلك هى الرابحة وحتى شركة التابلاين وافقت على مبدأ المناصفة وإن كان لا زال بينها وبين لبنان بعض الخلاف — وهى إذ توافق على مبدأ المناصفة تقدر الربح على أساس الفرق بين تكلفة النقل بالانابيب وتكلفته بالناقلات فهنالك ربح وربح كبير إلى حد قبول مبدأ المناصفة ولو كرهاً ، وإن كانت لبنان لا زالت المتوقفة فى الموضوع [2] .

لا يمكن منافسة الأنابيب ، ولكن :

نتهى بعد هذه المناقشة التفصيلية إلى أنه كما ذكرنا سابقاً لا مجال لمنافسة الناقلات للانابيب وكل ما يمكن أن يقال هو أن يتقارب الفرق فى تكاليف النقل وأن تتكامل الوسيلتان فى القيام بخدمة نقل البترول من الشرق الاوسط إلى البحر المتوسط .

حتى لو توفرت الأنابيب لا بد من فائض :

وإذا فرضنا جدلا أننا فى تناولنا لنقل البترول من الخليج الفارسى إلى البحر المتوسط وجدنا أنه لا مجال البتة للناقلات فى أن تنافس الانابيب فيجب أن نأخذ فى اعتبارنا أنه حتى لو تحقق هذا الافتراض الجدلى وأنشئت كل الانابيب اللازمة لنقل البترول من الخليج الفارسى للبحر المتوسط ، فانه سيبقى دائما جزء من بترول هذه المنطقة الذاهب إلى شمالى قناة السويس وغربها لابد من أن ينقل خلال القناة ذلك لأن من العوامل الهامة فى تكلفة النقل بالانابيب أن تضمن الخطوط الممتدة طاقتها من البترول كاملة فاذا حدث ان وجد فائض أقل من طاقة الانابيب فى إحدى المناطق فلا بد من الانتظار حتى يصل الفائض إلى حد الطاقة الكاملة لمشروع الانابيب المقرر إنشاؤه وحتى يكون ذلك لابد من نقل الفائض المتبقى عن طريق القناة وإذا بدىء فى إنشاء المشروع فان إكماله يأخذ

(1) United Nations, *Economic Developments in the Middle East*, *1954 - 55*...,67. The agreement provided for payment of one shilling and four pence per 100 ton-miles for the distance that petroleum travels through Syrian territory, and thirteen pence per ton at the pipeline terminal.

أنظر كذلك البيومى : المرجع السابق ، ص ١٩٩ — ٢٠١ .

(٢) تقدر الشركة نفسها هذا الفرق بست ملايين جنيه ويقدره العرب بـ ١٢ مليون جنيه والمهم أن هناك فرقاً وفرقاً كبيراً (*The New York Times*, August 3, 1956)

وقتاً طويلا [1] تتمتع خلاله القناة بنقل البترول . ليس هذا فقط بل فى أبان فترة الانشاء سيتزايد الانتاج فى المنطقة المذكورة ويتكون فائض جديد يزيد عن طاقة الانابيب . ولا بد لنقله من استعمال الناقلات والقناة ولا شك أن ضخامة الاحتياطى وتزايده والتزايد السهل المطرد فى الانتاج فى هذه المنطقة بدرجة أكبر من المناطق الاخرى وما ينتظر من تزايد استهلاك المناطق شمالى وغربى القناة وتزايد اعتمادها على منطقة الخليج الفارسى سوف يكون من نتيجته استمرار وجود كميات من البترول الخام تمر فى القنـاة حتى ولو توفرت جميع الاسباب المواتية لانشاء الانابيب اللازمة جميعاً واستعمالها وهذا أمر كما سنرى لا يمكن على قدر ما يمكن أن نرى أن يتحقق على الاقل فى المستقبل القريب .

ولكن . . . أموراً أخرى كثيرة :

ومن حسن الحظ بالنسبة لقناه السويس أن هناك أموراً كثيرة هامة إلى جانب ما ذكرنا هذه الامور تدعم مركز الناقلات ازاء الانابيب وهى بالتالى تجعلنا نقرر فى اطمئنان أن مركز القناة فى نقل بترول الخليج الفارسى قوى وأنه على قدر ما يمكننا أن نرى فى المستقبل سوف يستمر فى قوته وفى تزايدها ولننتقل بعد هذه العمومية إلى التفصيل .

رسوم متزايدة على الأنابيب :

فمن ناحية التكاليف نلاحظ أن الدول التى تمر فيها الانابيب تعمل على الحصول على رسوم مرور أكبر . ففى عام ١٩٥١ حصلت سورية ولبنان والاردن على ٨٧٠٠٠٠ دولار كمدفوعات مباشرة مقابل حماية الانابيب والمرور وغير ذلك من الخدمات ونتيجة للمفاوضات بين شركات البترول والحكومة اللبنانية توصل الطرفان إلى اتفاق مبدئى نص على زيادة مدفوعات شركة بترول العراق وشركة التابلين وتقرر أن تزيد مدفوعات الاخيرة من ١٫٥٥٨٫٠٠٠ ليرة لبنانية إلى ٤٫٤٩١٫٠٠٠ ليرة لبنانية فى نهاية عام ١٩٥٢ إلا أن البرلمان لم يصدق عليه [2] .

---

(1) Longrigg, *Oil in the Middle East...*, 206-208.
حيث يعطى الكاتب نبذة عن مشروع التابلين الذى ينقل بعض بترول العربية السعودية إلى البحر المتوسط وقد استغرق المشروع عدة سنوات .

(2) United Nations, *Reviw of Economic Conditions in the Middle East 1952...*, 59 ;
Economic Developments in the Middle East 1945-54, 168.
الأهرام ٢ / ١٠ / ١٩٥٥ .

وقد تمسك الطرف العربى بمبدأ المناصفة فى الربح وحاولت شركة التابلين أن تثير الخلاف بين الدول العربية الأربع التى تمر فيها الأنابيب ولكن جهوداً بذلت لتوفيق بين مطالب دول المرور وهى العربية السعودية والأردن وسورية ولبنان ، وتفويت هذه المحاولة التى حاولتها الشركة عليها وانتهى الأمر بالاتفاق وسلمت الشركة بمبدأ المناصفة وإن كان الخلاف بينها وبين لبنان لا زال قائماً فيما يختص بمقابل تسهيلات الميناء والتصدير الخ . مما دعا الحكومة اللبنانية إلى تطبيق القانون الضريبى اللبنانى على الشركة ولا زال الخلاف مستحكما وإن كانت لبنان تبدو مصرة على مطالبها فقد رفضت احتجاج الحكومة الأمريكية بخصوص هذا الموضوع وإذ نجد شركة التابلين تصف قانون الضرائب الذى سيسرى عليها بأثر رجعى اعتباراً من ١٩٥٢ بأنه :

" Violating the terms of the convention under which Tapline has been operating "(1).

نلاحظ أن السيد صائب سلام فى ٦ أغسطس ١٩٥٦ ينذر شركات البترول وخاصة التابلين بأن قانون الضريبة سوف ينفذ بالكامل رغم محاولتهم تعطيل التنفيذ وإذ تذكر التابلين أنها سوف تقاوم التنفيذ نجد السيد سلام يؤكد فى حزم بأن « لبنان لن تقبل خرق سيادتها هذا » (٢) .

ولا شك أن تزايد الرسوم — إلى جانب عوامل أخرى سوف نتحدث عنها فيما بعد — يؤدى إلى إضعاف مركز الأنابيب حين تقارن بالناقلات .

هذا يحدث فى الوقت الذى خفضت فيه الرسوم على البواخر المارة فى قناة السويس فبعد أن كانت الرسوم ٣٦٫٥ قرشاً للطن فى السفن المحملة ، ١٧٫٥ للطن فى السفن الفارغة خفضت إلى ٣٤ قرشاً ، ١٦ قرشاً على الترتيب (٣) (هذا فضلا عن قابليتها لتخفيض أكبر إن رأى ذلك القائمون على شئون القناة) .

---

(1) *The New York Times*, August 3, 1956.

(٢) الاهرام من أواخر يوليو وما بعدها ، وكذلك وكالة أنباء الشرق الأوسط .

(٣) من مطبوعات الشركة وإن كان الانقاص لن يفيد كثيراً ، ولو ان له أثراً نفسياً وخاصة أنه مع تزايد الحمولة المارة لن يضر كثيراً .

اتجاه الناقلات إلى الضخامة : تقليل التكاليف :

ويمكننا أن نضيف إلى ما سبق عدة عوامل تقوى جانب الناقلات ، فمن الملاحظ أن الاتجاه العام يسير بقوة متزايدة نحو السفن الأكبر حجماً وهذا الاتجاه واضح بصورة أكبر فى ناقلات البترول ويكفى أن نذكر فى هذا المجال ما يذكره أحد الثقاة معبراً عن رأى الكثيرين غيره .

" It is the tanker trade which in recent years has seen the most significant advances in the size of ships "(١).

ليس هذا فقط ، بل أنه يقول :

" There is a constant trend towards larger tankers " (٢).

وإذا رجعنا إلى بعض المجلات الحديثة نجد هذا الاتجاه العام مستمراً (٣) .

ومن الملاحظات ذات المغزى أن متوسط الحمولة للناقلات المارة خلال قناة السويس أعلى من متوسط الحمولة للسفن عموماً ليس هذا فقط بل أن الفارق فى المتوسط يتزايد عاماً بعد آخر وتتضح هاتان الظاهرتان من الجدول الآتى (٤) :

متوسط الحمولة بالطن

السنة	عام	ناقلات	الفرق بين المتوسطين
١٩٥٣	٩٨٠٨	١١٤٢٠	١٦١٢
١٩٥٤	١٠٣٧٦	١٢٣١١	١٩٣٥
١٩٥٥	١٠٥٤٢	١٢٦٢٣	٢٠٨١

(١) Morgan, F. W., *Ports and Harbours*, 13.

(٢) *Ibid.*, 92.

(٣) على سبيل المثال *Time*, *The New York Times*, *The Financial Times*. وقد جاء فى اهرام ٨ ديسمبر سنة ١٩٥٦ ان احدى الشركات الامريكية للنقل البحرى قد أوصت أحد مصانع بناء السفن فى اليابان بصنع ناقلة بترول حمولتها ١٠٠ ألف طن وإن كان العمل فى هذه الناقلة التى سوف تكون أعظم ناقلات البترول فى العالم بدأ فى ربيع عام ١٩٥٨

(٤) محتسبة من مطبوعات الشركة .

هذا التزايد المطرد فى حجم الناقلات له أثره فى تكلفة النقل إذ أنه كلما زاد حجم الناقلة كلما قلت تكلفة الانشاء . وكذلك تكلفة التشغيل مما يؤدى بالتالى إلى التقليل من تكلفة النقل .

طبيعة النقل البحرى — إمكان خفض الأجر عند اللزوم :

زد على ذلك أن النقل البحرى " The ocean shipping business is one of the world's most competitive industries" (١).

ذلك لأن السفينة تفضل أن تعمل على أن تبقى عاطلة ولهذا فلا يتردد أصحابها فى إنزال معدل أجورهم إلى الحد الذى يمكنهم من الحصول على بضاعة والعمل بدلا من التوقف مع تحمل مصاريف ثابتة معينة . ولهذا ينتج عن هذا التنافس أجور منخفضة . ومن الأمثلة على ذلك أنه فى عام ١٩٥٤ زادت الحاملات عن الحاجة وأدى ذلك إلى انخفاض أسعار النقل بمقدار ٤٣ ٪ عن المستوى الذى كانت عليه عام ١٩٥٠ (٢) .

توزيع عبء الرسوم على حمولة أكبر :

ومن النقط الهامة التى ينبغى أن نأخذها فى الاعتبار أن الناقلات المارة خلال قناة السويس تحمل فى العادة أكثر كثيراً من الحمولة التى تدفع عنها رسوما مما يخفض نصيب الطن من الحمولة الواقعية من الرسوم المدفوعة . ويمكن إيضاح ذلك عن طريق مقارنة حمولة الناقلات التى تدفع عنها رسوم بكمية البترول المنقولة وهذا يظهر من الجدول الآتى (٣) :

العام	الناقلات المارة جنوب — شمال	البترول المنقول جنوب — شمال
١٩٥١	٢٣ر٣٢١ر٠٠٠	٤٢ر٨٧٣ر٠٠٠
١٩٥٢	٢٥ر٠٤٢ر٠٠٠	٤٥ر٩٣٣ر٠٠٠
١٩٥٣	٢٧ر٠٥٠ر٠٠٠	٤٩ر٤٢٠ر٠٠٠
١٩٥٤	٣١ر٢١١ر٠٠٠	٥٦ر٩٧٨ر٠٠٠
١٩٥٥	٣٦ر٧٥٥ر٠٠٠	٦٦ر٨٩٣ر٠٠٠

(١) Smith and Phillips, *op. cit.*, 782.
أنظر أيضاً كمرجع عام : Bryan, Leslie A., *Principles of Water Transportation*.

(٢) *Petroleum Press Service*, May 1956, 24 ; see also Bryan, *op. cit.*, Ch. 22, 300–310.

(٣) مطبوعات الشركة .

أى أن البترول المنقول يكاد يبلغ ضعف الحمولة التى تدفع عنها الناقلات رسوماً .

كل هذه العوامل السابقة تؤدى إلى تزايد مقدرة الناقلات على مواجهة منافسة الأنابيب

فاذا أخذنا فى الاعتبار إلى جانب ذلك أن شركات البترول التى تسيطر على آبار البترول فى العالم وتسيطر على خطوط الأنابيب هذه الشركات نفسها تملك ٥٠ ٪ من مجموع حمولة ناقلات البترول البحرية فى العالم — ليس هذا فقط بل أنها كذلك تسيطر على معظم ما يتبقى من الناقلات المملوكة ملكية خاصة بواسطة الاجارة الطويلة Long-term Charter[1] .

فيمكننا أن نستنتج بعد كل هذا أن قناة السويس سوف تظل تتمتع فى السنوات المقبلة بالنسبة الضخمة للناقلات من مجموع الحمولة المارة بل أن الاتجاه المتزايد فى بناء الناقلات — إلى جانب عوامل أخرى — يجعلنا نقرر فى اطمئنان أن الباب مفتوح على مصراعيه أمام الكمية الكبيرة من الناقلات فى الحمولة المارة بقناة السويس فتتزايد وتتزايد باطراد .

العام	حمولة أسطول الناقلات (٢)
	مليون طن
١٩٣٨	٩٫٩٥٧
١٩٤٩	١٥٫٨٢٤
١٩٥٠	١٧٫٧٠٠
١٩٥١	١٨٫٢١٠
١٩٥٤	٢٤٫٤٠٠

والاتجاه العام كما ذكرنا من قبل نحو التزايد والتزايد المطرد فى الارتفاع .

ولا يمكن أن نتصور أن يتوسع بعد كل ذلك فى إنشاء الأنابيب — ويتوسع فيها إلى حد حرمان الناقلات ومن ثم حرمان القناة من البترول بل ستستمر أهمية البترول المار بالقناة كبيرة وستطرد فى الزيادة .

(١) العبوسى : المرجع السابق — هذا يعنى أنه لا مجال لانشاء أنابيب تنافس هذه الناقلات فى المستقبل القريب .

(٢) a) Woytinski and Woytinski, *op. cit.*, 913.
b) *Petroleum Press Service*, May 1956,24.

مطبوعات الشركة .

فاذا أضفنا إلى الصورة عدة عوامل أخرى أمكننا أن نرى فى وضوح قوة مركز القناة من ناحية نقل البترول خلالها إلى الغرب والشمال .

الأنابيب تحتاج إلى رأسمال ضخم وكميات كبيرة من الصلب :

فمن المعروف أن خطوط الأنابيب تحتاج إلى رأسمال ضخم لإنشائها كما أنها تقتضى الحصول على كميات كبيرة جداً من الصلب لإقامتها ولنعط مثلا على ذلك أن تكلفة خط التابلين بعد إكماله بلغت ٢٣٠ مليون دولار . ولقد أدت شدة الحاجة إلى الصلب فى الاستعمالات الأخرى إلى أن يتأجل وصول الأنابيب والمواد الأخرى المصنوعة من الصلب من الولايات المتحدة لمدة عام إذ رفضت إدارة التجارة الخارجية فى الولايات المتحدة منح تراخيص بتصدير الأنابيب مدة من الزمن ثم قيدت التصدير وحددت كميته بعد ذلك وقد احتاج الخط لإكماله إلى ٢٧٠ الف طن من الصلب [١] .

عقبة مرور الأنابيب فى دولة منتجة منافسة :

ومن العقبات الأخرى التى تواجهها مشروعات الأنابيب أن مد خطوطها من بعض مناطق الانتاج الهامة كإيران والكويت لا بد معه من مرور هذه الأنابيب عبر دول تعتبر منتجة كبيرة للبترول مما يجعلها فى موقف تعرقل معه هذه المحاولات ومن الأمثلة البارزة على ذلك أنه فكر فى إنشاء أنابيب تصل مناطق الانتاج فى الكويت وإيران عام ١٩٤٧ وتكونت شركة "Middle-East Pipelines Limited" وكان مفروضاً أن ينتهى المشروع عام ١٩٥١ وبالرغم من أن الشركة نجحت فى الحصول على حق المرور والتسهيلات اللازمة عند نهاية الخط من سورية ، إلا أنه استحال على الشركة أن تحصل على حق المرور فى العراق ذلك أن حكومة العراق "Convinced that additional Persian or Kuwait output would prejudice its own development, refused to facilitate that process, unless on prohibitive terms".

وانتهت الترتيبات الأولية وتراخت المفاوضات وفى نهاية عام ١٩٤٩ ظهر فى وضوح أن هذا المشروع الذى أخذت له الأهبة وقامت كثير من الاستعدادات وطلبت كثير من المواد — ظهر فى وضوح أن هذا المشروع فى طريقه إلى الموت [٢] .

---

(١) Longrigg, *Oil in the Middle East...*, 206-208.
(٢) *Ibid.*, 147-48.

عامل المرونة والطمأنينة على رأس المال والعائد الاستغلالي :

ويمكننا أن نضيف إلى ذلك نقطاً أخرى هامة تنبني على مبدأين أساسيين . وكما اقتبسنا من قبل يذكر لونجريج في مقال له :

" The dilemma as between the use of sea transport or of trans-desert pipeline, is also one of the progressive solutions in terms of costs, comparative flexibility, and above all security "(1) .

وقد تناولنا من قبل العامل الأول ، وهو عامل التكلفة ، وكذلك تناولنا العامل الثانى بقدر إلا أن هذا العامل الثانى يهمنا من حيث أن من ميزات الناقلات المرونة وهذه تنقص الأنابيب بصورة بارزة لا جدال فيها . فهى وسيلة ثابتة مربوطة بالأرض المنشأة فيها وليس من الممكن بالنسبة لهـا أن تتحول من طريق إلى طريق ، أو أن تغير طريقها إذا وجدت أن تدخل حكومة دولة المرور يضر بمصالحها (2) . والمثل البارز الحديث هو موقف شركة التابلين فى لبنان حيث لا تملك الشركة رداً سهلا على حكومة لبنان التى فرضت على الشركة الضرائب بأثر رجعى ، وهددتها بالاستيلاء على الأنابيب اذا أوقفت الأخيرة مرور البترول فى الخط . ويزيد فى تعقيد الامور فى وجه هذه الشركات أن خطوط الانابيب الممتدة من منطقة الخليج الفارسى إلى البحر المتوسط لا بد لهـا من المرور بأكثر من دولة واحدة ويكفى أن تتعقد الامور مع واحدة فقط من هذه الدول حتى تجد مشروعات الانابيب نفسها فى موقف لا تحمد عليه وإذ تعدد الدول فلا شك أن احتمالات الخلف والتعقد تتضاعف بدرجة أكبر جداً مما لو كانت هناك دولة مرور واحدة .

ويزيد من حدة هذا الامر الافتقار إلى الاستقرار فى هذه المنطقة والاستقرار ضرورة أساسية لبث الطمأنينة فى نفوس المستثمرين على ضمان أموالهم الاصلية التى استثمروها وكذلك ضمان استمرار انسياب ربح يرونه معقولا كعائد لاستثمارهم ولكن الشعوب التى عانت طويلا من الاستعمار تحاول أن تتنفس وتستعيد حقوقها المسلوبة وتتمتع بدرجة أكبر بخيرات بلادها وتعدل الاتفاقات الجائرة غير المتكافئة مع الشركات التى يحميها الاستعمار . غير أن هذا الاستغلال الاقتصادى تحميه الدول الغربية الاستعمارية وتسنده ، يحاول أن يحصل على نصيب الأسد وينفرد به ويستمر على ذلك وهو فى إصراره هذا يتحايل ويتآمر ويضغط

---

(1) Longrigg, Above mentioned article, 356.

(2) Colley, *op. cit.*, 98.

ويسيطر وقد يجد فى بعض البلاد [illegible]ات ترتبط معه فى المصالح وتقاسم معه الغنيمة على حساب الشعوب وتحافظ الحكومات من [illegible]ذا الصنف على نفسها مستندة إلى قوى الاستعمار ومستعملة كل أنواع الضغط ضد الرأى العام فى بلادها .

ومن سوء حظ الدول والشركات الاستعمارية والفئة المستغلة التى تتعاون معها أن هذا الوضع الذى تقوم فيه الحكومات والشركات على فوهة بركان والذى يخشى معه المستغلون أن يؤدى الضغط المتزايد فيه يوماً إلى الانفجار هذا الوضع يجعل الشركات تتراجع على الاقل عن كثير مما كانت تبغى من مشاريع ومن الامثلة العالمية البارزة على ذلك كوريا الجنوبية حيث يفرض الامريكيون أنفسهم وصنيعتهم سينجمان رى ضد رغبات الشعب الكورى فرؤوس الاموال الامريكية الخاصة تتراجع أمام الموقف الذى ينذر بالخطر .

ومعروف أن الاقدام على الاستثمار يتوقف على ما هو منتظر ومتوقع ، وحتى لو استقر الوضع اليوم بطريقة مصطنعة ، فالمهم ما هو متوقع أن يكون غداً . ولهذا كان الموقف غير المستقر دائما وفى كل مكان ليس فقط عاملا غير مشجع على الاستثمار ، بل قد يكون عاملا طارداً فى كثير من الاحيان [1] ، ويزيد فى عدم الاستقرار محاولات غربية للسيطرة غير المباشرة [2] فان قوومت فلتقم محاولات للضغط والتفريق والايقاع والوضع — محاولات الاستعمار ومن يسيرون فى ركابه — لا يبشر باستقرار قريب وخاصة أن الرأى العام العربى يزداد يقظة ويشتد وعيه ويلتفت بدرجة متزايدة إلى حقوقه ويحاول العمل متكتلا متساندا على نيلها .

والنقطة الخطيرة التى لا تنسى فى موضوع كهذا هى إسرائيل . فالغرب زرعها شوكة فى جنبنا ولتكون مفتاحاً فى يد الامريكيين على وجه الخصوص لغزو أسواقنا . هذه الدولة لم يخلقها الغرب فقط ، بل أنه ساندها ورعاها وضمن حدودها غير الشرعية بالتصريح الثلاثى فى مايو سنة ١٩٥٠ ولا شك أن إسرائيل ووجودها ووجود المشاكل التى أدى إليها خلقها ستكون مع هذه المشاكل عوامل عدم استقرار فى هذه المنطقة لأمد لا يعلم مداه إلا الله .

---

(١) حوادث ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ مثلا .

(٢) حلف بغداد مثلا ، وقد صرح دالاس فى خطاب له عن سياسة أمريكا الخارجية فى ٩ يونيو ١٩٥٦ بأن الترابط بين دول حلف بغداد والتعاون معها يهدف إلى حماية الشرق الأوسط بثروته البترولية والذى يعتبر مدخلا للقارة الافريقية ذات الأهمية الكبرى .

United States Information Service, Cairo, *Press Release*, June 9, 1956, 3.

وواضح أن هذه العوامل التى تؤدى إلى عدم الاستقرار تأتى أساساً من الغرب الذى يقف مساندا لمصالحه الاقتصادية فى المنطقة ويهمل الحقوق المشروعة للشعوب وطبيعى أن يتجه سخط الرأى العام فى البلاد العربية ضد من يضغطون عليه ويحاولون فرض سياستهم واستغلالهم بوسيلة أو بأخرى ويزيد فى حدة الموضوع ما عانته المنطقة على يد الغرب من قبل فى تاريخها الطويل وما أدى ذلك إليه من شعور حاد بعدم الثقة لا تساعد تصرفات الغرب على التخفيف منه وإنما تزيد يوماً بعد يوم من حدته ومن الاسس الصحيحة التى تستند إليها هذه الحدة .

وإذ تأتى مشروعات الانابيب من الشركات الغربية التى تكاد تحتكر صناعة البترول فى العالم فان الشعور ضدها وضد دولها هذا الشعور المتزايد مع عدم الاستقرار فى المنطقة عموما لا يشجع بحال على توسع .

بل لقد بدأت مخاوف كثيرين فى الغرب تتزايد وتتبلور من مدة طويلة بعد إذ اذن ليل الاستعمار على الزوال بعد الحرب العالمية الثانية وانبعث الوعى القومى أقوى مما كان — يعين على نموه ونضجه بدرجة أكبر ظروف عالمية وظروف داخلية — وتزايد عدد الدول المستقلة — المستقلة بحق . كما تزايد الاتجاه نحو الاشتراكية والتصنيع لرفع مستوى معيشة الشعوب . كل هذا لا يخلق جواً مواتيا للاستثمارات الاجنبية التى تقوم على أساس من الاستغلال الجائر للشعوب .

ومن أمثلة النذر المبكرة فى هذه الناحية ما جاء فى كتاب من الكتب الهامة عن البترول :

"The most formidable immediate barrier to the full development of the earth's petroleum resources lies in the serious restrictions of exploratory activity which have grown out of recent nationalization policies of many Governments"(1).

بل لقد ذهب هذا الكتاب إلى توقع تأميم الامتيازات فى المستقبل القريب فى الشرق الاوسط (٢) . وفعلا نجد الكثيرين فى المنطقة يقترحون تعديل عقود الامتياز لصالح

---

(١) Pratt and Good (eds.), *op. cit.*, X.

(٢) *Ibid.*, Part IV, Chapter 5, "The Effect of the World Distribution of Petroleum on the Power and Policy of Nations" by Herbert Feis, 392-404, 403.

الدول مالكة الموارد [١] . وقد ذهب البعض إلى حد الدعوة إلى التأميم [٢] وقامت إيران فعلا بمحاولة للتأميم . هذه المحاولة وإن باءت بالفشل إلا أنها مكنت الحكومات والشعوب من الحصول على عوائد أكبر كثيرا من ذى قبل كما زادت من مخاوف الشركات من امكانية قيام رد فعل أقوى فى مناطق الانتاج الاخرى فى الاقليم ، بل أن الباحث لا يستبعد أن يحدث ذلك فى إيران ذاتها حيث تعيش المصالح الغربية على برميل من البارود .

وقد ازداد موقف البلاد المنتجة وبلاد المرور صلابة بمضى الوقت فنجد العربية السعودية تختلف مع شركة أرامكو فيما يختص بموضوع نقل البترول واحتكار الاخيرة لنقله من الاولى ، ونجد سورية ولبنان تقفان موقفاً صلباً تجاه شركة بترول العراق وشركة التابلين بما أتينا على ذكره من قبل ، ولا شك أن إمكانية تزايد حقوق ومطالب هذه البلاد بمرور الوقت خطر يهدد المصالح الغربية .

كما أن النجاح فى محاولة يؤدى إلى تقليدها أو إلى محاولات أخرى فى الأماكن الاخرى . ولا شك ان الخوف الاكبر فى موضوع تأميم شركة قناة السويس إنما يأتى من ناحية أن هذا خروج يشجع الخروج وأن هذا التأميم سوف يؤدى إلى زيادة تأليب العرب وغير العرب فى كل مكان . كما أنه سوف يعطى دفعة لدعاة التأميم فى منطقة الخليج الفارسى حيث الاستثمارات الضخمة فى البترول وكان هذا واضحاً فى تصريحات الغرب وصحف الغرب .

وقد يضيف إلى ما سبق أن ننتهى إلى ما يذكره أحد ثقاة البترول الذين يعملون فى شركات الشرق الاوسط وهو لونجريج فهو إذ يناقش مشاكل البترول فى الشرق الاوسط يقول :

"But none [of these problems] is fundamentally of the same type or degree of difficulty as that of ensuring in the producing and transit areas, *stable conditions* that will enable the industry to pursue its work wihthout *fear* or *menace*"[٣].

---

(١) العيوسى فى المرجع السابق فى الجزء الأخير من الكتاب .

(٢) البراوى فى « حرب البترول فى الشرق الأوسط » ص ٢١٠

(٣) Longrigg, Above mentioned article, 363.

وهو يقول فيما يختص بمفاوضات شركتى الانابيب مع سورية ولبنان :

"Neither Tapline nor the I. P. C. owners of the great trunk pipe lines, could in the prevailing atmosphere feel secure of future untroubled operation or the permanence of any agreements which had been or might be concluded "(١).

وهو يذكر فى نفس الكتاب :

"[The principal perils] lie in the political [sphere]. Nothing need here be added to what earlier pages have suggested of the embarassments and dangers to foreign owned industry of an emotional local nationalism with its anti-foreign rallying-cries, its bitter... criticism of the companies, its some times inordinate demands from them, its readiness to repudiate as an act of patriotic virtue formal and legally established agreements, its outcry at times for the summary cancellation of concessions, and for immediate 'nationalization'..., it is certain that the atmosphere created by foreigner baiting, and contempt for commercial or international morality[sic!] must if and wherever these occur be highly damaging to industrial enterprise.... The potential dangers, which today are actual or incipient in the countries of the Fertile Crescent but not yet in Arabia, are capable of destroying or gravely impairing the ability of the Middle East to supply the eastern hemisphere with oil products. They are very real..."(٢).

---

(١) Longrigg, *Oil in the Middle East*..., 244.

(٢) *Ibid.*, 271.

ويختلف كاتب هذا البحث مع لونجريج ، إذ ليس هناك خطر على توزيع البترول ومد الدول المحتاجة اليه به حتى ولو أمم هذا البترول وإنما يكون الخطر فى هذه الحالة على الشركات وما تحصل عليه من أرباح خيالية وتمسكها بهذا الوضع الذى يستغل الشعوب ومواردها استغلالا يؤدى إلى الضيق به والقضاء عليه . وقد يذهب الاستغلال إلى أبعد من ذلك إذ تسعى الشركات المستغلة لابقاء استغلالها وإحكام سيطرتها بواسطة الحكومات التى تحتج بأهمية المادة استراتيجيا ومن ثم أهمية سيطرتها دون غيرها عليها وإن كانت هذه حججا لا أساس لها فكما ان الدول الغربية محتاجة إلى الشرق الأوسط للحصول على البترول فالشرق الأوسط كذلك محتاج إلى الغرب لتصريف بتروله والمسألة فى حقيقتها هى رغبة فى الابقاء على السيطرة والاحتكار والاستئثار دون الشعوب صاحبة الحق ، بالنصيب =

وهو يعاود الكرة في مقال له ويقول :

"Not only the tragically self-damaging action of Persia in 1951, but whispers also on similar lines in other countries remind us that the population and even the leaders of these states are highly emotional, easily misled and inflamed, that they respond strongly to political influence and seem nine times out of ten to give these priority over even the loudest appeals of economics or common sense.

"We know the extent of anti-Western sentiment in these territories, which many politicians (and many communist agents) inflame and exploit. We know that a case of some sort against this or that foreign power can at any time be worked up, with emotion and hostility added to ill will and with accusations of this or that shortcoming imputed to the foreigner as an excuse for reprisals. We know that repudiation of solemn agreements, on familiar grounds of illegality or changed times can be selected locally, as an act of high patriotic virtue.

"Anti-Western feeling based on a complex of long past or recently past or still current grievances has led, as in Persia, to sheer repudiation of fully legal and ratified contracts on any lightly invited pretext. [sic!]"

Nothing "can be counted on, in some crises of nationalist or xenophobic enthusiasm or half fanatical political stampede, to avert the abrupt adoption of anti-company measures not stopping short of the familiar cry of cancel the concession"(1).

= الأكثر من هذه الموارد وما تدره من أرباح وكما يقول برات :

"In a free, peaceful world, the widespread and equitable distribution of petroleum products should offer no formidable problem".

ولو أن الكاتب يضيف :

"But in a world in conflict, the control of these same petroleum resources becomes the object of vital military strategy." (Pratt and Good, *op. cit.*, IX).

ولقد رددنا على هذا جزئيا من قبل فضلا عن أنه يعرضنا للخطر في ملحمة لا ناقة لنا فيها ولا جمل . والمسألة ليست مسألة حرمان أحد من هذه الموارد فهذا شبه محال وإنما المسألة مسألة قضاء على سيطرة واحتكار واستغلال .

(1) Longrigg, article mentioned above, 352-359.

ومن العوامل التى ساعدت على قتل مشروع خط الانابيب الذى يمتد من إيران والكويت تأميم البترول فى إيران [1] .

ولا شك أننا بعد هذه الافاضة يمكننا فى وضوح أن ننتهى إلى أن الظروف الجديدة المتطورة فى العالم العربى والمشاكل السياسية وعدم الاستقرار وتيقظ القومية العربية وتزايد وعى الشعوب وتمسكها بحقوقها واستعادة ما اغتصب منها وإصرارها على التمتع بنصيب متزايد من خيرات بلادها ومواردها بل واتجاهها نحو الاشتراكية والتأميم ووقوفها موقفاً مستقلا إيجابياً عربياً تنهار معه المصالح الاجنبية الجائرة كل هذا يخلق جواً لا يشجع الشركات المستغلة على أن تلقى برؤوس أموالها الضخمة فى المنطقة لإقامة مشاريع خطوط أنابيب جديدة تبغى من ورائها الارباح الطائلة المستمرة إلى جانب ضمان رأسمالها الاصلى [2] .

عامل استراتيجى :

ويمكننا أن نضيف بعد ذلك عاملا هاماً من الناحية الاستراتيجية . ذلك أننا اليوم فى عالم تصطرع فيه كتلتان ، وينبغى أن نلاحظ أن مشاريع خطوط الأنابيب قريبة جداً من الكتلة السوفيتية فضلا عما تتصف به الانابيب من عدم مرونة وجمود فى مكانها بحيث يسهل تعرضها للخطر وتكون درجة التعرض للخطر إذا جد الجد وحدث اصطدام مسلح بين الكتلتين أكبر كثيراً من درجة تعرض الناقلات ذات الوحدات الصغيرة والتى تتمتع بحرية الحركة ويمكنها بذلك استعمال طرق بعيدة أو طرق تتجنب فيها مواطن الخطر على الاقل بدرجة أكبر نسبياً . فاذا كانت الناقلات تعرض للخطر وقت الحرب فان :

"The dangers attending static pipelines traversing desert territory are also notably great "[3].

---

(١) العيوسى : المرجع السابق ، ص ١٤٥

(٢) وتذكر جريدة *The Financial Times* الصادرة فى ١٠ أغسطس ١٩٠٦

"It would be surprising if another Tapline were built because it would put a very large capital asset into the power of each of the countries through which it passed. The one thing that an oil country cannot nationalize is a tanker fleet".

(٣) Longrigg, above mentioned article, 356.

ويذهب البعض إلى حد اقتراح تأجيل إنشاء الانابيب حتى ولو كانت ظروفها أكثر مواتاة، ذلك لانه إذا قامت حرب فقد تقع المشاريع في يد العدو الذى سوف يفيد من استعمالها . . . ويقول :

"It might be well to defer construction of contemplated new pipelines in the area until several dangerous international tensions are adjusted. In the event of war, the pipeline equipment might prove of greater use to an enemy than to ourselves"[1].

بعد هذه المناقشة التفصيلية يمكننا أن ننتهى إلى أن كثيراً من الظروف الهامة ذات الاثر الخطير تقف عقبة في طريق إنشاء خطوط أنابيب جديدة في الشرق الاوسط .

ومن الأمور ذات المغزى أنه منذ أن أنشىء مشروع التابلاين لم ينشأ خط واحد يمكن أن ينافس قناة السويس في خدمة نقل البترول التي يقوم بها .

ليس هذا فقط ، بل أن هذا الخط ، أى التابلاين ، رغم تزايد الطلب على بترول الشرق العربي في منطقة البحر المتوسط وما وراءها إلى الغرب — هذا الخط لم يبلغ بعد أقصى ما يمكن من طاقة ، فقد قدرت طاقته الابتدائية الكاملة بوجود ست محطات للضخ (الدفع) بحوالى ٣٣٠ ألف برميل يومياً [٢] ، أى ما يتراوح بين ١٥ — ١٥٫٥ مليون طن سنوياً [٣] .

---

(١) Pratt and Good (eds.), *op. cit.*, Part IV, Chapter 5, "The Effect of the World Distribution of Petroleum on the Power and Policy of Nations", by Herbert Feis, 392-404, 402.

وهناك مشروع يتحدث عنه البعض من وقت لآخر وهو مشروع مد خط للأنابيب عبر برزخ السويس ويرجو الكاتب أن تسمح له الظروف في المستقبل القريب أن يتناول هذا الموضوع على صفحات هذه المجلة .

وهناك فكرة أخرى يتردد الحديث عنها من آن لآخر وهى فكرة إنشاء أنابيب في اسرائيل بين البحرين الأحمر والمتوسط والعقبة الكبرى في وجه هذا المشروع هى عدم الاستقرار في المنطقة عموما والعداء العربي المشترك لاسرائيل . وإذا كانت هذه الظروف قد عاقت انشاء أنابيب في البلاد العربية توفر تكلفة النقل بدرجة أكبر كثيرا فإنها لاشك تؤثر بالمثل في هذه الحالة ربقوة .

(٢) United Nations, *Review of Economic Conditions in the Middle East...*, 1949-50, 61.

(٣) التابلين رقل الزيت . مطبوع شركة Tapline المذكور سابقا .

ولكن هذه الطاقة يمكن زيادتها فى أى وقت إلى ٢٥ مليون طن سنوياً . وذلك بانشاء محطات إضافية أخرى [١] . غير أن ما مر خلال هذا الخط فعلا يتضح من الجدول الآتى [٢] :

العام	طنا فى العام	العام	طنا فى العام
١٩٥١	١٤ر٢٢١ر٠٨٩	١٩٥٤	١٥ر٤٩٢ر٨٢٣
١٩٥٢	١٥ر١٩٠ر٢٠٣	١٩٥٥	١٥ر٦٧٤ر٣٦٣
١٩٥٣	١٤ر٩٧٤ر٨٠٣		

حمولة وكميات متزايدة :

وقد بلغت الكمية المنقولة عام ١٩٥٦ : ١٥ر٩٣٠ر٢٣٨ طناً [٣] . وهذا يحدث رغم تزايد نصيب القناة من البترول الخام المار من الجنوب إلى الشمال تزايداً مطرداً كما يتضح من الجدول الآتى [٤] :

العام	مليون طن مترى	العام	مليون طن مترى
١٩٥١	٣٥ر٩٨٠	١٩٥٤	٥٤ر٢٠٧
١٩٥٢	٤٣ر٩٦١	١٩٥٥	٦١ر٩٧٨
١٩٥٣	٤٧ر٣٣٠		

وكما يتضح من الجدول الآتى [٥] ، الذى يبين نصيب ناقلات البترول المتزايد فى حمولة السفن العابرة للقناة .

(١) Longrigg, *Oil in the Middle East*, 208.

(٢) مطبوعات شركة Tapline.

(٣) مطبوعات شركة التابلين .

(٤) مطبوعات شركة القناة .

(٥) مطبوعات شركة القناة .

السفن العابرة للقناة

العام	حمولة الناقلات	الحمولة الكلية	النسبة المئوية
١٩٢٠	١ر٠٤٩ر٠٠٠	١٧ر٠٧٤ر٦٥٧	٥ر٦
١٩٢٩	٤ر٩٣٨ر٠٠٠	٣٣ر٤٦٦ر٠١٤	١٤ر٧
١٩٣٧	٦ر٩٩١ر٠٠٠	٣٦ر٤٩١ر٣٣٣	١٩ر١
١٩٣٨	٥ر٩٧٠ر٠٠٠	٣٤ر٤١٨ر١٨٧	١٧ر٣
١٩٤٨	٣٢ر٢٧٩ر٠٠٠	٥٥ر٠٨١ر٠٥٦	٥٨ر٦
١٩٤٩	٤٠ر١٩٥ر٠٠٠	٦٨ر٨٦١ر٥٤٨	٥٨ر٣
١٩٥٠	٥٢ر٠٩٢ر٠٠٠	٨١ر٧٩٥ر٥٢٣	٦٣ر٦
١٩٥١	٤٦ر٧٣٢ر٠٠٠	٨٠ر٣٥٦ر٠٠٠	٥٨ر٢٨
١٩٥٢	٥١ر٨٢٢ر٠٠٠	٨٦ر١٣٧ر٠٠٠	٦٠ر١٦
١٩٥٣	٥٦ر٣٧٤ر٠٠٠	٩٢ر١٠٥ر٠٠٠	٦٠ر٦٧
١٩٥٤	٦٥ر٠١٢ر٠٠٠	١٠٢ر٤٩٤ر٠٠٠	٦٣ر٤٣
١٩٥٥	٧٥ر٨٥٦ر٠٠٠	١١٥ر٧٥٦ر٠٠٠	٦٥ر٥٣

وهذا يحدث كذلك رغم ضغط الطلب المتزايد والحاجة إلى السرعة وضيق الوقت حتى أن معظم الناقلات تفضل عبور قناة السويس فى طريقها من الشمال إلى الجنوب فارغة مفضلة أن تدفع رسوم العبور حتى توفر بعض الوقت الذى يضيع لو اتجهت إلى الخليج الفارسى مستعملة طريق رأس الرجاء الصالح ، ومما يدل على ذلك دلالة قوية أن الناقلات الفارغة المتجهة من الشمال إلى الجنوب والناقلات المليئة والمتجهة من الجنوب إلى الشمال تكاد أن تتساويا ويتضح ذلك من الجدول الآتى [1] :

العام	حمولة الناقلات الفارغة شمال — جنوب	حمولة الناقلات المليئة جنوب — شمال
	مليون طن صافى	مليون طن صافى
١٩٥١	٢٢ر٠٥٥	٢٣ر٢٢١
١٩٥٢	٢٢ر٣١٦	٢٥ر٠٤٢
١٩٥٣	٢٤ر٣٤٠	٢٧ر٠٥٠
١٩٥٤	٢٩ر٣٢٣	٣١ر٢١١
١٩٥٥	٣٧ر٤٥٢	٣٦ر٧٥٥

(١) مطبوعات شركة القناة .

فاذا أضفنا إلى ذلك التزايد المطرد إمكانية استمراره كما يدل على ذلك الاتجاه العام فيما سبق من أعوام والتنبؤات المستقبلة فيما يختص بانتاج المنطقة وتزايد المصدر منها وتزايد نصيب القناة من هذا المصدر ، كما تدلنا الصفحات السابقة من هذا البحث أمكننا أن نطمئن تمام الاطمئنان إلى مستقبل القناة من ناحية عبور البترول وأن نوافق فى غير تحفظ على توقع شركة القناة السابقة أن تصل كمية البترول العابرة للقناة فى القريب (١٩٦٠) ، إلى قدر يتراوح بين ٩٠ — ١٠٠ مليون طناً سنوياً أو ٧٠ ٪ مما يمر بهذا المجرى المائى [١] . بل يمكننا أن نؤكد أنه يغلب أن تزيد كمية البترول المار على ذلك .

تزايد عدد السفن وضخامة حجمها :

هذه الحقائق تقودنا إلى دراسة أخرى . فتزايد عدد السفن العابرة والتزايد المطرد فى عدد مرات العبور اليومية والاتجاه البارز فى السفن وعلى الخصوص ناقلات البترول نحو الحجم الأكبر أمور لها أهميتها فى دراسة وتوجيه شئون هذا المرفق البحرى الهام . أما عدد مرات العبور ومتوسط بعضها اليومى فتتضح من الجدول الآتى [٢] :

العام	عدد مرات العبور	المتوسط اليومى	العام	عدد مرات العبور	المتوسط اليومى
١٨٧٠	٤٨٦	—	١٩٤٩	١٠٤٢٠	—
١٩٠٠	٣٤٤١	—	١٩٥٠	١١٧٥١	—
١٩١٣	٥٠٨٥	—	١٩٥١	١١٦٩٤	٣٢
١٩٢٠	٤٠٠٩	—	١٩٥٢	١٢١٦٨	—
١٩٢٩	٦٢٧٤	—	١٩٥٣	١٢٧٣١	—
١٩٣٧	٦٦٣٥	١٨٫٢	١٩٥٤	١٣٢١٥	٣٦٫٢
١٩٣٨	٦١٧١	—	١٩٥٥	١٤٦٦٦	٤٠٫٢
١٩٤٨	٨٦٨٦	٢٣٫٧			

والسفن التى عبرت القناة عام ١٩٥٥ مرة أو أكثر من مرة تبلغ فى مجموع حمولتها ثلث

(١) درسنا امكانيات التوسع فى الأنابيب حيث لا يتوقع هذا التوسع على الأقل فى المستقبل القريب بينا يزداد الضغط على شركات بناء السفن لبناء ناقلات جديدة حتى أنها مشغولة بالكامل لمدة سنوات مقبلة ورغم ذلك تقول مجلة *Newsweek* فى عددها الصادر فى ١٣ أغسطس ١٩٥٦ ص ٢٤
"Current Shipbuilding Barely Keeps Pace with Present Demands".

(٢) مطبوعات الشركة .

حمولة أسطول العالم التجارى (الذى تزيد حمولة سفنه عن ٥٠٠ طن إجمالى) أما الناقلات فتبلغ نصف حمولة أسطول الناقلات فى العالم .

وقد جاء فى تقرير مجلس الادارة عام ١٩٥٦ ما يأتى :

Les resultats des cinq premiers mois de l'année en cours tendent à faire prevoir que la progression continuera en 1956. La moyenne quotidienne des navires ayant franchi le Canal est supérieur à 45, ce qui suppose des pointes de 50 et de 55 "[1].

أما من ناحية حجم السفن فيلاحظ أنه يتزايد باطراد ويتضح ذلك من الحقائق الآتية :

متوسط الحمولة [٢]

العام	عامة	ناقلات	العام	عامة	ناقلات
١٩٥٠	٩٣٩٤	—	١٩٥٣	٩٨٠٨	١١٫٤٢٠
١٩٥١	٩٢٨٣	١٠٫٢٤٤	١٩٥٤	١٠٣٧٦	١٣٫٣١١
١٩٥٢	٩٥٣٦	—	١٩٥٥	١٠٥٤٢	١٢٫٦٢٣

وكان عدد السفن التى تزيد حمولتها القائمة Jauge brute عن ٢٠٠٠٠ (عشرين الف طن) كالآتى [٣] :

العام	عدد السفن	العام	عدد السفن
١٩٤٨	١٠٨	١٩٥٢	٢٥٧
١٩٤٩	١٢٨	١٩٥٣	٢٩٦ منها ٢١ أكثر من ٣٠٠٠٠ طنا
١٩٥٠	١٦٤	١٩٥٤	٤٩٦ منها ٥١ » » »
١٩٥١	٢٠١	١٩٥٥	٨٠٥ منها ٦٨ » » »

(١) تقرير مجلس إدارة الشركة عام ١٩٥٦

(٢) محتسب من مطبوعات الشركة .

(٣) محتسب من مطبوعات الشركة .

وكانت مرات العبور التى عبرت السفن فيها بغاطس بين ١٠٫٠٧ متراً و ١٠٫٣٦ متراً أو أكثر كالآتى [١] :

العام	عدد السفن	النسبة المئوية	العام	عدد السفن	النسبة المئوية
١٩٥٠	١٧٣	١٫٤٧ ٪	١٩٥٣	٣٦٤	٢٫٨٦ ٪
١٩٥١	٢١٥	١٫٩٣ ٪	١٩٥٤	٥٤٠	٤٫٠٨ ٪
١٩٥٢	٢٧٢	٢٫٢٤ ٪	١٩٥٥	٧٠٥	٥٫١٤ ٪

وكان نصيب الحاملات من ذلك ٣٢ عام ١٩٥١ ، و٤٨ عام ١٩٥٢ ، و ٦٧ عام ١٩٥٣ ، ١٨٢ عام ١٩٥٤ [٢] .

ويلاحظ أن التزايد لا يقتصر فقط على العدد المطلق بل أنه واضح أيضاً فى النسبة المئوية .

أما مرات العبور التى بلغ غاطسها الحد الأقصى المسموح به وهو ٣٤ قدما فكانت ٥٤ عام ١٩٥٣ ، و ٧٢ عام ١٩٥٤ ، و ١٢٨ عام ١٩٥٥ . هذا فضلا عن أنه فى عام ١٩٥٥ تمت ٢٧٨ حالة عبور بغاطس بين ١٠٫٣٧ — ١٠٫٦٧ متراً وكانت نسبتها للحمولة الكلية ١٫٨٩ ٪ وذلك مقابل ١١٠ حالات فقط عام ١٩٥٤ ، وذلك بنسبة ٨٣ ٪ وكانت كلها من ناقلات البترول [٣] .

هذه حقائق هامة ينبغى أن نضيف إليها ما أشرنا إليه سابقاً من الاتجاه العام نحو سفن ذات حمولة أكبر وخاصة فى الناقلات .

ولا بد للادارة المشرفة على شئون القناة من أن تواجه هذه التطورات بما يلزم لهـا من موظفين وبرامج تعميق وتوسيع وغير ذلك ممـا يضمن استمرار وانتظام وسرعة العبور وإفادة مصر إلى أقصى حد مما يجبى على التجارة العابرة من رسوم .

---

(١) محتسب من مطبوعات الشركة .
(٢) محتسب من مطبوعات الشركة .
(٣) محتسب من مطبوعات الشركة .

معلومات من المصلحة أن نعرفها

ننتقل بعد ذلك إلى نقطة هامة أخرى . ذلك أن من مصلحة الهيئة المشرفة على القناة أن تأخذ فى اعتبارها المصالح المختلفة التى تخدمها بنقل البترول خلالها حتى يمكن مواجهة المواقف المختلفة على أساس من المصلحة الخاصة القائمة على تقديم أحسن خدمة ممكنة ترفع سمعتنا وتمكننا من الحصول على العائد المجزى مقابل الخدمة والمتزايد بتزايدها .

نسبة الناقلات كبيرة ومتزايدة :

وقد بلغت حمولة الناقلات العابرة لقناة السويس ما يزيد على نصف مجموع الحمولة المارة فى القناة منذ عام ١٩٤٨ كما أن هذه النسبة — إذا أغفلنا العوامل الوقتية [١] — تتزايد باطراد وتعطى اتجاها عاما يستمر فى الارتفاع كما يتضح من الجدول الآتى [٢] .

العام	مجموع الحمولة التى تستحق عليها الرسوم	حمولة الناقلات	نسبتها المئوية من المجموع
			٪
١٩٤٨	٥٥ر٠٨١	٣٢ر٢٧٩	٥٨ر٦
١٩٤٩	٦٨ر٨٦٢	٤٠ر١٩٥	٥٨ر٤
١٩٥٠	٨١ر٧٩٦	٥٢ر٠٩٢	٦٣ر٧
١٩٥١	٨٠ر٣٥٦	٤٦ر٧٣٢	٥٨ر٢
١٩٥٢	٨٦ر١٣٧	٥١ر٨٢٢	٦٠ر٣
١٩٥٣	٩٢ر٩٠٥	٥٦ر٣٧٤	٦٠ر٧
١٩٥٤	١٠٢ر٤٩٤	٦٥ر٠١٢	٦٣ر٤
١٩٥٥	١١٥ر٧٥٦	٧٥ر٨٠٦	٦٥ر٥

الدول الهامة :

ويلاحظ لذلك أن الدول التى تملك عددا كبيراً من الناقلات والتى يتزايد نصيبها منها ، هذه الدول تتزايد مصالحها فى المرور فى القناة وخاصة إذا كانت ناقلاتها — كما تفعل ناقلات معظم هذه الدول [٣] — تمر بقناة السويس فى رحلاتها .

(١) مثل توقف الانتاج فى ايران وأثره فى مقدار حمولة البترول المارة خلال القناة .

(٢) محتسب من مطبوعات الشركة .

(٣) للولايات المتحدة وضع خاص بسبب نشاط ناقلاتها المكورة فى العالم الجديد .

ويلاحظ أن ترتيب الدول حسب نصيبها من الناقلات المارة بقناة السويس هو كالآتى [1] :

الدول التى تتبعها الناقلات

عام ١٩٤٩	عام ١٩٥١	عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٥	نسبة المار من مجموع أسطول الناقلات التابعة للدولة عام ١٩٥٥
				٪
انجلترا	انجلترا	انجلترا	انجلترا	٧٠
الولايات المتحدة	النرويج	النرويج	النرويج	٧٥
النرويج	بنما	فرنسا	ليبريا	٧٥
بنما	الولايات المتحدة	بنما	فرنسا	٩٠
فرنسا	فرنسا	ليبريا	إيطاليا	٨٠
إيطاليا	إيطاليا	إيطاليا	بنما	

ومن الأمور ذات المغزى أن نلاحظ أن هذا الترتيب لا يختلف فى معظم السنوات عن ترتيب الدول من ناحية نصيبها فى الحمولة العامة المارة خلال القناة وذلك لأهمية الناقلات البارزة جداً فى المرور عبر القناة ويتضح ذلك من الجدول الآتى [2] :

الدول التى تتبعها حمولة السفن على اختلاف أنواعها

عام ١٩٤٩	عام ١٩٥٢	عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٥
انجلترا	انجلترا	انجلترا	انجلترا
أمريكا	النرويج	النرويج	النرويج
النرويج	فرنسا	فرنسا	ليبريا
بنما	بنما	بنما	فرنسا
فرنسا	أمريكا	ليبريا	إيطاليا
إيطاليا	إيطاليا	إيطاليا	بنما

(١) عن مطبوعات الشركة .

(٢) عن مطبوعات الشركة .

ومن الملاحظات الهامة التى يجب أن نأخذها فى الاعتبار أن كثيراً من الحاملات التى تمر بالقناة رافعة العلم الليبيرى أو البانامى هى فى حقيقتها مملوكة لجنسيات أمريكية .

وبسبب أهمية صادرات البترول من الخليج الفارسى نجد نصيب هذه المنطقة من حمولة السفن المارة خلال القناة كبيرة ومتزايدة كما يتضح ذلك من الجدول الآتى [1] :

الحمـولة

العام	عامة	الخليج الفارسى
١٩٥١	٨٠٫٣٥٦	٤٦٫٠٠٠
١٩٥٢	٨٦٫١٣٧	٤٨٫٤٨٤
١٩٥٣	٩٢٫٩٠٥	٥٢٫٥٧٧
١٩٥٤	١٠٢٫٤٩٤	٦١٫٤٧٧
١٩٥٥	١١٥٫٧٥٦	٧٤٫١٩٥

وبالطبع معظمها من الناقلات .

نسبة البترول فى البضاعة :

أما من ناحية البضاعة فيلاحظ أن نسبة البترول ومشتقاته منها كبيرة ومتزايدة ويتضح ذلك من الجدول الآتى [2] :

البضاعة المـارة

العام	عامـة	بترول ومشتقاته مقربة
	مليون طن مترى	مليون طن مترى
١٩٥١	٧٦٫٧٥٣	٤٥
١٩٥٢	٨٣٫٤٤٨	٥٢٫٥
١٩٥٣	٩٠٫٣٩٩	٥٧
١٩٥٤	٩٦٫٨٨١	٦٣٫٥
١٩٥٥	١٠٧٫٥٠٨	٦٩

(١) من مطبوعات الشركة .

(٢) محتسب من مطبوعات الشركة .

منطقة الخليج الفارسى :

ويلاحظ أن منطقة الخليج الفارسى هى مصدر أكثر من ٩٥ ٪ من البترول ومشتقاته المارة خلال قناة السويس . فقد كان نصيب هذه المنطقة كما يأتى [١] :

العام	عامة	بترول
	مليون طن مترى	مليون طن مترى
١٩٥١	٤٤ر٠٠٠	٤٢ر٢٥٠ تقريبا
١٩٥٢	٤٧ر٢٥٠	٤٥ر٥٠٠
١٩٥٣	٥١ر٢٥٠	٤٨ر٨٠٠
١٩٥٤	٥٨ر٠٠٠	٥٦ر٧٥٠
١٩٥٥	٦٧ر٠٠٠	٦٤ر٠٤١

نصيب أوربا وأمريكا — أهمية البترول :

ونصيب أوروبا من البضاعة المارة خلال القناة نصيب ضخم ويصل نصيبها إذا أضيف إليه نصيب أمريكا إلى ٩٥ ٪ من البضاعة المارة أو يزيد ويتضح ذلك من الجدول الآتى [٢] :

العام	البضاعة	أوروبا		أمريكا		المناطق الأخرى
		كمية	نسبة مئوية	كمية	نسبة مئوية	
			٪		٪	
١٩٥١	٧٦ر٧٥٣	٦٤ر٠٦٦	٨٣ر٥	١١ر٨٠٥		٠ر٨٨٢
١٩٥٢	٨٣ر٤٤٨	٦٩ر٠٨٩	٨٣ر٥	١١ر٧٩٢	١٠ر٢٣٥	٢ر٠٧٦
١٩٥٣	٩٠ر٣٩٩	٧٦ر٥٤٩	٨٤ر٧	١١ر١٩٠	١٠ر٧١٥	١ر٨٥٥
١٩٥٤	٩٦ر٨٨١	٨٣ر١٣٣	٨٥ر٨	١١ر٦٤٠	١٠ر٢٩٢	٢ر١٠٣
١٩٥٥	١٠٧ر٥٠٨	٩٠ر٨٤٦	٨٤ر٥	١٣ر٣١٣	١٢ر٥٤٦	٣ر٣٤٩

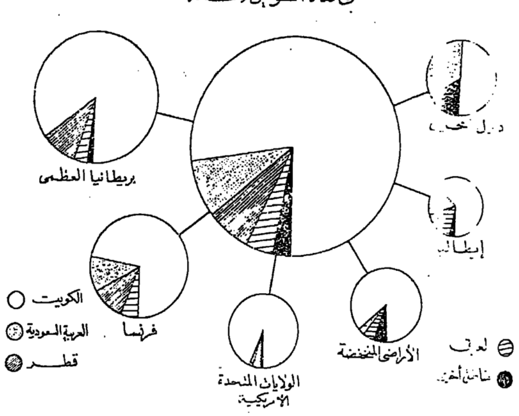
(١) محتسب من مطبوعات الشركة .

(٢) محتسب من مطبوعات الشركة .

وكان نصيب البترول من هذه البضاعة كما يأتى [1] :

العام	نصيب البترول من البضاعة المارة	أوروبا	أمريكا
١٩٥٤	٦٣٫٠	٥٤٫٣٠٨	٧٫٨١٦
١٩٥٥	٦٩	٥٨٫٢٨	٩٫٠١٥

والبترول هو المادة الأساسية الرئيسية المتجهة إلى أوروبا عبر القناة وقد قدر ما مر خلال هذه القناة من تلك المادة عام ١٩٥٤ بحوالى ٧٧ ٪ من واردات أوروبا من المناطق فيما وراء السويس وذلك مقابل ٧٤ ٪ عام ١٩٥٣ وفى عام ١٩٥٣ ذهب ٩/١٠ البترول



(١) مقتبس من مطبوعات الشركة .

الخام المـار بالقناة إلى أوروبا وكان ذلك ٧٢ ٪ من واردات أوروبا من أنحاء العالم المختلفة [١] .

ويلاحظ أن نصيب أوروبا وأمريكا من بترول الشرق الأوسط يتزايد باطراد كما يلاحظ أيضاً أن النصيب النسبى يتزايد ويتنبأ العارفون أنه سيرتفع بمعدل متزايد فى المستقبل [٢] .

دول الانتاج التى يمر بترولها عبر القناة :

فاذا انتقلنا من ذلك الكلام الجامع إلى شىء من التفصيل فاننا نجد أن البترول المار بقناة السويس من الجنوب إلى الشمال يأتى من الدول الآتية على الترتيب [٣] .

عام ١٩٥١ : الكويت ، ايران ، بلاد العرب السعودية ، قطر ، البحرين .

عام ١٩٥٢ : الكويت ، بلاد العرب السعودية ، قطر ، العراق (فاو) ، البحرين .

عام ١٩٥٣ : الكويت ، بلاد العرب السعودية ، قطر ، العراق (فاو) ، البحرين .

عام ١٩٥٤ : الكويت ، بلاد العرب السعودية ، قطر ، العراق (فاو) ، جزر الهند الشرقية والملايو ، البحرين .

عام ١٩٥٥ : الكويت ، بلاد العرب السعودية ، ايران ، العراق (فاو) ، البحرين ، جزر الهند الشرقية والملايو .

ويلاحظ أن نصيب الكويت فى البترول الذاهب من الجنوب إلى الشمال يزيد فى العادة على ٧٠ ٪ من البترول المار بالقناة وتتزايد النسبة إذا أخذنا فى اعتبارنا البترول الخام فقط

(١) من مطبوعات الشركة ، United Nations Publications .

(٢) يرجع إلى الأجزاء الأولى من البحث .

Newsweek, August 13, 1956, 26, where it is concluded:
"So West Europe's dependency on Middle-Eastern oil will increase for at least 25 years."

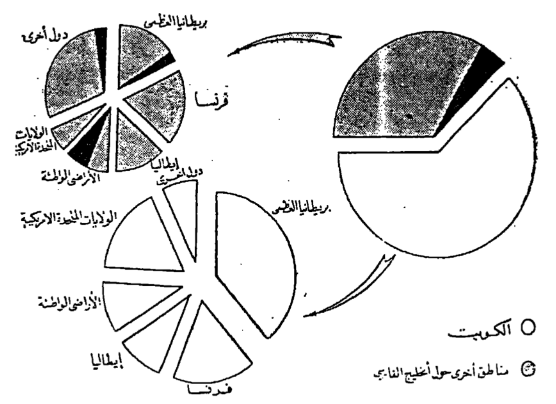
(٣) من مطبوعات الشركة .

ومعظم ما تنتجه الكويت من البترول يذهب إلى شمالى وغربى البحر المتوسط عبر قناة السويس ويظهر ذلك من الجدول الآتى [1] :

العام	الإنتاج مليون طن	كمية البترول المصدرة عبر القناة
١٩٥٠	١٧٫٣	١٥٫٧
١٩٥٣	٤٣٫٣	٣٨٫٣٠
١٩٥٤	٤٧٫٧	٤١٫٢٠ (المنطقة المحايدة ٠٫٤٢٠)
١٩٥٥	٥٥٫٠	٤٢٫٠ (المنطقة المحايدة ٠٫١٣)

حركة البترول من الجنوب إلى الشمال

في قناة السويس سنة ١٩٥٥



(١) مطبوعات الشركة ومراجع أخرى .

ويذهب البترول إلى :

ويتجه هذا البترول إلى البلاد الآتية [1] :

١٩٥٥	١٩٥٤	١٩٥٣	١٩٥٢	١٩٥١
بريطانيا	بريطانيا	بريطانيا	بريطانيا	بريطانيا
فرنسا	فرنسا	فرنسا	فرنسا	فرنسا
الولايات	الولايات	الولايات	هولندا	هولندا
ايطاليا	هولندا	هولندا	الولايات	ايطاليا
هولندا	ايطاليا	ايطاليا	ايطاليا	الولايات

ويلاحظ أن بريطانيا هى أولى هذه الدول والفارق بينها وبين فرنسا كبير . وقد بلغ الوارد لبريطانيا عبر القناة عام ١٩٥٤ ، ٢٠ر٥٢٩ مليون طن ، وعام ١٩٥٥ ، ٢٠ر٥٤٣ مليون طن . وتستمد هذه الدولة ٧٠٪ من حاجتها من البترول الخام مما يأتى عبر قناة السويس وتلى بريطانيا فى الأهمية — كما هو واضح من الجدول السابق — فرنسا ، وهي تزيد فى العادة كثيراً على الدولة التالية لها فى الأهمية وقد زاد ما استوردته عبر القناة عام ١٩٥٥ على ١٢ مليون طن وهو يمثل نصف ما يرد لفرنسا من البترول الخام من منطقة الخليج الفارسى الذى يبلغ فى مجموعه ٩٤ ٪ من حاجة فرنسا من هذه المادة ، وتتمتع الولايات المتحدة وايطاليا وهولندا بأهمية بارزة فى الاستيراد من الخليج الفارسى عبر القناة ، ويبلغ مجموع ما استوردته هذه الدول الثلاث عام ١٩٥٥ ، ٢٣ر٢٥٤ مليون طن . فاذا أضفنا إلى هذا الرقم نصيبى بريطانيا وفرنسا فانه يبلغ ٥٥ر٩٤٥ أى حوالى ٥٦ مليون طن ويمكن أن يضاف إلى هذه القائمة عدد آخر من الدول الأوروبية لها نصيب أقل فى البترول الآتى عبر القناة [2] .

---

(١) مطبوعات الشركة ومراجع أخرى .

(٢) محتسب من مطبوعات الشركة ومراجع أخرى .

الشركات صاحبة الامتياز :

بعد هذا يحسن أن نشير إلى الشركات [1] التى حصلت على امتياز استغلال البترول فى مناطق الخليج الفارسى ذات الأهمية الكبرى فى التجارة المارة فى قناة السويس وخاصة ناقلات البترول والمواد التى تحملها .

ففى الكويت ، نجد الشركة صاحبة الامتياز هى شركة بترول الكويت ، Kuwait Oil Co., Ltd. وهذه تمتلك مناصفة بواسطة شركة البترول البريطانية British Oil Company (سابقا Anglo-Iranian Oil Co.) الانجليزية وشركة بترول الخليج الامريكية Gulf Oil Co. .

أما فى المنطقة المحايدة ، فقد أعطت الكويت — ولها الحق فى نصف الانتاج — الامتياز لشركة البترول المستقلة الامريكية American Independent Oil Co. ولها النصف .

أما بلاد العربية السعودية فالامتياز فيها لشركة الزيت العربية الامريكية المعروفة بارامكو Arabian American Oil Co. ، وهى شركة امريكية صرف وتمتلكها الشركات الامريكية الآتية بالنسب الآتية : ٣٠ ٪ لكل من : Standard Oil of California, Standard Oil of New Jersey, Texas Oil Co. و ١٠ ٪ Socony Vacuum Oil Co. أما نصيب العربية السعودية فى المنطقة المحايدة فتستغله Pacific Western Oil Co. وهى شركة امريكية . ونصيبها فى المنطقة النصف .

فاذا انتقلنا إلى إيران وجدنا أن الوضع قد آل إلى اتحاد شركات الزيت الغربية Consortium وقد تكون بعد القضاء على حركة التأميم التى قاد لواءها محمد مصدق ،

---

(١) اعتمدنا فى الحصول على هذه البيانات على :
(أ) الكتب العامة المختلفة التى ورد ذكرها فى البحث مثل مؤلفات البرازى — العيوسى الخ .
(ب) الصحف والمجلات المختلفة .
(ج) المذكرات العلمية المختلفة الموجودة لدى الكاتب أيام دراسته فى الخارج وبعد عودته والمعتمدة على المصادر صاحبة الشأن أو الرسمية .

وقد نالت الشركات الأمريكية ٤٠٪ وزعت بالتساوى على الشركات الآتية :

Standard Oil of California, Socony Vacuum, Standard Oil of New Jersey, Texas, Gulf Oil Corporation.

ثم انضمت إلى هذه الشركات الخمس وكالة Iricon التى حصلت على ٥ ٪ على حساب هذه الشركات الخمس التى أصبح نصيب كل منها ٧ ٪ .

أما شركة الانجلو ايرانيان ، أو شركة البترول البريطانية ، فقد نالت ٤٠ ٪ ونالت شركة شل ١٤ ٪ وهى هولندية انجليزية كما نالت الشركة الفرنسية للبترول ٦ ٪ .

وإذ ننتقل إلى العراق نجد الشركة التى تهمنا هى شركة بترول البصرة Basra Petroleum Co. وهى كشركة بترول العراق مقسمة بالنسب الآتية :

٧٥ر٢٣ ٪ للشركة الامريكية المسماة Near East Development corporation وملكيتها مقسمة مناصفة بين شركات Standrad of New Jersey, Socony Vacuum.

٧٥ر٢٣ ٪ لشركة انجلو ايرانيان أو شركة الزيت البريطانية British Oil Co.

٧٥ر٢٣ ٪ للشركة الفرنسية Compagnie Française des Pétroles

٧٥ر٢٣ ٪ لشركة Royal Dutch-Shell .

وهى مقسمة بنسبة ٦٠ ٪ للانجليز و ٤٠ ٪ للهولنديين .

٥ ٪ للارمنى Gulbenkian (توفى من مدة .

وفى حالة قطر نجد الحال كما هو عليه فى شركة بترول البصرة .

أما البحرين فشركة بترول البحرين ملكيتها مقسمة مناصفة بين شركتى Standard Oil of California, Texas.

وبصورة عامة تبلغ الاستثمارات فى البترول فى المنطقة حوالى ٥ر٢ بليون دولار [1] والشركات الأمريكية تسيطر على ٦٤ ٪ من احتياطات الاقليم المثبت منها . أما الشركات

(١) *Newsweek*, August 13, 1956.

الانجليزية والهولندية فتسيطر على ٣١ ٪ ، وأما الشركة الفرنسية فتسيطر على معظم الخمسة فى المائة الباقية [١] .

الوضع بعد التأميم :

ننتقل بعد ذلك إلى نقطة ختامية فى هذا البحث وهى تمس الوضع بعد أن اتخذ رئيس جمهورية مصر قراره المعبر عن إرادة الشعب بتأميم شركة القناة .

فالى جانب البراهين القاطعة على مصرية الشركة وحقنا الواضح فى تأميمها من الناحية القانونية ، وإلى جانب ما يمكن أن نضع فى جعبتنا من حجج ضد فكرة تدويل إدارة القناة مما لا يدخل فى مجال هذا البحث الخاص فان من النقط الهامة التى تمس مرور البترول بصورة خطيرة وتهمنا فى مجال التأميم . من هذه النقط ضمان استمرار وانتظام المرور بالقناة فى حرية وسلامة وكذلك الوفاء بالتزاماتنا قبل الملاحة الدولية المارة خلال القناة والتى تمثل ناقلات البترول فيها قرابة ثلثيها مع تزايد مطرد فى هذه النسبة .

ومن حيث أن الشركة مسئولة أمام مصر مانحة الامتياز بنصوص عقد الامتياز بأن تواجه تطورات الملاحة بحيث تفى بحاجات العالم لخدمة النقل بين الشرق والغرب ، ومن حيث أن الشركة عجزت عن الوفاء بشروط الامتياز فى هذه الناحية منذ البداية ولم تنفذ البرامج التى وضعتها للتوسيع والتعميق والصيانة . . . الخ كما وضعناها هى وفى ميعادها ، وبما أن مصر هى الدولة مانحة الامتياز وهى الدولة المسئولة عن ضمان حرية الملاحة وسلامتها واستمرارها وانتظامها فضماناً لهذا جميعاً وتحملا للمسئولية الملقاة على عاتقها (إلى جانب عوامل أخرى طبعاً) قامت مصر بتأميم هذا المرفق الحيوى .

ولا شك أن من مصلحتنا — وكسباً للرأى العام العالمى — أن نبرز هذا المعنى وأن نبرز للعالم مراراً تأكيدنا لضمان حرية الملاحة وسلامتها ، وأن نعمل كل ما فى وسعنا لانفاذ برامج التحسين اللازمة وضمان حسن الادارة وانتظامها ، وأن نظهر استعدادنا للتعاون مع الجميع على تحقيق هذا بالصورة المرضية وأن نؤكد أن هذا يحقق مصلحتنا الشخصية التى هى عامل مهم من العوامل التى تقدرها بطبيعة الحال .

---

(١) *Ibid.*, and United Nations Publications.

وقد بدأت بعض الشركات الأخرى فى الدخول إلى المنطقة كالشركات اليابانية والايطالية وإن كان أثرها فى الإنتاج لم يبد بعد .

ومن النقط الواضحة التى يؤكدها معنا أحد الثقاة الغربيين أنه إذا عم السلام وقامت الحرية فليس هناك من مشكلة من ناحية توزيع البترول . فنظرة فاحصة إلى واقع الأمر ترينا أن توزيعه يحقق مصلحة مستهلكه الذى لا يملكه ومنتجه الذى لا يحتاجه وإنما يحتاج إلى تصريفه وناقله الذى يفيد من عملية المبادلة .

والبلاد العربية تفيد فائدة عظمى بعملية النقل هذه إلى جانب الفوائد الكبرى التى تعود على مصر .ولا يتصور أحد أن تقف مصر فى وجه العالم وأن تعمل على الاضرار بشقيقاتها العربيات وأكثر من هذا أن تلحق الضرر بذاتها .

ولهذا ، نجد أحد الثقاة الغربيين ينكر فى تأكد أن تعرقل مصر الملاحة عبر القناة لأن هذا يكون كما قال "To Spite her face by cutting her nose." [1] .

(1) Hanson Baldwin, in *The New York Times*, July 29, 1956.

المراجع العربية

١ — أ . ش . أ . (وكالة أنباء الشرق الأوسط) .

٢ — الاهرام .

٣ — أرامكو — تقرير عن سير الأعمال سنة ١٩٥٤ مرفوع إلى الحكومة السعودية من قبل شركة الزيت العربية الامريكية .

٤ — البراوى — راشد ، حرب البترول فى الشرق الأوسط ، الطبعة الرابعة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣

٥ — التابلين — التابلين ونقل الزيت ، مطبوع الشركة بمناسبة معرض دمشق الدولى عام ١٩٥٤

٦ — التابلاين — النشرات الدورية .

٧ — الجمهورية .

٨ — الشعب .

٩ — شركة قناة السويس — قناة السويس ، مذكرات واحصاءات ١٩٥٠

١٠ — صقر — ابراهيم ، تأميم شركة القناة : دراسة تحليلية للصراع بين الاستعمار الغربى والدولة المؤممة مع مقارنة بمحاولة التأميم فى ايران (تقرير الهيئة) .

١١ — صقر — ابراهيم ، المستقبل الاقتصادى لقناة السويس (تقرير الهيئة) .

١٢ — صقر — ابراهيم ، تأميم القناة فى اطاره الدولى ، مقال نشرت أجزاء منه فى اخترنا لك العدد ٢٩ .

١٣ — صقر — ابراهيم ، صراعنا مع الاستعمار معركة مستمرة ، نشرت بالرائد (نقابة المعلمين) عددى مايو ويونيو سنة ١٩٥٧

١٤ — العبوسى — محمد جواد ، البترول فى البلاد العربية ، محاضرات ألقاها على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية ١٩٥٥ ، معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٦

١٥ — فريد — عز الدين أحمد ، مذكرات الجغرافيا الاقتصادية لطلبة كلية التجارة عام ١٩٥٤ — ١٩٥٥ .

١٦ — المساء .

المراجع الأجنبية

1. Bryan, Leslie A., *Principles of Water Transportation*, New York, The Ronald Press Company, 1946.
2. Colley Jr. George S., "Looking to the Future: Will More Pipelines Be Built in the Middle East", *Oil Forum*, March 1954.
3. Compagnie Universelle du Canal Martitime de Suez, *Le Canal de Suez*, Bulletin (mensuel) de la Compagnie Universlle du Canal Maritime de Suez.
4. —, *Les navires-citernes au Canal de Suez.*
5. —, *Note sur le 8ème programme de travaux d'amélioration du Canal de Suez.*
6. —, *Rapport presenté au nom du conseil d'administration à l'assemblée générale des actionnaires de la Comqagaie (annuel).*
7. —, *Revue du trafic du Canal de Suez* (chaque 6 mois).
8. —, Le *trafic du Canal de Suez* (annuel) (de 4 à 8 sont des suppléments au bulletin: *Le canal de Suez*).
9. —, *Le Canal de Suez: documents statistiques, 1950.*
10. —, *8éme programme d'amélioration.*
11. —, *Rules of Navigation* (1953 edition).
12. —, *The Suez Canal: Notes and statistics.*
13. *Financial Times*, The, several issues.
14. George, P., *Geographie de l'energie* (collection géographie économique et sociale), Paris. 1949).
15. Georges-Picot, J., "Problèmes d'actualité, du Moyen-Orient" cours de l'Institut d'Etudes Politiques, Paris, 1949.
16. Hoskins, Halford Lancaster, *British Routes to India*, Doctoral dissertation, University of Pennsylvania, 1928, Longmans, Green and Company, 1928.
17. Congress, U.S.A., *International Petroleum Cartel* (The), 1952.
18. Jennings, B. Brewster: "The Middle East Oil Area Is Important beyond Exaggeration", *Oil Forum*, March 1954.

19. Longrigg, Brigadier Stephen Hemsley, "Oil in the Middle East" *Current History*, Volume 30, No. 178, June 1956, 353-59.

20. —, *Oil in the Middle East: Its Discovery and Development*, Issued under the auspices of the Royal Institute of International Affairs, Oxford University Press, London — New York — Toronto, 1954.

21. Mikesell, Raymond F. and Chenery, Hollis B., *Arabian Oil: America's Stake in the Middle East*, Chapel Hill, The University of North Carolina Press, 1949.

22. Morgan, F. W., *Ports and Harbours*, Hutchinson's University Library, London, 1952.

23. *Newsweek*: Several numbers.

24. *New York Times*, The, several issues.

25 Nousbaum, R. et J., et Hutchings, G.: *Compagnie Universelle du Canal, de Suez*, Collection Economique du Monde, sous la direction de Christian Funck-Brentano, Editions de Clermont, Paris, 1947.

26. Panel on the Impact of the Peaceful Uses of Atomic Energy, *Peaceful Uses of Atomic Energy; Report of the Panel to the Joint Committee on Atomic Energy*, 84th Congress, Volume 1, January 1956 United States Government Printing Office, Washington, 1956.

27. *Petroleum Press Service*, several numbers.

28. Pogue, Joseph E., and Hill, Kenneth E. with others, *Future Growth and Financial Requirements of the World Petroleum Industry*, Petroleum Department, The Chase Manhattan Bank, New York, for Presentation at the Annual Meeting of the American Institute of Mining, Metallurgical and Petroleum Engineers: Petroleum Branch, February 21, 1956.

29. Pratt, Wallace E. and Good, Dorothy (editors): *World Geography of Petroleum*, American Geographical Society, Special Publication No. 31, Princeton University Press, 1950.

30. Reymond, Paul: *Histoire de la navigation dans le Canal de Suez*, Tome III des Mémoires de la Société d'Etudes Historiques et Géographiques de l'Isthme de Suez, Le Caire. Imprimerie de l'Institut, Français d'Archéologie Orientale, 1956.

31. Sakr (Hassan), Ibrahim, "The Geography of the Suez Canal", an Unpublished Doctoral Thesis Presented to Columbia University New York City, 1954.

32. Shell Company (Cairo), *Information on Oil.*

33. Smith, J. Russell and Phillips, M. Ogden: *Industrial and Commercial Geography*, Third Edition, Henry Holt and Company, New York, 1946.

34. *Time*, August 6, 1956.

35. United Nations (Nations Unies): *Aperçu de l'évolution des conditions économiques au Moyen-Orient, 1952-53* supplément au rapport sur l'économie mondiale.

36. —, *Economic Developments in the Middle East, 1945-1954.*

37. —, *Economic Developmets in the Middle Eest, 1954-1955.*

38. —, *Review of Economic Conditions in the Middle East*, Supplement to World Economic Report, 1949-50.

39. —, *Review of Economic Conditions in the Middle East*, 1952.

40. —, *Statistical Yearbook, 1955.*

41. —, *Summary of Recent Economic Developments in the Middle East*, 1950-51.

42. United States Information Service (Cairo), *Press Release*, June 9th, 1956.

43. Woytinski, W. S. and Woytinski, E. S., *World Population and Production: Trends and Outlook*, The Twentieth Century Fund, New York, 1953.

الإســـلام فى أثيوبيـا

تعليق

للدكتور زاهر رياض

معهد الدراسات الافريقية — جامعة القاهرة

صدر هذا الكتاب فى سنة ١٩٥٢ باللغة الانجليزية باسم Islam in Ethiopia by J. Spencer Trimingham University Press. Oxford 1952. وهو أحد أجزاء سلسلة ينوى المؤلف إصدارها عن (الاسلام فى إفريقية) صدر منها إلى جانب هذا الكتاب آخر باسم (الاسلام فى السودان) .

وأول ما نلاحظه أن مؤلف هذا الكتاب يجهل اللغة العربية وهو أمر صعب لمن يحاول التعرض للكتابة فى موضوع يتعلق بالاسلام . حيث يعتبر الاطلاع على المصادر العربية الأصلية شيئاً من الأهمية بمكان . فلم يستطع المؤلف أن يطلع على المصادر العربية التى يتحتم الاطلاع عليها من أمثال (الكامل فى التاريخ) لابن الاثير . أو (الالمام بمن ملك الحبشة من ملوك الاسلام) للمقريزى . أو (مسالك الأبصار) لابن فضل الله العمرى وأمثالها من أمهات الكتب الهامة الا مترجمة . فكان أن وقع فى نفس الأخطاء التى وقع فيها المترجمون الذين تعرضوا لهذا الموضوع من قبل . كما لم تتح له الفرصة لأن يصحح بعض هذه الاخطاء ولاشك أن المصادر العربية أكثر أهمية من المصادر الأجنبية فى هذا الموضوع .

ويبدو أيضاً أنه لا يعرف اللغة الجعزية أو الأمهرية اللتين هما لغة الموضوع الذى يؤرخ له . فقد أورد المؤلف فى السطر الاول من هامش الصفحة ٤٥ كلمة نجاشى الامهرية على أنها ترجمة لكلمة ملك مع أنه من المعروف أن معناها حاكم ، أما كلمة ملك فمعناها بالامهرية نجوس . وهذا نقص آخر يضاف إلى جهله باللغة العربية .

وقد قصد المؤلف باتيوبيا هذا المثلث الذى يقع فى شرقى أفريقيا ويحد من الشمال والغرب بسهول السودان . ومن الجنوب بالهضبة الاستوائية ومن الشرق بالبحر الاحمر والمحيط

الهندى[1] . وهو يشمل حالياً ارتريا واتيوبيا والصومال الفرنسى وكذلك الصومال البريطانى والصومال الايطالى . وإذا جاز لـكلمة اتيوبيا أن تتسع فتشمل ارتريا والصومال الفرنسى وبعض الصومال البريطانى فذلك جائز فالاولى هى الموطن الاول لدولة اكسوم وعلى شاطئها قام ثغر عدول والثانى خضع طوال تاريخه للحكم الاتيوبى ولـكن ما لايجوز مطلقاً أن يدخل فى هذا التعبير بقية الصومال البريطانى وكذلك الايطالى فهما لم يدخلا يوما فى ظل الحكم الأتيوبى كما لا يمتان إلى أتيوبيا سواء بتضاريسهما أو مناخهما أو بسكانهما أو ثقافتهما أو دياناتهما أو ماضيهما أو حاضرهما السياسى . فمن المعروف أن الحبشة القديمة أو أتيوبيا الحديثة تنتهى دائما من الشرق عند ساحل البحر الأحمر ولـكنها تقف فى الجنوب الشرقى عند حدود السهل المنخفض الذى يلى الحدود الشرقية للهضبة .

وهذا الكتاب يحتوى على مقدمة فى صفحتين ثم ٢٨٠ صفحة أخرى تنقسم إلى أربعة أقسام كبيرة هى :

١ — الأرض والسكان . فى إحدى وثلاثين صفحة .

٢ — الصراع بين المسيحية والاسلام فى مائة وخمس عشرة صفحة .

٣ — توزيع القبائل الاسلامية فى ثمان وسبعين صفحة .

٤ — مميزات خاصة بالاسلام فى ست وخمسين صفحة .

ومن ذلك ندرك أن أهم أجزاء الكتاب هو القسم الثانى الذى يصور دخول الاسلام إلى أتيوبيا وانتشاره ثم ما جره هذا الانتشار من نتائج على كل من الحكومة والشعب .

ولا أدرى ما الذى دفع بالمؤلف إلى أن يختار لهذا القسم هذا العنوان (الصراع بين المسيحية والاسلام) وهو اسم لا يصور الحقيقة كما جرت بل يبدو أنه أخذ بالمظهر الخارجى لما كان بين المسيحيين والمسلمين من علاقات ولم يحاول أن يتعمق فيما وراء هذا الصراع من أسباب كانت أبعد ما تكون عن الدين . وإذا كان هناك صراع دينى بين المسيحية والاسلام فى أتيوبيا فقد كان ذلك لفترة بسيطة لا تزيد عن اثنتى عشرة سنة وهى إذا قيست بالفترة التى يؤرخ لهـا الكتاب منذ ظهور الاسلام فى القرن السابع حتى الوقت الحاضر . تبدو ضئيلة غاية الضآلة لا تستحق أن تعطى طابعها لـكل هذه الفترة . بل ان المؤلف نفسه

---

(١) ص ١

يؤكد فى أكثر من مناسبة أن سياسة ملوك أتيوبيا وأباطرتها كانت على الدوام سياسة التسامح الدينى وأنه لم يؤثر عن أحدهم محاولة لاجبار فئة من الناس على اعتناق دين معين إلا إذا رأوا فى هذا الانقسام ما يهدد المستقبل السياسى لدولتهم فيتصورون أن الوحدة الدينية هى الطريق المؤدى إلى الوحدة السياسية ، على أن هذا إذا كان قد حصل فعلا فلم يستمر إلا لمدة يسيرة وخلال حكم عدد محدود صغير من هؤلاء الأباطرة والملوك .

ولنعد الآن إلى أقسام الكتاب قسما قسما :

القسم الأول

الأرض والسكان :

وهو رغم طوله لا يعدو أن يكون مقدمة لبيان الظروف التى لاقاها الاسلام فى هذه الأرض الجديدة سواء فى طبيعة الأرض أو السكان من حيث أحوالهم الاجتماعية والدينية . ودراسة طبيعة الأرض فى أتيوبيا هامة جداً لمن يحاول الكلام عن أى حلقة من حلقات التاريخ الأتيوبى . حقيقة أن التضاريس لابد أن تؤثر فى تاريخ كل دولة . وهذا التأثير يختلف باختلاف الاقليم ولكنها فى أتيوبيا قد لعبت دوراً هاماً فى توجيه التاريخ وجهات معينة .

كما يتجه إلى وصف النظام الاجتماعى للسكان ولكنه بكل أسف يحاول أن يصف النظام الاجتماعى فى البلاد فى الوقت الحاضر [1] وكان أولى به أن يصف النظام الاجتماعى قبل الاسلام كي نعرف الوسط الذى كان يتحتم على الاسلام الولوج إليه كما يصف الديانات التى يعتنقها الأهالى فى الوقت الحاضر ويحاول أن يعطى فكرة يسيرة عن كيفية مجىء كل منها وتوزيعها الحالى فى البلاد . وهذه كلها وإن كانت معلومات مفيدة إلا أنها لا تصلح مقدمة لمن يحاول أن يدرس (الاسلام فى أتيوبيا) .

هذا إلى مجافاة بعض ما يذكره للحقائق . وها نحن بسبيل إظهار بعض منها . فهو يذكر فى ص ٢٥ أن جميع المطارنة الذين تولوا منصب مطران أتيوبيا منذ القرن الرابع حتى الآن كانوا من دير القديس أنطونيوس بمصر ولا أدرى من أين جاء المؤلف بهذه المعلومات

---

(١) ص ٩ — ١٤

فلم يكن الأمر كذلك . كما لم يعن أحد من المؤرخين بتتبع هذه الحقيقة أو غيرها .
كما لا أدرى من أين استطاع تحقيق هذا الأمر ليلقى به فى جملة عارضة لا يستند على مصدر ما فى الادلاء بها .

هذا إلى أنه قد ذكر فى نفس الصفحة أن الكنيسة الاتيوبية كنيسة وطنية وليست قبطية أو مصرية وهذه الحقيقة وإن كانت غير كاملة إلا أنه كان يجدر به أن يعللها . فالكنيسة القبطية لم تحاول مطلقاً أن تخرج عن رسالتها الدينية وهى قيادة الشعب فى طريق مسيحى صحيح بصرف النظر عن جنسية هذا الشعب ، بل انهـا فى أتيوبيا فى كثير من المناسبات كانت تلعب دور القائد المرشد نحو المصالح الأتيوبية الصحيحة ولكن الكنيسة الأتيوبية فى نفس الوقت كنيسة قبطية فى شهدائها . قبطية فى ثقافتها . قبطية فى تعاليمها ومعتقداتها . كما يذكر أيضاً فى نفس الصفحة أن العلاقة بين الكنيستين المصرية والاتيوبية قد قطعت خلال الحكم الايطالى . ولا ندرى ما هى الحكمة فى الاشارة إلى هذه الحقيقة مع أنها لم تكن المرة الأولى التى توقفت فيها هذه الصلة وكان من الأجدر أن يشير الى المرات العديدة التى توقفت فيها هذه العلاقة والتى عادت بعد كل منها أقوى ما تكون صلة بمصر لشعور الاتيوبيين بأن مصر هى المصدر الطبيعى لثقافتهم الدينية ولأسباب أخرى كثيرة[1] .

وفى صفحة ٢٦ يذكر أن العلاقة بين الكنيستين أصبحت قاصرة على رسم المطران الذى يملك حق رسم الأساقفة الاتيوبيين . فالعلاقة بين الكنيستين تمتد إلى أكثر من رسم المطران . فالبطريرك فى جميع العصور والأوقات هو الذى يرعى الشعب الاتيوبى روحياً فيعمل على دحض البدع والهرطقات التى كانت تظهر من حين لآخر[2] كما أن المطران هو الذى يتوج أباطرة أتيوبيا منذ القرن الثالث عشر[3] وبذلك يضمن الامبراطور ولاء الشعب له . كما أنه يملك حق إباحة خروج الناس عن طاعة الامبراطور إذا ما رأى منه خروجاً عن جادة الدين . كما حدث فى سنة ١٩١٧ أيام الامبراطور لدج ياسو[4] هذا إلى

---

(١) عدد المجلة رقم ٢ فى فبراير سنة ١٩٥٧

(٢) Murad Kamil; Letters to Ethiopia, Bulletin de la Société d'Archéologie Copte V. VIII. 1942.

(٣) أبو صالح الأرمنى . الأديرة والكنائس ص ٢٦٨

(٤) S. W. Budge, History of Ethiopia and Nubia V. II p. 545.

أن المطران لم يملك حق رسم الأساقفة [1] قبل سنة ١٩٥٠ حين حصل على هذا الحق بعد الحصول على إذن بذلك من البطريرك [2] .

كما يذكر أيضاً فى نفس الصفحة أن القسس الذين يختارون بطريقة تقليدية من عائلات تتوارث هذه الحرفة كلهم على نصيب كبير من عدم المران والجهل والشره والكسل . ويبدو أنه إذا كان من السهل أن نعمم عليهم حكما مثل الجهل فمن الصعب أن نعمم قلة المران أو الشره أو الكسل . أما من ناحية الجهل فان المؤلف لم يزر أثيوبيا ليرى هذا العدد الضخم من المدارس الكنسية المنتشرة فى جميع القرى ولا هذا النظام التعليمى الذى يخضع له الرهبان فى الأديرة .

القسم الثانى

الصراع بين المسيحية والاسلام :

ولعل هذا أهم أجزاء الكتاب وهو يبدأه بالهجرات السامية الأولى من اليمن الى اثيوبيا ثم تأسيس دولة اكسوم ودخول المسيحية اليها . ثم يتدرج الى دخول الاسلام وانتشاره حتى قيام الحكم السليمانى . ثم يصور قيام الولايات الاسلامية التى قامت فى ظل الحكم الوطنى . فالعلاقة بين المسلمين والمسيحيين وتطورها حتى الوقت الحاضر . ولكنه وقع فى بعض الاغلاط التى لا بد من تتبعها واحدة إثر الاخرى وبعض هذه الاغلاط أخطاء فى حوادث تاريخية أوردها المؤلف على غير وجهها الصحيح . وأخطاء أرى أن المؤلف قد جانب المنطق فى استنتاجها من مقدماتها . واخطاء أخرى تعود الى عدم تفهمه النظام الاجتماعى الأثيوبى فخلط بينها وبين ما يشبهها من نظم فى المظهر دون الجوهر . علاوة على الخلط بين الثوار والسلاطين وأخيرا أخذ بعض الحوادث أخذا سطحيا دون أن يحاول التوغل الى ما وراءه وتحليل الدوافع واستخلاص النتائج . الأمر الذى هو الواجب الأول للمؤرخ . وسأحاول أن اتتبع هذه الأخطاء بحسب ورودها فى الكتاب لا بحسب أنواعها .

---

(١) الرحلة البطريركية ليوسف جرجس ص ١٠٥

(٢) محضر جلسة المجمع المقدس فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٨

فقد جاء فى ص ٣٣ أن القبيلة المسماة « حبشة » تمتعت بالسيادة على جميع القبائل الأولى المهاجرة ولذا استحق رئيسها لقب نجوس نجست أى ملك الملوك . فأين هى المصادر التى اعتمد عليها ليذكر أن ملوك انيوبيا تمتعوا بهذا اللقب قبل سنة ١٢٧٠ بل لدينا ما يثبت العكس فنقوش عيزانا تذكر انه كان ملكا لاكسوم وحمير وريدان وانيوبيا وسبأ وصالحين وسيامو وبيجا وكاسو [١] ولم تذكر انه كان نجوس نجست كما أنه من المعروف أن السكان لم يطلقوا على أنفسهم مطلقا لفظة أحباش نسبة الى هذه القبيلة التى تسودت غيرها مبكرة حتى القرن الثالث قبل الميلاد .

كما يذكر فى نفس الصفحة أن طرد غير المسلمين من اليمن أيام عمر بن الخطاب قد أكمل هدم الحضارة اليمنية الأمر الذى بدأه الأحباش والفرس . فان الحكم الاسلامى لم يكن مطلقا سببا فى القضاء على الحضارة اليمنية بل ظلت اليمن خلال الحكم الاسلامى كله مهدا لحضارة زراعية وتجارية مزدهرة . فخلال العصرين الأموى والعباسى وكذلك أيام الدولتين الفاطمية والاموية اللتين امتد حكمهما فشمل اليمن وكذلك أيام دولة المماليك والدول المستقلة التى قامت فى اليمن . كان اليمنيون هم حملة التجارة الهندية ليزودوا بها الخلفاء والامراء فى كل من دمشق وبغداد والقاهرة . بل احتكروا فى أوقات كثيرة نقل هذه التجارة الى كل موانى شرق أفريقية حتى أطلق عليهم المؤرخون (جنويو البحار الجنوبية)[٢] وهذه الاسرات اليمنية عملت دائما على إحياء الثقافة الاسلامية بالمدارس الكثيرة التى انشئت والتى ظلت مزدهرة الى وقت قريب [٣] .

كما يذكر أيضا أن الهجرات الاسلامية اليمنية الأولى الى شرق أفريقيا وشمالها كانت فى أعداد يسيرة من التجار والمخاطرين والهاربين الذين فقدت عقيدتهم عناصرها الموجهة . ومما يؤسف له أن المؤلف لم يذكر المصدر الذى اعتمد عليه فى ذكر هذه (الحقيقة) بل لدينا تلك الوثيقة التى عثر عليها شيرولى فى سنة ١٩٢٦ والتى يشير اليها المؤلف فى اكثر من موضع والتى تعيد أصل قيام دولة شوا الاسلامية الى هجرة قبيلة مخزوم تحت رئاسة ود بن هشام

---

(١) S. W. Budge, History of Ethiopia and Nubia V. I. p. 245.

(٢) Kamerer, La Mer Rouge T. II p. 66.

(٣) العقود اللؤلؤية لعلى بن حسن الخزرجى ص ٥٤ ، ١١٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٢٧٤

المخزومى . فهى لم تكن هجرة يسيرة العدد ولا لتجار ولا لمطرودين ولا فقدت عناصرها الموجهة .

ولعل أغرب ما يذكره المؤلف فى ص ٣٤ أن هذه الهجرات كانت من الرجال فقط وأنهم تزوجوا من نساء أثيوبيات وانهم أنتجوا نسلا سرعان ما احتل مكان الارستقراطية فى المجتمع الجديد وانى لأعيد نفس السؤال عن المصادر التى استقى منها المؤلف هذه (الحقيقة) بينما نملك اكثر من دليل على عكسها . فالهجرتان الاسلاميتان اللتان حدثتا أيام النبى عليه الصلاة والسلام شملتا نساء كثيرات مع أن افرادها كانوا يدركون أنها هجرة مؤقتة سوف تنتهى بانتهاء أسبابها فما الذى يدعو المهاجرين المتأخرين الذين كانوا يعرفون انهم لن يعودوا إلى وطنهم مرة أخرى الى أن يتركوا نساءهم . كما أن الهجرات التى تتكون من الرجال فقط هى الجيوش المحاربة ولم يكن هذا شأن هذه القبائل . التى يذكر المؤلف دائما أنها دخلت دخولا سلميا واذا كان هؤلاء المهاجرون من المخاطرين المطرودين فهل يتركون نساءهم ؟ وهل ينتج مثل هؤلاء نسلا يأخذ مكان الاستقراطية من المجتمع الجديد الذى لجأوا اليه .

وفى ص ٣٨ يلقى المؤلف بحقيقة كبيرة دون أن يجادلها . وهى أن فرومنتيوس كان سورى الجنس . مع أن رجوع فرومنتيوس من اكسوم وذهابه الى بطريرك الاسكندرية دون غيره يدل على أن هذا البطريرك كان أباه الروحى الذى يتبعه مما يدل على أنه كان مصرياً أما إذا كان أخوه قد عاد الى صور فربما كان له عمل هناك ذهب ليشرف عليه كما حاول أن يذهب من قبل الى أحد أعمالهم فى أحد موانى البحر . اولا أن تحطمت سفينتهم وإذا لم يكن اسم فرومنتيوس مصريا فهذه الاسماء اليونانية كانت شائعة بل ما زالت شائعة بين المصريين فاتناسيوس نفسه كان مصريا صميما ولو أن اسمه لم يكن كذلك .

ثم أخيراً ما دخل هذه الصفحات التى بلغت عشراً عن دخول المسيحية إلى انيوبيا فى موضوع الصراع بين المسيحية والاسلام ألا تكفى كلمات يسيرة لنقول إن المسيحية المصرية قد سبقت الاسلام بثلاثة قرون وأن كثيرين من الأهالى قد اعتنقوها .

والآن لندخل فى موضوع الاسلام وظهوره الذى هو لب الكتاب . فهو يذكر فى ص ٤٢ أن الوحدة السياسية والدينية التى أتى بها الاسلام قد قضت نهائياً على جميع الروابط القبلية ومكنت الجموع البدوية من أن تنساح الى أرض الشعوب المتمدينة .

حقيقة أن الاسلام اتجه إلى القضاء على الروح القبلية ليجعل من جميع المسلمين أخوة ولكننا نعرف فى نفس الوقت أن هذه الروح القبلية بقيت قروناً طويلة وهى أظهر ماتكون حتى لقد صبغ التاريخ الاسلامى طوال العهد الأموى والعباسى كله بهذه الروح القبلية . فقد فتح العرب العراق والشام ومصر بل والمغرب والاندلس وكذلك الشرق وفى كل هذه الفتوح كانت الروح القبلية أظهر ما تكون سواء فى الجيوش التى تكونت أوالبيوت المالكة التى حكمت أو فى الشعب الذى انساح إلى هذه البقاع وسكنها .

وكانت هذه الروح القبلية سبباً فى كثير من الأحداث . ولست فى حاجة إلى أن أذكر مصدراً معيناً ليدلنا على هذه الحقيقة . فالمصادر كلها تكاد تجمع على استمرار الروح القبلية وتأثيرها فى جميع الحوادث التى ملأت التاريخ الاسلامى سواء فى دولة الخلافة فى دمشق وبغداد أو فى الدول الأخرى التى قامت على أنقاضها .

فالعرب الذين ابتنوا الكوفة والبصرة هاجروا اليها وهم يحملون بين جنباتهم الروح القبلية وظلت هذه الروح تطبع كل أعمالهم بطابعها . خلال حكم الدولة الأموية ثم العباسية . ولم تلبث أن ظهرت إلى جانبها الشعوبية ولعبت كلها دوراً هاماً فى الحياة السياسية . وكذلك فعل العرب الذين هاجروا إلى الشام . وكذلك نظروا الى عرب الحجاز . وقد ظهرت هذه الروح القبلية واضحة خلال ثورة عبد الله بن الزبير ثم مصعب بن الزبير حتى إذا انتصر الأمويون على الزبيريين فى المدينة ذكر المؤرخون أنهم انتقموا لغزوة الحرة . وكذلك فعل العرب الذين هاجروا إلى الأندلس . وغيرها من بلاد الدولة الاسلامية .

ويذكر المؤلف فى صفحة ٤٥ أن بعض أعضاء الوفد الأول اعتنقوا المسيحية والحقيقة أنه لم يعتنقها إلا واحد فقط هو عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة ابنة أبى سفيان .

وفى صفحة ٤٧ يعزو المؤلف ضعف دولة اكسوم لا إلى هذا الحاجز الاسلامى الذى حال دون اكسوم وشاطىء البحر وحده بل يعزوه أيضاً إلى هجمات الوثنيين من البجة . ولكننا إذا عرفنا أن طريق البحر هو الذى أتت منه إلى اكسوم الديانة التى يدينون بها والثقافة التى يتثقفون بها بل الثروة التى أتت اليهم نتيجة التجارة التى كانت تسير فيه[1] أدركنا كيف أن وقوف هذا الحاجز العربى بينهم وبين المصدر الذى استقوا منه كل هذه

(1) Luca dei Sabelli; Storia d'Abissinia p. 205.

العوامل . كان هذا الوقوف هو الذى سبب دخولهم فى هذه الموجة من الضعف التى انتهت بهم إلى أن يصبحوا فى القرن السابع فريسة سهلة لهجمات البجة والزنافج الذين كانوا يحيطون بدولة اكسوم ويمنعهم من الاقتراب منها قوة ملوكها . ولكنهم لم يلبثوا أن هجموا عليها حين بدت أمامهم وحيدة بعيدة عن عوامل القوة الماضية . ومنذ هذا الوقت ضعفت قوة ملوك اكسوم وأصبحوا أعجز من أن يمدوا سلطتهم إلى أكثر من هضبة حماسين مما سمح بقيام أسرة زجوا فى بداية القرن العاشر واستيلائها على الملك ونقلها العاصمة إلى لاستا بعد أن أصبحت اكسوم غير صالحة لذلك .

وشىء آخر ألقاه المؤلف فى صفحة ٥٥ دون أن يكون هناك ما يستند عليه فى تقريره وهو قوله « إن الكنيسة اعتمدت على الدولة والعلاقة بينهما كانت فى الواقع إقطاعية » ولا أدرى ماذا يقصد المؤلف بكلمة (إقطاعية) ولا بد أنه يقصد أن المطران أصبح رئيساً لمقاطعة وهبها إياه الامبراطور . فاذا كان الأمر كذلك فأين هو المصدر الذى اعتمد عليه فى تقرير ذلك . فمن المعروف أن اتيوبيا فى حياتها المدنية والاجتماعية والسياسية لم تعرف النظام الانطاعى قط . وإذا كان هناك بعض الملوك أو الأمراء الذين خضعوا للملك فهم لم يفعلوا ذلك لأنهم أخذوا إقطاعاتهم من الملك هبة نظير الهدايا السنوية والنجدة عند الحرب على نحو ما يقضى النظام الاقطاعى . ولكنهم خضعوا للملك خضوعاً تعاقدياً أصبح فيه خضوعهم وفقاً لما تمليه عليه شروط هذا العقد . ولعلنا نجد صورة من هذا الحال فى الاتفاق الذى عقده يكونو أملاك أول ملوك الأسرة السليمانية فى القرن الثالث عشر مع نكويتا لآب آخر ملوك الأسرة الزجوية وكان القديس تكلا هيمانوت واسطة هذا العقد . الذى خضع فيه نكويتا لآب لسلطة يكونو أملاك على أن يكون له ملك لاستا وأن يحتفظ بطبول من فضة وأن تكون رماح حرابه من الفضة أيضاً [1] .

أما النظام الاقطاعى كما عرفته أوروبا فلم يقم فى أتيوبيا قط وما دام الامر كذلك فلا يمكن أن تكون العلاقة بين الكنيسة والدولة (إقطاعية) كما وصفها الكاتب وأغلب الظن أن العقلية الأوروبية ودراسة تاريخ أوروبا هما اللذان أوحيا إلى الكاتب أن يتصور أن كل علاقة بين ملك وحاكم يخضع له لا بد أن تكون إقطاعية على النحو الذى كانت عليه أوروبا . ولعله نسى أن النظام الاقطاعى لم يقم فى أوروبا إلا نتيجة لظروف خاصة سادت

(1) S. W. Budge; History of Ethiopia and Nubia. V. I. p. 278.

فيها فترة معينة من تاريخها وأن هذه الظروف الخاصة لم تقم فى جزء آخر من العالم وبذلك انعدم النظام الاقطاعى فى أى أرض أخرى غير أوروبا .

وفى ص ٥٦ يروى المؤلف قصة طويلة عن قيام الأسرة الزجوية ودور الانبا ميخائيل فيها وكيف أنه ومعه رجال الكنيسة لم يعترف بهذه الأسرة فخنق الملك عليه وأرسل إلى مصر يطلب إقامة مطران جديد (لأنه لم يعد قادراً على مباشرة مهامه لكبر سنه) ويستشهد على ذلك بما جاء فى سير البطاركة من أن ملك الحبشة سعى لدى الوزير ابن الصلاح كي ينفذ له ما يريد ولكن رفض البطريرك الانبا إسحق تنفيذ ما طلبه الوزير منه لمعارضته لقوانين الكنيسة أدى به إلى سجن الوزير للبطريرك .

ولعل جهل السيد المؤلف بتقاليد الكنيسة المصرية هو الذى صور له عدم اعتراف المطران بالأسرة الجديدة لأنه كان موالياً للاسرة القديمة . إذ من تقاليد الكنيسة المصرية عدم التدخل فى السياسة وتبدو هذه التقاليد أوضح ما يكون فى أثيوبيا ولذا لم يعن المطارنة المختلفون بقيام الأباطرة أو انتهائهم . إلا بقدر محافظتهم على الكنيسة وعلى المذهب الارثوذكسى وعلى الشعب الأرثوذكسى . وإذا ما عرفنا أن أول ملوك الأسرة الزجوية كانت الملكة جوديت التى أباحت هدم الكنائس وقتل رجال الدين مدى أربعين سنة أدركنا سبب وقوف المطران من هذه الاسرة موقف المعارضة حتى ضاقت به فاذا ما انتهى عهد تلك الملكة وأدرك الملك الجديد جبرا ماسقال الاول خطأ السياسة التى جرت عليها الملكة السابقة . أرسل إلى مصر يطلب مطراناً جديداً وكان الانبا ميخائيل قد مات منذ زمن ليس باليسير فأرسلت له مصر الانبا دانيال .

أما ص ٥٩ فهى أكثر صفحات الكتاب اضطرابا . ولعل سبب هذا الاضطراب هو لجوء المؤلف إلى مصادر ثانوية وتركه المصادر الاصلية فقد لجأ إلى (ديوان المبتدأ والخبر) لابن خلدون بينما كان من الواجب أن يلجأ الى مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى . وكذلك إلى الوثائق التى نشرها شيرولى عن عمر ولسمع وأسرته . فحق الدين ابن محمد بن على بن عمر ولسمع هو نفسه حق الدين الثانى الذى ذكره فى ص ٧٤ وهو أخ سعد الدين . ولم يكن أحدهما سلطاناً لايفات . فهو ابن أحمد حرب أرعد بن على بن صبر الدين بن عمر ولسمع وهو الذى ثار على عمه ملا أصفح بن على وقتله [١] .

(١) المقريزى : الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ص ١١

ولم تخضع أسرة ولسمع لأسرة زجوا . فالمؤلف يتفق معى على أن رأس هذه الأسرة هو عمر ولسمع الذى يقول عنه المقريزى « أنه أول وال مسلم تولى حكم ناحية من النواحى ، وكان ذلك بالاتفاق مع الامبراطور يكونو أملاك الذى تولى العرش الامبراطورى سنة ١٢٧٠ بعد أن ساعده عمر ولسمع بجيوشه الاسلامية . وفى ذلك يكتب الامبراطور يكونو أملاك إلى السلطان الظاهر بيبرس « وعندى فى عسكرى مائة ألف فارس مسلم »[1] وكان ثمن هذه المساعدة هو توليته عرش إيفات وترك حرية العمل له ليضم إليه سلطنة شوا الاسلامية فهاجمها ثلاث مرات على ما تقول الوثيقة التى نشرها شيرولى عن الأيام الأخيرة لهذه الدولة ولكنه لم يتمكن من هزيمتها إلا فى المرة الرابعة التى كانت فى سنة ١٢٨٥ بقيادة ولده صبر الدين الذى كان آخر من تولى عرش إيفات من أولاده الأربعة فى حدود سنة ٧٠٠ هـ وربما كان ذلك فى حياة والده عمر الذى عمر مائة وعشرين سنة على ما تقول وثيقة أخرى نشرها شيرولى أيضاً عن هذه الأسرة[2] وكان ذلك أيام يجبيا صيون بن يكونو أملاك .

فحكام الولايات الاسلامية التى فى شرق الحبشة والتى خضعت لاسرة الزجويين كانوا جميعا مسيحيين حتى نهاية حكم هذه الاسرة وحتى نصب يكونو ملاك أول ملوك الاسرة السليمانية عمر ولسمع سلطانا لايفات . ومنذ هذا الوقت أخذ السلاطين المسلمون يحلون مكان الولاة المسيحيين حتى كان القرن الخامس عشر حين كتب ابن فضل الله العمرى كتابه فوجد جميع السلاطين مسلمين .

ويذكر المؤلف فى صفحة ٦٠ أن أول انتشار للاسلام فى اتيوبيا كان فى المناطق الشمالية فيما بين القرنين العاشر والحادى عشر الميلادى . وان هذا الانتشار كان سلميا تحت حكم ظروف ضعف الاسرة الزجوية حين اعتنقته قبائل البجة والحداربة . فقد نسى المؤلف أنه ذكر قبل ذلك أن مملكة شوا الاسلامية قامت قبل ذلك فى شرق شوا فى حوض نهر أواش سنة ٢٨٣ هـ أى فى القرن التاسع الميلادى . فلا بد أن هذه الدولة الاسلامية التى تعززها القوانين الاسلامية لم تقم الا بفضل المسلمين الذين وصل عددهم الى حد استطاعتهم تأييد قيام هذه الدولة . التى أصبحت بمثابة المغناطيس يجذب اليه جميع

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٨ ص ١٢٠ ، تاريخ سلاطين المماليك المفضل أبى الفضائل ج ٢ ص ٣٨٣

(٢) Enrico Cerulli; Classe de Scienze Morali Vol IV Serie 6.

المهاجرين من الجزيرة العربية وكذلك جميع الاثيوبيين الذين يعتنقون هذا الدين الجديد. ومن ثم كان انتشار الاسلام فى الطرف الجنوبى الشرقى اسبق لانتشاره فى الشمال . واذا فرضنا ضعف مملكة اكسوم فى الشمال فالمسيحية التى تعززها الكنيسة والدولة كانت ولا شك قوية تقف حائلا قويا دون انتشار الاسلام فى الشمال . أما قبائل البجة فقد كانت تعيش فى أقصى الشمال وكانت خارجة عن سلطة ملوك اكسوم حتى اذا اعتنق الاسلام بعض أفرادها لا يمكننا أن نقول انه انتشر فى اثيوبيا .

ونعود الآن الى الجنوب فنقول ان عدم انتشار المسيحيه هناك . بل وانتشار الوثنية يعطى ظرفا مهيئا لانتشار الاسلام علاوة على وجود الدولة الاسلامية الجديدة . وليس أدل على ما نقول من أن سرعة انتشار الاسلام فى الجنوب هى التى اعطت الفرصة للمسلمين هناك ليتجمعوا ويكونوا الوحدات السياسية التى اكتمل نموها السياسى فظهرت على مسرح الحوادث فى القرن الثالث عشر سلطنات تتمتع ببعض الاستقلال الداخلى وان خضع أهلها لملوك اكسوم فملكوا سلطة تعيين الولاة المسيحيين عليهم . وكانت قوة هؤلاء المسلمين وولاؤهم هو الذى جعل يكونو املاك — حين فكر فى الثورة على ملوك اكسوم وينشىء الاسرة السليمانية — يلجأ اليهم للاستعانة بقوتهم فينصرونه .

ويذكر فى صفحة ٦١ أن اسلام قبائل الصومال القاطنة فى شرق اثيوبيا يرتبط اكبر الارتباط بهجرة العرب من الجزيرة العربية وهم الذين كونوا الطبقة الارستقراطية فى المجتمع فى هذا الجزء من البلاد . وهذا كله وان كان حقا الا انه كان من الواجب على الكاتب أن يتعمق وراء هذه الظاهرة فيبحث عن العوامل العربية التى شجعت العرب على الهجرة الى اثيوبيا والعوامل الاثيوبية التى شجعت على استقبالهم . والظروف التى تمت فيها الهجرة العربية الى اثيوبيا وأخيرا الأسباب التى جعلت هؤلاء القادمين يتبوأون بسهولة مكان الارستقراطية من المجتمع الاثيوبى . وهذه كلها نقط تستلفت نظر المؤرخ الذى يريد أن يدرس ويتعمق . فهو يذكر فى نفس الصفحة انه قامت فى عدل وزيلع ودهلك وباضع وموجاديشو تجارة مزدهرة للرقيق فوظيفة المؤرخ لا تقف عند حد تسجيل الحقائق التى أجمعت عليها المصادر بل عليه أن يستشف ماوراء هذه الحقيقة من دوافع وأسباب سواء كانت هذه الدوافع أو الأسباب كامنة فى المجتمع الاثيوبى نفسه أو طارئة عليه وكذلك الظروف التى ساعدت على رواج تجارة الرقيق وعن الاسواق التى كانت تستقبلها والطرق التى كانت

تملكها وهى ما لم يحاول المؤلف ، اثارتها بتاتا ولا بد أن هذا الرقيق قد أدى الى زيادة انتشار الاسلام أو ضعف هذا الانتشار ، الأمر الذى حدا بالمؤلف الى الكتابة عنه وان لم يكن له من أثر على انتشار الاسلام فلا فائدة من الكتابة عنه فليس الامر أمر جمع معلومات سواء كانت مرتبطة بالموضوع الذى نكتب عنه أو غير مرتبطة به .

وإحدى الأخطاء التى وقع فيها أنه ذكر أسماء لمدن ظن أنها سلطنات إسلامية مثل مورة وهوبت وجداية وعدل فهذه كلها لم تكن سلطنات . فهوبت كانت مدينة حصينة فى شوا لم يذكرها أحد بأنها كانت سلطنة . أما مورة وجداية فى شرق شوا أيضاً وهما أول ما استولى عليه عمر ولسمع فى غزوته الثالثة لشوا الاسلامية ولم يذكرها أحد أيضاً بأنهما سلطنتان . أما عدل فلم تقم بها سلطنة مستقلة إلا أيام عمداصيون (١٣١٢ — ١٣٤٢) حين سمعنا لأول مرة بسلطانها ثائراً على الدولة محرضاً سلطان ايفات على أن يقف إلى جانبه [1] .

ويذكر فى ص ٦٣ نقلا عن أبى صالح الأرمنى أن كثيرين آخرين من المسلمين عاشوا فى (الحبشة) فى السنين الأولى من القرن الثالث عشر . وقد سبق أن ذكر لنا المؤلف أنه يقصد بالحبشة الاراضى القديمة التى سكنتها القبائل السامية التى أتت من الجزيرة العربية وهى أقاليم جودجام وداموت وما شابهما حتى تيجرى . وأبو صالح مؤرخ ثقة ولكن كان جديراً بالمؤلف أن يلجأ إلى من هو أكثر ثقة من أبى صالح . فمن المعروف أن الاسلام وإن كان منتشراً فى اثيوبيا فى القرن الثالث عشر الميلادى إلا أنه كان أقل انتشاراً بكثير منه فى القرن الخامس عشر والسادس عشر حين قام الامام أحمد بن ابراهيم بغزوته الكبرى . وشهاب الدين ابن أحمد صاحب فتوح الحبشة يذكر لنا عن نهر أواش (أنه نهر كبير وماؤه غزير وعليه تقع مدينة أواش على مسيرة يومين من بقل زر وهى البلدة الأخيرة التى تقع بين المسلمين والكفرة) [2] أى أنه حتى القرن السادس عشر لم يكن أحد من المسلمين قد عبر نهر أواش وسكن الأقاليم (الحبشية) الأصلية فلا بد أنهم كانوا فى القرن الثالث عشر دون ذلك فلا يمكننا مطلقاً أن نهمل نصاً صريحاً ذكره مؤرخ معاصر متحمس كشهاب الدين بن احمد لنأخذ استخراجاً ذكره مؤرخ بعيد كأبى صالح .

---

(1) Bruce J.; Travels to Discover the Sources of the Nile Vol III p. 48.

(2) فتوح الحبشة لشهاب الدين بن احمد ص ٩

أما عن استفادة الاسلام من هذا الصراع الذى نشب بين رجال الكنيسة المصرية فلا يمكن أن نتخذ حادثة فريدة فى التاريخ لنحكم بها على أن المطارنة المصريين كانوا يرعون المصالح الاسلامية فى أثيوبيا كما أن هذا المطران لم يكن مطراناً شرعياً عين برضى أصحاب السلطة فى التعيين بل لجأ إلى التدليس والتزوير كى يحظى بالزلفى الى رجال الحكم فسعوا إلى تنصيبه رغم مخالفة هذا التنصيب للقوانين الكنسية والتقاليد وكان ثمن الزلفى اخلاله بواجبات منصبه .

أما الخريطة التى أتى بها فى ص ٦٤ فهى مخالفة للواقع إلى حد كبير فاذا كانت لدينا نصوص تؤيد وجود المسلمين فى منطقة مصوّع وما وراءها . ونصوص أخرى تؤيد وجود مسلمين فى منطقة زيلع وما وراءها . فليس لدينا نصوص تؤيد وجود مسلمين فيما بينهما ومن المعروف أن هذه المنطقة كانت فى القرن الرابع عشر وما زالت حتى الآن منطقة جرداء قفرة لا تشجع على الهجرة إليها . كما أن النص الذى ذكرناه عن شهاب الدين بن احمد يقطع بعدم تجاوز المسلمين لنهر أواش كما أن المؤلف نفسه يذكر قبل ذلك أن المسلمين انتشروا فى المنطقة الشرقية من أثيوبيا حتى منطقة البحيرات . كما أنه من المعروف أن المجارى المائية كوديان الأنهار كانت الوسيلة لتوغل المسلمين إلى الداخل وليس هناك من وديان تقود إلى هذه المنطقة . كما أن نقل يكونو إملاك للعاصمة إلى تاجيلاط فى شوا وكذلك انتقال مركز الثقل المسيحى إلى هذه المنطقة نتيجة لانتقال المطران إليها من شأنه أن يحد من انتشار الاسلام هناك . فالمنطقة الاسلامية التى بينها فى هذه الصفحة مبالغ فيها إلى حد كبير وبالتالى فالولايات الاسلامية التى بينت فى هذه الخريطة أغلب مواقعها خطأ خصوصاً دارا وهدية .

وليس من المعقول — كما يذكر المؤلف — أن يوجه يكونو أملاك همه إلى الحد من خطر انتشار الاسلام أكثر من اهتمامه بتوطيد سلطته فى المنطقة الجبلية . فالمنطقة الجبلية حيث الكثرة السامية وحيث المسيحيون هى التى سوف تحدد مستقبله وهى التى فى استطاعتها أن تنزعه عن هذا العرش الجديد لا هذه المناطق الاسلامية التى وان كان الاسلام ينتشر فيها إلا أنه ينتشر ببطء كما أن أهلها هم الذين عاونوه وبذلوا له المساعدة حتى تمكن من التغلب على الشبح الأخيرة للاسرة الزجوية فى لاستا . فمن الطبيعى أن يهادن المسلمين فى سبيل أن يوطد سلطته على الجزء الجبلى والمسلمون كما تذكر المصادر (الوثيقة التى أتى بها شيرولى) فى حرب مع بعضهم فما زالت غزوات أسرة ولسمع مستمرة ضد شوا ولم تهدأ إلا فى سنة ١٢٨٥ أيام يجبياصيون .

كما يذكر المؤلف فى نفس الصفحة أن الحروب التى قامت بين المسلمين والمسيحيين لم تكن حروباً دينية بل من أجل السيادة السياسية . وأنى وإن وافقته على أنها لم تكن حروباً دينية لا أننى لا أستطيع أن أوافقه على أنها كانت من أجل السيادة السياسية . ويؤيدنى فى ذلك ما كان يفعله الأباطرة أثر نجاحهم فى سحق ثورة السلطان الثائر من تولية شقيق الثائر مكان أخيه . فالأطماع السياسية غالباً ما تكون شائعة بين أفراد الأسرة الواحدة . ولكن الأسباب الحقيقية لهذه الثورات والحروب أن هؤلاء السلاطين كانوا السند الواقى لتجارة الرقيق بل كانوا هم أنفسهم تجاراً للرقيق تحركهم تحريضات التجار والسلاطين اليمنيين [1] من أجل مدهم بالرقيق الذى يملأ خزائنهم بالمال والسلاح كما يمون جيوشهم باليد المحاربة .

ومن المعروف أن هذه المنطقة ظلت منذ قرون عديدة سابقة للاسلام حتى نهاية القرن التاسع عشر مسرحاً لتجارة الرقيق وكان شكل القافلة المهاجمة فى كل هذه العصور لا يتغير بل يكاد يتخذ شكلا ثابتاً إذ يرأسها تاجران أو ثلاثة من العرب ومعهم أتباعهم وجماعة من العبيد المسلحين ثم صف طويل من المحاربين عبيداً أو أحراراً ومعهم العلم الرمزى للسلطان فى المقدمة . وكان عدد القافلة يتفاوت من بضع مئات إلى بضعة آلاف وكانت هذه الهجمات تنتقل بمرور الزمن إلى داخل البلاد كلما خلت منطقة إثر منطقة من السكان . وقد يقوم العرب أنفسهم بهذه الغزوات أو يحرضون السلاطين والزعماء على مهاجمة القبائل الأخرى . بعد تزويدها بالسلاح والعبيد المسلحين وكانوا هم الرابحون سواء انتصر هذا السلطان أو الآخر . إذ يقبلون على شراء طوائف الرقيق من الجانب المنتصر . وقد يستعملون سلاحهم إذا عز عليهم الاستيلاء على الرقيق بالثمن البخس الذى يعينونه . وإذا غبنوا فى هذه الصفقة فلن يعدموا أن يتقربوا إلى سلطان أو زعيم آخر يحرضونه على هذا الذى غبنهم وهكذا دواليك .

ويعتمد المؤلف على ماركوبولو فى ص ٦٩ فيقول أن بجياصيون شن حملة ناجحة على عدل فاذا عرفنا أن عدل لم تكن قد ظهرت بعد كإمارة مستقلة فى عهد بجياصيون سقط هذا الكلام كله . كما أن زيلع كانت حتى عهد بجياصيون جزءاً من سلطنة إيفات التى تتولاها أسرة ولسمع المخلصة لملوك الأسرة السليمانية والتى ما زال أفرادها مشغولين

---

(١) الالمام للمقريزى ص ١٢

بالحرب ضد شوا حتى أخضعوها أمكننا أن نقول واثقين إن معلومات ماركو بولو غير صحيحة . فالمصادر الاسلامية التى تؤرخ لهذه الفترة — على فرض تحيزها للمسلمين — تذكر أن عهد يجباصيون مر بسلام . كما أن يجباصيون أرسل وفده إلى البطريرك فى القاهرة يسأله تعيين مطران جديد برئاسة مسلم هو عبد الرحمن بن يوسف [١] .

أما سلطان إيفات الذى بدأ يشق عصا الطاعة على الامبراطور أيام عمداصيون فهو على بن صبر الدين الذى كان مخلصاً لسيده ولكنه اتجه إلى الناحية المضادة تحت إلحاح صاحب عدل . وكانت هذه هى المرة الأولى التى نسمع فيها عن عدل كسلطنة مستقلة تتمتع بسلطان . وكان جزاء على على ذلك أن عزله الامبراطور ليضع مكانه أخاه أحمد حرب أرعد لعشر سنوات ثم عفى عنه الامبراطور وأعاده إلى سلطنته وسير أحمد حرب أرعد إلى قصر الامبراطور ليخدمه هناك [٢] . حق الدين لم يكن أخاً لصبر الدين كما يقول المؤلف فى ص ٧١ وإذا كان لصبر الدين أخ يسمى حق الدين فهو لم يكن سلطاناً لايفات ولم يثر .

كما أن هجوم على بن صبر الدين كان بإلحاح صاحب عدل كما ذكرنا . وبالحاح التجار العرب الذين يأتون من اليمن . وقد صرح بذلك على بن صبر الدين حين انتصر عليه عنداصيون . مما يدل على أن سبب الحرب لم يكن سياسياً كما يذكر المؤلف إنما كان من أجل تجارة الرقيق التى يلح التجار اليمنيون على إحيائها لمصلحتهم كما سبق أن ذكرت . أما الذى قتل عقب الثورة فسلطان عدل لا سلطان إيفات .

وما جاء على لسان عبد الله الزيلعى وذكره المؤلف ص ٧٣ من أن سلاطين المسلمين كانوا ضعافاً يحقد بعضهم على بعض يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الدافع الذى يدفع بأحدهم إلى الثورة لم يكن دينياً أو سياسياً كما يذكر المؤلف إنما كان أطماعاً شخصية مردها الرغبة فى الربح من تجارة الرقيق .

وكذلك سعد الدين الذى يذكره المؤلف فى صفحة ٧٤ بأنه سعد الدين الثانى سلطان إيفات فهو الآخر لم يكن سلطاناً لايفات بل كان أخاً لحق الدين بن أحمد حرب أرعد . أما سلاطين إيفات بعد ملا أصفح بن على بن صبر الدين فقد أصبحوا من الضعف بحيث لم يعودوا يستطيعون أن يرفعوا أيديهم ضد الامبراطور بعد أن حطم عمداصيون إيفات أثناء

---

(١) Quatremère : Memoire Historique et Geographique T. II. p. 257.

(٢) الالمام للمقريزى ص ١١

ثورة حق الدين ولم نعد نسمع عن إيفات بعد ذلك إلا حين جمع سلطانها أبو بكر بن محمد ابن آزر جموع الصوماليين وقطاع الطريق ، فأرسل له الامبراطور لبنا دنجل (١٥٠٦ — ١٥٤٠ م) الجردابون ليحطمه فى أوائل القرن السادس عشر ، ولكن ذلك لا يعنى أن الجيوش الامبراطورية قد احتلتها على ما يقول المؤلف فى صفحة ٧٤ بل لأن سلاطينها كانوا ضعافاً مخلصين لصاحب السلطة الشرعية .

أما صبر الدين بن سعد الدين الذى عاد من اليمن فلا أظنه يستحق أن يسمى بالثانى كما يقول المؤلف فى صفحة ٧٥ ما دام لم يرق العرش بل اشترك مع اخوته العشرة فى قيادة الثورة ضد الامبراطور حتى قتلوا جميعا وكان آخرهم بدلاى الذى لم يكن سلطانا لعدل كما يذكر المؤلف فى نفس الصفحة .

وهناك حقيقة يجب ان ننبه اليها وهى اننا رأينا أن العرب والمسلمين الذين عاشوا فى شرق اتيوبيا قد استقروا فيها منذ ظهور الاسلام . وكونوا لهم مدنا وممالك وسلطنات واشتغل أهلها بالزراعة والتجارة وإن تجارتهم نمت وازدهرت ودرت عليهم الثروة حتى كونوا الجيوش وابتنوا الجوامع وارسلوا بأولادهم الى مدارس اليمن ودمشق والقاهرة يتعلمون فيها ومع ذلك يصر المؤلف على أن يسميهم (بدوا) كما فعل اكثر من مرة ويصر على أن يسميهم كذلك حتى وهم فى القرن الخامس عشر والسادس عشر كأنما البداوة صفة تلازم العرب والمسلمين حتى وان استقروا .

وفى صفحة ٨٢ يذكر المؤلف أن الملكة هيلانة زوجة زرء يعقوب كانت ابنة الجرد ابون مخالفا فى ذلك جميع المصادر التى تجمع على انها كانت ابنة الجرد محمد حاكم هدية الذى اخلص لسيده فى محاربة محفوظ صاحب هرر وانتصر عليه فى اكثر من موضع فكان الامبراطور يسبغ عليه ألقاب التكريم والتمجيد واخيرا مات محاربا فى خدمة مولاه .

ولعل أغرب أنواع الخطأ ما حدث فى صفحة ٨٣ حين ذكر فى السطر الثانى أن محفوظ كان أميرا على هرر وأنه قضى سنين عديدة فى محاربة الامبراطور وانه هزم . واذا ما وصلنا الى السطر الثالث من الفقرة الثانية من نفس الصفحة يذكره على انه (حاكم لزيلع وفى الواقع أميرا لعدل) وانه افاق من هزيمته الاولى وعاد الى محاربة مولاه . فأين هرر من زيلع ؟ وبعد ذلك بأربعة اسطر يذكر أن أهل عدل اخذوا يتحركون لغزوة جديدة

تحت أمرة سلطانهم (محمد) والحقيقة فى هذا كله أن محفوظ كان أميرا على هرر وأنه هو الذى أعطى ابنته دل ومبرا زوجة للامام أحمد بن ابراهيم .

وذكر المؤلف فى صفحة ٩٠ أن احدى نتائج الغزو الاسلامى كانت (انهيار الكنيسة الوطنية حتى أخذ الامبراطور يبحث عن نصير يعاونه على رسم سياسة تقدمية فلم يجد الا الكنيسة الغربية بينما ظلت الكنيسة الوطنية المحافظة فى عزلتها لا تحاول التحرك) . والخطأ فى ذلك ظاهر فالدولة — على أثر انتصارها على قوات الامام — قد طرحت جانبا الكنيسة الغربية ورفض جلا وديوس (١٥٤٠ — ١٥٥٨) اجابة المطران بايز (Paez) الى ما طلبه منه من اعتناق المذهب الكاثوليكى بل طرده بعد أن ظل يجادله اكثر من مرة فى معتقدات الكنيستين وكانت النتيجة أن الف الامبراطور جلاوديوس (الاعتراف بالايمان) وظلت الدولة على عدائها للكنيسة الكاثوليكية حتى أيام سوسنيوس .

وفى خلال هذه المدة لم تقف الكنيسة الوطنية معزولة لا تتحرك كما يذكر المؤلف بل بدأت حركة ضخمة من الترجمة قادها الأنبا سلامة الثانى [1] وكانت هذه الحركة من الضخامة بحيث استطاعت أن ترد إلى الكنيسة الوطنية اعتبارها . وأن تبعث فيها النشاط بل القوة التى دفعتها إلى الامام دفعاً جباراً . وإذا كانت الدولة قد لجأت إلى الكنيسة الغربية أيام سوصنيوس (ملك سجد الثالث ١٥٩٧ — ١٦٣٢) فان ذلك لم يكن قبل نصف قرن . مما يجعل هذا الالتجاء ليس أحد نتائج هذا الغزو الاسلامى . وفشلت هذه المحاولة وكانت وطنية الكنيسة الاثيوبية ومحافظتها هى التى صانت لأثيوبيا استقلالها من الاستعمار البرتغالى تؤيدها فى ذلك الكنيسة المصرية .

ويذكر المؤلف فى صفحة ١٠٤ أن اتخاذ فاسيلاداس (١٦٣٢ — ١٦٦٧) جوندارعاصمة له قد حطم وحدة الدولة . فقد كانت الدولة قبل ذلك بدون عاصمة ثابتة يقضى الامبراطور وقته فى التجول بين أجزاء دولته فينظر الشعب إلى امبراطوره بمثابة القوة التى تحميه . أما اتخاذ العاصمة فقضى على هذا الشعور كما ركز المؤامرات كلها فى العاصمة ومن ثم ضعفت الملكية مما كان نذيراً بعصر الفوضى .

---

(١) مراد كامل : صلة الأدب الحبشى بالأدب القبطى . رسالة مارمينا الأولى توت ١٦٦٤ (سبتمبر ١٩٤٧) .

ويبدو أن المؤلف قد تناسى أن جوندار لم تكن أول عاصمة اتخذها الملوك أو الأباطرة فى أثيوبيا فقد كانت اكسوم عاصمة المهاجرين الساميين الذين اتوا من شبه الجزيرة العربية واتخذ ملوك الزاجوا لاستا عاصمة لهم إلى وقت ظهور الأسرة السليمانية وكان يكونو أملاك هو الذى اتخذ تاجيلاط عاصمة له فى وسط شوا وأخيراً انتقلت العاصمة إلى جوندار كما انتقلت بعد ذلك إلى أديس علم. فانطوطو. فاديس أبابا. أيام منليك الثانى. (١٨٩٠ — ١٩١٣) هذا إلى أن اتخاذ العاصمة لم يكن يعنى إقامة الملك أو الامبراطور الدائمة بها. فالامبراطور قبل اتخاذ جوندار وبعدها ظل على تجواله فى أنحاء دولته ليشعر الجميع بسلطته إذ يحدثنا بروس (جـ ٣ ص ١٧) الذى أتى إلى أثيوبيا فى القرن الثامن عشر أن هذه ما زالت عادة أباطرة ذلك الزمان. وخرج هو نفسه مع الامبراطور فى جولاته أكثر من مرة.

ويبدو أن المؤلف تعب فى تعليل عهد الفوضى الذى ساد البلاد (١٧٣٠ — ١٨٥٥) فلم يجد تعليلا إلا اتخاذ العاصمة. والحقيقة أن عهد الفوضى هذا وظهور الزعماء والأمراء المتنافسين وضعف سلطة الملكية لم يكن الأول فى تاريخ اثيوبيا بل أنها ظاهرة تلازم التاريخ الأثيوبى لعدة عوامل لعل أولها طبيعة البلاد الجبلية التى لا تساعد على انتشار قوة الملكية فلا تظهر أثيوبيا المتحدة إلا فى عهد الامبراطور القوى الذى يستطيع فرض قوته على الزعماء والملوك ولعل ثانى هذه الأسباب هو عزلة أثيوبيا عن العالم الخارجى، فالقوة والاتحاد والتقدم مظاهر فى التاريخ الاثيوبى تلازم دائما الاتصال بالخارج بينما الحروب والضعف والتفكك مظاهره التى تلازم دائما العزلة والانقطاع عن العالم الخارجى فالعالم الخارجى دائما فى التاريخ الأثيوبى هو مصدر الثروة والثقافة والقوة وهذه الظاهرة تلازم تاريخ اثيوبيا منذ أن خلقها الله.

هذا إلى كون موقع جوندار غير ملائم لتكون عاصمة فهى وإن وجدت فى سهل دمبيا القريب الاتصال بهضبة سمن من الشمال وهضبة جودجام فى الجنوب إلا أن مجرى النيل الازرق العميق الذى يرسم نصف دائرة حول هضبة جودجام وكذلك سلسلة الجبال العالية التى تحيط به من الشرق والجنوب ثم الاخدود الافريقى الذى يلى سلسلة الجبال جنوباً بشرق. كلها تحول دون إشرافها على اقليم والوفى الشرق. وشوا فى الجنوب الشرقى وسهول بالى واروسى فى الجنوب. هذا إلى أن تسلط قبائل الجالا على الدولة منذ أيام ياسو الثانى

(۱۷۳۰ — ۱۷۵۵) أثار حفيظة القبائل السامية التى تجد نفسها صاحبة البلاد وتنظر إلى هذه القبائل الحامية كقبائل دخيلة كما أن هذه القبائل الحامية كانت لا تزال محتفظة بحالة البداوة التى أتت بها من مراعى الجنوب الغرب ولم تدخل بعد فى مرحلة من الحضارة تؤهلها لقيادة هذه الدولة المتسعة .

وفى نهاية صفحة ۱۰۸ يذكر المؤلف أن عصر الفوضى انتهى بظهور الرأس كاسا وجلوسه على العرش سنة ۱۸۵۵ باسم نجوس نجست تيودوروس الثالث ولا أدرى من أين أتى المؤلف بهذا الثالث بينما تجمع جميع المصادر من إيطالية وانجليزية وفرنسية واتيوبية على أنه الثانى لا الثالث

ويعلل المؤلف فى الصفحات ۱۰۹ — ۱۱۰ انتشار الاسلام فى القرن التاسع عشر إلى ضعف الروح المعنوية لرجال الكنيسة فى مصر واتيوبيا ولكنه نسى أنه ذكر قبل ذلك فى أكثر من موضع أن الشعب الاتيوبى والحكومة الاتيوبية لم يعرفا فى حياتهما الطويلة سوى التسامح الدينى وأن الحكومة كانت تترك دائما لافراد الشعب حرية اعتقاد الدين الذى يرغبون فيه ولا يعنيها منهم سوى خضوعهم لها ، كما شهد بذلك القاضى اليمنى حسن بن أحمد الحيمى أثناء رحلته من اليمن إلى جوندار فى بداية القرن السابع عشر .

ويذكر المؤلف فى صفحة ۱۱۸ أن علاقة اتيوبيا بالكنيسة المصرية كادت تتحطم على أثر زيارة الانبا كيرلس الرابع للامبراطور تيودوروس (وكان الخديوى فى مصر هو الذى أرسل كيرلس لذلك) ويبدو انه نسى أن الذى أرسل كيرلس الرابع هو سعيد باشا الذى لم يسعده الحظ بأن يحمل لقب خديوى .

واذا كان تيودوروس قد احفظه أن يلعب رأس الكنيسة المصرية دور الرجل السياسى لدولة اسلامية كما يذكر المؤلف فان ذلك لم يكن صحيحا ، بل الذى احفظه هو مؤامرات الدول الاجنبية التى كانت تريد اثارة أسباب النزاع بين مصر واتيوبيا فى ذلك الوقت كي تستطيع أن تدخل أفريقيا عن طريق السودان . فانجلترا كانت تريد فشل الحكم المصرى فى السودان كما انها كانت تدبر المؤامرات لسعيد الذى كان فرنسى النزعة والذى حفر قناة السويس بواسطة شركة فرنسية . وفرنسا كان يعنيها أن تضع العراقيل أمام تيودوروس الذى أخذ العرش الاتيوبى فجأة من صنيعتها الرأس عالى الذى اعترفت به فرنسا امبراطورا وارسلت اليه وفدا لعقد معاهدة بينهما وكان دور الانبا كيرلس هو تصفية الجو بين مصر

واثيوبيا . وسعى البطاركة فى هذا السبيل لم يكن بدعة فى التاريخ وخصوصا تاريخ العلاقة بين هاتين الدولتين فالبطاركة طوال عصر المماليك كانوا الواسطة التى لجأ اليها كل من السلاطين فى مصر والاباطرة فى اثيوبيا من أجل تصفية الجو بين الدولتين والعودة بالمياه الى مجاريها الطبيعية [1] . وقد أشار المؤلف الى ذلك اكثر من مرة .

أما عن سوء ادارة السودان تحت الحكم المصرى قبل الثورة المهدية الذى ذكره المؤلف فى صفحة ١١٣ فأتركه دون رد لانه ليس له دخل فى موضوع الكتاب (الاسلام فى اثيوبيا) وقد ظل الكاتب بعيدا عن موضوع الكتاب حتى صفحة ١٣٧ سوى اسطر قليلة ذكرها حين روى محاباة الايطاليين للمسلمين أثناء حكمهم القصير فى اثيوبيا فى صفحة ١٣٧

وفى صفحة ١٣٩ يذكر المؤلف ان الاسلام لم يتغلغل فيما يسمى الآن بالصومال بسبب عدم هجرة العرب من الجزيرة العربية الى هذا الجزء رغم ضيق البحر الاحمر . والسير توماس ارنولد فى كتابة الدعوة الى الاسلام يذكر لنا هجرة أحد أفراد الشيعة مع قبيلته ونزولهم على ساحل البحر وتأسيسهم مدينة موجاديشو التى كبرت وأصبحت مركزا تجاريا هاما [2] ولا شك أن هذه الهجرة كانت واحدة من هجرات سابقة ولاحقة استقرت فى هذه الانحاء . كما تحدثنا المصادر الاوروبية أن فاسكودى جاما حين اتجه الى الهند فى رحلته المشهورة رسى بمراكبه فى موانى شرقى أفريقية وأن أحد اللاحين العرب هو الذى قاد سفينته الى الهند . وأن سكان هذه الموانى من العرب هم الذين تسودوا البحار الجنوبية ، واذا كانت بلاد الدنا كل قحلة حقا لا تشجع على الاستقرار فيها الا ان الشواطىء كانت صالحة لانشاء الموانى التى تستمد تجارتها من الداخل ، واذا كانت بلاد الدنا كل غير صالحة لاجتذاب أحد من العرب فلماذا جعلها آهلة بالمسلمين فى الخريطة التى اتى بها فى صفحة ٧٣ .

والآن وقد انتهينا من نقد هذا القسم الثانى من الكتاب نستطيع أن نقول أن كثيراً من أجزائه كان خارجا عن موضوع الكتاب لا يصلح حقاً كمقدمة ضرورية للكلام عن انتشار الاسلام . والجزء الذى يدخل فى صميم الموضوع يمكن تحديده بأنه بين صفحتى

(١) Quatremère T. II p. 288.

(٢) الدعوة إلى الإسلام ص

٦٠ و ٩٠ وكذلك الجزء الآخر بين صفحتى ١٣٨ و ١٤٦ ، أما غير ذلك فيمكن حذفه دون أن يتأثر هذا القسم الثانى فى قليل أو كثير .

(٣) أما القسم الثالث من الكتاب : توزيع القبائل الاسلامية . فهو كما يقول المؤلف صورة عامة للمجتمع الاسلامى يبين كيفية بنائه وطريقة حياته بالاضافة إلى ما هو معروف عن كيفية دخوله فى الاسلام ومصادره فيما أتى به من معلومات أساطير ترددها هذه القبائل وهو لا يثق بمعظمها (ص ١٤٩) . وأخيراً يلخص كيفية دخولها فى الاسلام فى أنها كلها متحدة وهى مجىء التجار المسلمين إلى هذه الانحاء واستقرارهم بين القبائل الوثنية ومصاهرتهم لها لما يجدونه فى هذه المصاهرة من حماية . وما دام المصدر الأساسى لهذا الجزء هو الأساطير التى يرويها أفراد هذه القبائل فهو شىء لا يدخل فى باب التأريخ وما غير ذلك أشبه بالبحث الاجتماعى منه بالبحث التاريخى . وهو يستند فيه إلى مشاهدات الرحالة الحديثين . ولكنى أقول أن ليس كل ما يقوله هؤلاء الرحالة صدقاً فقد أظهرت الأبحاث الحديثة كيف لعب الخيال دوراً كبيراً فى هذه الكتابات حتى غدا معظمها لا يعتمد عليه .

(٤) وأخيراً يأتى القسم الرابع وهو عن مظاهر الاسلام فى هذه الأجزاء : ولعل أهم ما أتى به المؤلف فى هذا الجزء بيان الطرق الصوفية التى تنتشر هناك ومصادرها ثم شىء عن مؤسسيها .

المقاومة القولية في مصر الإسلامية

للدكتور حسين نصار

تنوعت ألوان المقاومة التى أبداها المصريون ، وحاربوا بها كل من لم يرضوا عنه من خلفاء وأمراء . واصطبغ بعض هذه الألوان بالحمرة القانية ، وبعضها بالحمرة الخفيفة ، وبعضها بالبياض الناصع . ولا يهمنا فى هذا البحث غير اللون الأخير ، بل صنف معين منه ، هو ما قد نسميه المقاومة اللسانية أو المقاومة القولية ، وأعنى به المقاومة باللسان أو القول . وطبيعى أن تنقسم هذه المقاومة إلى نوعين : شعرى ونثرى .

وجدير بنا أن ننبه سلفاً أن القسط الأغلب من الشعر المصرى الذى وصل إلينا من هذه المدة التى ندرسها شعر متصل بالأحداث التى تقلبت على المصريين ، وأقله شعر ذاتى قاصر على المشاعر الشخصية لقائليه . وليس هذا بالدليل القاطع على أن المصريين لم يفرغوا لأنفسهم، وينكبوا على أحاسيسهم ، ويعبروا عنها شعراً . فربما فعلوا ذلك ، ولكن هذا الشعر لم يصل إلينا لسبب من الأسباب . نضيف إلى ذلك أن أكثر هذا الشعر محفوظ فى المصادر التاريخية لا الأدبية ، وبدهى أن هذه المصادر لا تعنى إلا بما يحقق أهدافها وأغراضها ، ويشهد لأقوالها وحوادثها ؛ وهو الشعر الخاص بأحداث التاريخ .

ونستطيع أن نرى عناصر مقاومة المصريين الشعرية فى أغراض شتى من أغراض الشعر ، ولكنها تظهر جلية فى الهجاء ، والرثاء ، والفخر ، والاستنفار . ولذلك نقصر الكلام عليها .

وأول أمثلة الهجاء ترجع إلى سنة ٨٦ هـ ، حين ولى مصر عبد الله بن عبد الملك ابن مروان ، فغلت الأسعار ، وتشاءم به المصريون ، وزعموا أنه ارتشى . وخرج عبد الله

إلى الشام وافدا على أخيه الوليد ، فتبز الشاعر المصرى زرعة بن سعد الله بن أبى زمزمة الفرصة ، وقال :

إذا سار عبدُ الله من مصرَ خارجا　　فلا رجعتْ تلك البغالُ الخوارجُ
أتى مصرَ والمكيالُ وافٍ مغربلٌ　　فما سار حتى سار والمدّ فالج

فلما بلغت الأبيات عبد الله ، أهدر دمه . فهرب الشاعر إلى المغرب ، وكتب إلى الوليد :

ألا لا تُنهَ عبد الله عنى　　كما قد قال يجعلنى نكالا
ولم أشتم لعبد الله عرضا　　ولم آكل لعبد الله مالا

وليست الحالة السابقة الوحيدة التى اتهم فيها الشعراء الأمراء بالرشوة والتسبب فى الغلاء كما لم يتهم زرعة وحده الأمير عبد الله بهذه التهمة ، بل فعل ذلك عبد الله بن الحجاج ورجل لم يُذكر اسمه من قريش .

وتعدى الشاعر المصرى الأمير بالهجاء ، فهجا الأمير وصاحب الخراج ونوابهما . قال سعيد بن عفير :

ما كنت أخشى أن الجبن يجمع ما　　أمسى بمصر من الأنذال فى الإمَرِ
أما الأمير فخناج وصاحبه　　على الخراج سَوادىٌّ من الأكرِ
هذا الهنائى من الفسطاط يخلفُه　　والعاملىّ على أعماله الأخر
كل لصاحبه شكل يلائمه　　فهم سواسية فى اللؤم كالحمر
وما هناءة إلا ظِلف ذى يَمَن　　والعامليون مأوى اللؤم من مُضر
فما يسوغُ لنا عيش فينفعنا　　معْ ما نرى لهمُ من رقة الخطر

وكثر فى هجاء المصريين تعيير الأمراء بالهزيمة فيما اشتبكوا فيه من وقائع حربية . قال أبو بجاد الحارثى يهجو السرى بن الحكم عندما هزمه عبد العزيز بن الوزير الجروى بشطنوف وقتل ابنه ميمونا :

جمع رعاعك يا سرى فإنها　　حرب تحسّ سعيرَها قحطانُ
قتلوا أبا حسن وجَرُّوا شِلوَه　　كالكلب جر بشلوه الصبيان
ولت تجيبُ وأسلمته جيادها　　عيلان يوم تواكلت عيلان

فاستخرجوه مُلبِساً فأتى به   يجرى ويَهرج حوله السودان
لا تَبكِ فالعقبى لإخوته غداً   أو بعده ، فكما تَدين تُدان

وكانت الحروب المستعرة الأوار بين السرى والجروى مصدراً ألهم الشعراء كثيراً من القصائد المتنوعة .

ولم يرض الشاعر يحيى بن الفضل عن عنبسة بن إسحاق الضبى الوالى ، وكان يذهب إلى المسجد دون موكب ، وينادى بالسحور فى شهر رمضان ، ويتهم بمذهب الخوارج ، فقال :

مَنْ فتى يُبلغ الإمام كتابا   عربياً ويقتضيه الجوابا
بئس والله ما صنعت إلينا   حين وليتنا أميراً مصابا
خارجيا يدين بالسيف فينا   ويرى قتلنا جميعا صوابا
مرّ يمشى إلى الصلاة نهاراً   وينادى السحور ، ضل وخابا

ثم نزلت الروم دمياط يوم عرفة من ولايته ، فاستولوا عليها ، وقتلوا بها جمعاً كبيراً من المسلمين والنصارى . فنفر إليهم عنبسة فلم يدركهم . ومضى الروم إلى تنيس فأقاموا بأشتومها ، فلم يتبعهم عنبسة . فبعث يحيى بن الفضل للخليفة المتوكل :

أترضى بأن تُوطا حريمك عنوة   وأن يُستباح المسلمون ويُحرَبُوا
حمار أتى دمياط ، والروم وُثّبٌ   بتنيس منه رأىَ عين وأقرب
مقيمون بالأشتوم يبغون مثل ما   أصابوه من دمياط والحربُ تُوثَبُ
فلا تنسنا إنا بدار مَضيعة   بمصر وإن الدين قد كاد يذهب

وواضح أن الشاعر المصرى كان يعتمد فى هجائه على السخرية والإضحاك ممن يهجوه ، وإبرازه فى صور فكهة .

وظهرت روح المقاومة فى رثاء الشاعر المصرى من ينزل بهم الوالى عقابه . ووصلت إلينا أمثلة من هذا اللون من الرثاء من العصرين الأموى والعباسى . فقد اغتال مروان بن الحكم — حينما استولى على مصر واستخلصها من أيدى الزبيريين — الأكدر بن حمام

سيد لخم ، وكادت تنشب ثورة عارمة يهلك فيها مروان لولا أن حماه بعض المصريين .
وقال زياد بن فائد اللخمي يرثي الأكدر :

كما اقيت لخمُ ما ساءها ... بأكدرَ ، لا يَبعدَنْ أكدر
هو السيف أجردَ من غمده ... فلاقى المنايا وما يشعر
فلهفى عليك غداةَ الردى ... وقد ضاق ورْدُك والمصدر
وأنت الأسير بلا مَنعة ... وما كان مثلك يستأسر

وفى أواخر العصر الأموى قامت ثورة كبيرة بمصر ، فأتى إليها جيش كبير ، على رأسه حَوْثرة بن سهيل الباهلي ، استطاع أن يخمد الثورة ، ويقتل رؤساءها ، ويغتال بعضهم الآخر . فأرسل الشعراء الأشعار فى رثائهم ، قال مرسل بن حمير مثلا :

يا حفص يا كهفَ العشيرة كلها ... ياخا النوال وساتر العورات
إما قُتلتَ فأنت كنتَ عميدهم ... والكهف للأيتام والجارات
أودى رجاء ، لا كمثل رجائنا ... رجلٌ ، وعُقبةُ فارج الكربات
وشبابنا عمرو وفهد ذو الندى ... وابن السليط وعامر الغارات
قتلوا ولم أسمع بمثل مصابهم ... سَرَواتُ أقوام بنو سروات

وكما كانت ثورات السرى والجروى مصدر الكثير من قصائد الهجاء ، كانت أيضاً منبعاً لأشعار الرثاء ، التى تبكى من قتل فيها من الرؤساء . قال سعيد بن عفير يرثى هبيرة ابن هاشم بن حديج ، وكان من رؤساء المصريين الذين تحترمهم جميع الأحزاب والجماعات بمصر :

لعمرى لقد لاقى هبيرة حتفه ... بأفضل ما تلقىَ الحتوف السوارع
بأنف حمى لم تخالطه ذلة ... وعرض نقى لم تشنه المطامع
عشية يستكفيه مطلبُ الذى ... به ضاق ذرعا والمنايا كوارع
فما انفك يحميه ويجعل نفسه ... له جنةً حتى احتوته المصارع
فلاقى المنايا فوق أجرد سابح ... وفى الكف مأثور من الهند قاطع
فبينا يخوض الهول من غمراته ... وأعداؤه من حوله قد تجاشعوا

تقطر فى أهوية عن جواده فصادفه حينٌ من الموت واقع
فلم أر مقتولا أجلَّ مصابه على من يعادى والذين يجامع
من ابن حديج يوم أعان نعيه وقام به فى الناس راء وسامع
فولوا فلولا قد علتم كآبة وكلهمُ بادى التلهف جازع

ولم يبك الشاعر المصرى الرجال وحدهم بل بكى غير الرجال مما أحب وأنزل به الحاكم المكروه . مثال ذلك أن مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين ، عندما فر إلى مصر من العباسيين ، اجتاز النيل من الجانب الشرق إلى الغربى ، وأمر بدار آل مروان المذهبة فأحرقت كيلا يستولى عليها العباسيون ، وأحرق الجسور التى على النيل أيضاً . فبكى عيسى ابن شافع هذه الدار قائلا :

يا طللا أقوى وحل البلى منه لدى العلو وفى السفل
قد كنت مغنى لعيون المهـا وكنت مأوى لظبا الرمل
وكان أربابك ما إنْ لهم فى الناس من نوع ولا شكل

وبكى كثير من الشعراء الدولة الطولونية بكاء حاراً بقيت لنا منه قصائد قلائل ، نمثل لها بقول إسماعيل بن أبى هاشم :

قفْ وقفة بفناء باب الساج والقصر ذى الشرفات والأبراج
وربوع قوم أزعجوا عن دارهم بعد الإقامة أيمـا إزعاج
كانوا مصابيحا إذا ظلم الدجى يسرى بها السارون فى الإدلاج
وكأنَّ وجوههمُ إذا أبصرتها من فضة مصبوغة أو عاج
كانوا الثريا لا يرام حماهمُ فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر إلى آثارهم تلقى لهم علما بكل ثنيةٍ وفجاج
وعليمُ ما عشتُ لا أدع البكا مع كل ذى نظرٍ وطرْف ساج

ونظم فيهم سعيد القاص قصيدته الطويلة التى عالجت تاريخ الطولونيين الزاهر ، وأشادت بمفاخرهم ومآثرهم ، وبكت أمجادهم . قال :

جرى دمعه ما بين سحر إلى نحر ولم يجر حتى أسلمته يدُ الصبرِ
وبات وقيدا للذى خامر الحشا يئن كما أنَّ الأسيرُ من الأسر

وهل يستطيع الصبر من كان ذا أسى ... يبيت على جمر ويضحى على جمر
تتابع أحداث تخيفن صبره ... وغدر من الأيام، والدهر ذو غدر
أصاب على رغم الأنوف وجدْعها ... ذوى الدين والدنيا بقاصمة الظهر
طوى زينة الدنيا ومصباح أهلها ... بفقد بنى طولون والأنجم الزهر
فبادوا وأضحوا بعد عز ومنعة ... أحاديث لا تخفى على كل ذى حجر
وكان أبو العباس أحمد ماجدا ... جميل المحيا لا يبيت على وتر
كأن ليالى الدهر كانت لحسنها ... وإشراقها فى عصره ليلة البدر
يدل على فضل ابن طولون همة ... محلقة بين السماكين والغفر

ويجتمع الفخر والاستنفار فى قصائد واحدة، يقولها الشعراء أو بعض الثائرين أنفسهم يشيدون بما أتوا من أعمال، ويحثون قومهم على مناهضة الولاة والأمراء. ويتمثل هذا اللون من الشعر فيما كان يقوله أبو الندى الذى خرج على الوالى الحسين بن جميل فى نحو ألف رجل من بلى:

أقول إذا الرفاق بدت لوجهى ... ألا حلوا رحالكم وطيروا
وإن لم تتركوها فاستعدوا ... لحرب مثل حاصبة تفور
أقول لصحبتى: كرُّوا عليهم ... فليس يردُّهم إلا الكرور

ثم ينفرد بقية أشعار الاستنفار إلى الحرب سعيد بن عفير، الذى ينظم القصائد يحاول فيها أن يشجع الجروى، ويحثه على حرب السرى وابنه، ويلومه لتباطؤه، وينصحه ألا يبقى على أحد من أسرة السرى. يقول لعلى بن عبد العزيز الجروى:

ألا من مبلغ الجروى عنى ... مغلغلة يعاتب أو يلومُ
أقمتَ تنازل الأبطال حتى ... تميز ذو الحفيظة والسئوم
وصلت بهم فما وهنت قواهم ... وطير الموت دائرة تحوم
ولو هجمت جموعك حين حلوا ... عليهم باد جمعهم المقيم
وكيف رأيت دائرة التوانى ... أتتك بصحو نحس لا يقيم
أتاك وقد أمنت ونمت كيد ... لصل لا ينام ولا ينيم

ويقول له مرة أخرى حين فر أمام عبيد الله بن السرى:

ألا يا على بن عبد العزيز ... إلى أين صرت تريد الفرارا

فلست بأول من كاده عدو ، فكر عليه اعتكارا
وأجر مصيرك أن يسحبوا إليك فتوحا عظاماً كبارا
فتدرك ثأرك من أهله وتلبس بعد الكبو انفسارا

تلك هى الموضوعات الشعرية التى ظهرت فيا عناصر المقاومة القولية من المصريين جلية بارزة . ويتضح منها أن المصرى لجأ إلى الفن الذى برع فيه كل البراعة للنيل من خصومه ومقاومتهم والتشهير بهم ، أعنى به السخرية والإضحاك . ويتضح أيضا أن الشاعر المصرى من أول الشعراء الذين حاولوا أن ينظموا أمجاد بلادهم والصفحات المشرقة من تاريخها ، وأن يبكوا الدول التى وفرت لبلادهم الحضارة والترف والنعيم . وسبقوا بذلك إخوانهم من شعراء الأقطار العربية الأخرى . والقارىء المستقصى للموضوعات الأخرى من الشعر المصرى لا تخطىء عينه بعض الآثار التى تمت إلى روح المقاومة ، وخاصة فى المدح ، كمدح الطولونيين وابن الخليج . ولكن هذه الآثار لا تبلغ ما بلغته فى الموضوعات التى أفردتها بالذكر .

ويجدر بى قبل أن أطوى هذه الصفحات أن أشير إلى شاعرين تجلت فيهما روح المقاومة المصرية أبلغ التجلى . أول هذين الشاعرين أبو عثمان سعيد بن كثير بن عفير الأنصارى . وإذا أردنا أن نرسم تخطيطاً لترجمة حياته رأينا أنه ولد سنة ست وأربعين ومئة ، وتلقى العلوم الدينية فى مصر وبغداد والمدينة ، وصار أحد المحدثين الثقات . وأخذ بحظ وافر من العلوم الأدبية ، فدرس علوم الأنساب والتاريخ والأيام . وكان إلى جانب ذلك شاعراً ذكياً سريع البديهة فصيح اللسان حسن البيان لا تمل مجالسته .

وقد اتصل بالأحداث التى وقعت فى أيام السرى بن الحكم وأبنائه ، وعبد العزيز ابن الوزير الجروى وابنه ، وشارك فيا مشاركة لها خطرها . وكان شعره سلاحاً فتاكا فيا . وكان سعيد بن عفير يمثل الحزب المصرى الخالص المصرية ، ولذلك ناصر الجرويين ، وهجا السرى وأبناءه ، وبكى كل مصرى سقط فى الميدان . وقد رأينا عدة أمثلة من شعره ، ولكنى أمثل له أيضاً بقوله يحرض بنى قضاعة على الثورة حين قتل الوالى أشرافهم الثائرين به :

قتلوا ابن سيدهم وفارس حربهم عن غير نائرة ولا إجرام
أضحت قضاعة قد علتها كآبة وبنو الجريش سوافر الإظلام

فلئن قضاعة لم تطالب ثأره بكتيبة خشناء ذات عرام
ما فى قضاعة بعدها ما يرتجى للنائبات وما همُ بكرام

وقال يرثى عمر بن هلال الذى قتله الأندلسيون وأنصارهم فى الإسكندرية :

لا يبعدن ابن هلال فقد ذهبت منه المنون بعلم طيب النسم
لا يزأم الضيم من حب الحياة ولا يقبل دون فعال الخير بالقسم
ولا يزال له من مجده طرف يسند ما حاز عن آبائه القدم
ما انفك يحمى ذمار اسكندرية فى هدء حميد وعز غير مهتضم
حتى إذا جاءه من كان يأمنه وصرح الموت جهرا غير مكتتم
خاض الأسنة والهندى محتسبا حتى تجرع كأس الموت من أمم

والمتتبع لما بقى من شعر سعيد يجده يدور حول رثاء كبراء المصريين الذين سقطوا صرعى الأحداث التى امتلأت بها هذه الحقبة ، والإشادة بفضلهم وشجاعتهم وبسالتهم فى مواجهة الموت ، وتفضيلهم القتل على الحياة الذليلة ، ونقاء شرفهم ، ومآثرهم ، وكيف قتلوا ، ووجوب الثأر لهم ، وحول لوم الجروى وابنه على التوانى فى الحرب ، وعدم انتهاز كل فرصة للقضاء على السرى وابنه ، والحث على الصبر وعدم الفرار واستئصال الخصوم .

والشاعر الثانى محمد بن داود ، وقد حمل لواء المقاومة فى الدولة الطولونية . فألح بالهجاء على أحمد بن طولون ، واقتفى خطاه ، فكلما أتم عملا ما ، نظم فيه قصيدة هجاء تطعن عليه وعلى عمله ، وتنتقص من قدره . ولست أدرى سبب هذه العداوة المريرة ، ولا كيف صبر أحمد بن طولون على هذا الشاعر ، ولا كيف أفلت الشاعر من سطوة ابن طولون وبطشه ، فالمراجع التاريخية لا تذكر شيئاً من ذلك . ولكن الخصومة كانت من العنف بحيث لم يستطع الشاعر أن يبرأ من أدرانها بعد موت أحمد بن طولون ، فهجاه بأكثر من قصيدة ، دون أن يكون للموت عنده حرمة .

قال محمد بن داود عند ما بنى ابن طولون مستشفاه :

ألا أيها الأغفال إيهاً تأملوا وهل يوقظ الأذهان غير التأمل
ألم تعلموا أن ابن طولون نقمة تسير من سفل إليكم ومن عل

ولولا جنايات الذنوب لما علت عليكم يد العلج السخيف الجهل
فكم ضجة للناس من خلف ستره تضج إلى قلب عن الله مغفل

وقال عند ما تحصن ابن طولون بجزيرة الروضة ، وبنى المراكب الحربية ، إذ سمع أن الخليفة قد أرسل جيشاً تحت قيادة ابن بغا لمحاربته :

لما ثوى ابن بغا بالرقتين ملا سافيه زرقا إلى الكعبين والعقب
بنى الجزيرة حصنا يستجن به بالعسف والضرب ، والصناع فى تعب
له مراكب فوق النيل راكدة فما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها لغزو الروم محتسبا لكن بناها غداة الروع للهرب

وقال فيه بعد موته :

عرج على اليحموم فانزل به فاسلح على قبر ابن طولونا
وقل له : يا شر مستودع أخفى لدمع القلب ملعونا
يا حفرة النار التى أضرمت وظل فيها الرجس مدفونا
لا تجعلى لبنة جثمانه إلا الأفاعى والثعابينا
فعز إبليس بها أولا وعز من بعدُ الشياطينا
وقل لهم : قد كان يكفيكمُ ويهتك المعروف والدينا
ثم مضى غير فقيد ولا كان حميدا عمره فينا

ويتضح من شعر محمد بن داود أنه كان يحمل بين جنبيه حقداً هائلا لا يخفف منه شيء ، وأنه كان عنيفاً فاحشاً فى هجائه ، ملأه بالصور المقذعة ، ولجأ فيه إلى السخرية والتهكم واعتمد على الصور التى تصور ابن طولون فى أوضاع تحط منه ومن أعماله . ولم يتورع الشاعر عن شيء يشين الأمير . فسلبه الدين والخلق والشجاعة ، وجعله نصيراً للشيطان بل كافراً له .

وخلاصة القول فى الشعر المصرى أنه رافق المعارك : فمهد لها قبل أن تقوم ، وحث الجماعة المصرية على الخروج على مالا ترضاه ، وهجا من كرهته ، واستنفرها إلى الثورة ، وثبتها فى القتال ، وأشاد بمن ثبت من المصريين ، وعير من هرب ، وطلب إليه الكر ، ثم بكى

المستشهدين . وكان سلاحاً فتاكا مطاوعاً لبعض الشعراء ، وأحدّ أسنه السخرية والتهكم والصورة الفكهة . وقد ازدهر فى الأوقات التى كثرت فيها الوقائع . ولم يختف كل الاختفاء فى غيرها من الأوقات ، ولكنه كان أقل انتعاشاً .

* * *

واستخدم المصريون فى مقاومتهم القولية سلاحاً آخر لا يقل قوة عن الشعر ، ذلك السلاح هو ما اشتهر به أهل مصر قديماً وحديثاً ، وكاد يكون علماً عليهم ، وهو الفكاهة والسخرية . ولم يجد هذا اللون عناية من المؤرخين ، سواء القدماء والمحدثون . ولذلك لم يتسرب إلينا إلا ثلاثة أمثلة منه .

فقد ولى عبد الله بن عبد الملك مصر فى سنة ست وثمانين ، فغلت الأسعار ، وتشاءم به أهل مصر . وأكثروا من الإشاعات حوله ، وزعموا إنه ارتشى ، ووسموه بلقب يسخرون منه فيه ، هو «المكيس» . وبالرغم من التحريف الذى أصاب هذا اللقب فى كتب التاريخ ، وجعلنا غير مطمئنين إلى صيغته الحقة ، فإن الصلة واضحة بينه وبين المكوس والضرائب . ولعل المصريين أرادوا بهذا اللقب أن يلقبوا هذا الوالى جابى المكوس أو الرشاوى .

وعزم جماعة من الخوارج أن يقتلوا قرة بن شريك والى مصر (٩٠ — ٩٦ ه) ، فوشى بهم رجل يكنى أبا سليمان . فكان الفقيه المصرى المعروف يزيد بن أبى حبيب كلما هم أن يذكر شيئا يمس الحاكم ، تلفت حوله ، وقال : احذروا أبا سليمان . ثم كان يقول : الناس كلهم أبو سليمان .

وخرج خارجى يدعى وهيباً فى ولاية الوليد بن رفاعة (١٠٩ — ١١٧ ه) ، وتتبع الوالى ليقتله ، ولكنه فطن له وقبض عليه وقتله . وانتشر على ألسنة القوم حينئذ عبارة : « أين صلاتك يا وهيب » والمراد منها غير جلى اليوم .

وليس من اليسير تتبع ما رمى به المصريون خصومهم من نوادر ونكات ، وما نبذوهم به من ألقاب وصفات ، يسخرون بهم فيها ويتهكمون عليهم . فإن هذا اللون من المقاومة القولية ليس من الأمور التى كان المؤرخون يأبهون لها . ولكن الأمثلة السابقة تكفينا لنقول إن المصريين استخدموا هذا السلاح الذى برعوا فيه لمقاومة خصومهم .

أهمية الأخبار الخارجية فى الصحافة
وأثرها فى حياة القراء والشعوب

للدكتور حسنين عبد القادر

اهتم معهد الصحافة الدولى بمدينة زيوريخ بسويسرا بدراسة الاخبار الخارجية فى صحافة عشر دول من بينها الولايات المتحدة الامريكية وبعض دول غرب أوروبا والهند، وذلك من ناحية الكم والكيف، ومن ناحية أثر تلك الاخبار فى شعوب تلك الدول، وهل هى كافية لاحاطة القارىء بما يجرى خارج بلاده من أحداث هامة فى البلاد الاجنبية، وهل ما ينشر من تلك الأخبار كفيل بأن يربط الدول بعضها ببعض برباط متين، ويؤلف بين قلوب شعوب العالم باعتباره وحدة واحدة، فيساعد ذلك على تدعيم السلام وتوطيد أركانه. ذلك لأن سياسة الحكومات المختلفة تتأثر بالرأى العام فى شعوبها، ولن يكون هذا الرأى العام مبنيا على أساس سليم فى مجال السياسة الدولية إلا اذا كان الشعب مزودا بالمعلومات الصحيحة الكافية عن الشعوب الأخرى.

والأخبار الخارجية لم تعد أجنبية بالمعنى المألوف، وازدادت أهميتها فى الصحافة. ويميل رئيس تحرير الصحيفة إلى الاعتقاد أن القارىء قد أصبح أكثر اهتماما بتلك الأخبار. بيد أن أحد الباحثين يقول إنه ليس من شأن الصحيفة اليومية أن تقدم لقرائها هذا اللون من المعرفة عن تقاليد أى بلد وعاداته، والتى يمكنهم أن يقفوا عليها من القصص وسير الاشخاص والتاريخ. فالذى يعرفه الانسان خلال فترة يعيشها فى ذلك البلد أقل بكثير جدا مما هو موجود فعلا. بينما يضيف باحث آخر أن المهمة اليومية العادية للمراسل الأجنبى هى سرد أخبار الحوادث العظيمة التى قد تثير القراء مع مراعاة السرعة والدقة والاحاطة بجميع

* نشر معهد الصحافة الدولى بمدينة زيوريخ نتيجة بحوثه فى كتاب بعنوان:
The Flow of News (1953).

أطراف الموضوع . وهذه الأخبار قد تؤثر فى حياة القارئ المتوسط ، لكن المشاهد أن ٩٠ ./ مما ينشر من تلك الاخبار فى الصحف هو مجرد قشور فى حين أن المفروض فى الصحيفة أن تساعد القارئ على فهم المشكلات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية التى تحتاج الى شرح وتفسير حتى ولو كانت هذه المشكلات تتعلق بحكومته هو . وهذه المشكلات تحتاج إلى تفسير أكثر إذا كانت متعلقة بحكومة أجنبية لشعب يختلف فى لغته وتقاليده وأهدافه الوطنية والسياسية . لكن تفسير الأخبار المركبة التى تتناول الاعمال الرسمية والنصوص الرسمية لا يعنى فقط مجرد ترجمة هذه التقارير الأجنبية بل يجب أن تنقل الصحيفة أيضا وجهة النظر الشعبية ، حتى يعطى رئيس التحرير لأهل بلده صورة متوازنة balanced picture للبلد الآخر . فيجب أن يبين المراسل الأجنبى ما يدور بخلد رجل الشارع ، ورأيه فى الضرائب التى يدفعها وعمله وأهداف حكومته وعلاقتها بالحكومات الأخرى ، وماذا يضعه فى المحل الأول . وإذن فالصورة لا تكتمل الا بتغيير كل من مضمون الخبر وطريقة معالجته .

ومن ذلك يمكن معرفة مدى نجاح رئيس التحرير فى عرض أخباره الخارجية بتوجيه هذا السؤال : ما هى الصورة التى ترسمها الصحيفة بأخبارها الخارجية عن ذلك البلد الأجنبى ؟ فإذا كانت الصورة كروكية وغير متوازنة « unbalanced » مما يجعلها قليلة الفائدة فإن رئيس التحرير لا يكون قد نشر أخبارا خارجية كافية عن هذا البلد .

وقد ساهمت كل من مؤسسة فورد « Ford Foundation » ومؤسسة روكفلر « Rockefeller Foundation » فى نفقات هذه الدراسة التى قام بها رؤساء تحرير الصحف فى تلك الدول العشر وكذلك معاهد الصحافة ومدارسها ومعهد الرأى العام « Institute of Public Opinion » فى الولايات المتحدة الامريكية وفروعه وأمثاله من المعاهد فى المملكة المتحدة وفرنسا وإيطاليا .

وكان منهج البحث على أساس قاعدتين : الأولى : جمع الأخبار الخارجية التى نشرت فى أهم الصحف اليومية المحلية . والثانية : تحليل هذه الأخبار واستخلاص النتائج المختلفة من حيث المساحة التى تشغلها فى الصحيفة ، ونوع تلك الاخبار وكيفية عرضها ووفائها بالغرض من ناحية الاعلام وإحاطة القارئ بالمعلومات الكافية المفيدة التى تساعده على تكوين رأى صحيح عن الأحداث العالمية الجارية .

وقد أسفرت تلك الدراسة عن نتائج هامة نجملها فيما يلى :

١ — أن وكالات الأنباء هى المصدر الأساسى الذى يزود الصحافة بالأخبار الخارجية ، ولكن الأخبار التى تنساب من وكالات الأنباء هى أولا وقبل كل شيء — وفى معظمه — أخبار ذات صبغة محلية « spot news » أى اخبار من بقعة أو رقعة معينة . كما أنها أخبار عناوين « headline news » إلا أنه عن الحق أن وكالات الأنباء قد أخذ اهتمامها يزداد شيئا فشيئا بتفسير الأخبار التى تقوم بتوزيعها .

٢ — أن ما ينشر من أخبار خارجية فى الصحف اليومية العالمية محدود وغير كاف لتعريف القراء بماجريات العالم الخارجى .

٣ — أن تلك الأخبار تنشر مقتضبة وقد يصل الحال إلى إهمال بعض فقرات الخبر مما يجعله غامضا مبهما فى نظر القارىء وبالتالى لا يفيد منه شيئا . هذا فضلا عن أن الخبر قد يفتقر أحيانا إلى الإيضاح والتفسير لمساعدة القارىء على متابعة قراءته وفهمه على وجهه الصحيح .

٤ — ان القراء لا يهتمون بالاخبار الخارجية إلا قليلا ، ومستوى معرفة القراء عن الحوادث الخارجية الهامة حتى تلك الحوادث التى يخصص لها باستمرار أكبر مساحة منحط للغاية . وقراء الاخبار الخارجية فى الصحف يكونون نسبة ضئيلة من القراء ، وتزداد هذه النسبة بين المثقفين والمتعلمين ، وتقل أو تنعدم فى غيرهم . كما أنها أعلى فى الرجال منها فى النساء فى نفس الطبقة الثقافية .

ومن أسباب عزوف القراء عن هذا اللون من الاخبار اعتقادهم أنها أخبار للدعاية ، وأنها لا تهمهم فى حياتهم اليومية . ويبدو أن القارىء غير مستعد للتضحية بجزء من مساحة الاخبار الداخلية والوطنية فى صحيفته لحساب الاخبار الخارجية .

وقد أجرى استفتاء فى الولايات المتحدة الامريكية لتعليل انصراف القراء عن الاخبار الخارجية ، وكان نص السؤال هو :

كثير من الناس لا يهتمون اهتماما كبيراً بالأخبار الخارجية فبم تعلل ذلك ؟

وكانت الاجابة كالآتى :

	النسبة المئوية
أنهم أكثر اهتماماً بأنواع أخرى من الأخبار ولا يجدون لذة فى الاخبار الخارجية	٤٥
أنهم لا يفهمونها فهى معقدة جداً وليس لديهم فكرة أساسية عنها إلخ	١٣
ليس لها تأثير مباشر عليهم	١١
حاجتهم الى فسحة من الوقت فهم مشغولون جداً	٨
أنهم يكرهون الأخبار الخارجية ومعلولون من الحرب وهذه الأخبار تثبط الهمم	٦
فيها قدر كبير من الدعاية فهم لا يعرفون ماذا يصدقون	٤
ذات صبغة وطنية إلى درجة كبيرة	٢
فقر الصحف فى تغطية الاخبار الخارجية	٢
إجابات أخرى	٦
لا يعرفون شيئا	١٥
	٪١١٢

ثم وجه سؤال آخر هذا نصه :

ماذا تقول — فى حالتك أنت — عن السبب الرئيسى فى عدم قراءتك مزيداً من الاخبار الخارجية ؟

فكانت الاجابة كالآتى :

	النسبة المئوية
الحاجة إلى الوقت فأنا مشغول جداً	٣٧
لأنى أكثر شغفاً بأنواع أخرى من الاخبار ولست شغوفاً بالأخبار الخارجية . .	٣٠
لأنى لا أفهمها فهى معقدة جداً وليس عندى أساس لفهمها . . الخ . . .	٧
لأنها بعيدة جداً عنى ولا تتعلق بنا	٤
لفقر الصحف فى تغطية الاخبار الخارجية	٤
لأنى أكره الاخبار الخارجية ومعلول من الحرب وهذه الاخبار تثبط الهمم . .	٤
لأنى لا أقرأ كثيراً فى أى نوع من الاخبار	٤
لأن فيها دعاية كثيرة ولا أعرف ماذا أصدق	٣
لأنى أفضل أشياء أخرى على القراءة مثل الاستماع إلى الراديو أو رؤية التليفزيون .	٣

	النسبة المئوية
لضعف النظر وضعف الصحة	٣
أعتقد أني أقرأ ما يكفي	٩
إجابات أخرى	٣
لا يستطيعون الاجابة	٤
	١١٥ ٪

ملحوظة : يزيد المجموع على ١٠٠ ٪ في الاحصائيتين السابقتين نظراً لأن بعض الاشخاص أدلوا بأكثر من سبب .

ووجه السؤال الثالث ونصه :

هل تعتقد أن هناك سبباً خاصاً يحتم على المواطنين العاديين متابعة الاخبار الخارجية بعناية ؟

فكانت الاجابة كالآتي :

	النسبة المئوية
نعم — يعتبر من المرغوب فيه بوجه عام أن يظل الناس على علم بتلك الاخبار (لم تستطع هذه الطائفة أن تعطي سبباً خاصاً لقراءة الاخبار الخارجية)	٣٠
نعم — إن مستقبل الولايات المتحدة مرتبط الآن بالشئون الخارجية ، فالذي يحدث في الخارج له تأثير في عالمنا هنا	٢٤
نعم — إذا لم يفعل المواطنون العاديون ذلك فإنهم لا يستطيعون أن يتحملوا المسئولية كمواطنين في إعطاء أصواتهم بذكاء	٤
نعم — لأن لنا أبناء وراء البحار ورجالا في جميع أنحاء العالم	٣
نعم — لأننا ننفق مالا هناك وينبغي أن نعرف كيفية استعماله	٢
نعم — لكي تقدم للبلاد الأخرى مساعدة أفضل	١
نعم — إجابات متفرقة	٦
لا — لا نرى سبباً لفعل هذا	١٧
ليس لهم رأي	١٣
	١٠٠ ٪ *

* المرجع السابق .

٥ — أن اهتمام القراء بالأخبار الخارجية ينصرف أولا وقبل كل شيء إلى الأخبار الانسانية التي تمس شغاف القلوب ، مثل أخبار ضحايا الفيضانات والسيول والزلازل والأوبئة ، وحوادث قتل الأطفال والنساء والطاعنين في السن ، بصرف النظر عن أسماء الضحايا وأهميتهم في الهيئة الاجتماعية . كما أن القراء مولعون بأخبار الأسماء اللامعة أيا كانت هذه الأخبار . ويأتي في المرتبة التالية بالنسبة لاهتمام القراء أخبار السياسة العالمية وأخبار الاقتصاد والمال والثقافة . . . إلخ .

لكن بالرغم من ذلك فلا تزال الأخبار الرسمية وغير الرسمية الهامة مثل أخبار الحرب والسياسة والعلاقات الدولية والدفاع والاقتصاد تحتل المكانة الأولى في أخبار وكالات الأنباء . وقد وجد أن هذه المجموعة تكوّن نحو ثلثي أخبار جميع الوكالات في الولايات المتحدة . أما المجموعة الثانية فهي الأخبار التي لها أهمية اجتماعية وتشمل الأخبار الثقافية والتعليمية والعلمية والفنية والدينية والقضائية والقانونية والأخبار ذات الصبغة الاجتماعية . وهذا النوع من الأخبار الخارجية يكون في الولايات المتحدة الامريكية نحو ١٢ ٪ من جملة الأخبار التي تم فحصها .

وأما المجموعة الثالثة فذات أهمية شخصية وتشمل الأخبار ذات الطابع الانساني وأخبار الجرائم والكوارث والرياضة . وهذا النوع من الأخبار يكون نحو ٢٢ ٪ من جملة أخبار الوكالات .

ويمكن القول إن ثلاثة أنواع من الأخبار من هذه الأنواع الأربع عشرة تكون ثلثي — أو على الأقل نصف — ما تنشره الوكالات من الأخبار الخارجية . وهذه الأنواع الثلاثة هي أخبار السياسة وأخبار العلاقات الدولية وأخبار الحرب . وتتساوى أهمية النوعين الأول والثاني . فكل منهما يكوّن نحو ٢٢ ٪ من جملة الأخبار الخارجية ، أما النوع الثالث (أخبار الحرب) فيكاد يكوّن ١٣ ٪ وعلى ذلك فهذه الأنواع الثلاثة من الأخبار الرسمية تكوّن وحدها ٥٧ ٪ من جملة ما تنشره الوكالة .

أما الأخبار ذات الأهمية الإنسانية التي تستحوذ على لب رجل الشارع مثل أخبار الحظوظ السعيدة والمنكودة والشخصيات والجنس ومسابقات الجمال والمواد المسلية . . إلخ فهي تكوّن في الصحافة الأمريكية نحو ١٣ ٪ من جملة الأخبار الخارجية التي تم فحصها .

وأما الأخبار الثقافية لهذه الوكالة وغيرها من الوكالات فكانت تكوّن أقل من ١ ٪ من الأخبار الخارجية . وأما أخبار التقدم التعليمي والعلمي والفني فتمثل ٢ ٪ وأما الأخبار الدينية فتمثل ما يزيد بقليل على ٣ ٪ .

ويمثل الجدول الآتي* متوسط النسبة المئوية لأنواع الأخبار الخارجية في أربع وكالات للأنباء في الولايات المتحدة الأمريكية لمدة أربعة أسابيع :

الموضوع	الوكالة ا	الوكالة ب	الوكالة جـ	الوكالة د
الحرب	٢٨,١	٥,٢	١٧,٧	١٢,٩
السياسة	١٦,٨	٣١,٢	٢١,٩	٢١,٧
العلاقات الخارجية . .	٢٣,٠	١٠,٤	٢٠,٩	٢١,٥
الدفاع	٥,٦	٥,١	٢,٨	٤,٥
الاقتصاد	٢,٨	٧,٩	٣,١	٥,٦
الأخبار الثقافية . .	٠,١	٠,٩	٠,٥	٠,٦
الأخبار التعليمية والعلمية	٠,٧	٣,٩	١,٩	٢,١
الدين	٢,٢	٢,٦	٣,٣	٣,٢
الجريمة	١,٤	٢,٢	٢,١	٢,٠
الأخبار القضائية والقانونية	٥,٦	٤,٧	٦,٢	٥,٣
الدمار	٤,٧	٥,٠	٦,٥	٥,٦
الأخبار الانسانية . .	٧,٩	١٧,٦	١٢,٥	١٢,٧
المسائل الاجتماعية . .	٠,٥	١,١	٠,٣	١,٠
الرياضة	٠,٦	٢,٢	٠,٣	١,٣
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

٦ — أن سكان المدن الكبيرة أكثر اهتماماً بالأخبار الخارجية من سكان المدن الصغيرة . والأخيرون أكثر اهتماما بتلك الأخبار من سكان الريف . وهذا يفسر لنا لماذا كانت طبعات الصحف في المدن الكبرى تقدم قسطاً أكبر من الأخبار الخارجية بينما هي تقتصد في طبعاتها الإقليمية في هذا اللون من الأخبار .

ويهمنا من الوجهة الصحفية أن نبين لماذا تقصر الصحيفة في حق قرائها من ناحية الأخبار الخارجية .

---

* المرجع السابق

وفيما يلى أهم أسباب هذا التقصير :

١ – أن وكالات الأنباء والمراسلين الخصوصيين للصحف فى الخارج لا يتحرون الدقة فى جمع الأخبار . والواقع أن الحقيقة ليست سهلة المنال غير قابلة للتأويل – كما يقول المسيو جول رومان (Jules Romains) الكاتب الفرنسى الأديب المشهور وعضو الأكاديمية الفرنسية . فالحقيقة تنقسم إلى نوعين : حقيقة معنوية وفيها يقوم الصحفى بنشر الحوادث تبعاً لما يتراءى له خلال مرآة تنعكس فيها ميوله وعواطفه الشخصية . وحقيقة مادية وهى المجردة من كل تأثير شخصى .

ويصعب على الصحفى عند نشره وتعليقه على حادث ما أن يضبط عواطفه وشعوره ويتوخى الحقيقة المادية المجردة من كل تعليق .

وقد أشار هذا الكاتب – وهو على حق – إلى ميل الصحفيين إلى تجسيم الموضوعات والمبالغة فيها . كما أشار إلى شغف رؤساء تحرير الصحف بالمقالات ذات العناوين البارزة التى تستلفت نظر الجمهور . ومعنى هذا أنه ينبغى على الصحفيين ألا يطلقوا العنان لخيالاتهم حتى لا يتأثر الجمهور بتكييف الحوادث تبعاً لما يدخله الصحفى فى تصويرها من عاطفة شخصية [١] .

ويضيف المسيو أوجستودى كاسترو Augusto de Castro الصحفى ووزير البرتغال المفوض السابق بباريس أن الصحفى تغلب عليه كثيراً عند نشر خبر من الأخبار نزعة عدم الفصل بين الخبر فى حد ذاته والتعليق عليه من جانبه . ويدل على ذلك أن أخبار الحوادث التى جرت فى منطقة شرق برلين لا يمكن أن يجرى تأويلها بنفس المعنى الواحد فى جميع بلاد العالم .

ثم أشار إلى أنه يصعب على مديرى الصحف التحقق من صحة الأخبار التى تأتى عن طريق وكالات الأنباء الأجنبية ويكون الغرض منها مجرد الدعاية [٢] .

---

(١) و (٢) دورة أيام الصحافة بإفيان Les Journées d'Evian فى المدة من ٢٩ يونية إلى ٤ يولية سنة ١٩٥٣

ويعقب على ذلك مسيو فيند مراسل جريدة داجنس نهتر بقوله :

« إن الصحفيين ليسوا فنيين ولا معلمين ، وهم معرضون لارتكاب الأخطاء . وليسوا فى الواقع إلا مراقبين ومسجلين . وتعتبر مهمة الصحفى من وجهة الأخبار الدولية أكثر دقة وأبعد أثراً ، حيث يقوم الصحفى فى هذه الحالة بمهمة المؤرخ ، ولو أنه يصعب عليه دائماً تلمس الحقيقة الكاملة » [١] .

يضاف إلى هذا أن بعض الصحفيين — كما يقول الهر جنتر ماركشفيل Günter Markscheffel الألمانى رئيس تحرير جريدة La Liberté فى ماينس Mayence بألمانيا يميلون إلى نشر الأخبار المبالغ فيها لجذب القراء مما يؤدى أحياناً إلى تكدير علاقات الصفاء بين الشعوب ، كما حدث بالنسبة للعلاقات بين الفرنسيين والألمان . [٢] .

كما يقول الهر امبريستر الالمانى مدرس القانون بجامعة (ماينس) أنه من الصعب جمع المعلومات حتى فى ظل حكومة ديمقراطية [٣] .

ومن باب أولى يصعب وجود صحافة فى نظام غير ديمقراطى كما يقول المسيو جان ليك رئيس التحرير بدار الإذاعة الفرنسية — ويستحيل أن يفلت زمام الراديو والسينما والتليفزيون من قبضة الحكومة . وهذا يجعل مسئولية الصحفيين كبيرة ، إذ يقع عليهم أمر عدم الانقياد للسلطات العامة . وفى رأيه أن السينما والراديو لا يكفيان وحدهما لتوجيه الرأى العام [٤] .

وقد أشار المسيو ليونى الأستاذ بكلية الحقوق باستراسبورج إلى الدور الذى يجب أن تقوم به الصحافة لتحرى الحقيقة فى المجال الدولى ، وتكلم عن الوسائل الواجب اتباعها لتحقيق هذا الغرض . وقال إنه فى حالة صحة المعلومات التى تعطيها الحكومات يقتصر دور الصحافة على التعليق عليها بحرية . وأما إذا تبين كذب المعلومات الحكومية فيجب على الصحافة أن تدحض الأكاذيب وتظهر الحقيقة على علاتها . وأما بخصوص الوسائل الواجب اتباعها فإنه قد يتبين أن الوسائل القانونية غير كافية للقضاء على الأخبار الكاذبة ، ولذلك تبدو أهمية ماتقوم به كل دولة لحفظ مستوى الصحافة ، وحتى تسمو فوق الاعتبارات الحزبية والشخصية وتحتل المكانة اللائقة بها .

ويستتبع هذا أنه لابد من إعطاء الضمانات الكافية للمراسلين الأجانب للقيام بمهمتهم . ويجب على الحكومات ألا تضن على الصحفيين الأجانب بالمعلومات الصحيحة [٤] .

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) دورة أيام الصحافة بافيان .

٣ — أن الصحف لا تولى الإحصائيات ما تستحقه من عناية فى هذا العصر الذى يتسم بالتقدم الاقتصادى والعلمى والفنى . والاحصائيات تعتبر دراسة فنية ولا يمكن أن يغفلها أى شخص شغوف بتتبع الأحداث العالمية .

ولما كانت مهنة الصحفى يغلب عليها الطابع التاريخى وفى بعض الأحيان الطابع العلمى فإنه تبدو أهمية تعزيز الخبر بالأرقام .

٤ — أن رئيس التحرير أو بالاحرى رئيس قسم الاخبار الخارجية فى أية صحيفة يومية كبرى يرد إليه سيل جارف من الأخبار الخارجية عن طريق وكالات الانباء المختلفة والراديو والتليفزيون ، وهو مقيد بمساحة الصحيفة التى لا تسمح بنشر هذه الكمية الضخمة من الأنباء والقصص والمعلومات الخارجية . وعليه أن يختار من بينها ما تتسع له المساحة المحدودة المخصصة من الصحيفة للأخبار الخارجية . ولذلك فهو يفاضل بين خبر وآخر ، ويحذف بعض الفقرات من الخبر الواحد ، ويهمل بعض الأخبار إهمالا تاماً واضعاً نصب عينيه دائما أنه لا ينشر من تلك الأخبار الخارجية إلا ما يعرف ويعتقد أنه يروق قراء صحيفته الذين اعتادوا قراءتها ويفضلونها على غيرها من الصحف ، وتشبع رغباتهم وهواياتهم ، وتتفق مع العرف والتقاليد ، فضلا عن سياسة الصحيفة .

ومعنى هذا أن القائم على نشر الأخبار الخارجية فى الصحيفة ليس حر التصرف فى النشر كما يبدو لأول وهلة ، وإنما هو فى حقيقة الأمر مقيد بسياسة الصحيفة ، وطبيعة قرائها ، ودرجة ثقافتهم وميولهم بوجه عام .

ولعل هذا هو السبب فى أن ما ينشر من أخبار خارجية بالصحف العالمية لا يمكن أن نعده كافياً سواء من ناحية الكم أو ناحية الكيف ، لاعلام القارىء بما يجرى فى العالم الخارجى وتزويده بالقسط الكافى من المعلومات التى تؤهله لتكوين رأى سليم فى السياسة الدولية . ولعله السبب أيضاً فى اختلاف صحيفة عن أخرى سواء فى نوع الأخبار الخارجية التى تقدمها للقراء ، أو فى المساحة المخصصة لهذا اللون من الأخبار .

فالصحف الجادة المحافظة التى يقرؤها الصفوة والمثقفون من الشعب تحرص على أن تنشر معلومات مدروسة مستفيضة فى السياسة الدولية والمشكلات الدولية . وهى تهتم أولا وقبل كل شىء بنشر الأخبار السياسية والاقتصادية والثقافية ، وإن كانت لا تغفل الأخبار الإنسانية

بينما تجنح الصحف الشعبية إلى إبراز الأخبار الإنسانية التى تستهوى القارىء العادى أو رجل الشارع وتستحوذ على مشاعر المرأة التى تكوّن نصف المجتمع وتعتبر عميلا هاماً للصحيفة فى الأمم الراقية ، فى حين تضع الأخبار السياسية الخارجية فى المحل الثانى .

ومهما يكن من شىء فإن الصحف اليومية العالمية بوجه عام لا تزال شحيحة فى أخبارها الخارجية بالنسبة لما ينبغى أن تقدمه لقرائها من تلك الأخبار . ولا تزال المساحة المخصصة لهذا اللون من الأخبار محدودة جداً بالقياس إلى الأخبار الداخلية والمواد الأخرى الصحفية .

وقد تبين أن الصحيفة المتوسطة فى الولايات المتحدة الأمريكية تنشر من الاخبار الخارجية مايزيد على أربعة أعمدة بقليل من كل مائة عمود . بينما تنشر الصحيفة المتوسطة فى أوربا والهند أقل من ذلك ، ولو أنها حين تفعل هذا تخصص نسبة أكبر من مساحتها للأخبار الخارجية من مثيلتها الأمريكية . بيد أنه من المشاهد أن الصحف قاطبة ليست مقيدة بحد أقصى أو حد أدنى من المساحة التى تخصصها لإشباع رغبة القراء من الأنواع المختلفة من الأخبار الخارجية .

لكن الذى يعنينا هو كيف يتسنى لأية صحيفة أن تحقق الغرض المنشود من الأخبار الخارجية فى هذه المساحة الصغيرة ؟ وتظهر أهمية هذه المسألة إذ تذكرنا أن قارىء الصحيفة لابد له فى أحيان كثيرة من الاحاطة بالأخبار الخارجية ، حتى يستطيع أن يتابع بعض الأخبار المحلية والوطنية ويفهمها على وجهها الصحيح . وهذا واضح كل الوضوح بالنسبة للمسائل السياسية والدولية التى تشغل بال الرأى العام فى كل دولة على حدة .

وعلى ذلك فالصحيفة مطالبة بتزويد قرائها بالقسط الكافى من الأخبار الخارجية التى تعينهم على تفهم أحوال بلادهم ومشكلات وطنهم فى مجال السياسة والاقتصاد والثقافة .

ثم إن هذه المساحة المحدودة المخصصة للأخبار الخارجية لا يمكن بأية حال أن تصور لنا حياة الشعوب فى الخارج تصويراً صادقاً دقيقاً ، وتعطى القارىء فكرة صحيحة عن تلك الشعوب . وإنما الذى يحدث عادة هو أن الصحف تشير إليها إشارات طفيفة من وقت لآخر . وهى لا تستطيع أن تتابع الحديث عن جميع شعوب الأرض ، وحسبها أن تفعل ذلك بالنسبة لأربعة أو خمسة شعوب فقط . وهى مع ذلك تقدم الشىء اليسير عن حياتها مما لا يشفى الصدر أو يطفىء الغلة .

والذى لا شك فيه أن الأخبار الخارجية أصبحت لها أهمية أكبر منذ قيام الحرب العالمية الثانية . وبعد انتهاء تلك الحرب وتأسيس هيئة الأمم المتحدة التى تضم جل دول الأرض فى صعيد واحد ، أصبحت تلك الهيئة تلعب أهم دور على مسرح السياسة الدولية. فجميع الشعوب — سواء منها الكبيرة أو الصغيرة — حريصة أشد الحرص على متابعة نشاط هذه الهيئة ، وجهود الهيئات المتفرعة منها كمجلس الأمن ومجلس الوصاية الدولية والمجلس الإقتصادى والاجتماعى ومحكمة العدل الدولية وسائر المنظمات الدولية الأخرى فضلا عن الجمعية العامة للأمم المتحدة . ذلك لأنه لم تعد هناك دولة على وجه الأرض لا تمسها من قريب أو بعيد قرارات الأمم المتحدة ونشاط المنظمات الدولية المختلفة . ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن هناك من المواثيق الدولية التى عقدت ما يمس حياة الفرد مباشرة . ومن ذلك على سبيل المثال ميثاق حقوق الإنسان . كما أن هناك من الاختراعات ما يتعلق بحياة الفرد اليومية ويؤثر فى الحياة البشرية ومن ذلك أبحاث الذرة للأغراض الحربية والسلمية . وإذن فقد أصبح من صالح الفرد فى كل دولة أن يحاط خبراً بالماجريات الدولية وأن يكون على صلة مستمرة بالأحداث العالمية والمبتكرات العلمية . وإذا لم يفعل ذلك فإنه يحق لنا أن نقول إنه لا يعيش فى عصره .

لكن للأسف لا يزال اهتمام الناس بالأخبار الخارجية محدوداً حتى فى البلاد الغربية الراقية ، وهم يتفاوتون فى ذلك — كما سبق أن بينا — تبعاً لدرجة الثقافة . وللتدليل على ذلك نسوق الاستقصاء التالى عن الصحافة الأمريكية والذى يبين مدى إلمام الشعب الأمريكى بالأحداث الخارجية ، وهذا الاستقصاء الذى أجرى منذ سنوات قلائل مبنى على سؤال عينة sample من ٢٠٠٠ شخص .

السؤال الأول : هل تعرف أى عمل من الأعمال التى تقوم بها الأمم المتحدة الآن ؟
وإذا كانت الأجابة بنعم عن هذا السؤال يوجه إلى المستجوب السؤال الآتى :

هل تستطيع أن تذكر شيئاً عن هذا العمل ؟

الإجابة

الإجابة	النسبة المئوية
نعم — أعرف العمل وأستطيع أن أذكر عنه شيئاً	٤٦
لا — لا أعرف العمل ولا أستطيع أن أذكر عنه شيئاً	٥٤
	١٠٠

الإجابات عن نوع العمل الذى تقوم به الأمم المتحدة كالآتى :

	النسبة المئوية
حل الحرب الكورية	٢١
مشاكل السلام العالمى	١٩
برنامج الصحة والخدمات	٦
الاقتصاد	٦
التعليم	٣
متفرقات	٢

السؤال الثانى : (أ) ماذا تفيد الحروف .N. A. T. O ؟ *

إذا أعطيت إجابة عن هذا السؤال يسأل المستجوب :

(ب) هل تستطيع أن تخبرنى عما تفهمه عن هذه المنظمة وماذا تعمل؟

التعريف الصحيح لمدلول الحروف .N. A. T. O	٢١
غير قادرين على تعريف الحروف .N. A. T. O	٧٩
	١٠٠

التعريف الصحيح للحروف .N. A. T. O والإجابة الصحيحة على السؤال (ب)	١٦
التعريف الصحيح للحروف .N. A. T. O والإجابة غير الصحيحة على السؤال (ب)	٥
إجابة غير صحيحة على السؤالين أو عدم معرفة شىء عنهما	٧٩
	١٠٠

السؤال الثالث : من هو زعيم الصينيين الوطنيين ؟

إجابة صحيحة	٥١
إجابة غير صحيحة أو لا يعرفون	٤٩
	١٠٠

* وهى الحروف التى ترمز إلى منظمة حلف شمال الأطلنطى .
[North Atlantic Treaty Organisation.]

السؤال الرابع : ما اسم الرجل الذى خلف ستالين كرئيس لوزراء الاتحادالسوفيتى ؟

إجابة صحيحة	٦٠
إجابة غير صحيحة أو لا يعرفون	٤٠
	١٠٠

السؤال الخامس : من هو رئيس وزراء المملكة المتحدة الآن ؟

إجابة صحيحة	٧٩
إجابة غير صحيحة أو لا يعرفون	٣١
	١٠٠

وبالنسبة للمستوى الثقافى كانت النسبة المئوية فى الإجابة على الأسئلة السابقة كالآتى :

١ — ماذا تدل عليه الحروف N. A. T. O. ؟

	طلبة الجامعة	طلبة المدارس الثانوية	طلبة المدارس العالية
قادرون على الإجابة الصحيحة . . .	٥٢	٢١	٧
عاجزون عن الإجابة الصحيحة . . .	٤٨	٧٩	٩٣

٢ — من هو زعيم الصينيين الوطنيين ؟

قادرون على الإجابة الصحيحة . . .	٧٨	٥٦	٣٤
عاجزون عن الإجابة الصحيحة . . .	٢٢	٤٤	٦٦

٣ — ما اسم الرجل الذى خلف ستالين كرئيس لوزراء الاتحاد السوفيتى ؟

قادرون على الإجابة الصحيحة . . .	٨٤	٦٥	٤٤
عاجزون عن الإجابة الصحيحة . . .	١٦	٣٥	٥٦

٤ — من هو رئيس وزراء المملكة المتحدة الآن ؟

قادرون على الإجابة الصحيحة . . .	٩٣	٨٣	٦٨
عاجزون عن الإجابة الصحيحة . . .	٧	١٧	٣٢

وبالنسبة للجنسين كانت النسبة المئوية فى الإجابة كالآتى :

١ — ماذا تدل عليه الحروف .N. A. T. O ؟

	الرجال	النساء
قادرون على الإجابة الصحيحة	٢٧	١٥
عاجزون عن الإجابة الصحيحة	٧٣	٨٥

٢ — من هو زعيم الصينيين الوطنيين ؟

قادرون على الإجابة الصحيحة	٦٠	٤٢
عاجزون عن الإجابة الصحيحة	٤٠	٥٨

٣ — ما اسم الرجل الذى خلف ستالين كرئيس لوزراء الاتحاد السوفيتى ؟

قادرون على الإجابة الصحيحة	٦٧	٥٤
عاجزون عن الإجابة الصحيحة	٣٣	٤٦

٤ — من هو رئيس وزراء المملكة المتحدة الآن ؟

قادرون على الإجابة الصحيحة	٨٣	٧٥
عاجزون عن الإجابة الصحيحة	١٧	٢٥

وحسب تعداد المدينة كانت النسبة المئوية للاجابة كالآتى :

	تعداد المدينة		
	أقل من ٢٥٠٠	نسمة ٢٥٠٠ — ٥٠,٠٠٠	أكثر من ٥٠,٠٠٠
١ — ماذا تدل عليه الحروف .N. A. T. O ؟			
قادرون على الإجابة الصحيحة	١٩	٢١	٢٢
عاجزون عن الإجابة الصحيحة . . .	٨١	٧٩	٧٨
ما اسم الرجل الذى خلف ستالين كرئيس لوزراء الاتحاد السوفيتى ؟			
قادرون على الإجابة الصحيحة . . .	٥٩	٦٢	٦٠
عاجزون عن الإجابة الصحيحة .	٤١	٣٨	٤٠

٤ — من هو رئيس المملكة المتحدة الآن ؟

قادرون على الإجابة الصحيحة . .	٧٦	٨١	٨١
عاجزون عن الإجابة الصحيحة . .	٢٤	١٩	١٩*

نستخلص من الإحصائيات السابقة أن أغلبية القراء يجهلون المعلومات الدولية ، وأن المثقفين أقدر من غيرهم على تتبع الأخبار الخارجية ، وأن الرجال أكثر إلماما من النساء بتلك الأخبار ، وأن سكان المدن الكبرى يتفوقون على سكان المدن الأقل تعدادا من هذه الوجهة .

كذلك ثبت من الاستقصاء أن الأشخاص الذين اعتادوا قراءة الصحف بانتظام هم أكثر إلماما بالماجريات الدولية من غير المواظبين على مطالعة الصحف ، وهذا أمر طبيعى .

تلك هى الحال فى الولايات المتحدة الامريكية على سبيل المثال . ولا بد لنا من أن نلقى نظرة على صحفنا العربية من وجهة الأخبار الخارجية .

والحق يقال أن صحفنا اليومية الكبرى أصبحت تنشر علينا يومياً من الأخبار الخارجية ما يفوق الصحف اليومية الكبرى فى أمريكا وغرب أوروبا سواء من ناحية الكم أو ناحية الكيف . فالأهرام مثلا تخصص يومياً صفحتين كاملتين من صفحاتها (الاثنتى عشرة أو الأربع عشرة أو الست عشرة) لأنباء العالم الخارجى بنسبة تتراوح بين الثمن والسدس أى بين ١٢٫٥ ٪ و ١٦ ٪ من مساحة الجريدة . ومعنى هذا أن النسبة المئوية لمساحة الأخبار الخارجية فى صحيفة الأهرام تزيد على ثلاثة أمثال ما تنشره الصحيفة المماثلة فى الخارج وقد تصل أحياناً إلى أربعة أمثال .

هذا من ناحية الكم . أما من ناحية الكيف فإننا نلاحظ تنوعا كبيراً فى الأخبار الخارجية التى تنشرها صحفنا اليومية الكبرى . فهناك باستمرار أخبار الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والسياسة الدولية خصوصاً فى الدول الكبرى والدول العربية . وهى تعرض بطريقة تمكن القارىء العادى من متابعتها وفهمها بسهولة . وتعمل الصحيفة فى أحيان كثيرة على تفسير ما غمض من السياسة الدولية فى مقالات منتظمة كما تفعل الأهرام ، أو فى تعليقات

---

* The Flow of News. pp. 230-238.

كما تفعل صحف الأخبار والجمهورية والشعب والمساء . وهناك الأخبار الإنسانية والاقتصادية والثقافية والرياضية . . . الخ . وكذلك أخبار الكوارث الطبيعية من فيضانات وزلازل وبراكين وانهيارات ثلجية . . الخ . وصحفنا لا تقصر أخبارها الخارجية على الدول الكبرى والمعسكرين الغربي والشرقي ، بل تشمل أيضاً العالم العربي والعالم الإسلامي ودول الشرق الأدنى والأوسط والأقصى عامة . أى أنها لا تغفل الأخبار الهامة التى ترد إليها من أركان المعمورة الأربعة .

ومعنى هذا أن صحافتنا تخدم قراءها من ناحية الاعلام الخارجى بدرجة تفوق بكثير الصحف الأمريكية والأوروبية. بل إنها تخدم القراء فى جميع البلاد العربية باعتبار القاهرة مركزاً لجامعة الدول العربية وقلباً لنشاط العالم العربى سواء من الوجهة السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية.

وإذن فالمنتظر والحالة هذه أن يكون شعبنا أعلم بالمشكلات الدولية والسياسة العالمية وأحوال الشعوب الأجنبية وأن يكون الرأى العام العربى أكثر نضوجاً ووعياً للمشكلات الدولية المعاصرة ، ما دامت صحافتنا تقدم له كل يوم وجبة دسمة من المعلومات عن الماجريات الدولية .

فهل هذا ما حدث حقاً ؟

الحقيقة المرة أن شعبنا لم يفد مما تقدمه له صحفنا اليومية كما كان منتظراً . فإن قراء الصحف عندنا لا يزالون يكونون نسبة ضئيلة جداً من السكان قد لا تتجاوز المليون أى حوالى ٣ ٪ فقط من السكان . وليت هذه النسبة الضئيلة من القراء كانت كلها تهتم بقراءة الأخبار الخارجية . فالواقع أن الذين يتابعون تلك الأخبار قلة ضئيلة أيضاً من هؤلاء القراء . فلا يعنى بقراءتها سوى المثقفين ، بل نفر قليل من المثقفين ، وأعنى بهم الرأى العام النابه أو الصفوة أو القادة . أما الأغلبية الساحقة من القراء فهم منصرفون عن أنباء العالم الخارجى ، متلهفون على قراءة الأخبار المحلية عامة والأخبار المثيرة خاصة وأخبار الجرائم (خصوصاً الجرائم الجنسية) بوجه أخص .

وإذن فلا بد لهذا الشعب — إذا أراد أن يكون له رأى عام مستنير فى المشكلات الدولية — أن يتضاعف عدد قراء الصحف فيه أولا أضعافاً كثيرة ، ثم على هؤلاء القراء ألا يهملوا قراءة الأخبار الخارجية التى تتكلف صحفنا اليومية مشقة كبيرة فى تقديمها لهم كل يوم ، تلك الصحف التى تفوقت على صحف الغرب فى هذا المضمار .

ونحن لن نصل إلى هذا الطور الذى نرجوه لأمتنا العربية إلا إذا قضينا على الأمية وعممنا التعليم ونشرنا الثقافة بين جميع أفرادها من الجنسين وصنعنا شيئاً فعالا لرفع مستوى المعيشة بين الطبقات المتوسطة والفقيرة وهى التى تكون سواد هذه الأمة .

ما هى مصادر الأخبار الخارجية ؟

أول هذه المصادر من غير شك هى وكالات الأنباء العالمية والإقليمية . وهذه الوكالات تقدم الأخبار الهامة عن جميع البلدان . وللصحف أن تختار منها ما يروق قراءها أو يهم البلد الذى تصدر فيه . وعيب هذه الوكالات — أو معظمها على الأقل — أنها قد تكون متأثرة فى عملها بسياسة دولة معينة ، أو واقعة تحت تأثير اتجاه سياسى معين ، فلا تختار من الأخبار إلا ما يتفق مع هذه السياسة ، وقد تصبغها بصبغة دعائية خاصة .

ولهذا فاننا ننصح بألا تعتمد الصحف كثيراً على وكالات الأنباء فى استقاء الأخبار الخارجية خصوصاً عن المشكلات الخطيرة التى تهم البلد الذى تصدر فيه الصحيفة . بل ينبغى أن تخصص لها مراسلين خصوصيين ليوافوها بالتقارير الدقيقة عن تلك المشكلات . فهؤلاء المراسلون هم الذين يفهمون المشكلة على حقيقتها ، ويقدرون مصلحة وطنهم ، ويعرفون ما يهم بلدهم من أمور .

ولسنا نهون من شأن الصعوبات التى تعترض طريق المراسل الأجنبى وما يتحمله من مشاق جسام من الناحية العائلية إذا كان متزوجا وله أولاد كبار ، ومن الناحية الصحية والناحية الفنية فى عمله إذا كان يعمل فى ميدان الحرب أو فى منطقة موبوءة ، كما أننا لا تقلل من شأن المؤهلات التى يجب أن تتوفر فيه من إحاطة بثقافة قانونية وتاريخية واجتماعية واقتصادية واسعة ، وإتقان للغتين أجنبيتين عالميتين على الأقل ، ومعرفة لثقافة البلد الموفد إليه وتاريخه وعاداته وتقاليده واقتصاده وما يسوده من تيارات سياسية ، لكن المراسل الخاص للصحيفة من أبناء جلدتها إذا عمل فى ظروف طيبة ، وتوفرت له أسباب الراحة النفسية والمعيشية فى البلد الأجنبى ، وكان صالحاً للقيام بمهمته من الناحية الفنية ، هو خير مائة مرة من وكالات الأنباء الأجنبية التى تعتمد عليها الصحيفة فى استقاء الأنباء الخارجية التى تهم البلد الذى تصدر فيه [1] .

(١) للاستزادة فى موضوع الأخبار الصحفية ومعرفة قيمة الصحيفة كوثيقة تاريخية ، راجع كتابنا « الصحافة كمصدر للتاريخ » .

دراسات لغوية (٥ - ٧)

للدكتور السيد يعقوب بكر

الأستاذ المساعد بكلية الآداب — جامعة القاهرة

٥ — إذ وإذا[1] وحيث

يقول النحاة العرب إن إذ وإذا وحيث ظروف[2] مبهمة (انظر المقصود من الإبهام فيما بعد) ، فاحتاجت وجوباً إلى جملة بعدها توضحها وتكشف عن معناها ، كما أن « الذى » وغيره من الموصولات لابد لها من جملة بعدها توضحها وتكون صلة لها ؛ غير أن جملة الصلة لا محل لها من الإعراب ، والجملة بعد إذ وإذا وحيث مضافة إليها فى محل جر .

فالجملة بعد إذ ، وهى ظرف لما مضى من الزمان [3] ، قد تكون فعلية مثل جئتك إذ قام زيد ، وقد تكون اسمية مثل جئتك إذ زيد قائم . وحيث ، وهى ظرف مكان ، تستوى بعدها أيضاً الجملة الفعلية مثل اجلس حيث جلس زيد ، والجملة الاسمية مثل اجلس حيث زيد جالس [4] . أما إذا ، وهى ظرف لما يستقبل من الزمان [3] ، ففيها معنى الشرط ، ولهذا تليها دائماً جملة فعلية كأدوات الشرط . فإذا جاء بعدها اسم ، كما فى قوله تعالى : (إذا السماء انشقت) [٨٤ : ١] ، لم يكن هذا الاسم مبتدأ لجملة اسمية ، وإنما كان فاعلا

---

(١) لا نعرض هنا لإذ وإذا الفجائيتين .

(٢) إذ وإذا وحيث حروف وصل conjunctions لا ظروف adverbs من وجهة نظر النحو الأوربى .

(٣) هذا هو رأى الجمهرة . وانظر ما سوى ذلك من خلافات فى قاموس لين Lane ، ص ٣٩ ، عمود ب ، س ٣٦ وما بعده .

(٤) يقول ابن هشام فى المغنى (ج ١ ، ص ١١٧ ، س ٨) إن إضافة حيث إلى الجملة الفعلية أكثر من إضافتها إلى الجملة الاسمية .

لفعل محذوف يفسره الفعل الظاهر [١] ؛ ولكن أجاز الأخفش والكوفيون وقوع المبتدأ والخبر بعد إذا [٢] ، لأنها ليست شرطاً فى الحقيقة .

ويقول النحاة العرب أيضاً إن الظروف الشبيهة بإذ وإذا وحيث فى الإبهام مثل حين ووقت وزمان ويوم الخ ، تجوز (لا تجب) إضافتها إلى الجملة الفعلية أو الاسمية ، إذا كانت تتعلق بالماضى (كإذ) ، مثل جئتك حين جاء زيد وحين زيد ذاهب . فإذا كانت تتعلق بالمستقبل (كإذا) ، أضيفت إلى الجملة الفعلية دون الاسمية ، مثل أجيئك حين يجىء زيد .

وهم يقولون كذلك إن إذ وحيث لايجازى بهما [٣] ، لأنهما مضافتان إلى الجملة بعدهما ، والإضافة موضحة مخصصة ، والجزاء يقتضى الإبهام ، فيتنافى معنى الإضافة والجزاء ، فلم يجمع بينهما ؛ فإذا أريد ذلك أتى معهما بما يكفهما عن الإضافة وهو « ما » ، فتعودان إلى ماكانتا عليه من إبهام قبل الإضافة ، ويجوز (لايجب) [٤] عندئذ أن تعملا عمل أدوات الجزاء ، وذلك كقول الشاعر :

وإنك إذ ما تأت ما أنت آمر　　　به تُلْفِ من إياه تأمر آتيا [٥]

---

(١) يؤيد فليشر Fleischer هذا الرأى تأييداً قوياً (Kleinere Schriften ، الجزء الأول ، ص ٤٠٠ — ٤٠٣ ، معلقاً على أجرومية دى ساسى de Sacy (الطبعة الثالثة ، الجزء الأول ، ص ٥٢١ ، الفقرة ١١٤٤) .

(٢) ابن عقيل (ط القاهرة سنة ١٩٣٥ ، الجزء الثانى ، ص ٤٧ ؛ ط ليبزج Lipsiae ، ص ٢٠٠) . وهو يقول إن سيبويه يرى الرأى الأول ، أى أن الاسم بعد إذا فاعل لفعل محذوف ؛ ولكنه يضيف بعد ذلك : « وزعم السيراق أنه لا خلاف بين سيبويه والأخفش فى جواز وقوع المبتدأ بعد إذا ، وإنما الخلاف بينهما فى خبره ؛ فسيبويه يوجب أن يكون فعلا ، والأخفش يجوز أن يكون اسما ، فيجوز فى « أجيئك إذا زيد قام » جعل زيد مبتدأ عند سيبويه والأخفش ، ويجوز « أجيئك إذا زيد قائم » عند الأخفش فقط » .

(٣) يقول فليشر (المرجع المذكور ، الجزء الأول ، ص ٦١٤ ، س ١٨ — ٢١) إن حيث قد تكون حرف شرط كحيثما . ولكننى لم أقف على شىء من ذلك فى المراجع العربية المعتمدة .

(٤) يقول ابن هشام (الجزء الأول ، ص ٧٩ أسفل) إن عمل إذ ما الجزم قليل لا ضرورة خلافاً لبعضهم .

(٥) أورده ابن عقيل (ط القاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ ؛ ط ليبزج ، ص ٣٠٠) .

وكقول الشاعر :

حيثما تستقمْ يُقدّرْ لك اللــه نجاحا فى غابر الأزمان [1]

أما إذا فهى تجزم المضارع نادراً وفى الشعر وحده [2] . فإذا ألحقت بها « ما » جاز لها ذلك[3] ، كما فى قول الفرزدق : وكان إذا ما يَسلُلِ السيفَ يضربِ [4] .

* * *

هذا ما قاله النحاة العرب . ولـكن وجه إليهم اعتراضان :

(١) قال نولدكه ، فى رسالة إلى فليشر [5] (فى ٢ أكتوبر ١٨٦٥) ، إن إذا إشارية[6] مثل الذى وذو فى العربية و dī فى الآرامية ، وإنه يجب ألا نعتبر الجملة بعد إذا

---

(١) أورده ابن هشام (الجزء الأول ، ص ١١٨ ، س ٧) ، وابن عقيل (ط القاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ ؛ ط ليبزج ، ص ٣٠٠) . ولا حاجة إلى أن نزعم مع الأخفش (فيما يرويه عنه تاج العروس ، الجزء الأول ، ص ٦١٧ ، س ٦ — ٨) وابن هشام (ص ١١٨) أن حيثما هنا للزمان . وقد فسر الأخفش أيضاً حيث بالحين فى قول طرفة بن العبد :

للفتى عقل يعيش به حيث تهدى ساقه قدمه

(شرح الرضى الكافية (ط الشركة الصحافية العثمانية سنة ١٣١٠ هـ) ، ج ٢ ، ص ١٠٨) ، ولـكن لا مانع هنا من حمل حيث على المكان ؛ وقد تابع ابن يعيش (ط القاهرة ، ج ٤ ، ص ٩٢ ؛ ط ليبزج ، ص ٥٤٥) الأخفش فى هذا الصدد .

(٢) يقول رايت Wright (A Grammar of the Arabic Language ، الطبعة الثالثة ، الجزء الثانى ، ص ١٢ ، الملاحظة ب) :

... it is very rare to find إذا construed with the jussive ...

غير أن دى جويه de Goeje (الذى شارك فى مراجعة هذه الطبعة) أضاف بعد كلمة « rare » : [in prose] ، وهذا يوحى بأن ما هو نادر جداً فى النثر قد لا يكون كذلك فى الشعر . والصواب أن نضع [in poetry] مكان [in prose] ، أى أن إذا تجزم المضارع نادراً جداً وفى الشعر وحده .

(٣) لا يقر سيبويه (الجزء الأول ، ط بولاق ، ص ٤٣٣ أسفل — ٤٣٤ ؛ ط باريس ، ص ٣٨٥ — ٣٨٦) المجازاة بإذا أو حتى بإذا ما .

(٤) ديوان الفرزدق ، ص ٨٠ ، البيت السادس ، الشطر الثانى .

(٥) المرجع المذكور ، الجزء الأول ، ص ١١٣ ، الهامش الأول .

(٦) أدرك فليشر نفسه (المرجع المذكور ، الجزء الأول ، ص ١١٣) قبل ذلك (فى عام ١٨٦٤ حين نشر لأول مرة القسم الثانى من تعليقاته Beiträge على أجرومية دى ساسى ؛ انظر ص ٨٧ ، الهامش الأول) الطبيعة الإشارية لإذ وإذا ، فقال إنها تتجلى حين تكونان للمفاجأة .

مضافة إليها فى محل جر [1] . وقال إن إذا تختلف لذلك عن « حين » التى هى فعلا مضافة إلى الجملة التى تليها .

فنولدكه يعنى فيما يبدو أن إذا إشارية فى الأصل ، وهى لذلك معرفة ؛ وضمائر الإشارة لا يمكن إضافتها لأنها معرفة ، فإن الإضافة لا تأتى إلا للنكرات (حتى تعرف) . ويبدو أن فليشر [2] كان يعنى هذا حين علق على كلام نولدكه بقوله إن « أية أداة إشارية فى الأصل معرفة المعنى » لا يمكن أن تعمل فى مضاف إليه ، شأنها فى هذا شأن الضمائر الإشارية الموصولة « المعرفة المعنى » : ذا وتى والذى الخ .

(٢) يرى فليشر [3] أن إذ وإذا لا تحددان زمن الجملة التالية ؛ فليست إذ بالضرورة

---

(١) يتفق رايت (المرجع المذكور ، الجزء الثانى ، ص ١١ ، الملاحظة ا) إلى حد ما مع النحاة العرب فى قوله إن إذا « اسم منصوب مضاف ، يعمل فى الجملة الفعلية التى تليه فتكون فى محل جر » .. وهو (الجزء الأول ، ص ٢٩٢ أعلى) يربط إذا (وإذ وإذن) باسم قديم زال عن الاستعمال هو إذ « زمان » ، ترد صيغة الجر منه فى حينئذ ويومئذ الخ .

ونرد على ذلك بأن صيغة المنصوب المضاف من هذا الاسم القديم المفروض يجب أن تكون « إذَ » لا إذا ، انظر إفالد Ewald (Ausführliches Lehrbuch der hebräischen Sprache ، الطبعة الثامنة ، ص٥٢٩ ، الهامش الأول) . والواقع أن إذا مركبة من العنصرين الإشاريين : الهمزة (مكسورةً) والذال (محركةً بفتحة ممدودة) ؛ وقد سبق ترمب Trumpp. (Der Bedingungssatz im Arabischen [Sitzungsberichte der königlich—Bayerischen Akademie der Wissenschaften Philosophisch—Philologische und Historische Klasse. Bd. II, Heft IV] ، ص ٤٢٠) إلى مثل هذا الرأى ، حين قال إن إذا فى الأصل كلة إشارية مركبة من i + dā ومعناها « das da » أو « siehe da » ، وهو معنى لا تزال تحتفظ به إلى حد ما .

(يرى مارتن هارتمان Martin Hartmann (Zu araitaka : OLZ ، المجلد ١٤ (١٩١١) ، العمود ٢٩٥) رأى رايت من أن إذا مشتقة من اسم قديم زال عن الاستعمال هو إذ « زمان » .)

(٢) المرجع المذكور ، الجزء الأول ، ص ١١٣ ، الهامش الأول .

(٣) المرجع المذكور ، الجزء الأول ، ص ١١٢ ، السطور الستة الأخيرة (حيث يعترض على دى ساسى الذى يتبع النحاة العرب) ؛ و ص ٤٥٣ ، السطور ١٤ — ٢٣ (بصدد إذ) ؛ و ص ٤٥٥ ، السطور ١٥ — ٢٣ (بصدد الجملة الاسمية بعد إذ وكيف أنها تحتمل كجميع الجمل الاسمية الإشارة إلى الماضى أو الحاضر أو المستقبل) .

للزمان الماضى وإذا لما يستقبل من الزمان[1] ، وإنما السياق هو الذى يحدد زمن الجملة .

* * *

فعلى هدى ما قاله النحاة العرب ، وما اعترض به عليهم نولدكه وفليشر ، يمكن أن نصف طبائع إذ (ما) وإذا (ما) وحيث (ما) ووظائفها على النحو التالى :

(١) إذ وإذا لا تنطويان فى نفسهما على زمن معين (انظر الاعتراض الثانى) .

(٢) تتصدر إذ وحيث جملة فرعية تشير إلى مناسبة خاصة . فأقوم إذ تقوم = أقوم فى تلك المناسبة الخاصة التى تقوم فيها . وكذلك أقوم حيث تقوم = أقوم فى المكان الخاص الذى تقوم فيه (لا فى كل مكان) . ولكن يبدو أن لإذا طابعاً أعم ، فأقوم إذا تقوم = أقوم عادة حين تقوم ، أو أقوم كلما قمت ، أو أقوم إن قمت .

فهذا هو السبب فى أن إذا قد تستعمل أداة شرط ، وإن كان ذلك نادرا وفى الشعر وحده . فطبيعتها العامة إلى حد ما تعينها على أداء هذه الوظيفة . ولكن لا يمكن استعمال إذ وحيث أداتى شرط ، لأنهما تخصصان حدثاً تم أو فى سبيله إلى التمام أو سيتم قطعاً .

فإذ when تختلف عن متى الشرطية whenever . ولهذا قال ابن يعيش[2] إن إذ تدل على الزمان المعين ، ومتى على الزمان المطلق .

(٣) يبدو أن دلالة إذ وحيث على مناسبة خاصة هى التى حدت بالنحاة العرب إلى أن يعتبروهما مضافتين إلى الجملة التالية . فالواقع أن إذ وحيث ، لارتباطهما الوثيق بالجملة التالية ، تبدوان وكأنهما مضافتان إليها ؛ فكما يشير المضاف إلى شخص أو شىء معين ، تشير إذ وحيث إلى الحدث المعين الذى تشتمل عليه الجملة التالية .

أما إذا فلها طبيعة أعم من طبيعة إذ وحيث ، ولكن قوة التعميم generalizing force فيها أقل منها كثيراً فى أدوات الشرط الحقيقية . فإذا كانت شرطية ، لم تدل على حدود معينة ؛ ولكن هذا استعمال نادر . وإذا كانت تشير إلى مناسبة خاصة ، لم تكن لها قوة شرطية ؛ وهذا الاستعمال فيما يبدو هو الذى جعل النحاة العرب يعتبرونها أيضاً مضافة إلى الجملة بعدها .

---

(١) يوافق رايت (المرجع المذكور ، ج ٢ ، ص ٢٩١ أسفل — ٢٩٢ أعلى) النحاة العرب فى قوله إن إذ تدل على الزمان الماضى ، وإذا عادة على الزمان المستقبل .

(٢) ط القاهرة ، الجزء الرابع ، ص ٩٨ ، س ٦ ؛ ط ليبزج ، ص ٥٥٠ ، س ٢٢ .

(٤) عندما يصف النحاة العرب إذ وإذا وحيث بأنها مبهمة ، لا يعنون فيما يبدو أنها منكرة بطبيعتها (انظر الاعتراض الأول) . فمقارنتهم لها بالذى وغيره من أسماء الإشارة ، وهى معرفة ، تدل على أنهم لم يكونوا يعتبرونها نكرات . والظاهر أنهم لا يعنون بالإبهام إلا أن إذ وإذا وحيث تحتاج إلى مزيد من التحديد ، كما يحتاج اسم الإشارة إلى بيان المشار إليه والمضاف إلى بيان المضاف إليه .

(٥) عندما تلحق ما بإذ وإذا وحيث تجعلها قادرة على أن تعمل عمل أدوات الشرط الحقيقية . والنحاة العرب يسمون ما هذه « كافة » ، بمعنى أنها تفصم الصلة المباشرة بين الأداة والجملة التالية ، فلا تعمل الأداة فى الجملة التالية خاصة عمل المضاف فى المضاف إليه ، وإنما تعمل فى الجملتين التاليتين فتكون إحداهما فرعية هى جملة الشرط والأخرى أساسية هى جملة الجواب .

فمعنى الكف هنا التعميم بعد التخصيص . وهذا يصدق تماماً على « ما » فى إذ ما وحيثما ، لأن إذ وحيث قبل زيادة ما لا تكونان إلا « مضافتين » على حد قول النحاة العرب . وهو يصدق أيضاً على إذا ، إن كانت « مضافة » أيضاً قبل زيادة ما ؛ فإذا كانت شرطية (وهو استعمال نادر مقصور على الشعر) ، ثم زيدت عليها ما ، لم تكن ما كافة وإنما كانت مؤكدة لمعنى التعميم (أو معنى الشرط) فى إذا .

وقد تلحق ما بإذ وإذا وحيث فتظل على ما كانت عليه من « الإضافة » ، ولا تعمل عمل أدوات الجزاء ؛ فتكون ما هنا مقوّية للصلة بين الأداة والجملة التالية . وما فى هذه الحالة إشارية تتقبل عمل الأداة قبلها ، وتوصله إلى الجملة بعدها ، فكأن هذه الجملة بدل منها . فقولك أقوم إذ ما تقوم بمثابة قولك : أقوم وقت (= إذ) هذا (= ما) : تقوم ، أى أقوم وقت قيامك خاصة دون أى شيء آخر .

وهذه الدلالة الإشارية هى الأصل فى دلالة التعميم . ولهذا نظائر كثيرة فى اللغة العربية وغيرها ؛ ولنكتف بمثل واحد من العربية هو أىّ ، فهى إشارية ولا ريب عندما تكون منادى فى « يا أيها الرجل » ، ولكنها تفيد التعميم فى « خذ أى شىء تريد » .

٦ — إن النافية

يرى بروكلمان Brockelmann [١] أن إن النافية تطورت عن أين الاستفهامية على هذا النحو : 'aina < 'ain "[٢]* < 'īn *< 'in . وليس من الغريب أن يتطور الاستفهام إلى نفي ، فنحن نعرف أن من الاستفهام ما قد يكون للإنكار ؛ ويطلق على هذا الاستفهام الإنكارى فى اللغات الأوربية اسم الاستفهام البلاغى rhetorical question . ولتطور دلالة أين من الاستفهام إلى النفى نظائر فى سائر اللغات السامية . ففى العبرية نجد 'ayin « أين ؟ » [٣] تتطور إلى 'ayin و 'ēn النافيتين . وفى الأكدية نجد a-a-nu و ia-nu و ia-'-nu [٤] « أين ؟ » ؛ ولكن نجد دلالة النفى فى ia-nu و ia-a-nu و ia - ' - nu فى الرسائل البابلية التى ترجع إلى العصر المرجونى [٥] ؛ وللنفى أيضا ia-nu فى لهجة نوزى [٦] ، و ia-na و i-ia-nu فى رسائل تل العمارنة [٧] ، و ia-nu و ia-nu-u و i-ia-nu فى لهجة بوغاز — كوى [٨] .

فإن النافية ونظائرها فى اللغات السامية الأخرى متطورة عن أين الاستفهامية ونظائرها . وأين الاستفهامية ونظائرها هى فى الأصل 'ai ، ثم ألحقت نون . وهذا الأصل 'ai يستعمل

---

(١) Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen ، الجزء الثانى ، ص ١١١ ، الهامش الأول . وهذا الرأى صورة معدلة من الرأى الذى أبداه فى الجزء الأول من الكتاب نفسه ، ص ٦٣ أعلى .

(٢) النجمة رمز اصطلاحى يراد به أن الكلمة غير واردة فعلاً .

(٣) كذلك نجد 'ān (<'aina) و 'ānā (بزيادة ā —) و 'ān (بزيادة —) . وسيرد ذكر 'ānā مرة أخرى فى المسألة التالية (هنا وثمّ)

(٤) ديلتش Delitzsch : Assyrische Grammatik (الطبعة الثانية ، ص ٢١٧) ؛ و Assyrisches Handwörterbuch (ص ٤٨ ، عمود ب أسفل) .

(٥) إلفيزاكر Ylvisaker : Zur babylonischen und assyrischen Grammatik ، ص ١٥ أسفل .

(٦) جوردون Gordon : The dialect of the Nuzu tablets : Orientalia ، السلسلة الجديدة ، المجلد السابع (١٩٣٨) ، ص ٢٢٨ (§ 8.5) .

(٧) بول Böhl : Die Sprache der Amarnabriefe ، § 34 f .

(٨) لابات Labat : L'Akkadien de Boghaz-köi ، ص ١٢٣ أسفل .

أيضاً للاستفهام عن المكان فى اللغة العبرية ، حيث يتحول حسب قوانينها الصوتية إلى ēʼ .
وهو يدل على النفى كذلك فى لغات سامية أخرى[1] ؛ وفى هذا دليل قاطع على صحة ماقوله
من تطور إن النافية ونظائرها عن أين الاستفهامية ونظائرها[2] .

ولكن ثمة آراء أخرى فى تفسير إن النافية . فنليشر[3] يرى أنها وضعت أصلا
للنفى مثل ayin العبرية (ولكن ما الدليل على أن الكلمة العبرية وضعت أصلا للنفى؟) .
وهو يرفض ما يزعمه بعض العلماء من أن إن النافية نشأت عن إن الشرطية ، ويدلل على
فساد هذا الزعم بأن إن الشرطية لاتستعمل إلا مع الجمل الفعلية ، فتجزم المضارع بعدها إن
كان بعدها مضارع ، فإذا كان ما بعدها ماضياً جعلته فى معنى المضارع ؛ أما إن النافية فهى
تستعمل مع الجمل الفعلية والاسمية سواء ، وإذا استعملت مع جملة فعلية تركت المضارع
على حالة الرفع ولم تغير معنى الماضى .

---

(1) نجد فى الحبشية ـــ ʼī ؛ انظر دلمان Ethiopic Grammar: Dillmann (لندن ، ١٩٠٧) ، ص ٣٠٠ أسفل . وفى النقوش الحبشية القديمة نجد ـــ ʼai إلى جانب ـــ ʼī ؛ انظر لتمان Sabäische, griechische und altabessinische Inschriften : Littmann ، ص ١٤ (فيما يتعلق بالسطر الثانى من النقش السادس) و ٨١ (س ١٩ ـــ ٢١ من أسفل) .
ونجد فى العبرية ʼī ؛ انظر جزنيوس-كاوتش Hebrew Grammar: Gesenius-Kautsch (الطبعة الثانية ، أكسفورد ١٩١٠) ، § 152 q . ولكن قارن بذلك ما يقوله بير Beer بصدد سفر أيوب ٢٢ : ٣٠ فى Biblia Hebraica (نشر كيتل Kittel ، ١٩٤٩) .
ونجد فى الفينيقية ʼy ؛ انظر هاريس A Grammar of the Phoenician : Harris Language ، ص ٧٤ .
ونجد فى الأكدية ai و ā و ē ؛ انظر فون سودن Grundriss der : von Soden akkadischen Grammatik ، i § 81 .

(2) فى الحبشية نظير لإن النافية هو ʼen فى ʼendāʼī « ربما » (فى الأصل « لا أعرف ») ، و ʼenbeya (ومنها صورة أقدم هى ʼenbī) « لا أستطيع » (حرفياً : « ليس بى ») ، و ʼenbeka (أو ʼenbīka) « لا تستطيع (أنت) » ، و ʼenbīkemū « لا تستطيعون » ، انظر دلمان ، المرجع المذكور ، ص ٣٨٧ أسفل و ٣٨٠ آخر سطر ـــ ٣٨١ .
و ـــ ʼen هذه مركبة هى أيضاً فى الأصل من n+ʼai . و ʼai هذه تستعمل للنفى أيضاً فى صورة ـــ ʼī التى ذكرناها فى صدر الهامش السابق ، كما أنها ترد للاستفهام فى ʼaitē « أين ؟ » (tē ـــ هنا تقابل na ـــ فى أين وأمثالها) .

(3) المرجع المذكور ، الجزء الأول ، ص ٤٤٧ آخر سطرين ـــ ٤٤٨ .

ويقرر بارت Barth [1] رأى فليشر . وهو يأتى بدليل آخر على خطأ من يرجع إن النافية إلى إن الشرطية . هذا الدليل هو أن en' الحبشية التى تقابل إن النافية لا تستعمل للشرط (فإن أداة الشرط فى الحبشية هى a (𐩣) em')، فلا بد إذن أن إن النافية فى العربية ليست من إن الشرطية .

ويرى ركندورف[2] Reckendorf أن إن النافية مرتبطة بإنّ (حرف التوكيد والنصب) وبإن الشرطية ، ولكن لم يتطور معنى النفى عن معنى الشرط ، لاختلاف تركيب الجملة مع إن النافية عنه مع إن الشرطية . وهو يقول إنه لما كانت إنْ تستعمل كثيرا مع ما النافية فى مثل قول امرىء القيس فى معلقته : « وما إن أرى عنك الغواية تنجلى » ، فإنه يمكن القول إن إنْ لم تكن فى الأصل للنفى ولكن للاثبات (كإن) ، فاستعملت لتوكيد النفى فى ما ، ولكنْ نُظر فيما بعد إلى إنْ فى (ما إن) على أنها أداة نفى فاستعملت كذلك وحدها فى مثل قوله تعالى فى سورة الأنبياء (الآية ١٠٩) : « . . . وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعَدون » [3] .

وأقل الآراء احتمالا ما يقوله ر . ينسن [4] R. Jensen من أن معنى النفى فى إن العربية و en' الحبشية يرجع الى النون ! ويرى أيتان Eitan[5] الرأى نفسه ، ولكنه يطبقه أيضاً على نظائر إن فى اللغات السامية الغربية . وهو يقول إن هذه النون النافية من أصل مصرى ، نفى المصرية القديمة نجد n ، وأحيانا nn ، أكثرَ صور النفى استعمالا .

---

(١) . . . Die Etymologie von arab. إنْ "nicht" ؛ ZDMG ، المجلد ٦٨ (١٩١٤) ، ص ٣٦٠ — ٣٦١ .

(٢) Die syntaktischen Verhältnisse des Arabischen ، ص٨٣ آخر سطر–٨٤ .

(٣) هذه الآية الكريمة تدلّ على خطأ رابين Rabin (Ancient West-Arabian ، ص ١٧٨ ، س ١٤ — ١٥) فى قوله إنّ إنْ النافية لا ترد فى القرآن إلا مع أداة الاستثناء إلا . ويورد ابن هشام (الجزء الأول، ص ٢١) آيتين أخريين لا ترد فيهما إن النافية مع إلا .

(٤) Ausruf, Frage und Verneinung in den semitischen Sprachen ؛ Zeitschrift für Völkerpsychologie und Sprachwissenschaft ، المجلد ١٨ (١٨٨٨) ، ص ٤٢٦ (IV.a) .

(٥) Hebrew and Semitic Particles ؛ AJSL ، المجلد ٤٥ ، العدد الثانى (يناير ١٩٢٩) ؛ ص ١٣٩ — ١٤٠ .

٧ ــ هنا وثَمَّ

من الجلى أن هنا مركبة من العنصرين الإشاريين الهاء والنون . ويرد هذان العنصران أيضا ، ولكن بحركتين مختلفتين ، فى هَـنِى التى تؤدى نفس المعنى [١] . وفى لغة رأس شمرا نظير لهذا كله هو hn [٢] .

فإذا زدنا نونا قويت الدلالة الإشارية وأمكن الإشارة إلى البعيد ؛ فَهَنّا بفتح الهاء وتشديد النون بمعنى هناك [٣] ، وقد تكسر الهاء فيقال هِنّا ولكن هذه أقل ورودا [٤] . وللصيغة هِنّا نظير فى العبرية هو hènnā ؛ ولكنها لا تعنى « هناك » ، وإنما « إلى هنا » (غالبا) أو « هنا » (قليلا) .

أما ثَمَّ فتقابلها šām فى العبرية ؛ و šm فى نقش ميشع المؤابى (س١٢ و ١٧ و ٣٠ و ٣٢) ونقش هداد الآرامى ؛ و tām أو hāṯām (بزيادة hā) فى التلمود . وفى لغة رأس شمرا نظير بالثاء كالصيغة العربية هو ṯm [٥] .

ومن الواضح أن هذه الصيغ كلها مركبة من ثاء أو شين أو تاء إشارية + ميم مشددة أو مخففة هى أيضا إشارية . فأما اختلاف الحرف الأول فمرجعه إلى أن الثاء العربية تقابلها شين فى العبرية وتاء فى الآرامية (ولكن شذ عن ذلك نقش هداد الآرامى) [٦] . والميم مشددة فى الصيغة العربية ؛ وهى أيضا مشددة أصلا فى الصيغة العبرية وصيغتى التلمود ، ثم أزيل الإدغام وعوض عنه بمد حركة الحرف الأول ، وهى فتحة . والحرف الثانى (أى

---

(١) يروى اللسان وتاج العروس (مادة هنا) عن ابن سيده قوله « جاء من هنى » ، أى من هنا .

(٢) انظر جوردون : Ugaritic Handbook (الطبعة الأولى ، روما ١٩٤٧) ، الجزء الأول ، 11.3 § .

(٣) ولكن يقول الجوهرى فى الصحاح إن هَنّـا بمعنى هنا ، ولكن هَنّالك بمعنى هناك .

(٤) انظر ابن يعيش (ط القاهرة ، ج ٣ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ ؛ ط ليبزج ، ص ٤٥٤ — ٤٥٥) ، والرضى (شرح الكافية ، ج ٢ ، ص ٣٤ أسفل — ٣٥ أعلى) ، وابن عقيل (ط القاهرة ، ج ١ ، ص ٧٥ ؛ ط ليبزج ، ص ٣٧) .

(٥) انظر جوردون ، المرجع السابق ، الجزء الأول ، 11.2 § .

(٦) انظر روزنتال Rosenthal : Die Sprache der palmyrenischen Inschriften ... (MVAG ، المجلد ٤١ ، العدد الأول (١٩٣٦)) ، ص ٨٣ ، هامش ١ .

الميم المشددة فعلا أو أصلا) محركة أيضا بالفتحة فى العربية ؛ وكانت محركة بها أيضا فى الصيغة العبرية وصيغتى التلمود ، ولكن أسقطت لما هو معروف من أن العبرية والآرامية تحذفان الحركات القصيرة فى أواخر الكلمات (وهذا سبب خلوهما من الإعراب) ، فإذا أردنا الاحتفاظ بها لجأنا إلى مدها .

وقد حدث هذا المد فعلا فى šāmmā العبرية ، و tammā فى أرامية العهد القديم وأرامية أوراق البردى المصرية .

وظاهر أن هاتين الصيغتين مركبتان من šām أو tam + mā . فالفتحة الطويلة فى الآخر هى حركة الميم الثانية لا حركة الكلمة جملة ؛ ومن هنا يتضح خطأ من ظن أن ā فى šāmmā هى النهاية المكانية locative ending المعروفة فى اللغة العبرية [1] ، وهى طبعاً تلحق بالكلمة جملة . ومما يدل أيضاً على خطأ هذا الرأى أن النهاية المكانية تدل عادة على الاتجاه ، ولكن šāmmā قد تعنى « هناك » (دون اتجاه) إلى جانب « إلى هناك » . كذلك hènnā الآتية الذكر مركبة من hen + nā ، والفتحة الطويلة الأخيرة تنتمى إلى النون الثانية لا إلى الكلمة جملة ؛ وهى ليست النهاية المكانية كما يزعم كونيج (انظر هامش ١ فى هذه الصفحة) . وهذا التفسير يصدق أيضاً على ʼānā « أين ؟ ، إلى أين ؟ » (التى أشرنا إليها عند الكلام عن إن الثانية) ، فهى أيضا لا تنتهى بالنهاية المكانية كما يزعم كونيج وألسهاوزن (انظر هامش ١ فى هذه الصفحة)[2] .

* * *

---

(١) هذا رأى كونيج König (Historisch-kritisches Lehrgebäude der hebräischen Sprache ، الجزء الثانى ، ص ٢٥٨ — ٢٦١) ، وألسهاوزن Olshausen (Lehrbuch der hebräischen Sprache ، 130 b §) ، وبارث (Die Kasusreste im Hebräischen ؛ ZDMG ، المجلد ٥٣ (١٨٩٩) ، ص ٥٩٦ ، هامش ١) .
وقد غر هؤلاء العلماء على ما يبدو أن النبرة فى šāmmā تتم قبل المقطع الأخير ، كما هى الحال مع الكلمات الملحقة بها النهاية المكانية .

(٢) يذكر ميك Meek (The Hebrew accusative of time and place ؛ JAOS ، المجلد ٦٠ (١٩٤٠) ، ص ٢٣٢ — ٢٣٣) أيضاً أن الحركة الأخيرة فى هذه الظروف الثلاثة هى النهاية المكانية ؛ ويستدل بأن معنى hennā و šāmmā ليس دائماً « إلى هنا (ك) » ، وبأن الصيغة البسيطة šām قد تعنى أيضاً « إلى هناك » ، على أنه يفسر هذه الحركة الأخيرة ==

ونرجع إلى ثَمّ العربية . فنقول إن حرف العطف ثُمّ (الذى يفيد الترتيب مع التراخى) قد يكون متفرعا عنها ، وذلك بأن صارت فتحة الثاء ضمة على سبيل المماثلة assimilation للميم (لأن الحروف الشفوية ومنها الميم تناسبها الضمة أكثر مما تناسبها الفتحة والكسرة).[1] ولا يستبعد ركندورف[2] أن تكون ثُمّ متفرعةعن فَمَّ (وهى بنفس المعنى) على سبيل المخالفة dissimilation (حتى لايتجاور حرفان شفويان) ، وهو يربط فم هذه بالظرف pō «هنا ؛ إلى هنا» فى العبرية ؛ ولكن الأرجح أن تكون فم هى الفرع لا الأصل ، نشأت عن ثُمّ على سبيل المماثلة ، كما نشأت فوم عن ثوم[3] فى العربية أيضاً .

= تفسيراً يختلف عن تفسيرنا ، فهى فى رأيه تقابل التاء الإشارية فى الصيغة ṯmt «هناك» فى رأس شمرا ، ونرد عليه بأن التاء فى ṯmt هذه تقابل تماماً ta — فى ثمّت العربية ؛ و ta — هذه لايمكن فصلها عن ta — فى رُبَّتَ ؛ ولما كانت ربت هذه تقابل rabbat فى العبرية (بتاء لا بـ ā — [רַבַּת]) و rebbat فى السريانية ، دلّ هذا على أن النهاية ā — فى šāmmā العبرية لا تقابل التاء فى ṯmt فى لغة رأس شمرا .

(1) هذا رأى بروكلمان (المرجع المذكور ، الجزء الأول ، 108 a § و 75 b §) ؛ وقد لاحظ ترمب أيضاً قبله (المرجع المذكور ، ص٣٣٨ ، هامش ١) العلاقة فى البلية بين ثَمَّ وثُمّ .

(2) المرجع المذكور ، ص ٤٦٦ ، هامش ١ .

(3) تقابلها šūmu فى الأكدية و šūm فى العبرية و tūmā فى الأرامية . انظر بروكلمان ، المرجع المذكور ، الجزء الأول ، 66 a § .

سلسلة الوثائق التاريخية القومية

مجموعة الوثائق المملوكية

١

وثيقة الأمير آخور كبير قراجا الحسنى

دراسة ونشر وتحقيق الدكتور عبد اللطيف ابراهيم على

مدرس الوثائق بكلية الآداب — جامعة القاهرة

أولا — الدراسات التاريخية والوثائقية

١ — الدراسة التاريخية :

هذه وثيقة عربية وسيطة من عصر المماليك الجراكسة فى مصر لم تر النور قبل اليوم إذ لم يسبق نشرها أو تحقيق ودراسة ما حوته من معلومات قيمة فيما ظهر من دراسات فى حضارة مصر المملوكية ، وهى إحدى الوثائق العربية التى عزمنا على إخراجها تباعاً فى سلسلة الوثائق التاريخية القومية ، وهذه الوثيقة نموذج من وثائق الوقف العربية المخطوطة بمحفوظات وزارة الأوقاف بالقاهرة [١] .

---

(١) مما يجدر ذكره أنه لم تظهر من هذه الوثائق فى عالم المطبوعات سوى ما نشره .

Mayer (L. A.): *The buildings of Qaytbay as described in the endowment deed.* London, 1938.

وهى جزء من وجه Recto وثيقة وقف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى بمحفوظات الأوقاف رقم ٨٨٦ (كتاب مجلد) وهى نسخة أو صورة منقولة من الصورة الطومار الرق رقم ٨٨٨ بأرشيف الأوقاف من الأصل الورق الفاقد ، وعدد الصفحات التى نقلها ١٦٣ صفحة نشرت فى ٨٧ صفحة دون تحقيق أو تعليق علمى . ورغم أن الأستاذ ماير Mayer قد وعد فى مقدمته بعمل معجم المصطلحات الفنية التى وردت فى هذه الوثيقة إلا ان شيئاً منه لم يظهر حتى كتابة هذه السطور .

والوثيقة تفيد فى دراسة التاريخ والآثار والحياة الاجتماعية والدينية فى عصر المماليك باعتبارها منبعا أصيلا بكرا ومصدرا صادقا جديدا لاعداد الأبحاث العلمية عن حضارة مصر الاسلامية فى أزهر عصر من عصورها .

وهذه الوثيقة عبارة عن حجة وقف الأمير قراقجا الحسنى ، وهى وثيقة دبلوماتية متكاملة الأركان من الناحية القانونية عثرت عليها منذ سنوات أثناء دراساتى لمجموعات الوثائق المختلفة بمحفوظات الأوقاف مسجلة تحت رقم ٩٢

* * *

والأمير سيف الدين قراقجا [١] بن عبد الله الحسنى الظاهرى أمير آخور كبير [٢] من الشخصيات الكبرى فى تاريخ الدولة الجركسية رغم أنه لم ينل حقه من الشهرة الواسعة والصيت الذائع وأصله من مماليك الظاهر برقوق ، نزل كغيره من المماليك فى الطباق السلطانية [٣] بقلعة الجبل وطالت أيامه فى الجندية إلى أن صار أمير عشرة بعد موت السلطان المؤيد شيخ المحمودى ، واستمر رأس نوبه سنينا حتى أنعم عليه الأشرف برسباى الدقماق

---

(١) قراقجا لفظ يتكون من مقطعين ، قره بمعنى أسود ، وخوجه بمعنى أستاذ ، ومن ثم فمعناها الأستاذ الأسود . وقد ورد الاسم بالرسم المثبت فى المتن فى كل من الوثيقة والنقش الذى فى طراز مدخل مدرسته بدرب الجاميز أما فى العينى : عقد الجمان (مخطوط بدار الكتب المصرية) القسم الرابع ص ٦٩١ ، ٧١٧ ، ٧٣٤ ، ٧٦٧ فقد ورد الاسم « قراخجا » .

(٢) وظيفة يتحدث متوليها على الاصطبلات السلطانية ويتولى أمر ما فيها من الخيل والبغال والابل وغيرها ، والكلمة مركبة من لفظين عربى وفارسى بمعنى أمير المعلف وعادته أن يكون مقدم الف ويكون ساكناً بالأصطبل السلطانى ودونه ثلاثة من أمراء الطبلخاناه ويتبعهم جماعة من أمراء العشرات والاجناد ، أما السراخورية فهم فئة المكلفين بعلف الخيل وغيرها من الدواب .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٢ (الحاشية وما بها من مراجع) ، القلقشندى : ضوء الصبح المسفر ص ٢٤٦ ، المقريزى : السلوك (نشر زيادة) ج ١ ص ٤٣٨ حاشية ٣

(٣) طباق المماليك هى ثكناتهم ولم تكن الطباق فى قلعة الجبل وقصور الأمراء واصطبلاتهم فوق بعضها بارتفاع كبير كما يفهم من المعنى الحرفى للفظ بل كانت متجاورة بجانب بعضها أو على ارتفاع دور بن علو الاصطبلات عادة . وكان يجاور طباق المماليك ميضأة ومصلى وبئر ماء معين .

المقريزى : السلوك ج ٢ ص ١٥٦ حاشية ٢ . عبد الرحمن زكى : قلعة مصر ص ٣٥ — ٣٨ وثيقة الأمير طومان باى أوقاف ٨٨٢ ص ٥٢٤ ، ٥٣٤ (تحت الطبع) وثيقة قايتباى محكمة (بدون رقم) . عبد اللطيف ابراهيم : سلسلة الدراسات الوثائقية — الوثائق فى خدمة الآثار (بحث فى كتاب المؤتمر الثانى للاثار فى البلاد العربية) ص ٢١٢ حاشية ١

بامرة طبلخاناه ثم رقى إلى رتبة أمير مقدم ألف وهى من أكبر مراتب الدولة المملوكية وبعد مدة خلع عليه السلطان أبو سعيد جقمق العلائى الظاهرى فى أحد الربيعين من سنة اثنين وأربعين وثمانمائة برأس نوبة النوب عوضاً عن الأمير تمراز القرمشى بحكم انتقاله إلى الامير أخورية الكبرى بعد القبض على الامير جانم الاشرفى .

ولعب قراقجا الحسنى فى سنة ٨٤٢ هـ دوراً كبيرا فى الصراع الذى نشب بين السلطان جقمق والاتابكى قرقماس ، إذ اشترك مع كل من الامراء مقدمى الالوف بيبغا الطيار وتمرباى ويشبك السودونى وتمراز وتغرى بردى البطمش البكلمشى الشهير بالمؤذى وغيرهم من أعوان السلطان فى هدم قرقماس الذى فر هاربا واختفى عند الجزيرة الوسطى[1] حتى تمكنوا من القبض عليه وارساله إلى الاسكندرية منفياً ، واستمر قراقجا فى وظيفته زمنا حتى صار امير آخور كبير - وناظرا على المدرسة البرقوقية - بدلا من تمراز الذى انتقل إلى إمرة السلاح[2] .

وكثيراً ما كانت السلطنة المملوكية تعتمد على الامير قراقجا الحسنى فى إقرار حالة الامن والقضاء على المتمردين فى داخل البلاد وخارجها ، ففى يوم الخميس ١٦ ذى الحجة ٨٤٨ هـ

---

(١) الجزيرة الوسطى أو الوسطانية هى المعروفة فى وثائق العصور الوسطى وكتب التاريخ باسم جزيرة اروى ، وهى جزيرة الزمالك حالياً ، انحسر عنها الماء بعد سنة ٧٠٠ هـ وبنى الناس فيها الدور والأسواق والجوامع وغرست فيها البساتين ، وكانت من أماكن اللهو ومن أحسن منتزهات القاهرة ، وتلاشى أمرها سنة ٨٠٦ هـ ثم عمر السلطان اينال بها مراكب أغربة عند التجريدة التى عينها لجزيرة قبرص ، وبدأ عمار الجزيرة منذ سنة ٢٦٢ هـ ، وكانت بها أوقاف كثيرة لكل من قايتباى والغورى وخاير بك من مال باى . وثيقة قايتباى أوقاف ٨٨٦ ص ٣٦ ، ١٠٥ ؛ وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٠٢٧ (دراسة ونشر وتحقيق الدكتور عبد اللطيف ابراهيم — تحت الطبع) وثيقة خاير بك (الأستاذ المظم) .

وقد تلاشى أمر هذه الجزيرة عندما سد الغورى خليج الزربية بجسر عند قنطرة موردة الجبس ، وخربت جملة واحدة عند الفتح العثمانى لمصر ، وصار الجنود الاتراك يخربون بيوتها ويأخذون سقوفها وأبوابها . المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٨٦ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ص ١٤٩ ، ابن اياس : بدائع الزهور (نشر الدكتور محمد مصطفى) ص ٧٦ ، ج ٥ (طبعة استانبول) ص ٢٦٥ ، رمزى : القاموس الجغرافى قسم ٢ ج ١ ص ١٦

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ (طبعة بولاق) ص ٢٥ — ٢٦ ، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى (مخطوط بدار الكتب المصرية) ج ٣ ص ١٩ أ ، السخاوى : الضوء اللامع ج ٦ ص ٢١٦ ، التبر المسبوك فى ذيل السلوك ص ٢٨٣ ، العينى : عقد الجمان (مخطوط) القسم الرابع ص ٧١١

خرج قراقجا ومعه عدد من أمراء العشرات وبعض الأجناد والمماليك السلطانية إلى البحيرة للقضاء على فساد العربان [1] .

ويظهر ان الأمير قراقجا الحسنى كان من الشخصيات التى يوثق فيها ومن الأركان التى اعتمد عليها السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق ابان حكمه للبلاد فقد عهد اليه بالتوجه الى البلاد الشامية مع العسكر المملوكي لمحاربة الامير اينال الجكمى صاحب النشاط الهدام للسلطنة المملوكية وصاحبها فى قلعة الجبل بالقاهرة ، وقد تمكن قراقجا من القضاء على حركته والعودة به الى مصر أسيرا .

كان الأمير قراقجا شجاعا عارفا بفنون الفروسية وتعلم الرمح ، حسن السيرة مخلصا فى عمله ، ولذلك سكن السلسلة [2] من الاصطبل السلطانى ، وطالت أيامه فى الاميراخورية الكبرى إلى أن توفى بالطاعون هو وولده الأمير علاء الدين على أحد الأمراء العشرات فى يوم واحد ، وهو يوم السبت الثامن عشر من صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، وحضر السلطان جقمق الصلاة عليهما فى اليوم التالى ودفنا معا فى قبر واحد ، وتولى الاميراخورية من بعده الأمير قانى باى الجركسى .

---

(1) السخاوى : التبر المسبوك ص ٢٠٢ ؛ العينى : عقد الجمان (مخطوط) القسم الرابع ص ٧٥٧ ولعل المقصود بالعربان أو العرب هنا ، الفلاحون فى مصر ، وقد حدثت ثوراتهم كثيراً بسبب عوامل اقتصادية فضلا عن عنف النظام الاقطاعى المملوكى .

المقريزى : السلوك ج ٢ ص ٨٩٩ حاشية ١ ؛ هذا ويتمثل فساد العربان فى الخروج عن طاعة النظام المملوكى وسفك الدماء وقطع الطرقات وأخذ أموال الناس والاغارة على المحاصيل والمعاصر والسواقى سلباً ونهباً .

(٢) يقصد بذلك باب السلسلة ، وعرف قديماً بباب الاصطبل أو باب الميدان (الرميلة) وأما اليوم فيعرف بباب العزب نسبة إلى طائفة من العسكر العثمانى تسمى عزبان وظيفتهم المحافظة على القلاع ، ومكان الاصطبل الآن مجموعة المبانى التى بها مخازن وورش الجيش بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العزب .

المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٠٤ ، ٢٢٨

ويظهر أن صاحب وظيفة الاميراخورية كان يقيم بباب السلسلة فقد استمر الاميراخور كبير قانى باى الرماح مقيما بباب السلسلة حتى وفاته . ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٤٥٢ ؛ وقد عمر الأمير رضوان كتخدا الجلفى باب القلعة الذى بالرميلة المعروف بباب العزب وعمل حوله بدنتين عظيمتين وزلاقه فى ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م . الجبرتى : عجائب الآثار ج ١ ص ١٩٢

ويقال ان قراقجا كان من محاسن أبناء جنسه إذ يصفه ابن تغرى بردى المؤرخ المعاصر قائلا : « وكان به تجمل فى الزمان أسمر معتدل القد رشيق الحركة أبيض اللحية مستديرها وعليه وقار وحشمه مات ولم يخلف بعده مثله » .

* * *

حقاً — لقد كان قراقجا أميراً ديناً خيراً عاقلا ، كثير العبادة والصدقات ، عفاً عن المنكرات ، متواضعاً يكرم الفقهاء وأرباب الصلاح [1] ولذلك عمر مدرسته بخط قنطرة الأمير طقزدمر [2] الحموى خارج القاهرة المحروسة ، ووقف عليها أوقافاً جليلة من جملة أملاكه بالقاهرة ، ورتب بها صوفية وشيخاً وأرباب وظائف وقرر السيد صلاح الدين الأسيوطى خطيباً بها [3] .

وهذه المدرسة هى التى تقوم بدراسة ونشر وتحقيق الوثيقة الخاصة بها .

٢ — الدراسة الوثائقية :

الوثيقة التى تقوم بدراستها ونشرها وتحقيقها ليست قيمتها فى صدورها عن شخصية الأمير قراقجا الحسنى بل لكونها تؤدى إلى دراسات تاريخية جديدة غاية فى الأهمية والفائدة ولأنها توضح لنا ألواناً من الحياة العامة فى المنشئات الدينية إلى جانب ما تقدمه من دراسات أثرية فى العمارة المملوكية وفنونها الزخرفيه فضلا عن قيمتها فى دراسة الكتابة العربية فى مرحلة من مراحل تطورها وهى بذلك — كغيرها من الوثائق العربية فى العصور الوسطى — تفتح لنا أبواباً متعددة يلج منها الباحث فى تاريخ العصر الوسيط عامة والعصر المملوكي خاصة وتنير السبيل أمامه لدراسة نواح متعددة من حضارة ذلك العصر باعتبارها

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٧٥ ، ج ٦ ص ٢١٦ ، التبر المسبوك ص ٢٨٢ — ٢٨٣ ابن تغرى بردى : المنهل الصافى (مخطوط) ج ٣ ص ١٩ ب .

(٢) كانت هذه القنطرة على الخليج الحاكى الكبير بخط المسجد المعلق يتوصل منها إلى بر الخليج الغربى وحكر قوصون (كذا) وغيره . المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٤٧ ؛ أنشأها الأمير طقزدمر الحموى حول سنة ٧٣٠ هـ وهى القنطرة التى عرفت باسم قنطرة درب الجاميز حتى سنة ١٨٩٨م . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٩٥ حاشية ٢

(٣) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى (مخطوط) ج ٣ ص ١٩ ب . السخاوى : الضوء اللامع ج ٦ ص ٢١٦ ، التبر المسبوك ص ٢٨٣

مصدراً تاريخياً وثيقاً يرد فيه الكثير مما قد يهمله جل المؤرخين أو معظمهم وقد لا يشيرون إليه تصريحاً ولا تلميحاً ، فالمعلومات الواردة في هذه الوثيقة وأمثالها تعتبر مادة دسمة يعتمد عليها المؤرخون للنظم الاجتماعية والاقتصادية على سواء ، هذا بالإضافة إلى ما ورد فيها من مصطلحات عديدة تصور لنا الحياة الفنية آنذاك .

وهذه الوثيقة صورة صحيحة من الأصل copie authentique ، الاصل الذى بحثت عنه فلم أجده بتاتاً في محفوظات القاهرة المختلفة — مثلها في ذلك مثل كثير من الوثائق التاريخية القيمة التى فقدت نتيجة لاهمال الماضى وعدم رعايتها أو الاهتمام بها — وهى في الوقت نفسه لها قيمة الأصل أو الصورة المصدق عليها من حيث القوة الاثباتية لأنها مطابقة له بدليل ما ورد في نهاية وجه الوثيقة ونصه : «قوبلت على نسخة الاصل فصحت كتبه ابراهيم بن احمد البونى — محمد بن المرحومى » (لوحة رقم ٦) .

هذا والراجح أن هذه الوثيقة التى بين أيدينا صورة أو نسخة من الأصل الفاقد ، كتبت وسجلت كل منهما (الوثيقة الاصلية والصورة) في وقت واحد وتاريخ واحد [1] .

* * *

---

(١) كثير من الوثائق التى قمنا بدراستها أو الافادة منها في محفوظات الأوقاف ومحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة إما أصل فريد أو صورة وحيدة ، وبعضها نجد منها أصلا وصورة كتبا معاً في وقت واحد وسجلا في تاريخ واحد مثل كل من وثيقتى حسام الدين لاجين محكمة رقم ١٧ ، ١٨ بتاريخ ٢١ ربيع آخر ٦٩٧ هـ ووثيقتى الناصر محمد بن قلاوون محكمة رقم ٢٥ ، ٣١ بتاريخ ٨ جماد آخر ٧٢٥ هـ ووثيقتى بيبرس الجاشنكير محكمة رقم ٢٢ ، ٢٣ بتاريخ ٢٦ شوال ٧٠٧ هـ ووثيقتى السيفى ازدمر من على باى أمير دوادار كبير محكمة رقم ٢٤٠ ، ٢٤١ بتاريخ ١٩ شوال ٩٠٨ هـ . ومنها وثائق من أصل وصورة في تاريخين مختلفين مثل وثيقتى الصفوى جوهر اللالا — الأصل بالأوقاف رقم ١٠٢١ بتاريخ ٨٣١ هـ والصورة بالمحكمة رقم ٨٦ بتاريخ ٨٣٤ هـ ، ووثيقتى السيفى تغرى بردى المحمدى محكمة الأصل رقم ١٥٢ بتاريخ ٨٧١ هـ والصورة رقم ١٥٨ بتاريخ ٨٧٢ هـ . وهناك وثائق من أصل وصورتين ومنها مالم نجد منه إلا صورة فقط مثل وثائق السلطان برسباى أوقاف رقم ٨٨٠ بتاريخ ٨ رجب ٨٣٦ هـ (صورة منفصلة) ودار الكتب المصرية رقم ٣٣٩٠ بتاريخ ٢٤ رجب ٨٤١ هـ (صورة موجزة) .

لقد ضاع للأسف الكثير من الوثائق الأصول ولم يبق إلا نسخ أو صور منقولة عنها ، وقد تكون الصور منقولة عن الأصل مباشرة أو عن صورة له ، ولذلك يجدر بالباحث — قدر طاقته — أن يثبت من ان النص الموجود أمامه يطابق الأصل مع الاعتراف بوجود أخطاء في الصورة أحياناً أثناء النقل أو النسخ نتيجة النسيان أو السهو أو الخطأ في قراءة بعض الألفاظ أو الكلمات والتوقيعات .

(ا) الأوصاف الخارجية للوثيقة :

الوثيقة عبارة عن ملف من دروج الرق الأوصال المخيطة (لوحة ٧ ، ٩) بعضها أبيض مصقول والبعض الآخر ضارب إلى الصفرة غليظ نوعاً خشن الملمس مثل الدرج الأول.

والحبر الذى كتبت به الوثيقة من السناج الأسود القاتم اللون ، وبعض سطورها قد بهت لون الحبر عليها فانمحت بعض الألفاظ أو كادت كما لم تظهر بعض الكلمات واضحة تماماً (لوحة ١) .

« بيان بطول كل درج من الدروج وعرضه بالسنتيمتر وعدد سطوره »

رقم الدرج	طول الدرج	عرض الدرج	عرض الهامش الأيمن	عدد سطور الدرج
١	٦٣,٥	٣٨	٧,٨	٢١
٢	٦٨,٥	٣٨	٧,٨	٢٤
٣	٦٨	٣٨	٩	٢٣
٤	٥٢,٣	٣٨	٨,٨	١٧
٥	٥١,٨	٣٨	٧,٥	٣٠
٦	٦١	٣٧,٥	٨,٥ — ٥,٥	٣٠
٧	٦٢,٧	٣٨	٨,٥ — ٨	٢٢
٨	٥٥	٣٨	٧	١٨
٩	٥٩	٣٨	٧,٥ — ٨,٥	٢١
١٠	٧٢,٥	٣٨	٨	٢٥
١١	٥٣,٣	٣٨,٨	٧,٥ — ٨,٥	١٨
١٢	٥٠	٣٨	٨,٨	١٨
١٣	٥٥	٣٨	٨	١٦
١٤	٥٤	٣٨	٨	—

والوثيقة ليست كاملة فهى تتكون من أربعة عشر درجاً [١] إذ فقد من أولها درج واحد على الأقل [٢] . وطول الوثيقة كلها ٨ م و ٥ ر٢٦سم منها ٧٢و٧ م طول المساحة

(١) أنظر الجدول حيث تجد بياناً منصلا بطول الدرج وعرضه وعرض الهامش الأيمن وعدد السطور فى كل درج من وجه الوثيقة الذى قمنا بنشره وتحقيقه .

(٢) كان الكاتب يترك بعض الدروج بيضاء فى أول الوثيقة قبل البسملة والافتتاحية بحسب ما تقتضيه الحال وهى عادة درج عليها كتاب الوثائق فى ديوان الانشاء وخارجه فى العصور الوسطى عامة والعصر المملوكى خاصة ويظهر أن كتاب العصر المملوكى كانوا يتمشون بموجب عادات

التي يشغلها الوجه الذي قمنا بنشره ، ويتراوح طول الدرج بين ٥٠ — ٥ ر٧٢ سم وعرضه بين ٥ ر٣٧ — ٨ ر٣٨ سم أما عدد السطور في كل درج فتتفاوت بين ١٦ — ٢٥ سطراً. وعدد سطور الوجه كله ٢٦٣ سطراً ويتراوح عدد الكلمات في كل سطر بين ١١ كلمة (سطر ٤٧) و ٢٧ كلمة (سطر ٢٢٧) . ويترك كاتب الوثيقة جزءاً من مساحة الدرج كهامش أيمن بدون كتابة — تبعاً لما درج عليه بعض الكتاب المعتبرين من ترك ربع من عرض الدرج وهو إعتبار حسن لا يكاد يخرج عن القانون على حد قول القلقشندي [١] — اللهم إلا شهادة مفصلة أو موجزة أو إضافة وقف جديد في تاريخ متأخر [٢] .

* * *

والوثيقة بحالة جيدة فقد أفلتت من عدوان الدهر وأثر الزمن وإن كانت قد أصابتها الرطوبة في جناحها الأيسر فأبطلت أو كادت تبطل قراءة بعض الكلمات وأثرت في محوها فظهرت باهتة شاحبة اللون كما في سطر ٤ و٥ و ٣٩و١٨٢ ، وكذلك لم تسلم بعض الدروج من التآكل أو وجود ثقوب فيها مثل الدرج الأول وغيره سطر ١ و ٢ و٣و ٢٢٧ . وكثير من الكلمات في وجه الوثيقة مكتوبة على كشط مثل كلمة مصنع سطر ٣١ وعقد من عقوده سطر ٨٣ وما تيسر سطر ١٥٦ وبوجه من الوجوه سطر ٢٢٠ ومرافق سطر ٢٣٣ وغيرها من الكلمات والألفاظ التي أشار إليها الناسخ الكاتب لهذه الصورة في السطر ٢٥٥ و ٢٥٦ .

* * *

وخط الوثيقة عامة — ينتمي إلى مجموعة الخطوط المعروفة بالديوانية أو الوثائقية وهو خط يمتاز بالاستدارة لأنه تال للخط النسخي في التطور ، والخط النسخي تابع للثلث مستنبط منه وهذا فيه ميل إلى التقوير [٣] .

= وتقاليد مرعية فنوابغ مراسلاتهم ومحرراتهم تنم عن وجود عادات وقواعد في الكتابة الرسمية وغير الرسمية. القلقشندي : صبح الأعشى ج٣ص١٣١ — ١٣٨ ، ج ٦ ص ١٩٥ — ١٩٦

(١) يظهر ان طريقة اخراج الصفحة أو الدرج في ذلك العصر قد استقر على هذا الوضع وأصبح عرفاً أو قانوناً في نظر الكتاب لا يخرجون عليه . القلقشندي : المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٥ ؛ وقد لاحظنا احترام هذه القاعدة دائماً في كل الوثائق التي قمنا بدراستها والتي ترجع إلى العهد المملوكي الاول والثاني . القلقشندي : نفس المصدر ج ٩ ص ٢٣٣ — ٢٣٥

(٢) مثل ذلك الاشهاد الوارد بين سطر ٥٢ — ٥٥ والخاص بوقف أراض في ملك الواقف بناحية الغربية والدقهلية وكذلك النص المحصور بين السطر رقم ١٧٤ ونهاية الوثيقة وهو خاص بوقف عقار بدرب النبدي بزقاق القمر وأراضي بالبحيرة والقليوبية والاشهاد على ذلك (لوحة ٢ و ٥) .

(٣) القلقشندي : المصدر السابق ج ٣ ص ٥٥ ، ٥٨

ويقول موريتز Moritz [1] إن الخط الديوانى من سلالة خط التوقيع وهو على نوعين :

١ ــ خط كبير كانت تحرر به المعاهدات والوثائق من أوامر ومراسيم سلطانية وفرمانات وبراءات وغيرها .

٢ ــ خط صغير يستعمل إلى جانب التعليق فى المحاكم الشرعية .

ومهما يكن من أمر فإن خط الوثيقة خط ديوانى ولعله على الأرجح تطور نسخى من خط التوقيع المطلق [2] نحو الاستدارة الصريحة ، وهو يمتاز بالميل إلى البساطة والوضوح ، فهو مقروء لأن كتابته محسنة متأنية ، ونقطه كثير فى بعض الأحيان ، وكان الخط الديوانى يستعمل فى تحرير الوثائق الشرعية عامة وحجج الوقف خاصة .

وجرى كاتب الوثيقة على ما كان سائداً فى ذلك العصر من كتابة متن الوثيقة تباعاً بحيث لا نجد بين سطورها نقطاً أو فواصل بين كل عبارة وأخرى أو بين كل موضوع والذى يليه ، فالوثيقة كلها تبدأ وتنتهى من غير أن نعرف لهـا تبويباً أو وقفاً ــ وهذا مما قد يؤدى إلى الخلط فى فهم المعنى أحياناً ، ولكن هذه هى طبيعة الكتابة فى ذلك العصر وعلى أنماطها سار كاتب الوثيقة .

وأهمل الكاتب الهمزات أحياناً وأبدل الهمزة اللينة فى أوسط الكلمات ياء مثل الكاين سطر ١١ ودعايهم سطر ١٢٨ ووظايفة سطر ١٦٧ ومايه سطر ١٧٢ ودايما سطر ٢٥٧ وحذفها فى أواخرها أحياناً مثل بانشا سطر ١١ وما سطر ٥٥ والوضو سطر ١٠١ والثلثا سطر ١٥٧ وعتقا سطر ١٩٥ . وكذلك جرى الكاتب على إيجاز بعض الألفاظ مثل كلمة درهم سطر

---

(١) Enc. Isl. Art. *Arabia, Arabic writting*

(٢) قلم التوقيع المطلق هو الذى يكتب به فى قطع الثلث وأول من اخترعه يوسف أخو ابراهيم السجزى وأعجب به الفضل بن هارون وأمر أن تحرر الكتابة السلطانية به دون غيره وسماه القلم الرياسى ولعله سمى الرياسى لما تقدم من اختصاص الكتب السلطانية به أخذا من الرياسة .

وقلم التوقيع المطلق هو إلى التقوير أميل منه إلى البسط لأن قطه إلى التدوير أميل ، وصوره وقواعد حروفه وأوضاعه فى الأصل كصور وقواعد قلم الثلث إلا أن حروفه إلى التقوير أميل من الثلث ، وإن كان فى الثلث ميل إلى التقوير فانه لا يبلغ فى ذلك مبلغ التوقيع وكذلك تلاحظ فى سطوره تدوير ما على نسبة تقوير حروفه كما يقول ابن الصائغ .

القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٨ ، ١٠٠ ــ ١٠١

١٦٩ والاشارة إليها بطريقة اصطلاحية موجزة جدا كما يفعل كتاب الأموال، ولكنه لم يتهاون في النقط وإثبات المميزات فقد وردت كثير من الألفاظ منقوطة [١] واضحة مما يدل على عناية الكاتب بتجويد الخط وهو أمر يذكر له ويشكر عليه.

وهذه الوثيقة ذخيرة طيبة لدراسة دور من أدوار تطور الكتابة والخط العربي، هذا بالاضافة إلى ماورد بها أحياناً من أخطاء لغوية أو نحوية تدلنا على حال اللغة في ذلك العصر مما سأشير إلى بعضه عند التصحيح في حواشي صفحات المتن تاركا التحقيقات العلمية الهامة لآخر الوثيقة بأرقام مسلسلة، هذا وقد حافظت على الأصل محافظة تامة، وأبقيت عليه كما هو بحروفه وألفاظه وأخطائه دون تصحيح أو تعديل في النص نفسه فلم أغير فيه لفظاً أو عبارة لكي يدل على أسلوب ولغة ومصطلحات وثائق الوقف في ذلك العصر فقد يفيد المختصون في اللغة وغيرهم من ذلك مستقبلا.

(ب) الأوصاف الداخلية للوثيقة:

اصطلح الوثائقيون على تعريف الوثيقة Deed — acte بأنها إعلان مدون عن شيء له طبيعة قانونية صيغ في قالب دبلوماتي خاص La forme diplomatique مناسب للظرف أو موضوع الوثيقة وعصرها، وهذا الاعلان قد يكون مصدقاً عليه من جهة رسمية أو موقعاً عليه من أفراد متمتعين بكامل الأهلية [٢]. والعمل القانوني الذي تحويه الوثيقة الدبلوماتية

(١) المعروف عند الكتاب في العصور الوسطى ان النقط مطلوب عند خوف اللبس لأنه إنما وضع لذلك وأما مع أمن اللبس فالأولى تركه لئلا يظلم الخط من غير فائدة، وينال أيضاً كثرة النقط في الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه. أما كتاب الأموال فانهم لا يرون النقط بحال بل تعاطيه عندهم عيب في الكتابة كما يقول القلقشندي: صبح الأعشى ج ٣ ص ١٤٩—١٥٥

(٢) أهلية الإنسان للشيء هي صلاحيته لصدور ذلك الشيء عنه وطلبه منه وهذا هو المعنى اللغوي، وهي في لسان الشرع عبارة عن صلاحيته ومحليته للحقوق المشروعة له أو عليه وتنقسم الأهلية قسمين:

(أ) أهلية الوجوب capacité de jouissance لاكتساب الحقوق والقيام بالواجبات، ويعرف علماء أصول الفقه الإسلامي أهلية الوجوب بأنها صلاحية الإنسان لوجوب الحقوق المشروعة له أو عليه.

(ب) أهلية الأداء capacité d'exercice للقيام بالتصرفات القانونية وصلاحية الشخص لاستعمال الحق.

أحمد إبراهيم: الأهلية وعوارضها في الشريعة الإسلامية ص ٢ — ٤ و السنهوري: الوسيط ص ٢٦٦ — ٢٦٨ عبد الحي حجازي: النظرية العامة للالتزام ص ٣٧

محمد سامي مدكور: نظرية الحق ص ٨١، محمد سلام مدكور: الفقه الإسلامي ص ٣٢٢—٣٢٩

هو العمل الارادى أو التصرف الذى يصدر عن الفاعل القانونى أو المتصرف وتترتب عليه نتائج وآثار قانونية ومن ثم فحجة وقف الأمير قراقجا الحسنى وثيقة دبلوماتية كاملة الاركان لانها حوت عملا قانونيا هو التزام الواقف بما وقفه ، ومن ثم فهى وثيقة خاصة Private deed لانها تخضع لقواعد وأحكام القانون الخاص .

وكلمة حجة [1] بالضم فى حد ذاتها تعنى الدليل والبرهان فهى إذن السند القانونى أمام القضاء ، كما أنها ترادف لفظ عقد أو وثيقة تماما . وقد اصطلح الناس — وما يزالون — فى مصر والشرق العربى على قول حجة بيع أو شراء واستبدال ووقف .

* * *

أما أشخاص الوثيقة الذين ورد ذكرهم فيها تصريحا أو تلميحا فهم الفاعل القانونى وهو الشخص الذى قام بالعمل القانونى الارادى ، وهو هنا الواقف المتصرف الامير قراقجا الحسنى أمير آخور كبير ولاشك أن التعريف به [2] ألقابه وأسمه وردت فى الجزء المفقود من أول الوثيقة ثم الفاعل الوثيقى وهو الشخص الذى قام بتسجيل الوثيقة والتصديق عليها وهو القاضى الموثق الذى سجلت الوثيقة بأمره ، ولعل اسمه ورد فى الجزء المفقود من بداية الوثيقة فى الوجه أو الظهر وبجواره لفظ « ليسجل » أو « ليسجل بثبوته وتنفيذه » . أما الاشخاص المقصودين فى الوثيقة فهم من كتبت الوثيقة من أجلهم أو لصالحهم ، والاشخاص المعنيون هنا هم أرباب الوظائف على مختلف درجاتهم ومقامهم وغيرهم من أسرة الواقف وذريتهم والعتقاء وذريتهم والفقراء والمساكين والارامل والايتام ثم فى مصالح الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، وهكذا قصد الوثيقة عمل الخير صدقة مطلقة عامة للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا وخاصة الاسرى والمديونين . أما المحرر الذى قام بوضع الوثيقة فى صيغتها القانونية فهو عادة أحد العدول بمجلس القضاء فى ذلك العصر ولعله أحد الشهود الواردة

---

(1) الحجة مادوفع به الخصم لأنه يقصد بها الحق المطلوب ، وبها يكون الظفر عند الخصومة ، ويقال احتج بالشىء اتخذه حجة والغلبة بالحجة ، وما ثبتت به الدعوى من حيث افادته للبيان يسمى بينة ، ومن حيث الغلبة به على الخصم يسمى حجة ، وتطلق الحجة عند العامة على صك البيع الذى يكتب للشارى . ابن منظور : لسان العرب مادة حجج .
الفيروزبادى : قاموس المحيط مادة الحج . البستانى : محيط المحيط مادة حجج .

(2) على قراعة : مذكرة التوثيقات الشرعية ص ١٥ — ١٧

اسماؤهم فى الوثيقة وربما كان هو محمد بن على المرحومى. أما الكاتب الذى قام بكتابة الوثيقة وتدوينها فلعله ابراهيم بن أحمد البونى — وذلك بمقارنة خطه فى الشهادة بخط الوثيقة نفسها — وهو فى الوقت ذاته شاهد تحرير فى وجه الوثيقة وشاهد تصرف فى ظهرها . وأخيرا نجد الشهود[1] وهم الذين قاموا بالشهادة على تحرير الوثيقة فى وجهها Recto وصدور التصرف عن الفاعل القانونى (الواقف) أمام القضاة الاربعة فى ظهرها Verso .

هذا وقد حررت هذه الوثيقة بالطريقة الموضوعية غير الشخصية إذ ورد فيها الفاعل القانونى بضمير الغائب ، والمتبع فى صياغة وثائق الوقف استعمال الفعل الماضى فقد نص فى الوثيقة صراحة على أنه وقف وحبس وسبل وابد وحرم وتصدق (سطر ٥ ، ٦) وذلك لأن ركن العقد هو الرضاء واستعمال صيغة الماضى يفيد سبق الرضاء وتثبيت التصرف الارادى وصحته وتأكيده كما يقول الفقهاء من رجال القانون والشريعة [2] .

* * *

وأهم أجزاء الوثيقة التى بين أيدينا هى البروتوكول الانتاحى وقد فقد منه - للأسف - الجزء الأول الذى يرد فيه عادة البسملة والتصلية والحمد له وما شابه ذلك من صيغ دينية خاصة بالعصر الوسيط، وهو عصر دين وحرب كما يقول المؤرخون، وكذلك التعريف بالفاعل القانونى، وهو الواقف الأمير قراتجا الحسنى أمير آخور كبير والتعريف به وذكر صفاته وألقابه والدعاء له بأن يرفع الله درجته ويتقبل منه بره وصدقته سطر ١ (لوحة ١) ثم نجد نص الوثيقة

---

(١) مما يجدر ملاحظته أن وظيفة أو مهمة التحرير والكتابة بل والشهادة أيضاً متداخلة فى بعضها فى العصر الوسيط ، فقد يقوم كاتب الوثيقة بالشهادة أيضاً كما نرى فى وثيقة السلطان الغورى إذ قام بكتابتها والشهادة على التصرف فيها الكاتب المجود أبو الفضل محمد الأعرج السنباطى . ظهر وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ (تحت الطبع) ونادراً ما يقوم الفاعل القانونى نفسه بكتابة الوثيقة ، إلا أننى عثرت على وثيقة من هذا النوع باسم الشيخ على بن سليمان الابشادى المالكى فى محفوظات محكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة تحت رقم ٢٧٨ واعمل الآن على نشرها وأتمنى أن تظهر قريباً بعنوان « مكتبة فى وثيقة » .

(٢) السنهورى : الوسيط ص ١٧٠ وما بعدها . أبو ستيت : نظرية الالتزام ص ٧٢ وما بعدها . محمد يوسف موسى : الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى ص ٢٥٤ وما بعدها . عبد الحى حجازى : نفس المرجع ص ٣٨

الذى يبدأ بالمدخل[1] وهو عبارات دينية كمبررات للتصرف وعمل الخير والتقرب إلى الله تعالى مدعمة أحياناً بآيات من القرآن أو حديث شريف كما ورد فى الوثيقة سطر ٣ - ٤ ، ويأتى بعد ذلك الموضوع أو التصرف وهو أهم جزء فى الوثيقة فى نظر علم الدبلوماتيك لأنه يكسبها معنى الوثيقة الارشيفية[2] Archival document التى تحتفظ فى دور الأرشيف — دون دور الآثار أو المتاحف — ويحدد نوعها . وقد ورد التصرف فى عبارة قانونية واضحة إذ يقول: « . . فى حال صحته وسلامته ورغبته وإرادته قد وقف وحبس وسبل وأبد وحرم وتصدق » . (سطر ٤-٥) . وقد ذكرت الوثيقة ما وقفه[3] وراتبها الحسنى من مسجد وسبيل ومستقات دلالية (سطر ٨ - ٧٠) وأراضى خراجية (سطر ٧٠-٨٠) جارية فى ملكه وتصرفه وأحضر لذلك مستندات شرعية تثبت ملكيته للاماكن التى هدمها وانشأ مكانها غيرها ، وتصف الوثيقة ذلك كله وصفاً مفصلا وتحدده بدقه تامة .

ثم تحدثنا الوثيقة بعد ذلك عن مصارف ريع الوقف وأرباب الوظائف ومرتباتهم وشروط الواقف المختلفة الخاصة بالنظر والمشرفين على الوقف وصفاتهم ومهامهم وايجار الاعيان من عقارات وأراض ومدة كل منها (لوحة ٣ و ٤) .

أما الفقرات الختامية فى الوثيقة فهى تنقسم إلى فقرات جزائية وهى ترد فى الوثائق كثيرا عند ضعف الحكومات أو عدم استقرار الاحوال السياسية والاجتماعية كما كان الحال فى العصر المملوكى ، كما انها ذات أسلوب دينى مناسب للعصور الوسطى ومنها صيغ للنهى والعقاب واللعنة لمن يغير أو يسعى فى ابطال الوقف وأخرى للترغيب والثواب لمن أعان على بقائه ودوامه سطر ٢٤٦—٢٥١ (لوحة ٥) وفقرات للتوثيق وضمان الوقف وهى ترمى الى ضمان حقوق معينة لما ورد فى التصرف كما تحوى اعلان التوثيق والاجراءات التى أدت الى أن تكون الوثيقة كاملة صحيحة لها قوة اثباتية نافذة إذ تقول : « . . . تم هذا الوقف ولزم ونفذ حكمه وانبرم وصار وقفاً محرماً بحرمات الله تعالى . . . وان

(١) المدخل هنا يشبه لحد كبير المدخل فى وثيقة السلطان إينال (المرحوم محمود حنفى وكيل وزارة الزراعة الأسبق) ووثيقة قايتباى محكمة بدون رقم ، أوقاف ٨٨٦ ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ ، وثيقة خاير بك من مال باى (الأستاذ صلاح الدين المظم) — وغيرها من وثائق المماليك الجراكسة — من حيث الأسلوب والصيغة الواردة فى كل منها والتى تدعو إلى عمل الخير والترغيب فى بناء المساجد ودور العبادة .

(٢) محمد أحمد حسين : الوثائق التاريخية ص ٩ — ١٢

(٣) يقصد بالموقوف هنا المتصرف فيه — انظر على قراءة : مذكرة التوثيقات الشرعية ص ١٧ — ١٩ ، ٢٧

الواقف رفع عن وقفه يد ملكه ووضع عليه يد ولايته ونظره والاشهاد على نفسه بذلك وبما وقفه معرفة شرعية نافية للجهالة ٢٢ سطر ٢٤٥ — ٢٤٦ ، ٢٥١ —٢٥٣ (لوحة ٤).

* * *

وأخيراً نجد البروتوكول الختامى للوثيقة وقد ورد فيه التاريخ الزمانى (تاريخ التحرير) وهو جزء أساسى وضرورى لصلاحيتها القانونية وهو أول شعبان سنة خمسة وأربعين وثمان مائه[1] وإن لم يرد ذكر للمكان الذي كتبت أو سجلت فيه الوثيقة (هذا وقد وردت تواريخ توثيق التصرف فى ظهر الوثيقة نفسها) ثم نجد بعد ذلك تعقيباً من الكاتب على ما وقع فيه من هنات أو سقطات وكتابة على كشط أو غير ذلك من تصويب وإلحاق لفظ أو أكثر بين السطور ، وعدم الاعتداد بما ضرب عليه من ألفاظ واعترافه بصحة ذلك وجريانه فى صلب المتن سطر ٢٥٥ —٢٥٧ (لوحة ٥) وهذا أمر لاحظناه فى كثير من وثائق ذلك العصر[2].

---

(١) يطابق هذا التاريخ — الوارد فى الوثيقة — سطر ٢٥٥ التاريخ المنقوش فى طراز المدخل الرئيسى للمسجد بالخط النسخى المملوكى ونصه : [بسم الله] الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله [من آمن بالله واليوم الاخر . . . . .] من فضل الله تعالى وكرمه المقر الاشرف الكريم العالى السيفى قراقجا الحسنى امير اخور الملكى الظاهرى عز نصره بتاريخ عام خمس وار [بعين وثمانمايه] . (لوحة ١٢) . انظر على قراءته : نفس المرجع ص ٣٠ .

(٢) يحاول الكاتب أو الناسخ قدر الامكان المحافظة على متن الوثيقة سليما دون شطب أو كشط أو إضافة، وإن حدث ذلك فانه يشير إلى ذلك عادة فى نهاية وجه الوثيقة فى البروتوكول الختامى بعد ذكر التاريخ تأميناً للوثيقة من الأيدى أو الأقلام التى قد تتلاعب فيها فتغير أو تبدل كما حدث فى وثيقة السلطان قايتباى محكمة بدون رقم ، إذ طمس على اسم «صنطباى» أخو السلطان الواقف عمداً فى عدة مواضع مختلفة ، وربما كان ذلك لحرمانه من نصيبه فى الوقف الأهلى .

وأمثال هذه العبارات ترد كثيراً فى نهاية الوثائق بصيغ مختلفة ، فقد جاء فى وثيقة الناصر محمد بن قلاوون محكمة ٢٥ ما نصه : « . . . . الكشط الذى فى اخر السطر بعد قوله كل سنة لم يعتذر عنه فى اخره وحسبنا الله ونعم الوكيل ولم يعتذر عنه أيضاً فى النسخة الورق » وما ورد فى وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٧٨٠ ونصه : « . . . . فيه ملحق اربعة رمصلح الاف صحيح ذلك جار فيه » وفى وثيقة الأمير صرغتمش أوقاف ٣١٩٥ ص ٤٢ نجد ما نصه : « . . . . . الملحق والمصلح صحيحان والمضروب عليه سهو مكرر فليعلم ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

أنظر كذلك وثيقة أزبك من ططخ محكمة ١٩٨ ، وثيقة الغارقانى دار الكتب ١٩٤٨/١١ تاريخ ، وثيقة بدار الكتب المصرية ١٦٥٢ تاريخ ، وثيقة جوهر اللالا أوقاف ١٠٢١

عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى ، البروتوكول الختامى فى وثائق العصر المملوكى (تحت الطبع) .

ويختم الكاتب الوثيقة بالدعاء ونصه : « . . . وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيراً دايماً ابداً وحسبنا الله ونعم الوكيل» . سطر ٢٥٦—٢٥٧ . (لوحة ٥)

ثم نجد علامات الاثبات وهى تشتمل على صيغتى الشهادة وتوقيعى شاهدى التحرير (سطر ٢٥٨ — ٢٦٣) . ويمكن القول كذلك بأن من علامات الاثبات أيضا شهادة الشهود فى ظهر الوثيقة عند تسجيل التصرف أو توثيق العمل القانونى الوارد فى وجهها وتنفيذه أمام القضاة من ذوى المذاهب الاربعة فى المحكمة (لوحة ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠)

أما شهادة الشهود فى الوثيقة فهى على نوعين — شهود التحرير وهم الذين يشهدون على واقعة مادية معينة وهى صحة كتابة وثيقة الوقف التى حررت ودونت أمامهم وقد تكون حررت وكتبت بمعرفتهم . وقد ورد اسم كل من شاهدى التحرير فى نهاية البروتوكول الختامى وهما محمد بن على المرحومى وابراهيم ابن أحمد البهوتى [1] وصيغة الشهادة موضوعية إذ يقول كل منهما فى شهادته ما نصه : «اشهدنى المقر الاشرف العالى . . . . » سطر ٢٥٨ — ٢٦٣ ، وان كانا هما فى نفس الوقت شاهدى تصرف . أما شهود التصرف وهم الذين يشهدون على حصول واقعة إرادية معينة تترتب عليها آثار قانونية وهى صدور التصرف بارادة الواقف ورغبته فى حال صحته وسلامته وكمال عقله لقيامه فعلا بالعمل القانونى طائعاً غير مكره ولا مجبر [2] فقد وردت

---

(١) من دراستنا لمجموعة الوثائق المملوكية التى حررت فى ذلك الوقت — أعنى حول منتصف القرن التاسع الهجرى — اتضح لنا أن محمد بن على المرحومى وابراهيم بن أحمد البهوتى كانا يقومان سوياً بتحرير وكتابة كثير من الوثائق والشهادة على ما ورد فيها من تصرفات شرعية ، ويظهر أنهما كانا من الشهود العدول ممن عرفوا بالعدالة والأمانة والدقة والسمعة الحسنة ، والعلم بشروط صحة العقود ، والخبرة بكيفية كتابة الوثائق والمحررات الشرعية المختلفة .

السبكى : معيد النعم ومبيد النقم ص ٦٣ — ٦٤ ؛ المقريزى : السلوك ج ٢ ص ٦ حاشية ٤ مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٦ ص ٨٩ . عرنوس : تاريخ القضاء فى الإسلام ص ١٣١ — ١٣٥ وفى ذلك يقول حجة الإسلام الامام أبو حامد الغزالى : « العدالة فى الرواية والشهادة عبارة عن استقامة السيرة فى الدين » أسد رستم : مصطلح التاريخ ص ١٠٣ .

ومن الوثائق المعاصرة التى وجدنا عليها توقيع كل من هذين الشاهدين ، وثائق جوهر اللالا أوقاف ١٠٢١ ، محكمة ٨٥ ، ٨٦ وكذلك وثيقة جوهر النفقباى محكمة ٨٩

(٢) على قراعه : مذكرة التوثيقات الشرعية ص ٢٧ — ٣٠

شهادتهم فى ظهر الوثيقة بصيغة موضوعية مثل : « وبذلك اشهدنى ابد الله تعالى احكامه . . . » وأحيانا بصيغة ذاتية مثل : « اشهد على سيدنا الحاكم الحنبلى . . . » (لوحة ٧ ، ٩) .

ومما يجدر ملاحظته أن شاهدى التحرير وردت توقيعاتهما أيضا كشاهدين على التصرف القانونى فى ظهر الوثيقة ، إلا أن الأمر الذى يدعو الى الغرابة والدهشة حقاً هو أن الشهود جميعاً لم يذكر واحد منهم المذهب الذى ينتمى اليه بعد توقيعه أو كتابة اسمه مخالفين بذلك ما درج عليه جل الشهود فى كل الوثائق المملوكية المعاصرة أو السابقة واللاحقة [1] . (لوحة ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩) .

* * *

---

(١) عبد اللطيف ابراهيم : التوثيقات الشرعية والإشهادات فى ظهر وثيقة الغورى (تحت الطبع).

ثانيا — نص وجه الوثيقة

. . . .

ماره ورفع درجته و[تقبل منـ]ـه* بره وصدقته ان هذه الدنيا ليست بد[ار قرار وان]*
الدار الاخرة هي دار القرار مهد لنفسه فى رمسه ببعض ماله وتزود من حاله ليوم [معاده]**
(٣)+ وحمد مولاه على هذه المنه واتبع ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم من بنى مسجداً
لله تعالى وا[و]
كمفحص قطاه[1] بنى الله تعالى له بيتاً فى الجنة واشهد على نفسه الكريمة حرسها الله تعالى
شهوده اشهادا
شرعياً وهو بحال صحته وسلامته ورغبته فى الخير وارادته[2] انه وقف وحبس وسبل وابد
(٦) وحرم وتصدق بجميع ما يأتى ذكره ووصفه وتحديده فيه الجارى ذلك بيد الواقف المشار
اليه فيه وملكه وتصرفه ومعروف بعضه بعمارته وآنشايه× وأظهر من يده كتبا منها مايدل
على صحة ملكه لاماكن كانت بظاهر القاهرة المحروسة خارج بابى زويلة[3] بخط المسجد
المعلق[4] ثم ان
(٩) الواقف المشار اليه تقبل الله تعالى منه بره وصدقته هدم ذلك وازال عينه وعمر ذلك من
ماله وصلب حاله على الصفة الاتى شرحها فيه ومنها ما يشرح فيه فمن ذلك جميع المكان
الكامل أرضاً
وبناً المعروف ذلك بآنشا الواقف المشار اليه فيه وعمارته الكاين ذلك بظاهر القاهرة
المحروسة خارج بابى زويلة

---

* ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق لوجود ثقوب وتمزق فى السطور الأولى من الوثيقة كما أن هناك كثيرا من الألفاظ والحروف باهتة اللون .

** لفظ أكمله الناشر معتمداً على ما ورد فى وجه وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ٧٩

+ الارقام المسلسلة فى بداية السطور هى أرقام سطور الوثيقة المخطوطة .

× كذا وسنحافظ على لغة النص والرسم الاملائى للالفاظ كما ورد فى الوثيقة ، انظر بحثنا هذا ص ١٩٢

(١٢) والحرق بخط المسجد المعلق بدرب الغنامة على يمنة السالك من درب النيدى طالبا جامع بشتاك [٥] وغيره

وعلى يسرة السالك من جامع بشتاك طالبا درب النيدى وغيره يشتمل على واجهتين مبنيتين بالحجر الفص النحيت [٦] احداهما شارعة

بالطريق السالك بها بابان وثلاثة حوانيت [٧] يشتمل كل من الحوانيت المذكورة على مصطبة وداخل واغلاق

(١٥) فالباب الأول من البابين المذكورين مربع [٨] يصار اليه من سلم [٩] شارع بالطريق ذات وجهين بعتبة سفلى

صوانا وعليا حجر ما* مخشى بالرخام [١٠] يكتنفه جاستان يمنة ويسرة يغلق عليه زوجاباب مدهون به صحفحتان

نحاساً [١١] يدخل منه الى دهليز مسقف نقياً لوحاً وفسقية [١٢] مفروشة أرضه بالبلاط الأحمر [١٣] على يمنة ** المتوصل من

(١٨) الدهليز باب يدخل منه إلى جامع يحوى أربعة أواوين وصحن فالايوان القبلى بواجهته قنطرة حجر ملوناً

على ركبتين وكتفين مقرنص [١٤] بصدره محراب يكتنفه عمودان رخاما بطره [١٥] حجر ماً وطره مذهبة تعلو الحجر المذكور

وعلى يمنة الايوان المذكور بيت برسم الخطيب [١٦] وبه باب سر [١٧] يتوصل منه الى الزقاق مسقف نقياً لوحاً وفسقية

(٢١) به منور سماى وبالايوان المذكور كتبية [١٨] وبيسرته شباك نحاساً مطلة على الواجهة الثانية من الواجهتين

المذكورتين مسقف سكندرياً [١٩] مغرق بالذهب واللازورد على جفت [٢٠] وبه قمريات [٢١] زجاجاً ملوناً عدتها

---

* كذا والمقصود « ماء » .

** كذا والصواب « على يسرة » .

ثمان قمريات وذات الباذاهنج[٢٢] العالى على ذلك والايوان البحرى بواجهه* كريلى[٢٣]
مغرق بالذهب واللازورد

(٢٤) به شباكان نحاساً احدهما مطلة على الواجهة الأولى بالشارع المسلوك والثانى مطلة
على الواجهة الثانية

وبه ثلاث كتبيات مسقف سكندرياً مغرقاً بالذهب واللازورد على جفت يعاوه قمرية
زجاجاً تسمى قندلون[٢٤].

والايوانان الباقيان احدهما شباك نحاساً مطل على الواجهة الثانية يعلوه قمرية زجاجاً
وواجهة كل منهما

(٢٧) طرة حجراً ماوناً على ركبتين مقرنص وباحدهما كتبية مسقف كل منها سكندرياً
مغرقاً بالذهب وبالصحن المذكور

اربعة أبواب أحدها باب الدخول والثانى يقابله وهو خرستان[٢٥] والثالث باب سر
يتوصل منه الى

درب النيدى والرابع مقابل لذلك يدخل منه إلى سلم معقود بالحجر يصعد من عليه الى
الميدنة والى

(٣٠) سطح الجامع المذكور ويتوصل من باب السر الى سلم[٢٦] يصعد من عليه إلى
بيت الامام[٢٧] يشتمل على طبقة[٢٨] وخزانة ومنافع وحقوق

مسقف لوحاً وفسقية مفروش ارضه بالبلاط ويتوصل من هذا الباب الى بير ما معين والى
مصنع[٢٩] يعلو باب

السر مفروش ارض الايوان القبلى بالبلاط الأحمر باطروفيات[٣٠] رخاماً ومفروش ارض
الايوان البحرى بالبلاط

(٣٣) الطراوى[٣١] باطروفيات رخاما ومفروش كل من الايوانين الباقيين بالبلاط
الابيض باطروفيات رخاما ومفروش الصحن

---

* كذا والصواب « بواجهته » .

المذكور بالرخام الملون [٣٢] وبه سفل جانب حافة الايوان القبلى على يمنة * الصاعد الى الايوان المذكور بير مآ معين

على فوهتها خرزة [٣٣] رخاما ويعلو دور القاعة بورز بلرابزى خشبا [٣٤] ويعلو واجهة الإيوان البحرى غرفة [٣٥] برسم

(٣٦) ريس الموذنين بقوصرة [٣٦] مذهبة مسقفة نقيا لوحا وفسقية ويتوصل من الدهليز إلى سلم ينزل منه الى ميضاة [٣٧] بها

فسقية حنفية مرخم باطنها واطروفياتها وبها ثمانية زبازيب نحاسا برسم الوضو ومذير برسم المآ

واربع خلاوى بكل منها مرحاض وحوض برسم المآ وبسفل المصنع المذكور لولبان نحاسا وبوسط الميضاة عامود

(٣٩) صوانا [٣٨] حامل لشقة تخانة الأروقة الاتى ذكرها فيه مفروش بالبلاط الكدان والباب الثانى [٣٩] من البابين اللذين بالوا [جهة] **

الاولى مربع بعتبة سفلى كدانا وعليا بالشرح يغلق عليه فردة باب يدخل منه الى سلم معقود منير [٤٠]

يصعد من عليه الى ثلاثة أروقة [٤١] وهى الأروقة الموعود بذكرها فيه تعلوا الحوانيت المذكورة يشتمل كل من الاروقة

(٤٢) المذكورة على ايوان ودور قاعة بأحدها خزانة عاو دهليز الباب المذكور كل من ذلك بمنافع ومرافق وحقوق

واغانى [٤٢] وسطح ومرحاض مسقف كل من ذلك نقيا مدهون حريريا [٤٣] مفروش الأرض بالبلاط ثم يتوصل من السلم المذكور

الى سلم لطيف يصعد من عليه الى رواق علو باب الجامع المذكور يشتمل على منافع ومرافق وحقوق ومرحاض وسطح

---

* كذا والصواب « على يسرة » .

* * ما بين الحاصرتين غير ظاهر فى الوثيقة وأكمله الناشر .

(٤٥) مسقف ذلك نقيا مدهون حريريا وبكل من الأروقة المذكورة شباك وطاقتان مطل ذلك على الطريق السالك

ويحيط بذلك حدود أربعة الحد القبلى الى حوش خراب يعرف بالغور (٤٤) والحد البحرى ينتهى الى الطريق السالك

وفيه الواجهة الاولى والبابان والحوانيت ومطل الطاقات وشبابيك الاروقة والشباك الذى

(٤٨) بالايوان البحرى والحد الشرقى الى الزقاق وفيه الواجهة الثانية وبعض الشبابيك النحاس .

وعلتها ثلاثة والحد الغربى ينتهى الى الزقاق المتوصل منه الى درب النيلى وجميع المكان (٤٥) الكامل

ارضا وبنآ انشآ الواقف المشار اليه فيه وعمارته السكاين ذلك بالخط المذكور اعلاه تجاه المكان الموصوف

(٥١) المحدود اعلاه يشتمل على واجهتين مبنيتين بالحجر الفص النحيت إحداهما شارعة بالطريق السالك بها بابان

احدهما مربع بعتبة سفلى كدانا وعليا حجر مآ عليه فردة باب يدخل منه الى سلم يصعد من عليه الى

ثلاثه أروقه يشتمل كل منها على منافع وحقوق وطبقة مرجلة (٤٦) واغانى وسطح ومرحاض مسقف نقيا

(٥٤) مدهون حريريا مفروش الارض بالبلاط مسبل (٤٧) الجدر بالبياض بطاقات مطلات على الطريق سفل ذلك حانوتان

وبهذه الواجهة حانوتان ايضا يشتمل كل من الحوانيت المذكورة على مصطبة وداخل واغلاق والواجهة

الثانية بدرب جهركس بها بابان أحدهما مربع بعتبة سفلى كدانا وعليا حجر مآ يدخل منه الى دهليز يتوصل منه

(٥٧) إلى مسجد والى سبيل (٤٨) به صهريج (٤٩) مبنى فى تخوم الأرض على فوهته خرزة رخاما بسقف معرق بالذهب وهو معقود ثلاث

قبب وقنطرتان وبالمسجد المذكور محراب لطيف بقوصرة [٥٠] كريدى مغرق بالذهب وبه
ثلاث كتبيات وشباكان حديدا
يعلو ذلك ثلاث قمريات زجاجا وبالسبيل المذكور شباك كبير حديد برسم سقى المآ يعلوه
شرفات [٥١] خشبا مدهون ويعلوا *
(٦٠) الحانوتان المجاوران للصهريج رواق [٥٢] يشتمل على ايوان ودور قاعة وخزانة
ومرتبة [٥٣] وكرسى خاص به وأغانيين
ومطبخ وطبقة وسطح ويعلو ظهر الصهريج والمسجد والقاعة الآتى [ذ] كرها فيه معالم
رواقين لم تكمل عمارتهما [٥٤] والباب
الثانى من البابين الثانين ** مقنطر [٥٥] بعتبة سفلى كدانا يدخل منه الى دهليز بمصطبة
بصدره ** مفروش بالبلاط مسقف لوحا
(٦٣) وفسقية يتوصل من ذلك الى القاعة الموعود بذكرها فيه وهى المشتملة على ايوان
ودور قاعة وخزانة وطبقة علو بابها
وطبقة مرحلة ومطبخ ومرحاض خاص بها وسفل ايوانها منفعة [٥٦] هى بين السقوف وبها
شباك برسم نزح المآء من
الصهريج وكنسه ويتوصل من الباب المقنطر الذى هو من البابين الأولين الى أربعة
خواصل أحدها سفل مدار
(٦٦) السلم يشتمل كل منها على باب يغلق عليه فردة باب مسقف عقدا قناطر [٥٧] وساحة
كشفا ولذلك حدود اربعة الحد
القبلى ينتهى الى الشارع تجاه الجامع المذكور وفيه الحوانيت الأربعة والبابان الاولان
وشباك السبيل وشباك
المسجد والحد البحرى ينتهى الى املاك تجرى فى ملك ملاكها والحد الشرقى الى الزقاق
داخل درب

---

* كذا والصواب بدون « ألف » .

** كذا

(٦٩) جهركس وفيه البابان الباقيان والحد الغربي الى القرن بحد ذلك كله وحدوده وحقوقه وما يعرف

بذاك وينسب اليه من الحقوق الداخلة فيه والخارجة عنه ومن ذلك جميع القطعة الارض الطين السواد الكاينة

باراضى خصوص عين * شمس من ضواحى القاهرة المحروسة ومساحتها خمسون فدانا بالقصبة الحاكمية (٥٨) ولها حدود اربعة

(٧٢) الحد القبلى الى الجسر المستجد بجوار الحوض القبلى والحد البحرى الى رزقة حسن والحد الشرقى

إلى ساقية السلطان والحد الغربى الى حوض بنى مخلوف وجميع اراضى ابو الغزلان (٥٩) بالبحيرة ولهذه

الناحية شهرة فى مكانها تدل عليها وتغنى عن تحديدها الجارى ذلك بيد الواقف المشار اليه اعز الله تعالى انصاره يشهد له

(٧٥) بابتياعه ذلك من بيت المال (٦٠) المعمور بشروطه الشرعية الكتاب الرق (٦١) المورخ بالثالث عشر من جمادى الاولى

عام اربعة واربعين وثمانماية ثابت ذلك محكوم به منفذ فى الشرع الشريف ومن ذلك جميع أراضى ناحية سموا وديمى (٦٢) بالوجه

القبلى وتعرف ديمى بالعروسة وما هو من حقوقهما كفر بنى عيسى ولذلك حدود أربعة الحد القبلى ينتهى الى اراضى ناحية ديروط

(٧٨) الشريف وتعرف بدروة سربام والحد البحرى الى أراضى ناحية البدرمان وتنده والحد الشرقى ينتهى الى تنوف

ودليس والحد الغربى ينتهى الى باط ومنية حسين وسرفنا بحد ذلك كله وحدوده وحقوقه وما يعرف

بذلك وينسب اليه يشهد للواقف المشار اليه بملكه لذلك الكتاب الرق (٦٣) المورخ برابع عشر شهر الله المحرم عام اربعة

---

* ورد هذا اللفظ بين السطرين ٧٠ ، ٧١ فوق كلمة « خصوص » أنظر سطر ٢٥٦

(٨١) واربعين وثمان ماية ثابت ذلك محكوم به فى الشرع الشريف بعد استيفآ الشرايط
الشرعية وكتب على كل من ذلك ما جرت

العادة بكتابته بموافقة تاريخه وشهوره وقفا صحيحا شرعيا وحبسا صريحا مرعيا لايباع
اصل ذلك

ولا يوهب ولا يرهن ولا يملك ولا يورث ولا يناقل به ولا يبعضه ولا يحل عقد من
عقوده * قايما على اصوله

(٨٤) محفوظا على شروطه مسبلا على سبيله التى يذكر فيه الى ان يرث الله سبحانه وتعالى
الأرض ومن عليها وهو

خير الوارثين انشا مولانا المقر الاشرف السيفى قراتبجا الحسنى الواقف المشار اليه تقبل
الله تعالى منه

بره وصدقته وقفه هذا على ما ياتى ذكر ذلك مبينا وشرحه منفصلا معينا فاما الجامع المذكور وما

(٨٧) به من الاربعة اواوين والصحن فانه وقف ذلك مسجدا لله تعالى تقام فيه الصلوات
ويعتكف فيه

للعبادات واذن للمسلمين فى الدخول اليه والصلاة فيه (٦٤) فدخلوا وصلو ** وصار حق
الواقف المشار اليه فيه

كحق رجل واحد من المسلمين واما بيت الخطابة فانه وقفه لجلوس الخطيب فيه عند
ظهوره لطلوع المنبر للخطبة

(٩٠) واما المنبر الذى انشاه الواقف المشار اليه بالجامع المذكور فانه وقفه للخطبة فى ايام الجمع
والعيدين وما جرت العادة

به فى مثل ذلك واما دكة المؤذنين التى انشاها الواقف المشار اليه بالجامع المذكور فان
الواقف المذكور وقفها للاذان

فى ايام الجمع والعيدين واما الغرفة التى انشاها الواقف المشار اليه عاو واجهة الايوان البحرى
فان الواقف

---

* هذا اللفظ مكتوب على كشط ، انظر سطر ٢٥٥

** كذا والصواب « وصلوا »

(٩٣) المشار اليه وقفها برسم ريس الموذنين عند قراة العقيدة(٦٥) فى ايام الجمع وبرسم جلوسه لنهوض الموذنين للأذان

وللتسبيح والسلام وفعل ما جرت العادة به فى مثل ذلك واما الكتبيات التى بالجامع المذكور فان الواقف المشار اليه

وقفها للانتفاع بها على مايراه الناظر المتولى على ذلك ويودى اليه اجتهاده على الوجه الشرعى واما البيت (٦٦) المتوصل اليه من باب السر

(٩٦) فان الواقف المشار اليه فيه وقفه لسكنى من يكون اماما بالجامع المذكور واما البير التى بالجامع المذكور فانه وقفها

للانتفاع بها على الوجه الشرعى واما الميذنه فان الواقف المشار اليه اعز الله تعالى انصاره وقفها للتسبيح والتهليل

والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم على الحكم الاتى شرحه فيه واما البير الاولى فانه وقفها للانتفاع بها على الوجه الشرعى .

(٩٩) واما الحاصل المذكور فان الواقف المشار اليه فيه وقفه لخزن الما فيه ونقله منه الى الفسقية والى الحلاوى

التى بالميضاه المذكور واما الفسقية المذكورة فيه فان الواقف المشار اليه وقفها للوضو واما الحلاوى التى بالميضا [ة]

فان الواقف المشار اليه فيه وقفها لقضا الحاجات وازالة الضرورات واما المسجد الذى به السبيل والصهريج المذكورين

(١٠٢) فيه فان الواقف المشار اليه فيه وقفه مسجدا لله تعالى تقام فيه الصلوات ويعتكف فيه على العبادات واذن للمسلمين

فى الدخول اليه والصلاة فيه فدخلوا وصلوا وصار حق الواقف المشار اليه فيه كحق رجل واحد من المسلمين

واما السبيل المذكور فان الواقف المشار اليه وقفه لتسبيل الما فيه على الحكم الاتى شرحه فيه وأما

(١٠٥) الصهريج المذكور فان الواقف المشار اليه فيه وقفه لخزن الما العذب فيه ونقله منه الى السبيل

المذكور ليسبل على الحكم الانى شرحه فيه وباقى الموقوف المحدود فيه فان الواقف المشار
اليه فيه تقبل الله

تقبل الله* تعالى منه بره وصدقته وقف ذلك ليصرف ريعة فيما يعين فيه فيصرف منه لرجل من
(١٠٨) أهل الخير والدين حافظ لكتاب الله العزيز حنفى المذهب يكون اماما بالجامع
المذكور فى كل شهر من شهور الأهلة ما مبلغه

من الفلوس الجدد [٦٧] معاملة يوميذ بالقاهرة المحروسة خمس مایة درهم نصفها مايتا درهم
وخمسون درهما او ما يقوم مقام ذلك من

النقود على ان الرجل المذكور يؤم بالمسلمين [٦٨] بالجامع المذكور الصلوات المفروضات
وصلاة التراويح [٦٩] فى كل ليلة من ليالى شهر

(١١١) رمضان من كل سنة وفعل ما جرت عادة امثاله فى مثل ذلك ويصرف لرجل
من أهل الخير والدين من حملة كتاب الله العزيز

وطلبة العلم الشريف يكون خطيبا [٧٠] بالجامع المذكور فى كل شهر من شهور الأهلة
ما مبلغه من الفلوس الموصوفة خمس مایة درهم

نصفها مايتا درهم وخمسون درهما او ما يقوم مقام ذلك من النقود على ان الرجل المذكور
يخطب بالجامع المذكور فى ايام

(١١٤) الجمع والعيدين وفعل ماجرت العادة بفعله فى مثل ذلك ويصرف لتسعة نفر من
الموذنين [٧١] حسان الأصوات

بالسوية بينهم فى كل شهر من شهور الاهلة ما مبلغه من الفلوس المذكورة الف درهم وثمان
مایة درهم لكل نفر منهم مايتا درهم

او ما يقوم مقام ذلك من النقود على ان يكونوا ثلاث جوق كل جوقة ثلاثة نفر يتداولون
الأذان المشروع على الميدنة ويسبحون

(١١٧) فى الثلث الأخير من الليل فى كل ليلة ويذكرون فى ايام الجمع قبل صلاة الجمعة
ويسلمون ويوذنون على الميدنة وعلى الدكة

---

* تكرار نتيجة لسهو الكاتب .

عند طلوع الخطيب المنبر للخطبة ويهللون ويسبحون ويكبرون بعد صلاة الجمعة من كل
اسبوع ويهللون ويسبحون

ويمجدون الله سبحانه وتعالى على الدكة قبل صلاة العيد وبعده وفعل ما جرت العادة
بفعله فى مثل ذلك ويصرف لثلاثة

(١٢٠) نفر من اهل الخير والدين لهم المام بعلم الميقات (٧٢) ومعرفة دخول أوقات الاذان
بالسوية بينهم ما مبلغه من الفلوس المذكورة

ستماية درهم لكل نفر منهم مايتا درهم أو ما يقوم مقام ذلك من النقود على انهم يتداولون
الرياسة وتنهيض الموذنين للتسبيح

والتذكار والسلام والاذان وترقى الخطيب لطلوع المنبر للخطبة وفعل ما جرت العادة بفعله
فى مثل ذلك

(١٢٣) ويصرف لخمسة عشر نفرا من حملة كتاب الله العزيز عن ظهر قلب بالسوية بينهم
ما مبلغه من الفلوس المذكورة الف

درهم نصفها خمس ماية درهم او ما يقوم مقام ذلك من النقود على ان يكونوا خمس جوق
لكل جوقة منهم مايتا درهم او ما يقوم

مقام ذلك من النقود على ان تقرا جوقة منهم بعد صلاة الصبح بالجامع المذكور حزبا واحدا
من تجزية ستين حزبا من

(١٢٦) القران العظيم ويختمون قراتهم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويدعوا *
أحسنهم صوتا ويهدى ثواب ذلك

للواقف المشار اليه فيه ولمن درج بالوفاة إلى رحمة الله تعالى من ذريته ولجميع المسلمين
وتقرا الجوقة

الثانية بعد صلاة الظهر بالجامع المذكور كقراة الجوقة الاولى ودعايهم وتقرا الجوقة
الثالثة بالجامع

(١٢٩) المذكور كقراة الجوقة الاولى ودعايهم بعد صلاة العصر وتقرا الجوقة الرابعة
بالجامع المذكور بعد صلاة

---

* كذا والصواب «يدعو».

المغرب كقراة الجوقة الاولى ودعايهم وتقرا الجوقة الخامسة بالجامع المذكور بعد صلاة
العشا كقراة الجوقة

الاولى ودعايهم ويصرف لثلاثة نفر من حملة كتاب الله العزيز فى كل شهر من شهور
الاهلة ما مبلغه من

(١٣٢) الفلوس الجدد ثلثماية درهم وستون درهما بالسوية بينهم لكل نفر منهم ماية درهم
وعشرون درهما على ان يقرا احدهم فى

المصحف (١٣) الذى يقرره الواقف بالجامع المذكور فى كل يوم حزبا واحدا من تجزية
ستين حزبا من القران العظيم ويختم قراته بسورة الاخلاص

والمعوذتين وفاتحة الكتاب العزيز وبالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويدعوا * ويهدى
ثواب ذلك زيادة فى شرف

(١٣٥) النبى صلى الله عليه وسلم ثم فى صحيفة الواقف المشار اليه فيه ولمن درج بالوفاة الى
رحمة الله تعالى من ذريته ولجميع المسلمين

ويقرا القارى الثانى فى المصحف الشريف المنبه عليه فيه فى كل يوم بالجامع المذكور كقراة
القارى الاول

ودعاية ويقرا القارى الثالث فى المصحف الشريف الذى يقرره الواقف المشار اليه فى المسجد
المذكور اعلاه

(١٣٨) فى كل يوم كقراة القارى الاول ودعايه ويصرف لرجل من أهل الخير والدين
يكون بوابا بالجامع المذكور يتولى

ملى الحاصل وفراشة الميضاة فى كل شهر من شهور الاهلة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة
فيه ستماية درهم نصفها

ثلثماية درهم أو ما يقوم مقام ذلك من النقود على ان الرجل المذكور يتولى فتح باب الجامع
المذكور وغلقه وحفظ

(١٤١) ما به من الآلات وملا الحاصل لنقل الما منه الى الفسقية والحلاوى المذكورة
ويتعاطى فراشة الميضاة المذكورة وذلك

---

* كذا والصواب « يدعو » .

بما فيه من ثمن ادلية وسلب وغير ذلك من الآلات [٧٤] المتعلقة بذلك ويصرف لرجلين
من اهل الخير والدين يكونا فراشين

وقادين [٧٥] بالجامع المذكور فى كل شهر من شهور الاهلة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة
ستماية درهم نصفها ثلثماية درهم او ما يقوم مقام

(١٤٤) ذلك من النقود بالسوية بينهما على انهما يتعاطيا كنس الجامع المذكور ومسحه ونفض
ما به من الآلات عند الاحتياج الى ذلك

ومسح قناديله بعد غسلها وتعميرها وتعليقها وتلييعها بالوقود * وطفيها بعد فراغ الحاجة منها ويصرف
لرجل من اهل الخير والدين يكون مزملاتيا [٧٦] بالسبيل المذكور فى كل شهر من شهور
[illegible] الأهلة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة [illegible]

(١٤٧) ثلثماية درهم وخمسون درهما نصفها ماية درهم وخمسة وسبعون درهما او ما يقوم
[illegible] مقام ذلك من النقود على ان الرجل يسقى الماء [illegible]

بالسبيل المذكور فى كل يوم من أول النهار والى اخره فى ايام الفطر وفى كل ليلة من ليالى
[illegible] شهر رمضان [illegible]

من بعد أذان المغرب والى بعد صلاة التراويح وفعل ما جرت العادة بفعله فى مثل ذلك
[illegible] من كنس السبيل ومسحه [illegible]

(١٥٠) ونقل الماء من الصهريج المذكور والى ** السبيل المذكور ليسبل على الحكم المشروح فيه
[illegible] بما فيه من ثمن الآلات السبيل والصهريج [illegible]

المذكورين ويصرف لعشرة ايتام [٧٧] من ايتام المسلمين قاصرين عن درجة البلوغ فى كل
[illegible] شهر من شهور الأهلة ما [illegible]

مبلغه من الفلوس الموصوفة ستماية درهم نصفها ثلثماية درهم بالسوية بينهم لكل منهم ستون
[illegible] [درهما] *** أو ما يقوم مقام ذلك من النقود

* كذا — والجملة كلها مضطربة فيها خلط وامتزاج وليست مستقيمة الأسلوب، غير أن معناها مفهوم ومن الأفضل ان تكون هكذا والتعديل للتوضيح ليس غير « . . . ومسح قناديله بعد غسلها وتلميعها وتعميرها بالوقود وتعليقها وطفيها بعد . . . » [illegible]

** واو العطف زائدة .

*** ما بين الحاصرتين أضافه الناشر [illegible]

(١٥٣) على انه[illegible]سون فى كل يوم بمكتب السبيل الذى ينشيه [٧٨] الواقف علو السبيل
المذكور على[illegible]كم الآتى شرحه فيه ويصرف

لرجل من اهل[illegible] والدين حافظ لكتاب الله تعالى عن ظاهر قلب يكون مؤدبا [٧٩]
للايتام المذ[illegible]ين فى كل شهر من شهور الاهلة

ما مبلغه من الفـ[illegible] المذكورة مايتا درهم نصفها ماية درهم أو ما يقوم مقام ذلك من النقود
على ان المـ[illegible]

(١٥٦) المذكور[illegible]س بالايتام المذكورين بمكتب السبيل المذكور فى كل يوم من بكرة
النهار والى[illegible]ان العصر ليعلمهم ما تيسر له تعليمهم من القران

العظيم والخط الـ[illegible] خلا يوم الثلثا من كل اسبوع فانه يجلس بهم من بكرة النهار والى
اذان الظهر[illegible]علمهم الهجايه والخط العربى

ويفعل ما جرت[illegible]عادة بفعله فى مثل ذلك على الوجه الشرعى وخلا يوم الجمعة من كل
اسبوع فا[illegible]طالة وفى كل يوم عند انصرافهم يقرون

(١٥٩) سورة[illegible]تحة ويختمون بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويهدون ثواب ذلك
فى صحيفة ا[illegible]ف المشار اليه ولمن درج

بالوفاة الى ر[illegible]لله تعالى من ذريته ولجميع المسلمين ويصرف فى كل من السنين العربية
فى شهر ر[illegible]ن [٨٠] منها

فى كسوة الايتا[illegible]ذكورين ومؤدبهم ما جرت العادة به فى مثل ذلك بالغا ما بلغ ويصرف
فى ملى الـ[illegible]ج المذكور فى

(١٦٢) كل سـ[illegible]ن المآ العذب من بحر النيل المبارك عند زيادته لا من مآء الخليج بالغاً
ما بلغ و[illegible]ف فى ثمن زيت من زيت الزيتون

او ما يقوم مقا[illegible]غيره عند تعذره فى كل شهر من شهور الاهلة برسم ضيا* مصابيح الجامع
المذكور[illegible]سجد المذكور بالغا ما بلغ

ويصرف فى كـ[illegible]نة من السنين العربية توسعة فى شهر رمضان منها فى ثمن زيت [٨١] وحصر [٨٢]
وقناديل و[illegible]ر ذلك مما هو متعلق بذلك مما

---

* ورد[illegible] لفظ بين السطرين ١٦٢ ، ١٦٣ فوق كلمة برسم .

(١٦٥) جرت العادة به فى مثل ذلك بالغا ما بلغ ويصرف الناظر على هذا الوقف فى كل شهر من شهور الاهلة ما

مبلغه من الفلوس الموصوفة الف درهم نصفها خمس ماية درهم أو مايقوم مقام ذلك من النقود على ان الناظر ينظر فى مصالح

الوقف ومصالح الجامع المذكور وأرباب وظايفه وفعل ما جرت عادة امثاله فى مثل ذلك على الوجه الشرعى ويصرف

(١٦٨) لرجل من اهل الخير والدين له معرفة بعمل الحساب و نظمه وكتابته يكون مباشرا (٨٣) بالوقف المذكور فى كل شهر من شهور الاهلة

ما مبلغه من الفلوس الموصوفة خمس ماية درهم نصفها مايتا درهم وخمسون درهما * على أنه يعمل مصالح الوقف المذكور من كتابة

ما يتحصل من ريعه وما يصرف منه لأربابه وعمل المحاسبات المتعلقة بذلك ونظمها وفعل ما جرت العادة بفعله فى مثل ذلك

(١٧١) على الوجه الشرعى ويصرف لرجل من أهل الخير والدين له همة ونهضة يكون شادا (٨٤) بالوقف المذكور فى

كل شهر من شهور الاهلة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة أربع ماية درهم نصفها مايتا درهم أو ما يقوم مقام ذلك من النقود على ان الرجل

المذكور يسعى فى استخراج الريع ممن هو عنده وفى جهته وينظر فى مصالح الوقف والجامع المذكور وأرباب وظايفه وفعل

(١٧٤) ما جرت العادة بفعله فى مثل ذلك على الوجه الشرعى ويصرف لرجل من اهل الخير والدين له همة وامانة

يكون جابيا (٨٥) بالوقف المذكور فى كل شهر من شهور الاهلة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة ماية درهم نصفها خمسون درهما او مايقوم

---

* لفظ درهم غير مقروء ، وقد كتب بطريقة اصطلاحية مختصرة جداً متصلا بكلمة «خمسون» التى قبله .

مقام ذلك من النقود على ان يتولى جباية ريع المستغلات المحدودة فيه ممن ذلك عنده
وفى جهته ونعل ماجرت العادة

(١٧٧) بفعله فى مثل ذلك على الوجه الشرعى وما فضل [٨٦] بعد ما عين صرفه فيه
من ريع الموقوف المذكور

المحدود فيه يتناوله المقر الاشرف الواقف المشار اليه فيه اعز الله تعالى انصاره لنفسه
الكريمة حرسها

الله تعالى أيام حياته احياء الله تعالى حياة طيبة من غير مشارك له فى ذلك ولا فى شى منه
فإذا توفاه الله تعالى

(١٨٠) بعد عمر طويل يكون ذلك مصروفا لأولاده الذكر والانثى فى ذلك سوا لا يفضل
ذكر على انثى ولا انثى

على ذكر ثم من بعدهم لأولادهم كذلك من ولد الظهر ومن ولد البطن ثم لاولاد أولادهم
كذلك ثم لانسالهم

واعقابهم كذلك طبقة بعد طبقة ونسلا بعد نسل تحجب الطبقة العليا ابدا منهم الطبقة السفلى
الى حين

(١٨٣) انقراضهم يستقل به الواحد منهم اجمعين اذا انفرد ويشترك فيه الاثنان فما فوقهما عند
الاجتماع على انه

من توفى منهم وترك ولدا أو ولد ولد او اسفل من ذلك من ولد الولد على الحكم
والترتيب المشروحين فيه

انتقل نصيبه من ذلك لولده ثم الى ولد ولده وان سفل على الحكم والترتيب المشروحين
فيه فان لم يكن

(١٨٦) له ولد ولا ولد ولد ولا أسفل من ذلك لا من ولد الظهر ولا من لد البطن انتقل
نصيبه من ذلك

لاخوته واخواته المشاركين له فى الاستحقاق من أهل هذا الوقف مضافا الى ما يستحقونه
من ذلك

فان لم يكن له اخوة ولا أخوات فلمن هو * فى درجته وذوى طبقته من أهل هذا الوقف
(١٨٩) فان لم يكن كذلك فلى أقرب الطبقات الى المتوفا ** من أهل هذا الوقف وعلى أنه
من توفى منهم اجمعين قبل دخوله فى هذا الوقف واستحقاقه لشيء من منافعه وترك
ولدا او ولد ولد

او اسفل من ذلك من ولد الولد على الحكم والترتيب المشروحين فيه ثم آل الوقف الى
حال لو كان

(١٩٢) المتوفا ** حيا باقيا لا ستحق ذلك او شيا منه قام ولده أو ولد ولده وان سفل
مقامه فى الاستحقاق

واستحق ما كان أصله يستحقه من ذلك ان كان حيا باقيا يتداولون ذلك بينهم كذلك
خلفا عن سلف

الى حين انقراضهم فإذا انقرضوا بأسرهم وأبادهم الموت عن اخرهم ولم يبق منهم احد
(١٩٥) وخلت الارض منهم اجمعين يكون ذلك مصروفا لعتقآ الواقف المشار اليه فيه من الفحول
والخصى والاناث من سآير الجنوس بالسوية بينهم ثم من بعدهم لأولادهم كذلك ثم من
بعد أولاد أولادهم

كذلك ثم لانسالهم واعقابهم كذلك على الحكم والترتيب المشروحين فى حق أولاد الواقف
المشار

(١٩٨) اليه فيه وأولادهم وذريتهم ونسلهم وعقبهم يتداولون ذلك بينهم كذلك سلفا عن خلف
الى حين انقراضهم
فاذا انقرضوا باسرهم وابادهم الموت عن أخرهم ولم يبق منهم أحد وخلت الأرض منهم
اجمعين وتعذر

---

* الاستثناء مكتوبان على كشط .

* * كذا والصواب « المتوفى » .

(٢٠٠) الصرف الى من عين له الصرف فيه صرف ريع الموقوف فيه الموصوف المحدود باعاليه للفقرا والمساكين

والأرامل والايتام والعاجزين المتصفين بالفقر والفاقة أهل الحاجة المقيمين بمكة المشرفة ومدينة طيبة على

الحال بحرمها افضل الصلاة والسلام والرحمة بالسوية بين الجهتين المذكورتين من كسوة وغير ذلك يرسل

(٢٠٣) يرسل* ذلك مع موثوق به فى كل سنة صحبه الركب ** الشريف [٨٧] الموسمى المسير فى العشرين من شوال المبارك من كل سنة على

ما يراه الناظر المتولى على ذلك ويودى اليه اجتهاده على الوجه الشرعى فان تعذر الصرف الى إحدى

الجهتين صرف ذلك للجهة الأخرى فإن تعذر الصرف إلى الجهتين المذكورتين فيه صرف

(٢٠٦) ذلك فى مصالح الحرمين الشريفين مكة المشرفة ومدينة يثرب على الحال به + أفضل الصلاة والسلام والرحمة

بالسوية بين الحرمين الشريفين المشار اليهما فيه شرفهما الله تعالى وعظمهما فان تعذر الصرف والعياذ بالله تعالى

الى أحد الحرمين المشار اليهما فيه صرف ذلك للحرم الاخر فان تعذر الصرف والعياذ بالله تعالى الى .

(٢٠٩) الحرم المشار اليهما فيه صرف ذلك للفقرا والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيث ما وجدوا وفى الصدقة

المطلقة العامة [٨٨] من طعام × وتسبيل مآعذب فى ليالى الجمع وغيرها وفكاك أسير من أيدى الكافرين

* اللفظ مكرر

* * ورد هذا اللفظ بين السطرين ٢٠٢ ، ٢٠٣ فوق كلمة «صحبة» ، أنظر سطر ٢٠٦

+ كذا والصواب « بها » .

× اللفظ مكتوب على كشط .

ووفا دين عن مديون من مايه درهم فلوسا ج ..! معاملة يوميذ بالقاهرة المحروسة الى الف درهم

(٢١٢) أو مايقوم [مقام]* ذلك من النقود وغير ..ك من الصدقة المطلقة العامة كل ذلك على يراه الناظر المتولى

على ذلك ويودى اليه اجتهاده على الوجه الشرعى .. عاد امكان الصرف الى ما تعذر الصرف اليه عاد

الصرف اليه وقدم على غيره يجرى الحال فى ذلك كذلك وجودا وعدما ابدا الابدين

(٢١٥) ودهر الداهرين الى ان يرث الله سبحانه .. تعالى الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وشرط

مولانا المقر الاشرف السيفى قراقجا الحسنى .. الواقف المشار اليه أعز الله تعالى انصاره وضاعف

نعمه عليه فى وقفه هذا شروطا حرص عليها منها .. جعل النظر فى وقفه هذا والولاية (٨٩)

(٢١٨) عليه لنفسه الكريمة حرسها الله تعالى اي .. بياته أحياه الله تعالى حياة طية وله ان يوصى بذلك ويسنده

ويفوضه لمن يختار فاذا توفاه الله تعالى بعد .. مر طويل عن غير وصية ولا إسناد ولا تفويض او وصى أو

اسند أو فوض وتعذر نظر الموصى له أو المـ .. ن اليه او المسند اليه بوجه من وجوه **

(٢٢١) التعذرات الشرعية يكون النظر فى ذلـ .. للارشد فالارشد من اولاد الواقف المشار اليه وذريته

ونسله وعقبه بمشاركة من يكون اميراخورا .. يا بالديار المصرية فى كل زمان من الازمنة فان لم يكن فيهم

---

* ما بين الحاصرتين اضافه الناشر .

** الـكلمات الثلاثة الأخيرة مكتوبة على .. طر ، أنظر سطر رقم ٢٥٦

رشيد او كان وانقرض يكون النظر فى ذلك للأرشد من عتقآ الواقف المشار اليه فيه وأولادهم وذريتهم

(٢٢٤) ونسلهم وعقبهم بمشاركة من يكون أمير اخورا كبيرا بالديار المصرية فى كل زمان من الأزمنة فان لم يكن فيهم

رشيد او كان وانقرض استقل الامير أخور المنصوص عليه فيه بالنظر على الوقف المذكور فان تعذر النظر

فى ذلك لمن يكون امير اخورا كبيرا بالديار المصرية يكون النظر فى ذلك لمن يكون امير اخور ثانيا بالديار المصرية

(٢٢٧) فى كل زمان من الازمنة ينظر فى ذلك بمشاركة من نص عليه فيه على الحكم المشروح فيه ويستقل بالنظر على

الوقف المذكور عند عدم [وجود]* من نص على مشاركته فى النظر ومنها ان لا يوجر (٩٠) العقار الموصوف

المحدود فيه سوى سنة واحدة فما دونها باجرة المثل فما فوقها ولا يدخل عقد على عقد حتى تنقضى مدة

(٢٣٠) العقد الأول وان لا توجر الاراضى الموصوفة المحدودة فيه الا لسنتين فما دون ذلك باجرة المثل فما فوق ذلك ولا

يدخل عقد على عقد حتى تنقضى مدة العقد الاول وان يبدا من ريع الموقوف المحدود فيه بعمارة (٩١) الموقوف المحدود فيه ومرمته

واصلاحه وصلاحه وما فيه بقآ عينه ودوام منفعته ولو انفق فى ذلك جميع غلته ثم ما فضل بعد ذلك يصرف فى المصارف المعينة

(٢٣٣) اعلاه ومنها ان مهما عمره فى المسقفات الموقوفة الموصوفة المحدودة فيه من ابنية ومغازل ومخازن ومرافق وحقوق

---

* ما بين الحاصرتين اضافه الناشر .

يكون حكمه حكم الوقف المذكور فى الحال والمآل والتعذر والامكان والاستحقاق والنظر
ومنها ان لا يوجر الموقوف الموصوف

الخلود فيه لمتجوه ولا لمتعزز ولا لذى شوكة ولا لسيء ممن تخشى مماطلته بالاجرة ومنها انه
جعل لنفسه (٩٢) الكريمة حرسها الله

(٢٣٦) تعالى ان يزيد فى وقفه هذا ما يرى زيادته وينقص ما يرى تنقيصه ويخرج من شآ
من أهل الوقف ويدخل فيه من اراد ويشترط

لنفسه من الشروط المخالفة لذلك ما يرى اشتراطه يفعل ذلك كلما بدا له واصل الوقف باق
على حكمه وليس لغيره بعده فعل شى من ذلك ومنها ان من

حج من ارباب الوظايف المعينة فيه حجة الاسلام او حج تطوعا يستنيب عنه فى وظيفته
ويجرى عليه المعلوم المقرر له عن ذلك ومنها

(٢٣٩) ان من غاب من ارباب الوظايف المذكورة عن وظيفته اكثر من ثلاثة ايام بغير
عذر شرعى نزل الناظر غيره فى الوظيفة المذكورة

واجرى عليه المعلوم المقرر له عن ذلك ومنها ان من توفى من أرباب الوظايف المذكورة
عن ولد صالح لسداد وظيفة والده

فيه أهلية (٩٣) لذلك نزله الناظر مكان والده فى الوظيفة المذكورة وأجرى عليه المعلوم
المقرر له عن ذلك فان لم يكن فيه اهلية لذلك

(٢٤٢) نزل الناظر فى الوظيفة المذكورة من فيه اهلية لذلك واجرى عليه المعلوم المقرر له
عن ذلك ومنها ان من بلغ الحلم من الايتام

المذكورين فيه نزل الناظر يتيما غيره بمكتب السبيل ينشيه الواقف المشار اليه علو السبيل
المذكور واجرى عليه

المعلوم المقرر له عن ذلك فانه كان قد بقى عليه القدر اليسير من حفظ كتاب الله العزيز
ترك الى ان يختم حفظ القران العظيم

(٢٤٥) وينزل يتيما غيره ويجرى عليه المعلوم المقرر له عن ذلك فقد تم هذا الوقف ولزم
ونفذحكمه وانبرم وصار

وقفا محرما بحرمات الله تعالى فلا يحل لأحد يومن بالله واليوم الاخر ويعلم أنه الى ربه
الكريم صابر ان يغير هذا

الوقف ولا شيا منه ولا يسعى فى ابطاله ولا فى ابطال شى منه ولا يبدله ولا شيا منه فمن
فعل ذلك او ساعد عليه او جنح

(٢٤٨) اليه بقول اوفعل فانه تعالى طالبه وحسيبه ومواخذه ومجازيه بعمله يوم يقوم الاشهاد
يوم التناد يوم عطش

الاكباد يوم يكون الله سبحانه وتعالى هو الحاكم بين العباد ومن أعان على ابقائه وتقريره
فى ايدى مستحقيه وصرف ...

ريعه فى جهاته المعينة فيه برد الله تعالى مضجعه وجعل الى الجنة مابه ومرجعه ولقنه
حجته ومحى عنه خطيته وجعله

(٢٥١) من الامنين المطمئنين الفرحين المستبشرين الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون
ورفع المقر الاشرف الواقف المشار اليه فيه

تقبل الله تعالى منه بره وصدقته عن وقفه هذا يد ملكه ووضع عليه يد ولايته ونظره
واشهد على نفسه الكريمة

حرسها الله تعالى انه عارف بما وقفه فيه وبما اشهد عليه به المعرفة الشرعية النافية للجهالة
ووكل فى ثبوت

(٢٥٤) ذلك وطلب الحكم به وسوال الاشهاد وابدا الدافع ونفيه التوكيل الشرعى ووقع
الاشهاد بذلك فى الاول

من شعبان المكرم عام خمسة واربعين وثمان مائة فيه مصلح [٩٤] السنر وايضا ثمانية وايضا
من عقوده وايضا لتسعه وايضا هو وايضا

الصرف وايضا اربعين وايضا بوجه من وجوه وايضا على وملحق [٩٥] عين وايضا الاولى
وايضا الركب صحيح ذلك وصلى الله على

(٢٥٧) سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا حسبنا الله ونعم الوكيل فيه
ضرب [٩٦] على من عند الدكه الى الجمع والعيدين لا يعتد بما كتب فيه

اشهدنى المقر الاشرف العالى المولوى
السيفى قرانبجا الحسنى الواقف
(٢٦٠) المشار اليه اعلاه اعز الله تعالى انصاره
على نفسه الكريمة حرسها الله تعالى بجميع
ما نسب اليه اعلاه فشهدت عليه به فى
تاريخه وكتب

محمد بن على المرحومى

اشهدنى لمقر الاشرف العالى المولوى
السيفى قرانبجا الحسنى الواقف
المشار اليه اعلاه اعز الله انصاره
على نفسه الكريمة حرسها الله تعالى
بجميع ما نسب اليه اعلاه فشهدت عليه
به فى تاريخه وكتب

ابراهيم بن احمد البيونى

ثالثا — التحقيقات والتعليقات العلمية

(١) ورد هذا الحديث الذى يحث على بناء المساجد بصيغ مختلفة فى بعض وثائق الوقف العربية الوسيطة وفى كتب الحديث المختلفة . مسلم : الجامع الصحيح حـ ٢ ص ٦٨ ، حـ ٨ ص ٢٢١ – ٢٢٢ .

(٢) صيغة قانونية اصطلح عليها العدول من كتاب الوثائق للدلالة على صحة الوقف ولزومه . وقد وردت فى كثير من وثائق ذلك العصر بصيغ مختلفة تؤدى نفس المعنى . وثيقة سبيل المؤمنين أوقاف ٨٨٢ ص ٤٦١ (تحت الطبع) ، وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٤٨٨ (تحت الطبع) ، وثيقة قايتباى محكمة بدون رقم ، وثيقة أزبك من ططخ محكمة ١٩٨ . زيد : مباحث الوقف ص ١٧ – ١٨ ابو زهرة : مشكلة الأوقاف (مجلة القانون والاقتصاد) السنة الخامسة العدد السابع ص ٧٩٢ – ٧٩٧

(٣) تحدد كثير من وثائق العصر الوسيط فى مصر موقع الأعيان موضوع التصرف بالقاهرة وظاهرها بالنسبة إلى بابى زويلة انشاء جوهر الصقلى عند زاوية سام بن نوح فى الوقت الذى وجد فيه الباب الحالى الذى بناه أمير الجيوش بدر الجمالى من الحجر . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ٨٣١ – دراسة ونشر وتحقيق الدكتور عبد اللطيف ابراهيم (تحت الطبع) . وثيقة المؤيد شيخ المحمودى أوقاف ٩٣٨ ، المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ١٠٠ ، القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٣٥٢ – ٣٥٣ ، دكتور عبداللطيف ابراهيم : سلسلة الدراسات الوثائقية – الوثائق فى خدمة الآثار (بحث فى كتاب المؤتمر الثانى للاثار فى البلاد العربية والمنعقد فى بغداد سنة ١٩٥٧) ص ٢١٤ حاشية ٢

Creswell: *Muslim architecture of Egypt*, vol. I, pp. 29, 161-166, 198-205.

(٤) المسجد المعلق هو المرتفع مدخله عن مستوى أرضية الطريق ، ويصعد إليه بسلالم وتوجد أسفله عادة عدة حوانيت موقوفة عليه ، ومن أول المساجد المعلقة بمصر جامع الأقمر وجامع الصالح طلائع بن رزيك من عصر الفواطم . المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، Creswell: *op cit*. p. 277 ولعل هذا المسجد المعلق الوارد ذكره فى الوثيقة هو مسجد حارس الطير وهو من إنشاء سيف الدين اسنبغا حارس الطير الذى تولى نيابة السلطنة فى أيام الناصر حسن بن قلاوون ، وكانت له دار بخط رحبة

العيد ، وكان هذا المسجد بدرب الجماميز ـ الذى يعرف بدرب قراقجا الحسينى على حد قول وثيقة قانى باى الرماح أوقاف ١٠١٩ ـ على رأس درب النيدى ، وقد تجدد بعد سنة ٨٠٠ هـ . المقريزى : الخطط حـ ٢ ص ٣٣١ ، مبارك : الخطط التوفيقية حـ ٣ ص ١٠ ، حـ ٤ ص ٧٩ . بحثنا الوثائق فى خدمة الآثار ص٢١٦

(٥) هو جامع الامير سيف الدين بشتاك الناصرى (أثر ٢٠٥) ، فرغ من بنائه فى سنة ٧٣٧ هـ بخط قبو الكرمانى على بركة الفيل خارج القاهرة ، وكان موضعه مساكن للفرنج والنصارى ، وقد عمر بشتاك تجاهه خانقاه على الخليج ورتب فيها شيخا وصوفية ونظم لهم المعاليم وجعل بين الجامع المذكور والخانقاه سباطا ، وكان من أبهج الجوامع وأحسنها رخاما . المقريزى : السلوك حـ ٢ ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ، الخطط حـ ٢ ص ٣٤ ، ٣٠٩ ، ٤١٨ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة حـ ٩ ص ١٤٩ حاشية ٣ ، حـ ١٠ : ص ٧٤ ـ ٧٥ ، المنهل الصافى (مخطوط بدار الكتب المصرية) حـ ١ ص ٣٣٩ ب ، ٣٤٠ أ العسقلانى : الدرر الكامنة حـ ١ ص ٤٧٧ . مبارك : الخطط حـ ٣ ص ١٠ ، حـ ٤ ص ٦٥ ، حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية حـ ١ ص ١٤٣ ـ ١٤٦

(٦) الحجر النص النحيت ، نوع من الحجر المهذب استعمل فى بناء معظم العمائر المملوكية ذات الشأن ، ويكون على هيئة مداميك من اللونين الأبيض والأحمر غالبا ؛ وقد ورد هذا المصطلح الفنى فى كثير من وثائق العصر المملوكي . وثيقه الغورى أوقاف ٨٨٣ ، ٨٨٢ ، وثيقة قايتباى أوقاف ٨٨٥ ص ٨٥ ، وثيقة خاربك من مال باى (الأستاذ صلاح الدين المنظم) . وثيقة بدار الكتب المصرية رقم ١٦٥٢ تاريخ . وثيقة المنصور قلاوون محكمة ١٥ ، أوقاف ١٠١٠ ، وثيقة أزبك من ططخ محكمة ١٩٨ ، وللاستزادة بالنسبة لهذا المصطلح وغيره من المصطلحات الفنية اللاحقة فى متن هذه الوثيقة ، انظر بحثنا فى سلسلة الدراسات الوثائقية بعنوان « المصطلحات الفنية فى الوثائق العربية » (تحت الطبع) .

(٧) لاوجود لهذه الحوانيت الثلاثة الآن ، فقد حلت محلها دورة مياه جديدة للمسجد ، هذا وكان للحوانيت فى العصور الوسطى عادة مصاطب أمامها ، وترتفع أرضية الدكان عن مستوى أرضية الشارع بمقدار متر تقريبا ، وتمتد خارج أغلاق أو أبواب الحانوت نفسه كمصطبة لعرض البضائع والبائع عليها . الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة

(نشر الدكتور الباز العريني) ص١١ حاشية ٢ . هذا والمصاطب عبارة عن مجاديل من الحجر على كباش أو حرمدانات بارزة (كوابيل) أو كانت تبنى بالآجر أو الحجر والجير وتبلط . وثيقة الغوري أوقاف ٨٨٣ سطر ٧٦٧ ، وثيقة فرج بن برقوق محكمه ٦٦ (تحت الطبع) ، وثيقة الظاهر بيبرس البندقداري محكمه ١٢٦ ، وكان المحتسب يراعى نظافة المصاطب ويأمر بعدم خروجها عن الحدود وتنظيم الشوارع حتى لا تعثر بالمار أو الجار على حد تعبير بعض الوثائق . وقد هدمت هذه المصاطب أيام الحملة الفرنسية على مصر . الجبرتي : عجائب الآثار حـ ٣ ص ١٦١ ، حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية حـ ٢ ص ١٤٠

(٨) الباب المربع هو الباب ذو العتب المستقيم أى أنه بلا عقد وليس مقنطرا كما هو مصطلح عليه عند معلمى المعمار فى ذلك العصر . انظر تحقيق رقم ٥٥

(٩) يدلنا هذا صراحة على أن المسجد كان مدخله أعلى من مستوى أرضية الشارع ، ويصعد إليه بسلم حجري على العكس مما هو حادث اليوم فلا أثر للسلم بتاتا ، كما ارتفعت أرضية الشارع عن المدخل كثيرا (لوحة رقم ١١) ومن ثم فهذه الوثيقة تسهم بدور جلل فى تخطيط أو رسم عمارة المسجد كما كانت عليه عند انشائه ، وإعادته إلى حالته الأصلية .

(١٠) يقصد بذلك أن العتب العلوى كان من الحجر الملبس بالرخام . وقد ورد هذا المصطلح بصيغ أخرى منها « عتب من الحجر موشح بالرخام » و « عتب ملبس بالرخام » و « حفر وتنزيل » و « حفر ودفن » وكانت العادة رسم الشكل المطلوب على الحجر أو الرخام ثم ازالة طبقة منه عمقها ½ سم أو اكثر ثم ينزل الرخام مكانها ملصقا على وسادة من الجبس .

وثيقة قايتباى محكمة ١٩٧ ، وثيقة بدون رقم . وثيقة السيفى دولات باى محكمه ٢٧٧ ، وثيقة أزبك من ططخ محكمة ١٩٨ ، وثيقة طومان باى أوقاف ٨٨٢ ص٥٤٣ (تحت الطبع) ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ ، بحثنا الوثائق فى خدمة الآثار ص ٣٣٥ حاشية ١

(١١) لا وجود لصفحتى النحاس الآن .

(١٢) مسقف نقيا لوحا وفسقية ـ طريقة للتسقيف من النوع البسط للساباط أو الدهليز (الوثيقة سطر ٦٢) والطبتة أو الحجرة الحبيس (الوثيقة سطر ٣٦) وكانت تستخدم فى ذلك الواح من الخشب النقى فى وسطها فساقى أو صرر مربعة أو مسدسة أو مثمنة دق

أو حفر فى الخشب وتعرف باسم « قصع » عند أرباب صنعة النجارة العربية ، كما قد توجد فى وسط السقف فسقية كبيرة مفتوحة لتستخدم كمنور سماوى ، وحولها حلية من المقرنصات وأحيانا بدونها ويعلوها باذاهنج غالبا .

وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٤٩١ . وثيقة الست أصلباى محكمه ٣٠٤ . وثيقة قايتباى محكمه ٢١٠ . وثيقة برد بك المحمدى محكمه ١٢٧ . وثيقة الزينى عبد الباسط محكمه ٨٤ . وثيقة فرج بن برقوق محكمه ٦٦ ، وثيقة طومان باى أوقاف ٨٨٢ ص ٥٢٥ ، ٥٣١ (تحت الطبع) . وثيقة الخضيرى محكمه بدون رقم (تحت الطبع) .

(١٣) تغير نوع البلاط ولونه كذلك .

(١٤) المقرنص والجمع مقرنصات Stalactites هى حلية معمارية استخدمت على نطاق واسع فى عمائر العصر المملوكي وقبله فى أجزاء مختلفة من العمارة مثل أركان القباب والمنارات والجرمدانات وواجهات العمائر ومداخلها الرئيسية وغير ذلك ، ويتكون المقرنص من عدة حطات أو نهضات على حد تعبير المعلمين من الحجارين والنحاتين فى وثائق ذلك العصر .

وقد استخدم المقرنص فى الحجر والجص والخشب فى إزار السقوف (مقرنصات ركنية ووسطانية) وفى زوايا القباب الخشبية (قبة الناصر محمد بالقلعة والماردانى والامام الشافعى) .

والمقرنص على أنواع منها المقرنص العربى أو البلدى والشامى أو الحلبى والمزنبر وذو الدوالى أو المدلاوات (الدلايات) والمقرنص المصرى والمقرنص المخرم . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٢ ص ٣٨٣ ، وثيقة خوند بركه محكمه ٤٧ ، وثيقة قانى باى الرماح أوقاف ١٠١٩ ، وثيقة أبو زكريا يحيى رئيس المجبرين محكمه ١٥٤ ، وثيقة السيفى طقطباى أوقاف ١٠٢٠ ، وثيقة قايتباى محكمه (بدون رقم) ، أوقاف ٨٨٦ ص ٢٩ ، ٣٤٠ ، زكي حسن : فنون الاسلام ص ١٥٢ . دللى : العمارة العربية بمصر ص ١٠ ، ١٨ — ١٩ ، بحثنا الوثائق فى خدمة الآثار ص ٢٣٤ حاشية ٢ .

(١٥) الطرة ، الخاصرة والإلقاح من قرعة أو ضربة واحدة ، وطريرة من السحاب تصغير طرة هى قطعة من السحاب تبدو من الأفق مستطيلة ، ومنه طرة الشعر والثوب أى طرفه أو حرفه ، ويقال تكلم بالشىء من طراره إذا استنبطه من نفسه .

ابن منظور : لسان العرب مادة طرر . الفيروزابادى : قاموس المحيط مادة الطر .
البستانى : محيط المحيط مادة طرر .

والطرة يقصد بها هنا المدماك البارز من الحجر المنحوت بدوران فوق طاقية المحراب ، وتعرف الطرة باسم جنزير عقد (سلسلة) عند المهندسين ومعلمى العمارة .

(١٦) قامت إدارة حفظ الآثار العربية بمصلحة الآثار بتجديد عمارة هذا البيت الذى كان مخصصاً للخطيب .

(١٧) باب السر هو باب صغير أو لطيف على حد تعبير الوثائق العربية فى العصور الوسطى ، ويوجد عادة فى مكان غير ظاهر من العمائر لدخول الشخصيات الكبرى فى حالة الزحام أو التجمع أو عند التخفى فى حالة وجود الحريم . هذا وقد سد الباب المذكور الآن ، وكان يفتح على حارة السادات وهى درب الغنامة — الوثيقة سطر ١٢ .

(١٨) الكتبية والجمع كتبيات هى الدولاب من الخشب وقد تكون فى حائط العمارة ، وكان مصراعا الكتبية عادة من الخشب جميعه عربى مفروكة (عدالة أو مقلوبة) ، ومن حشوات قائمة ونائمة (تماسيح وتواريخ) على حد تعبير السيد حسن أبو زيد إخصائى النجارة العربية ؛ وتكون الكتبيات متقابلة ومتشابهة غالبا . وثيقة طوماى باى أوقاف ٨٨٢ ص ٥٢٦ ، ٥٢٩ . وتستعمل الكتبية فى حفظ الكتب أصلا وكذلك فى حفظ اللطائف والتحف الفنية وغيرها . وقد ورد ذكرها كثيرا فى وثائق العصر المملوكى عند وصف العمائر الدينية والمدنية على سواء أو مكاتب الأطفال فوق الأسبلة حيث كان الأطفال يضعون فيها ألواحهم وأدوات الكتابة على رفوف مثبتة بداخلها . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ٢١٥ ، ٧٨٦ . وكانت الكتبيات تطعم بعض حشواتها أحيانا بالعاج والابنوس أو تدهن بمختلف الألوان . وثيقة الجمالى عبد الله محكمة ٤٦ ، وثيقة طقطباى دار الكتب ١٩٤٨ / ٩ تاريخ . وهناك كتبيات بمتحف الفن الاسلامى تحت رقم ٢٤٠٢ ، ٢٤٠٧ ، ١٧٠١

(١٩) مسقف سكندريا ـ مصطلح فنى يرد كثيرا فى وثائق ذلك العصر للدلالة على سقف مقسم إلى طبالى (بقج وتماسيح) ومربعات أو براطيم . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ٩٠١ ، ويسمى أيضا « سقف سكندرى على مربعات » وتوجد به زخارف عربية نباتية وتقاسيم هندسية ملونة ومغرقة بالذهب واللازورد . وثيقة جوهر المعينى

محكمة ٢٠٦ ، وثيقه السيفى يشبك أوقاف ٤٨٥ ، وثيقه تمر باى المحمدى أوقاف ١٠١٨ ، وثيقة قانى باى الرماح أوقاف ١٠١٩ ، وثيقة برسباى أوقاف ٨٨٠ ص ١٠ ، وثيقة الاتابكى ازبك من ططخ محكمه ١٩٨ ، وثيقه بدار الكتب رقم ١٦٥٢ تاريخ .

(٢٠) جفت والجمع جفوت وهى زخرفة بارزة منحوتة فى الحجر - وغيره من المواد - على شكل إطار أو سلسلة حول الفتحات من النوافذ والابواب والايوانات وغالبا ما تتخلله ميمات ذات أشكال مختلفة (مستديرة أو مسدسه أو مثمنة) على أبعاد منتظمة ، هذا ويطلق على الجفت ذو الميمة اسم « جفت لاعب » . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٩٥ ، رقم ٨٨٢ ص ٣٨٣ ، وثيقة خايربك من مال باى (الأستاذ العظم) ، وثيقة فرج بن برقوق محكمه ٦٦ ، وثيقة أزبك من ططخ محكمة ١٩٨ ، بحثنا الوثائق فى خدمة الآثار ص ٢٥٣ حاشية ١

(٢١) القمريات جمع قمرية وهى المصطلح السائد استعماله فى وثائق عصر المماليك فى مصر لنوع من الشبابيك من الجص المخرم أو الحجر أو الخشب أحيانا . والقمرية إما مستديرة مدورة أو مستطيلة مطاولة مقنطرة على حد تعبير بعض تلك الوثائق ، وكانت فى أول عهدها ذات أشكال نباتية وهندسية مشبكة مخرمة ، ومنذ النصف الثانى من القرن ١٣ م شاع فيها استعمال الزجاج الملون المعشق أو المطبق على هيئة جامات باشكال مختلفة متعددة . وكانت القمريات توضع فى اشناد (مفردها شند) وهى القندلون أو الفتحات فى حائط المبنى نفسه ، وتغطى من الخارج بشريط أو شبكة من النحاس للمحافظة عليها . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٩١ ، ٦٧٥ ، وثيقة السيفى قلطاى وبهادر الجمالى محكمة ٦٨ ، وثيقة السيفى برسباى محكمة ٢٨١ ، وثيقة قايتباى أوقاف ٨٨٧ ، ٨٨٦ ص ٢٢ ، زكى حسن : فنون الاسلام ص ٦١٢ هرتس : لمعة فى تاريخ فن المعمار ص ٥٦ — ٥٨ Mayer : *The Buildings of Qaytbay* p. 10 دللى : العمارة العربية بمصر (الترجمة) ص ٤ ، نايل : تاريخ فن العمارة جـ ٢ ص ٣٤٢ ، بحثنا الوثائق فى خدمة الآثار ص ٢٥٣ حاشية ٢

Briggs : *Muhammadan Architecture in Egypt and Palestine* pp.200-201, 227-228.

Hautecœur and Wiet : *Les Mosquées du Caire* p.334.

Lane poole : *The Art of the Saracens* pp. 221-224.

Migeon : *Manuel* II, pp. 154-156. Dozy : *Supplement aux dictionnaire arabes.*

(٢٢) الباذاهنج والجمع باذاهنجات وقد ورد اللفظ بالدال فى بعض الوثائق أيضا، وهى كلمة فارسية معناها منفذ التهوية (لوحة رقم ١٥) Dozy : *Supp. aux dict Ar.*
ويوجد الباذاهنج فوق اسطحة العمائر فهو أشبه شىء بالملقف أو «الشخشيخة» كما يقول العامة، ويستخدم فى التهوية والاضاءة وقد يكون كفتحة فى أعلى حائط العمارة كما هو الحال فى مسجد قراقجا. وكانت له أشكال مختلفة بحيث يسمح بالشمس شتاء والنسيم صيفا، وقد توجد على فتحة الباذاهنج شبكة من النحاس.

وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ٣٩٣، وثيقة طومان باى اوقاف ٨٨٢ ص ٥٢٩، ٥٣٣، ٥٣٦، وثيقة خاير بك محكمة ٢٥٦، وثيقة السيفى ازدمر من على باى محكمة ٢٤١، وثيقة قايتباى اوقاف ٨٨٥ ص ١٢٨، ١٤١، وثيقة رقم ٨٨٦ ص ٣٠٤، وثيقة الاتابكى ازبك من ططخ محكمة ١٩٨، وثيقة برسباى المحمدى محكمه ٢٨١، وثيقة الجمالى عبد الله محكمة ٤٦، وثيقة المنصور قلاوون اوقاف ١٠١٠

المقريزى: السلوك حـ ٢ ص ٢٢٢ حاشية ٢، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة حـ ٩ ص ٦٧ حاشية ٢، حـ ١١ ص ٧٦ حاشية ٢. بحثنا الوثائق فى خدمة الآثار ص ٢٢٠ حاشية ٣.

(٢٣) كريدى والجمع كريديات وهو المعروف فى مصطلح فن النجارة العربية باسم كردى والجمع كرادى؛ وقد ورد اللفظان بهذين الرسمين فى وثائق العصر الوسيط العربية، ويستخدم فى تزيين وزخرفة الأيوانات (مثل الستائر الآن)، ويوجد على مدخل الأيوان عادة كريديان متقابلان ومتماثلان يحملان معبرة، ويغلف الكريدى بفروخ شامى من ألواح الخشب الحور الذى يبلغ سمكه ½ سم ويسمى عند أهل الصنعة «خدراف» وتلف هذه الفروخ التى تشبه خشب «الأبلكاش» فوق قطع خشبية بمثابة أحزمة أو «علف» تعرف باسم «رجل الكيكى»، وكانت الكرادى تدهن بمختلف الألوان وتغرق بالذهب واللازورد مثل السقوف تماماً، وينتهى الكردى عادة بذيل مقرنص وتاريخ وخورنق وقد يكون سادج بدون قرنصة، وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٤٩٠. دالى: نفس المرجع ص ٢، ١١، ١٢. وثيقة السيفى مصرباى محكمة ٢٤٩، وثيقة طقتابای محكمة ٢٣٦، وثيقة السيفى تمر المحمدى محكمة ١٦٢، وثيقة بدار الكتب ١٦٥٢

تاريخ ، وثيقة قايتباى اوقاف ٨٨٥ ص ١٠٥ ، ١١١ ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ عبد اللطيف ابراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار ص ٢٢٦ حاشية ١

(٢٤) القندلون — أو القندلية والجمع قندليات — هو مجموعة من القمريات إحداها مدورة عاوية واثنتان أسفلها مستطيلتان مقنطرتان وقد يوجد أسفلهما ثلاثة مشابهة لهما .

انظر هذا البحث تحقيق رقم ٢١ (لوحة رقم ١٦) .

(٢٥) الخرستان والجمع خرستانات — هى غالبا حجرة حبيس أو حاصل (خزانة او خلوة) وقد يكون فى الخرستان (الحجرة) منفذ ضيق (طاقة) أو باذاهنج فى أعلاه وثيقة أبو زكريا يحيى محكمه ١٥٤ . Lane : *Arabic English Lexicon* ويستعمل الخرستان كشرابخاناه أو صيدلية أو خلوة للصوفية فى الخانقاه أو خزانة لوضع الآلات والحصر وزيت الوقود على رفوف خشبية مثبتة فى الجدران . وثيقة قانى باى الرماح أوقاف ١٠١٩ ، وثيقة السيفى برسباى محكمه ٢٨١ ، وثيقة قرقماس أوقاف ٩٠١ ص ٦١ ، وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٤٩٠ ، وثيقة السيفى يشبك أوقاف ٤٨٥ ، وثيقة بدار الكتب ١٦٥٢ تاريخ ، وثيقة طومان باى أوقاف ٨٨٢ ص ٥٢٩ .

(٢٦) لا وجود الآن لهذا السلم .

(٢٧) تجددت عمارة هذا البيت الذى كان مخصصاً للامام كما هو الحال فى بيت الخطيب — انظر رقم ١٦ .

(٢٨) الطبقة والجمع طباق — وهى تتكون غالباً من حجرة أو خزانة أو حجرتين للنوم ، توجد بها طاقات للتهوية والاضاءة وقد يعلو الخزانة مسترقة (مسروقة) ، وبالطبقة عادة دهليز به بيت أزيار (مزيرة) ومرحاض وغالباً ما كانت تتكسى بالبياض وتسقف نقيا . وكانت كل طبقة فى الربع أو الخان مستقلة عن التى تجاورها وينفصل بينهما جنب من الغرد أو من البناء .

وثيقة الظاهر بيبرس البندقدارى محكمه ١٢٦٨ . وقد تكون الطبقة من إيوان ودور قاعة وما يتبعهما من مرافق ومنافع وحقوق . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ٣٦٩ ، ٥١٠ — ٥١٢ Dozy : *Supp. aux dict Ar.* . أما عن طباق المماليك — انظر بحثنا هذا ص ١٨٤ حاشية ٣ .

(٢٩) المصنع هو حاصل او حوض معد لخزن المياه . المصانع جمع مصنع وهى ما يصنعه الناس من الآبار والأبنية وغيرها ، والمصانع هى أحباس تتخذ للماء وإحداها مصنعة ومصنع ، وقال لبيد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع

ويقال المصنع كالحوض يجمع فيه ماء المطر وقيل شبه الصهريج يتخذ للماء .

لسان العرب ، محيط المحيط ، قاموس المحيط مادة صنع . انظر هذه الوثيقة سطر ٩٩ .

(٣٠) أطروفيات جمع أطروفية — وقد وردت أحياناً بدون الألف « طروفية » ، وهى الحافة القائمة للسطبة أو الصفة أو مرتبة الايوان أو السدلة وما شبه ذلك . وقد وردت بالتاء « أتروفيات » فى وثيقة الأمير صرغتمش أوقاف ٣١٩٥ (تحت الطبع) ، وتكون الطروفية من الرخام الملون غالباً أو الحجر أحياناً . وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٤٩٠ ، وثيقة قايتباى محكمه بدون رقم .

(٣١) البلاط الطراوى — نوع من البلاط يتخذ من الاحجار الجيرية ، وهى أحجار صلبة ومندمجة إلا أنها طباشيرية قليلا ؛ وهى لا تتحمل الحوادث الجوية ولذا تقشر ، ويستخدم فى تبليط الأرض . وربما سمى بالبلاط الطراوى لأنه يستخرج من محاجر طرة ؛ وهو مربع ومقاسه عادة ٥٠ × ٥٠ سم . هيوم (و . ف) : أحجار البناء الموجودة فيما جاور القاهرة وفى الوجه القبلى (القاهرة ١٩١٠) ص ٢٣ ، ٤٩

(٣٢) لا أثر لهذا الرخام الملون اليوم .

(٣٣) الخرزة ، قطعة من الرخام غالبا أو الحجر الصلد توضع على فوهة البئر أو فتحة صهريج المياه المبنى فى جوف الأرض وتكون مستديرة الشكل عادة .

(٣٤) لا وجود لهذا الدرابزين الآن ؛ وكانت العادة وضع درابزين بالسطح حول دور القاعة ، وكان يصنع غالبا من الخشب الخرط الميمونى أو المنقوق . وثيقه تغرى بردى الشهير بطظر محكمة ١٧٢ ، وثيقة السيفى جانم محكمة ٨٠ ، وثيقة بردبك المحمدى محكمة ١٢٧ ، وثيقة قايتباى أوقاف ٨٨٥ ص ١٢٤ ، وثيقة تراجا بنت عبد الله محكمه ٣٢

(٣٥) لا وجود لهذه الغرفة الآن ، وقد جرت العادة على بناء حجرة للمؤذن أعلى السطح بجوار المئذنة .

(٣٦) القوصرة : حنية niche فى حائط المبنى من أحجار معشقة أو متداخلة فى بعضها على هيئة قوس ، وتوجد عادة فى صومعة المتعبد الزاهد ، ويقال تقوصر الشىء دخل بعضه فى بعض ، والقوْصَرة وعاء للتمر . وقال ابن دريد لا أحسبه عربيا ، والعرب تكنى عن المرأة بالقارورة والقوْصَرة . لسان العرب مادة قصر ، محيط المحيط مادة قوصر ، قاموس المحيط مادة القصر .

(٣٧) يوضح لنا هذا النص أن دورة المياة كانت أسفل الجامع ، ودورات المياه (ميضأة ومراحيض) أسفل المساجد من مميزات عمائر المساجد والمدارس الجركسية حتى لا تؤثر الرطوبة فى العمارة وتؤدى إلى تداوتها وتهدمها . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ٣٤٠ ، ٣٤١ . حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ٢٩١ . وثيقة قانى باى الرماح أوقاف ١٠١٩ ، وثيقة خاير بك (الأستاذ العظم) .

(٣٨) لا يزال هذا العمود الصوان موجودا فى وسط دورة المياة المستحدثة فى هذا المسجد إلى اليوم .

(٣٩) لا وجود لهذا الباب فقد تغيرت عمارة المكان المذكور كثيرا .

(٤٠) السلم المنبر ، لعله سلم صغير مرتفع مبنى على عقد ؛ وقد ورد فى وثيقة بدار الكتب المصرية ١٦٥٢ تاريخ ما نصه « سلم مبنى بالحجر الفص النحيت منبرا يتوصل منه الى سطح دار الدواب » والنبر بالكلام الهمز وكل شىء رفع شيئا نبره ، والنبر عند العرب إرتفاع الصوت ، ونبر الشىء ينبره نبرا رفعه ، وكل مرتفع منتبر . والمنبر مرقاه الخطيب وسمى منبرا لارتفاعه وعلوه ويقال انتبر الأمير بمعنى أرتفع فوق المنبر .

لسان العرب ، محيط المحيط ، قاموس المحيط مادة « نبر » .

(٤١) الأروقة جمع رواق وهو أهم جزء فى عمارة البيت الاسلامى ؛ ويتكون عادة من إيوان أو إيوانين متقابلين بينهما دور قاعة — مسقفة غالباً وقد تكون سماوية — وما يلحق بذلك من منافع ومرافق كالخزانات النومية وخزانة الكسوة والمطبخ والمرحاض ، وكان الرواق يسقف بالخشب النقى المدهون ويفرش بالبلاط أو الرخام الملون وتسبل جدره بالملاط ؛ ويوجد على مدخل كل إيوان زوج من الكرادى ومعبرة ، هذا ولا وجود

الآن لهذه الأروقة الثلاثة التي جاء ذكرها في الوثيقة . وثيقة قاني باى الرماح اوقاف١٠١٩، ازدمر من على باى محكمة ٢٤١ ، وثيقة ازبك من ططخ محكمة ١٩٨ ، وثيقة أبو زكريا يحيى محكمه ١٥٤ ، وثيقة بدار الكتب ١٦٥٢ تاريخ .

(٤٢) الأغانى والجمع أغانيات ، هى ممرات علوية ذات مقاعد خلف نوع من المشربيات الخشب الخرط تحجب الجالس خلفها ، وتكون متقابلة عادة ، وتطل على الدور قاعة (الصحن) أو الايوان الذى تعلوه ، ويتوصل إليها أحياناً بسلم خشب داخلى ، وقد تشتمل الأغانى أو المغانى كما وردت فى بعض الوثائق على حجرات صغيرة ذات طاقات ومرحاض ، وكانت تفرش أرضها بالبلاط وتسبل جدرها بالبياض وتسقف بالخشب النقى المدهون بالألوان غالباً . وكان لبعض الأغانى باب سرى يغلق عليها ، وقد تطل الأغانى من ناحية أخرى على الشارع أو حديقة أو الطريق أو فناء القصر الاسلامى فى العصور الوسطى . وثيقة الغورى اوقاف ٨٨٣ سطر ٣٤١ ، ١٠٠٥ ، رقم ٨٨٢ ص ٤٩٠ ، نايل : تاريخ فن العمارة حـ ٢ ص ٣٤٠ ، ٣٦٧ . محمود احمد : دليل موجز ص ٢٠١ . وثيقة الزينى عبداللطيف محكمه ٢٢٢ ، وثيقة جوهر المعينى محكمه ٢٠٢ ، وثيقة طومان باى اوقاف ٨٨٢ ص ٥٤٥ ، ٥٧٢ وثيقة أبو زكريا يحيى محكمه ١٥٤ ، وثيقة الناصرى محمد ابن السيفى ازبك محكمه ٢٧٩ ، وثيقة الست اصلباى محكمه ٣٠٤ ، وثيقة المقياس اوقاف ٨٨٢ ص ٤٩٠ ، وثيقة قايتباى محكمه ٢١٠ ، اوقاف ٨٨٥ ص ١٣٠ ، اوقاف ٨٨٦ ص ٥٠ ، وثيقة الظاهر بيبرس البندقدارى محكمه ١٢٦ ، وثيقة بدار الكتب ١٦٥٢ تاريخ ، وثيقة خوند بركه محكمه ٤٧ ، عبد اللطيف ابراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار ص ٢٦٢ حاشية ٢ Lane : *Ar Eng. Lex.*

هذا ولا تزال هناك نماذج من الأغانى فى بعض الدور الأثرية الاسلامية منها قصر الأمير بشتاك ومنزل جمال الدين الذهبى وبيت الكردلية وزينب خاتون بالأزهر .

(٤٣) الدهان الحريرى مصطلح عند أرباب فن النجارة والزخرفة العربية يدل على جودة الصناعة ودقة التلوين فهو أملس كالحرير ، ويرجع ذلك إلى استعمال الزيت فى دهان الخشب المصقول وبعد أن يمتصه يرسم عليه ثم تغطى الزخارف النباتية والهندسية الملونة بطبقة رقيقة جداً من الشمع تكسبها مناعة ضد التأثيرات الجوية ، وتحافظ على الخشب والألوان المختلفة

والتذهيب ، وتجعله أملس كالحرير تماما . وقد ورد هذا المصطلح الفنى فى كثير من وثائق ذلك العصر ومنها وثيقة طراباى الشريفى محكمه ٢٤٨ ، وثيقة السيفى بيبرس محكمه ٣١٣ ، وثيقة السيفى طقطمش محكمة ٢١٢ ، وثيقة السيفى مصرباى محكمه ٢٤٩ ، وثيقة قايتباى محكمه بدون رقم ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٤٢ .

(٤٤) لعل هذا الحوش ينسب إلى الطبقة المعروفة بالغور ، وهى إحدى الطباق المملوكية فى قلعه الجبل التى كان ينزل فيها المماليك الجلبان الواردين من منطقة Gori ، وهى مدينة على نهر كور (غور) شمال غربى تفليس ، وهى قصبة بلاد القفقاس أى الجركس بجوار منطقة الكرج «جورجيا» التى تتبع الاتحاد السوفيتى حاليا . هذا ولفظ الغور بلغة الجركس معناه القلعة أو السلاح ، ويظهر أن الواردين من منطقة غورى كانوا على درجة من الثقافة بالاضافة إلى صفتهم الحربية البارزة ، فهم غالبا من المماليك الكتابية . وكانت طبقة الغور معدة لتعليم المماليك السلطانية فى القلعة . وثيقة دولات باى محكمه ٢٦٣ ، سامى : قاموس الاعلام حـ ٥ ص ٣٣٠٤ ، رضانور : تورك تاريخى حـ ٩ ص ٣١٨ ، الزركلى : الاعلام حـ ٢ ص ٧٨٨ الطباخ : أعلام النبلاء حـ ٥ ص ٣٩ ، الحنبلى : در الحبب فى تاريخ أعيان حلب (مخطوط — تصوير شمس بدار الكتب — تيمورية) ص ١٨٨ اليمنى : السناء الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر (مخطوط بدار الكتب — تيمورية) ص ١٧٩ .

هذا وتحتل بعض مبانى مدرسة على باشا مبارك بدرب الجماميز جزءاً من هذا الحوش المذكور ، وكانت أصلا قصرا لرب السيف والقلم الوزير الثائر محمود سامى البارودى ، الذى يقال إنه من سلالة السلطان الغورى وهو من طبقة الغور ، موير : تاريخ دولة المماليك فى مصر (الترجمة) ص ١٩٧

(٤٥) تغيرت معالم هذا المكان الذى يقع تجاه مسجد قراقجا الحسنى وعمارته جملة وتفصيلا .

(٤٦) طبقة مرجلة — كذا ولم يستطع الناشر أن يجد تعريفا أو شرحا يطمئن إليه لهذا المصطلح فى مرجع من المراجع المختلفة المتداولة بهذه الحواشى أو التحقيقات العلمية ؛ ولعلها طبقة مرتفعة قليلا بلا سلم ، أو لعلها طبقة فيها رسوم حائطية ذات صور كصور الرجال ، فقد جاء

فى لسان العرب وقاموس المحيط « برد مرجل فيه صور كصور الرجال » وفى محيط المحيط « المرْجل والمرَّجل برد يمنى ، والمرُجل المعلم أو الذى فيه صور الرجال » وفى الحديث أنه لعن المترجلات من النساء يعنى اللاتى يتشبهن بالرجال فى زيهم وهيآتهم .

(٤٧) مسبل بالبياض بمعنى مغشى أو مغطى بالملاط ، وقد ورد لهذا المصطلح مترادفات أخرى فى كثير من وثائق العصر المملوكي منها « مليس ومنكس ومستور » وثيقة طومان باى أوقاف ٨٨٢ ص ٥٢٥ ، وثيقة خوند بركه محكمة ٤٧ ، وثيقة جوهر المعينى محكمة ٢٠٢ ، وثيقه الغورى أوقاف ٨٨٣ ، وقد ورد اللفظ « مجلل » بنفس المعنى فى ابن خلدون : المقدمة ص ٣٨٦ . وكانت الحوانيت فى الأسواق ووجوه الرباع وغيرها من العمائر المطلة على الشوارع تبيض وتزخرف بالألوان فى ذلك العصر . ابن اياس : بدائع الزهور حـ ٢ ص ٣٨٩ والغرض من ذلك ليس إلا تنظيم وتسوية جدران المبانى ووقايتها وتزيينها . عارف : خلاصة الأفكار فى فن المعمار حـ ١ ص ٩٨

(٤٨) لا أثر بتاتا لكل من المسجد ـ ولعله كان زاوية صغيرة ـ والسبيل الآن ، فقد درست هذه العمائر جميعا ، وقامت مكانها اليوم عمائر ومبانى حديثة فى مواجهة مسجد قراقجا الحسنى . ويلاحظ فى هذا السطر من الوثيقة رقم ٥٧ وجود خلط فى تركيب الأسلوب لا يخفى على القارىء ، فان السقف المعرق بالذهب يقصد به سقف المسجد والسبيل .

(٤٩) كانت الصهاريج فى ذلك العصر تبنى بالآجر والخافقى فى تخوم الأرض لحفظ المياه ، وكانت لها قباب غير عميقة مقامة على دعامات وتناطر من الحجر النحيت ، وكانت فوهة الصهريج تغطى بخرزة من الرخام أو الحجر الصلد مستديرة الشكل عادة . وثيقة المؤيد شيخ أوقاف ٩٣٨ ، وثيقة أزبك من ططخ محكمة ١٩٨ ، وثيقة السيفى جانم محكمة ٨٠ ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ ، وثيقة برسباى أوقاف ٨٨٠ ، Creswell : *Early Muslim Architecture, vol 2*, pp. 161-164 pl.33. بحثنا الوثائق فى خدمة الاثار ص ٢٧٧ حاشية ٤ ، ص ٢٨٠ حاشية ٣

(٥٠) محراب لطيف بقوصرة — يقصد الكاتب بلفظ لطيف هنا أن المحراب صغير الحجم ، وقد ورد اللفظ كثيراً بهذا المعنى عند وصف إيوان أو باب أو حاصل صغير

فى كثير من الوثائق المملوكية ، والمقصود بقوصرة المحراب حنيته — انظر بحثنا هذا ، تحقيق رقم ٣٦ . ولا شك أن هناك نقصا فى متن هذه الوثيقة بين كلمة قوصرة ولفظ كريدى لا يخفى على القارىء .

(٥١) الشرفات crenilations جمع شرفة وقد وردت أيضاً « شراريف » فى بعض الوثائق ، وهى نهاية الشىء أو حافته ، وتكون من الحجر أعلى العمائر أو من الخشب كما هو وارد فى النص ، أو من المعدن فى الأبواب المصفحة بالنحاس المشغول . وثيقة جوهر العينى محكمه ١٩٦ ، وثيقة يشبك الحمدى محكمه ١٢١ ، وثيقة أبى المحاسن بن تغرى بردى المؤرخ محكمه ١٤٧ ، وثيقة السلطان اينال (المرحوم محمود حنفى) ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١١٧ ، وثيقة قايتباي أوقاف ٨٨٦ ص ٢٠ ، ٤٠ . دللى : نفس المرجع ص ٨ ، Mayer : *op. cit.* p. 29 .

(٥٢) لا أثر للحانوتين والرواق الآن .

(٥٣) المرتبة ، تطلق على لوح الرخام الكبير (قطعة واحدة) نائم فى أرضية دور القاعات والأروقة ، وقد تكون المرتبة ضرب خيط (كبير أو صغير) محددة بكرنداز (إطار) كما قد تكون المرتبة من الحجر أيضاً كما ورد فى وثيقة محمد بك أبو الذهب (من العصر العثمانى) أوقاف ٩٠٠ ص ١٥ . أما إذا كان لوح الرخام قائما فى الوزرة فهو القطب ، وإذا كانت الوزرة من عدة ألواح محددة بإطار ضيق فهى المرتبة أيضاً عند المرخمين . أما المقصود هنا بالمرتبة فى مصطلح أرباب صناعة الرخام العربى فهى إما جاسة أو حجر الشباك كما ورد فى وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ٢٠٠ ، أو هى المكان المرتفع عن أرضية دور القاعة عامة ، وهى بهذا الوصف ترادف كلمة « سدلة » تماما ، انظر وثيقة فرج بن برقوق محكمه ٦٦ ، وثيقة السيفى قلمطاى محكمة ٦٨ .

(٥٤) تدل هذه العبارة على أن بعض العقارات الموقوفة لم يكن قد تم إنشاؤها حال صدور الوقف ؛ وهذا أمر لاحظناه فى كثير من الوثائق العربية فى العصور الوسطى مثل وثيقة حسام الدين لاجين محكمه ١٧ ، ١٨ ، وثيقة السيفى قلمطاى محكمه ٦٨ ، وثيقة السلطان حسن محكمه ٤٠ ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٢١ ، ٣٠٦ . وثيقة سبيل المؤمنين أوقاف ٨٨٤ سطر ١٦ ، ١٨ ، ٦١ ، وثيقة الخضيرى محكمه بدون رقم — انظر بحثنا هذا ص ٢٤٣ تحقيق رقم ٧٨ .

(٥٥) الباب المقنطر ، يقصد به الباب ذو العقد أيا كان نوعه سواء على شكل حدوة الفرس أو مدبب وهو الغالب أو نصف دائرى أو مفصص أو غير ذلك ، انظر تحقيق رقم ٨ .

(٥٦) المقصود بالمنفعة هنا المسترقة أو « المسروقة » وهى عبارة عن خزانة حبيس غالبا ، وتوجد فى مكان يتعمد اخفاؤه بعيدا عن الانظار . وثيقه ازبك من ططخ محكمة ١٩٨ ، وثيقة الحريرى محكمة ٣١٨ ، وثيقة تغرى بردى المحمدى محكمة ١٥٨ ، وثيقة قايتباى أوقاف ٨٨٥ ص ٨٢ ، أوقاف ٨٨٦ ص ٥٤ ، وثيقة بدار الكتب ١٦٥٢ تاريخ . ويوجد مثال لذلك فى بيت الكريدلية والحجرة التى عثرت عليها من بقايا قصر الغورى بالصليبة (أثر ٣٢٢) عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى (تحت الطبع) .

(٥٧) مسقف عقدا قناطر - لعل الحاصل كان مغطى بقبو مكون من عدة طارات أو عقود متتالية تكون قبوا .

(٥٨) القصبة الحاكمية : هى الوحدة المساحية الزراعية وتنسب إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وهى عود من الذباب طولها ستة أذرع بالهاشمى ، وستة أذرع وثلثا ذراع بذراع القماش ، وخمسة أذرع بالنجارى تقريبا ، وثمانية أذرع بذراع اليد ، وهذا الأخير ست قبضات بقبضة إنسان معتدل ، وكل أربعمائة قصبة فى التكسير (أى مربعة) يعبر عنها بفدان ، وطولها ٣٫٨٥ مترا . والقصبة الحاكمية اكثر شيوعا من القصبة السندفاوية وإن كانت أقل منها طولا بقليل .

القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٣ ص ٤٤٢ ، المقريزى : الخطط حـ ١ ص ١٠٢ ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٢

(٥٩) هناك ناحيتان بهذا الاسم ، إحداها ابو الغزلان القبلية والأخرى ابو الغزلان البحرية ومساحتها فى الروك ٢٤٥٠ فدانا وعبرتها ٢٥٠٠ دينار ، وكانت باسم حسن بن صرغتمش والآن وقف الامير قراقجا الحسنى ورباط سيدى أحمد البدوى ، والبحرية هى المقصودة هنا . ابن الجيعان : التحفة السنية ص ١١٧

(٦٠) كثيرا ما نجد فى وثائق عصر المماليك الجراكسة إشارات إلى بيع أراض أو عقارات من أملاك بيت المال المعمور ، لأسباب مالية تحتمها عوامل اقتصادية معينة أو ظروف حربية للدفاع عن جهات اسلامية أو حدود الدولة المملوكية فى كلفة الغزاة وتجهيزهم أو عمارة الحصون والابراج وفك اسرى المسلمين وخلاصهم من أيدى الكافرين على حد تعبير بعض هذه الوثائق ؛ إذ تذكر بعض الوثائق أن « ثمن ذلك كان فى كلفة الغزاة والعسكر المتوجهين لحفظ ثغور الاسلام وسواحله وجهات المملكة الشريفه » وقد حدث ذلك خاصة عندما اصيبت التجارة العربية المملوكية على أيدى البرتغاليين فى الهند وجنوب البحر الأحمر بضربات قاصمة . وثيقة يشبك من مهدى محكمه ١٨٨ (تحت الطبع) ، وثيقة السيفى ازدمك محكمة ٢٨٨ ، وثيقة الشهابى أحمد محكمه ٢٥١ ، وثيقة اركماس من ططخ محكمة ١٣٨ ، Heyd : *Histoire du commerce, vol.* 2, p. 535.

(٦١) لم نعثر على هذه الوثيقة المذكورة (عقد البيع) فى مخطوطات القاهرة المختلفة .

(٦٢) عن هذه البلدة وغيرها من البلاد الواردة فى المتن تقول إن سموا تعرف اليوم باسم إسمو العروس مركز دير مواس مديرية المنيا ، أما ديمى فكانت من أعمال الأشمونين فى عهد المماليك ومساحتها ٨٨٣ فدانا وعبرتها ٦٦٦ دينار وثلثان للمقطعين وأوقاف ورزق . ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ١٤١ ، ١٥١ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ص ١٨٠ ، ابن دقماق : الانتصار ج ٥ ص ١٩ . رمزى : القاموس الجغرافى — القسم الأول — المدن المندرسة ص ٢٦٣ ، أما ديروط الشريف أو دروة سربام ، فهى اليوم إحدى قرى مركز ديروط مديرية أسيوط ، التحفة السنية ص ١٨٤ ، قوانين الدواوين ص ١٤٠ ، الانتصار ج ٥ ص ١٩ ، مبارك : الخطط ج ١١ ص ٣ . وعن تنده والبدرمان انظر الانتصار ج ٥ ص ١٨ ، التحفة ص ١٧٥ ، ١٧٨ ، مبارك : الخطط ج ١٠ ص ٤٤ والقرية الاولى بمركز ملوى والثانية بمركز ديرمواس وكلاهما بمديرية المنيا .

وأما تنوف فقد جاء ذكرها فى التحفة ص ١٧٨ ، الانتصار ج ٥ ص ١٨ وهى إحدى قرى مركز ديرمواس مديرية المنيا . وأما القرى الباقية التى جاء ذكرها فى الوثيقة وهى دليس فقد وردت دلنس فى التحفة ص ١٧٩ ، وعن باط وسرقنا انظر التحفة ص ١٧٧ ، ١٨٤ ، قوانين الدواوين ص ١٢٠ ، ١٥١ .

مصلحة المساحة : كشف بأسماء المدن والنواحى (القاهرة — بولاق ١٩٥٥) .

Boinet (A.): *Dictionnaire Geographique de l'Egypte*. Le Caire, 1899.

ومهما يكن من أمر فان هذه كلها بلاد وقرى معروفة اليوم بمديريتى المنيا وأسيوط الحالية ، ويظهر أنها كانت رزق جيشية أو مراكز إقطاعية زمن سلاطين المماليك الجراكسة فى مصر ، حبسها الأمراء على عمائرهم الدينية ومنشآتهم الخيرية المختلفة فى القاهرة وخارجها وفى وجوه البر والقربات عامة .

(٦٣) لم نعثر على هذه الوثيقة الرق (عقد الملكية) فيما قمنا بدراسته من وثائق مختلفة بمحفوظات محكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة ومحفوظات وزارة الأوقاف .

ويلاحظ أن هذه العقارات والأراضى آلت إلى ملكية الواقف الأمير قراقجا الحسنى فى سنة ٨٤٤ ﻫ (الوثيقة سطر ٧٥ — ٧٦ ، ٨٠ — ٨١) ثم لم يلبث أو وقفها فى سنة ٨٤٥ ﻫ (سطر ٢٥٤ — ٢٥٥) بسبب الظروف السياسية والاجتماعية التى عاشتها الدولة المملوكية الثانية . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى (تحت الطبع) .

(٦٤) يشترط فى جواز الوقف وتمامه بالنسبة للمسجد أن يصلى فيه جماعة من الناس بأذان .

الكاسانى : بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ج ٦ ص ٢٢٠ . ويقول أبو يوسف : يزول ملك الواقف لما يملكه بمجرد القول ، وبالنسبة للمسجد يزول ملكه بقوله جعلته مسجداً . وعند أبى حنيفة : إذا بنى مسجداً لم يزل ملكه عنه حتى يفرزه عن ملكه بطريقه ، ويأذن للناس بالصلاة فيه ، فإذا صلى فيه واحد زال عنه ملكه . أما الافراز فلانه لا يخلص لله تعالى إلا به ، وأما الصلاة فيه فلانه لا بد من التسليم عند أبى حنيفة ومحمد ، هذا والمسجد خالص لله سبحانه وليس لأحد فيه حق ، وقال تعالى وأن المساجد لله .

السيواسى : فتح القدير ج ٥ ص ٦٢ — ٦٣ . المرغينانى : الهداية على هامش فتح القدير ج ٥ ص ٦٢

(٦٥) قراءة العقيدة — العقيدة هى مجموعة من القواعد التوحيدية التى يدين بها أصحابها من العلماء والفقهاء ، وكانت هذه العقائد تجمع فى رسائل خاصة ليتعلمها من يشاء وفى أى وقت

شاء ، ومنها عقيدة أهل الاسلام للشيخ الأكبر محيى الدين أبو عبد الله محمد بن على بن العربى وقد ورد نصها فى كتاب الهدية السعدية ص ٤٧ — ٥٦ (مطبعة النجاح بمصر) المكتبة الأزهرية رقم ٣٤١ مجاميع .

هذا والعقيدة هى التى عقد عليها القلب وارتبط بها ، ويسمى علم أصول الدين عقيدة لتعلقه بعقد القلب دون العمل بالجوارح . أنظر شرح عقيدة الطحاوى للشيخ عمر بن اسحاق (مخطوط بالمكتبة الأزهرية) رقم ٢٧٨٢ خصوصى . هذا والعقيدة كان يتلوها رئيس المؤذنين يوم الجمعة فى مسجد قراقجا الحسنى كما تذكر الوثيقة .

(٦٦) درج كثير من السلاطين وأمراء المماليك على بناء ووقف بيت مجاور للمدرسة أو المسجد ليكون سكنا للامام أو الخطيب وكذلك لشيخ الصوفية عند بناء الخوانق تكريما لهم . أنظر وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، وثيقه المؤيد شيخ أوقاف ٩٣٨ ، وثيقة قايتباى أوقاف ٨٨٠ ، وثيقة حسام الدين لاجين محكمة ١٧ ، ١٨ ، أنظر التحقيق رقم ١٦ ، ٢٧ فى بحثنا هذا .

(٦٧) لعل هذه الفلوس الجدد من ضرب السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق ، وقد ضربت الفلوس المعبر عنها بالجدد فى سلطنة الناصر حسن بن قلاوون سنة ٧٥٩هـ وكان زنة كل فلس منها مثقال ، وكانت مطبوعة بالسكة السلطانية وبطل ماعداها من الفلوس ، وهى أكثر ما يتعامل به أهل زماننا على حد قول القلقشندى ، وأما المطبوعة فنحاس مكسر من الأحمر والأصفر ويعبر عنها بالعتق ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٣٩ ، ٤٦٣ — ٤٦٤ ، هذا وقد كانت الفلوس أصلا عملة مساعدة Helping coins لأنها لم تقم أبداً بمنزلة أحد النقدين قط (الذهب والفضة) وكان لا يشترى بها شيء من الأمور الجليلة ، وإنما هى لشراء المحقرات من المبيعات ولنفقات الدور . وقد راجت الفلوس بعد ذلك رواجا عظيما حتى نسب إليها سائر المبيعات وصار يقال : كل دينار بكذا من الفلوس . وكانت الفلوس بالعدد إلى أن أمر الأمير يلبغا السالمى أن تكون بالميزان فى سنة ٨٠٦ هـ وكانت قد فسدت للغاية ، وصار وزن كل فلس ربع درهم بعدما كان مثقالا ، وفى ذلك العهد كانت الدنانير والدراهم تقدر بما يساويها من الفلوس قيمة ، لأن الفلوس صارت هى القاعدة النقدية التى اتخذت أساساً لنظام التعامل النقدى فى مصر الجركسية من الوجهة الفعلية لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا وعدما فلم يوجدا كما يقول المقريزى . الكرملى : النقود العربية

ص٦٧—٦٩ ، ٧٢ (عن شذور العقود للمقريزى) مبارك : الخطط ج ٢٠ ص ١٤١ وما بعدها . المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة (نشر زيادة والشيال) ص٦٦ — ٧٢ .

والثابت أن السلطان جقمق ضرب السكة فى كل من القاهرة ودمشق وحلب ، وكانت الدنانير من الذهب تنقص عن الأشرفية قيراطين وسماها الناصرية . وكثر الغش فى الفضة فى عهده لسوء الأحوال الاقتصادية والاضطرابات الداخلية والخارجية مما أدى إلى غلاء الأسعار ، وكان وزن الدينار يتراوح بين ٤١ر٣ – ٤٣ر٣ جم . أما الفلوس فكانت مخلوطة برؤوس المسامير ومن قطع الرصاص والنحاس ، وفسدت معاملات الناس ، وفشى الاختلاف فى الموازين وكل ذلك من عدم النظر من ولى الأمر على حد قول العينى : عقد الجمان (مخطوط) قسم ٤ ص٧٤٠ – ٧٤١ ، مبارك : الخطط التوفيقية ج ٢٠ ص ١٤٢–١٤٣

Lavoix (H.) : *Catalogue de monnaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, vol. 3, pp. 429-442.

Lane—poole (St.) : *Catalogue of the collection of Arabic Coins preserved in the Khedivial Library at Cairo*, pp. 270-271.

عبد اللطيف ابراهيم : الوثائق وإعادة كتابة التاريخ (تحت الطبع) .

(٦٨) كذا — وكذلك فى معظم وثائق عصر المماليك الجراكسة . وثيقة خاير بك (الأستاذ العظم) ، وثيقة قانى باى الرماح أوقاف ١٠١٩ ، وثيقة قايتباى أوقاف ٨١٠. وتشترط وثيقة جمال الدين الاستادار محكمه ١٠٦ فى الامام « أن يكون صحيح التلفظ بالقرآن ، جهر الصوت فصيح اللسان » . أنظر كذلك وثيقة جوهر اللالا أوقاف ١٠٢١. ويقول السبكى إنه يجب على الإمام أن ينصح المؤمنين بالاخلاص فى صلاتهم ، وأن يجأر فى دعائه ، وأن يحسن طهارته وقراءته ، وأن يحضر إلى المسجد أول الوقت ، وألا يستنيب بلا عذر ، وألا يجمع بين إمامة مسجدين . السبكى : معيد النعم ومبيد النقم ص ١١٤ – ١١٥ . وتشترط كثير من الوثائق فى الامام أن يكون من أهل العلم ، حافظا لكتاب الله الكريم ، مشهوراً بالخير والدين ، حسن الصوت محسن التلاوة وعالما بأحكام العبادات الشرعية على حد قول وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٣٨٩ — ١٣٩١ . وثيقة قايتباى محكمة بدون رقم ، وثيقة إينال (المرحوم الاستاذ محمود حمدى) .

(٦٩) صلاة التراويح أو قيام شهر رمضان ؛ سنة عين مؤكدة للرجال والنساء .
مسلم : الجامع الصحيح ج ٣ ص ٢٧ . وزارة الأوقاف : الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٥١ — ٢٥٦ .

(٧٠) وظيفة الخطابة من الوظائف الرئيسية فى المدارس والمساجد والخوانق ، وكان على الخطيب أن يرفع صوته أثناء الخطبة لكى يسمع ، ويكره منه الاسراع فيها والاطالة على الناس ، فإن وراءه الشيخ الضعيف والمريض أحيانا ، وألا يأتى بالفاظ يصعب فهمها على غير الخاصة ، ولا بأس من الدعاء للسلطان أو الحاكم الشرعى بالصلاح . وتشترط كثير من وثائق الوقف فى العصور الوسطى فى الخطيب شروطا مثل تلك التى يتصف بها الامام ، وأن يكون عارفا بطريقة الخطب ، محسنا لتأديتها على حد قول وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٣٩٣ ، السبكى : نفس المرجع ص ١١٢ ، عبد اللطيف ابراهيم : سلسلة الدراسات الوثائقية ـ بعض وظائف من عصر المماليك (تحت الطبع) .

(٧١) كان المؤذنون فى ذلك العصر ينشدون القصائد والمواعظ والسحريات والفجريات (كذا) وثيقة فرج بن برقوق محكمة ٦٦ ، وكان المؤذنون يلبسون عند آذان الفجر الفراء الكباشية للاستعانة بها على قيام الليل ، ولدفع البرد زمن الشتاء . ظهر وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ ، وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٥٠٦ ، هذا ويستحب اتخاذ أكثر من مؤذن ورد فى الحديث عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . مسلم : نفس المرجع السابق جـ ٢ ص ٣ ، وكان يشترط فى المؤذن أن يكون حسن الصوت والهيئة ، عارفا بالأذان وطرقه . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٣٩٨

(٧٢) كان يقوم بهذه المهمة الميقاتى ، وقد يتولى هذه الوظيفة أحيانا ـ أعنى وظيفة الميقات ـ مؤذن عارف بالمواقيت والفلك وعلم الهيئة كما تذكر وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، وثيقة قانى باى الرماح أوقاف ١٠١٩ ، وثيقه تغرى بردى محكمه ٩٨ ، وثيقة ازبك من ططلخ محكمه ١٩٨ ، السبكى : نفس المرجع ص ١١٥ ، وكانت المزاول والساعات الرملية والآلات الزمنية (؟) توضع فى الجوامع والمساجد لمعرفة أوقات الأذان ، وكان يباشر الميقاتى بنفسه . وثيقة حسام الدين لاجين محكمة ١٧ ، ١٨ ، وثيقة السلطان حسن بن قلاوون محكمة ٤٠ .

(٧٣) بحثنا عن المصحف المذكور فى كل من دار الكتب المصرية والقلعة والمكتبة الأزهرية ولكن لم نجده ، وافادنا الأستاذ حسن عبد الوهاب أنه كانت توجد منه اجزاء

فى زاوية الخضيرى بالصليبة ورد عليها النص التالى : « هذا ما أوقف المقر ا كريم العالى المولوى الأميرى الكبيرى المالكى المخدومى السيفى قرانجا الحسنى امير ا ور الملكى الظاهرى هذه الربعة الشريفة بمدرسته التى أنشأها المستجدة بدرب النيدى المعر فة بمدرسته المشار اليه وشرط فى وقفه المذكور أن تقرأ فى المدرسة المذكورة حتى اتهائه (كذا) فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فى اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته سنة خمسين وثمان ماية من الهجرة النبوية » .

هذا وقد كانت المساجد والمدارس فى العصر المملوكى تحتوى على مكتبات عظيمة فيها كتب قيمة .

عبد اللطيف ابراهيم : سلسلة الدراسات الوثائقية ـ كنوز المماليك ـ المكتبة المملوكية (تحت الطبع) .

(٧٤) الآلات المستعملة فى الأسبلة والميضأة منها سلب من الليف أو الكتان ، وأدلية جلد وبكر ، وآنية للشرب ومكانس خوص ، وطسوت وأسطال نحاس وأباريق وقلل فخار ، وسفنج وفوط للمسح . وثيقة برسباى أوقاف ٨٨٠ ص ١٩٩ ، ٢٢٥ . وثيقة اينباى محكمه بدون رقم ، وثيقة أزبك محكمه ١٩٨ ، وثيقة جوهر المعينى محكمه ٢٠٢ ، وثيقة السيفى أزدمر من على باى محكمه ٢٤١ ، وثيقة الزينى عبد اللطيف محكمه ٢٢٢ . وثيقة فرج ابن برقوق محكمه ٦٦ ، وثيقة أبو المحاسن بن تغرى بردى المؤرخ محكمه ١٤٧ ، وثيقة السلطان إينال (المرحوم الاستاذ محمود حنفى) .

(٧٥) كانت وظيفة الوقادة من وظائف القومة الرئيسية فى العمائر الدينية المختلفة ، وتحدثنا كثير من الوثائق المملوكية عن مهمة الوقاد وأخلاقه وصفاته ، إذ يجب أن يكون ثقة أميناً قوياً قادراً على العمل . وثيقة بدر الدين الوفائى محكمه ٢٢١ ، وثيقة أزدمر محكمه ٢٤١ ، وثيقة السيفى بيبرس محكمه ٣١٣ ، وثيقة جوهر اللالا أوقاف ١٠٢١ ، قانى باى الرماح أوقاف ١٠١٩ ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٤٧٠ .

(٧٦) المزملاتى : هو الذى يقوم بتسبيل الماء فى السبيل ، ويتولى الخدمة فيه فى الأوقات المحددة فى الأيام العادية وفى شهر رمضان . وتذكر لنا وثيقة قانى باى الرماح أوقاف ١٠١٩ أن السبيل لم يكن يفتح إلا بين صلاة الظهر والعصر فى وقت الحر الشديد .

وتشترط وثائق عصر المماليك فى المزملاتى شروطاً خاصة أهمها صفات جسمية وخلقية

معينة ، منها أن يكون سالمـا من العاهات والأمراض كالجذام مثلا وأن يسهل الشرب على الناس ، وأن يعاملهم بالحسنى والرفق . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ ، وثيقة فرج ابن برقوق محكمه ٦٦ ، وثيقة الجمالى يوسف ناظر الخواص الشريفة محكمه ١٠٥ .

(٧٧) تجمع كثير من وثائق العصر المملوكي على أن يكون الأطفال المنزلين بالمكاتب من الأيتام الذين لم يبلغوا الحلم ، والذين فيهم قابلية للتعليم، بينما تشترط وثائق أخرى أن يكون الأطفال من أولاد الفقراء على أن يفضل الأيتام منهم ، هذا وتشترط وثيقة الزينى عبد اللطيف من انسباى محكمه ٢٢٢ أن يكون الأطفال من أبناء السادة الأشراف الأيتام أنظر كذلك وثيقة السيفى أزدمر محكمه ٢٤١ ، وثيقة الأتابكى أزبك محكمه ١٩٨ ، وثيقة قلمطاى محكمه ٦٨ . وكان يصرف للأطفال ثمن أقلام وألواح ودوى . وثيقة السلطان حسن محكمه ٤٠ ، وثيقة فرج بن برقوق محكمه ٦٦ ، وثيقة جمال الدين الاستادار محكمه ١٠٦ ، وثيقة قايتباى أوقاف ٨٨٥ ص ٢٠٣، Mayer : *op. cit* p. 72 .

(٧٨) يتضح لنا من هذه العبارة أن المكتب علو السبيل والذى كان مواجها لمسجد قراقجا ، لم يكن قد تم بناؤه بعد عند تحرير وثيقة الوقف . أنظر الوثيقة سطر ٦١ ، ١٥٣ ، ٢٤٣ .وقد لاحظنا ذلك فى بعض الوثائق العربية الوسيطة ، أنظر التحقيق رقم ٥٤ وما به من مصادر .

(٧٩) المؤدب ، هو الاسم الذى تطلقه معظم وثائق عصر المماليك على المعلم فى مكاتب الأيتام ، بينما تسميه بعض الوثائق « الفقية » مثل وثيقة جمال الدين الاستادار محكمه ١٠٦ ، وثيقة قايتباى أوقاف ٨٨٦ ص ١٤٩ Mayer : *op. cit.* p. 79. وكان يشترط فى المؤدب شروطا خاصة ، منها أن يكون خيرا دينا ذا عقل وعفة أمينا على أطفال المسلمين صحيح العقيدة . وثيقة السلطان حسن أوقاف ٨٨١ ص ٤٥٥ ، وثيقة مغلطاى الجمالى أوقاف ١٦٦٦ ، وثيقة جوهر اللالا أوقاف ١٠٢١ ، وثيقة الجمالى يوسف ناظر الخواص محكمه ١٠٥ ، السبكى : نفس المرجع ص ١٣٠ ، وتشترط بعض الوثائق أن يكون المؤدب ملما بمادته مراعيا لميول وحاجات الأطفال النفسية ، وأن يعمل على ما يرغبهم فى القراءة والعلم ،وأن يعلمهم ما يطيقون تعلمه، ويعاملهم بالاحسان والتلطف، وأن لا يضرب الضرب المبرح . وثيقة برسباى أوقاف ٨٨٠ ص ١٩٣ ، وثيقة فرج بن برقوق محكمه ٦٦ ، وثيقه زين الدين الانصارى، محكمه ٥٦ ؛ وثيقه قايتباى أوقاف ٨٨٥ ص ٢٠٣

(٨٠) ورد فى كثير من وثائق الوقف المملوكية ذكر للتوسعة على أرباب الوظائف والقومة وغيرهم من طلبة العلم الشريف فى العمائر الدينية فى المواسم والأعياد . وخاصة فى شهر رمضان ، وذلك بزيادة مرتباتهم المالية والعينية ، وكان الأطفال الأيتام المنزلين فى مكاتب الأسبلة ومؤدبيهم ينالون فى شهر رمضان الكثير من العطايا والملابس من ملاليط وابراد طرح ، وأقباع صوف ، ومناديل وسواسى خام ومطرزة . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٦٥١ — ١٦٥٤ ، وثيقة السيفى طقطباى محكمة ٢٧٢ ، وثيقة السيفى قراجا محكمة ١٧٧ ، وثيقة الزينى عبد اللطيف محكمه ٢٢٢ ، وثيقة تمرباى الحمدى أوقاف ١٠١٨ ، وثيقة صرغتمش أوقاف ٣١٩٥ ، وثيقة السلطان فرج محكمه ٦٦ ، ويتضح من مجموعة المرتبات والمعاليم النقدية والعينية التى كان ينالها الموظفون على اختلاف درجاتهم ومهامهم فى كل شهر وفى المواسم والأعياد مقدار ما احتاجه مسجد من المساجد من المال زمن سلاطين المماليك الجراكسة فى مصر .

Dozy : *Dictionnairé detaille des noms dts Vêtements chez les Arabes.*

(٨١) كان الزيت — إلى جانب الشمع — يستعمل بكميات كبيرة فى الاضاءة فى العصر الوسيط ، وكانت تزاد التوسعة من الزيت فى المواسم والأعياد ، وكان الوقاد يضع الزيت فى مسارج من الخزف أو المعدن ذات فتيل من شعبة أو شعبتين ، وقد يوضع الزيت فى قرايات من الزجاج . هذا وقد كان زيت الزيتون الطيب يستعمل فى الاضاءة ، وعند تعذر وجوده أو ارتفاع ثمنه ، كان يستعمل الزيت الحار ، وكانت الدولة المملوكية فى مصر والشام تنتج كميات وافرة من الزيت لانتشار مزارع الزيتون والكتان وكثرة المعاصر فيها كما تذكر وثائق ذلك العصر ، ومنها وثيقة الناصر محمد بن قلاوون محكمة ٢٥ ، ٣١ ، وثيقة المؤيد شيخ أوقاف ٩٣٨ ، وثيقة قانى باى أوقاف ١٠١٩ ، وثيقه أبو سعود الجارحى محكمه ٢٨٧ ، وثيقة قايتباى محكمه بدون رقم ، وثيقة السلطان اينال (المرحوم محمود حنفى) وثيقه سبيل المؤمنين أوقاف ٨٨٤ سطر ، ٨٦ ، ٨٧ ، وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٧٠٥ ، وثيقه الغورى أوقاف ٨٨٣ ، وثيقه بدار الكتب ١٦٥٢ تاريخ .

(٨٢) الحصر ، هى المادة التى كانت تفرش بها أرضية أغلب المدارس والمساجد والخوانق والمكاتب فى ذلك العصر ، وذلك لمنع الداخل من المشى على الرخام النفيس.

على حد قول وثيقة صرغتمش أوقاف .. ٣ ، وتختلف أنواع الحصر فمنه الأبيض المنسوج على خيط الكتان وهو من أحسن ا ع ، ولكنه أقل جودة من الحصير العبدانى . المقريزى : السلوك (نشر زيادة) ج ١ ص ٤٧١ حاشية ٦ ، ص ٤٩٧ حاشية ٣ ، وثيقة حسام الدين لاچين، محكمة ١٧ ، ٨ . وهناك نوعان من الحصير منها القطبان والسمار ، وهما أقل جودة من العبدانى أيضاً . وثيقة الغورى اوقاف ٨٨٣ سطر ١٦٤٣ ، ١٦٤٤ .
Lane: *Ar. Eng. Lex.*

(٨٣) المباشر والجمع مباشرون و . الموظفون الاداريون للوقف ، وكانوا يتولون وظيفة المباشرة ، ووظائف المباشر . مباشرة الادارة والصندوق والرباع والعمارة . المقريزى : السلوك ج ١ ص ٩٩٩ — ١٠ (ملحق ٩ عن النويرى نهاية الأرب) وكان يشترط فى المباشر أن يكون أميناً عارفاً بـ عة الكتابة وتنظيم الحسابات، وضبط ما يتحصل من ريع الأوقاف ، وعمل حساباته متـ ومنصرفاً، ورفعه للناظر على الوقف ، وأن يعمل ما فيه مصالح الوقف عامة . وثيقة الـ قرقماس أوقاف ٩٠١ ص ٢٩ . وثيقة بدر الدين حسن محكمه ٢٢١ ، وثيقة طومان بـ . أوقاف ٨٨٢ ص ٥٦٣ (تحت الطبع) ، وثيقة السيفى بيبرس محكمه ٣١٣ ، وثيقة الدين حسن محكمه ٤٠ ، وثيقة قايتباى أوقاف رقم ٨٨٧ ، ٨٨٦ ص ١٤٢—١٤٣ ، وثيقة الأ أزبك محكمة ١٩٨. Mayer : *op. cit.* p. 76.

(٨٤) الشاد أو المشد كان يتولى ظيفة الشادية (الملاحظة) ، وهى وظيفة لعدة نواح منها شاد القصر والحوش و ين والسواقى والمراكب والشون والبيمارستان والمعاصر وآدر الضرب والسلاح خـ العمائر والأوقاف ، وصاحب هذه الوظيفة الأخيرة يتولى شد العمائر الموقوفة ، ويجدد و ما فيها باعتباره من العارفين بأمور الهندسة والبناء ، ويشرف على أرباب الصناعات المختلفة العمائر ، وكان عليه اللطف والرفق بهم وأن يسمح لهم بالصلاة فى أوقاتها . والشاد فى من موظفى الوقف الاداريين . السبكى : نفس المرجع ص ١٢٩ . المقريزى : السلوك ١ ص ١٠٥ حاشية ٢ ، ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٥٥ . القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ . وأقرب مرادف لهذا اللفظ اليوم كلمة « منتش » وهو يعاون على الوقف باعتباره من كبار الموظفين ، ويكون عادة أميرعشرة . المقريزى : السلوك ج ص ٢٣٩ حاشية ١ ، وكان الشاد يعمل ما فيه مصلحة الوقف العائد نفعها على مستحقيه . عاون أحيانا فى جباية ريع الأوقاف ، ومن وجده

مقصراً من أرباب الوظائف استحثه على العمل. وثيقة السيفى تغرى بردى الأحمدى محكمه ١٥٢ ، وثيقة السيفى ازدمر محكمه ٢٤١ ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٥٧٢ — ١٥٧٤ ، وثيقة بدر الدين حسن محكمه ٢٣١ ، وثيقة قايتباى اوقاف ٨٨٦ ص ١٤١ ، وثيقة السلطان حسن أوقاف ٨٨١ ص ٤٥٩ ، وثيقة برسباى أوقاف ٨٨٠ ص ١٩٦ ، وثيقة السلطان اينال (المرحوم محمود حنفى) ، وثيقة الأتابكى ازبك محكمة ١٩٨ . وكان يشترط فى الشاد أن يكون سيوساً ديناً ذا عفة وأمانة . وثيقة المؤيد شيخ أوقاف ٩٣٨ ، وثيقة قانى باى الرماح اوقاف ١٠١٩ ، وثيقة طومان باى أوقاف ٨٨٢ ص ٥٦٤ . عبد اللطيف ابراهيم : سلسلة الدراسات الوثائقية - بعض وظائف من عصر المماليك (تحت الطبع) .

(٨٥) الجابى : كان يتولى وظيفة الجباية ومهمته استخلاص وجباية الأموال الهلالية من مسقفات الأوقاف ، ويستخرج الأجور ويُسكن المستغلات من رباع وحوانيت ، وقياسر ومعاصر ومطاحن ويخليها عند الحاجة إليهما ؛ وتشترط بعض الوثائق أن يكون الجابى من أهل الخير والدين، أميناً ذا قوة وقدرة على جباية الريع ، وألا يترك قسطاً إلى أن يستحق قسط آخر ، وأن يراجع المباشرين والناظر فى ذلك ، ويتولى قبض الريع وضبطه وكتابة حسابه بإذن الناظر ، وثيقة قانى باى أوقاف١٠١٩ ، وثيقة السيفى طقطباى أوقاف ١٠٢٠، وثيقة الجمالى يوسف محكمه ١٠٥ ، وثيقة أزدمر من على باى محكمه ٢٤١ ، وثيقة الزينى عبد اللطيف محكمه ٢٢٢ ، وثيقة قايتباى أوقاف رقم ٨٨٧ ، ٨٨٦ ص ١٤٥ ، وثيقة أزبك من ططخ محكمه١٩٨ ، وثيقة صرغتمش أوقاف ٣١٩٥ . وقد يكون الجابى أحيانا هو الصيرفى فى آن واحد . وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٥٠٨ . كما قد يكون الجابى هو المعمار كما ورد فى وثيقة تغرى بردى البطمش البكلمشى محكمه ٩٨ ، وثيقة جمال الدين الاستادار محكمه ١٠٦ . وقد يوجد أحيانا جابى للمسقفات الموقوفة فى مصر وآخر للعقارات المحبوسة بالشام ، كما ورد فى وثيقة برسباى أوقاف ٨٨٠ ص ٢٠٠ .

(٨٦) يدل هذا النص صراحة على أن باقى ريع الأوقاف المحبوسة بعد ما عين الواقف صرفه فى جهاته المختلفة يكون للواقف المقر الاشرف الأمير قراقجا الحسنى من غير مشارك له فى ذلك ، وبعد وفاته يكون الريع لأولاده الذكر والأنثى فى ذلك سواء ، ومن بعدهم لذريتهم ، وهكذا كما تذكر الوثيقة سطر ١٧٧ — ١٩٤ ، فاذا انقرضوا كان

ذلك مصروفا لعتقاء الواقف من مختلف الأجناس بالسوية بينهم ولأولادهم من بعدهم ، فاذا انقرضوا كان ذلك للفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والعاجزين من أهل الحاجة بمكة والمدينة بالسوية بينهم ، فان تعذر ذلك كان الصرف مناصفة فى مصالح الحرمين الشريفين ، وإن تعذر كان للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا صدقة مطلقة عامة فى وجوه البر والقربات كما يرى الناظر على الوقف — أنظر الوثيقة سطر ١٩٥ — ٢١٥ .

هذا وتشترط بعض الوثائق شروطاً مختلفة فى باقى الريع ، فمنها ما تنص على إدخاره لما يتوقع الاحتياج إلى صرفه فى العمارة والترميم ، ومرتبات الموظفين إذا قل المتحصل من الريع مستقبلا . وثيقة بدر الدين الوفائى محكمه ٢٢١ ، وثيقة الزينى عبداللطيف محكمة ٢٢٢ ، وثيقة جوهر اللالا أوقاف ١٠٢١ ، وثيقة السلطان حسن أوقاف ٨٨١ ص ٤٧١ ، وثيقة صرغتمش أوقاف ٣١٩٥ ، وثيقة طومان باى أوقاف ٨٨٢ ص ٥٥٤

(٨٧) نالت الأماكن المقدسة فى الحجاز جزءاً من ريع الاوقاف المالية والعينية (الملابس والدشيشة) التى كان يقفها سلاطين وأمراء المماليك فى مصر والشام كما تذكر كثير من الوثائق ومنها وثيقة السلطان أبو سعيد جقمق محكمة ١٠٨ ، وثيقة قايتباى أوقاف ٨٨٥ ص ٢٨ ، ١٥١ . ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٠٣ ، ١٦٠ ، ج ٥ ص ٢٣٤ ، ٢٩٤ . Enc. of Isl. art. Wakf. .

وكان ركب الحجاج يخرج فى شهر شوال عادة ، وصحبته المحمل والسبيل لسبل للفقراء والضعفاء بالماء والزاد والأشربة ، والأدوية العقاقير والأطباء والكحالين والمجبرين ، والجند والقضاة والشهود والأمناء ، ومغاسل الموتى فى أكمل زى وأتم أبهة . السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٥ (المطبعة الشرفية) ، وكان يرسل صحبة الركب الشريف والكسوة والأردية ، والهبات والأموال للفقراء والمنقطعين من أهل الحاجة المقيمين بمكة والمدينة . وثيقة طومان باى أوقاف ٨٨٢ ص ٥٥٥ ، ظهر وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ ، وثيقة خاير بك من مال باى (الاستاذ العظم) ، وثيقة السلطان حسن محكمه ٤٢ ، وثيقة بدار الكتب المصرية رقم ١٦٥٢ تاريخ ، وثيقة أبو السعود الجارحى محكمه ٢٨٧

(٨٨) يقصد بالصدقة المطلقة العامة عمل الخير بكافة الطرق ، من إطعام الطعام ، وتسبيل الماء ، وفك أسرى المسلمين ، ووفاء دين المديونين على حد قول الوثيقة نفسها ، وغير

ذلك من جهات البر والقربات والأجر والمثوبات للفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والمنقطعين والعميان وأصحاب العاهات وذوى الحاجات من أرباب البيوت والمجاورين وكسوة العرايا والمقلين وستر عورات الضعفاء والعاجزين كسوة وافية من برد الشتاء وحر الصيف ؛ وإرضاع الأطفال عند فقد أمهاتهم أو عجزهن عن أرضاعهم وكفالتهم كما ورد فى وثيقة السلطان شعبان بن حسين محكمه ٤٩ ، وثيقة السلطان فرج محكمه ٦٦ ، وثيقة السلطان حسن أوقاف ٨٨١ ص ٤٧٢ — ٤٧٣

وتذكر وثائق أخرى الصرف من ريع الأوقاف لتكفين أموات الفقراء من المسلمين، واعتاق من أمكن إعتاقه من الرق واطلاق من تيسر إطلاقه ، أو لخلاص المسجونين والصرف على المحابيس بالحبوس بالديار المصرية فى سجن الرحبة والديلم والمقشرة . وثيقة بيبرس الجاشنكير محكمه ٢٣ ، وثيقة حسام الدين لاجين محكمة ١٧ ، ١٨ . وثيقة محمد ابن قلاوون محكمه ٢٥ ، ٣٠ . وثيقة السلطان جقمق محكمه ٩٧ (تحت الطبع) وثيقة السيفى قراجا الجمالى الخاصكى محكمه ١٧٧

(٨٩) المراد بالولاية على الوقف النظر فيه والولاية عليه ، والوالى على الوقف هو الذى ينظر فى الأموال ، وينفذ تصرفاتها ويرفع اليه حسابها لينظر فيه ويتأمله بعين الدقة ومن هنا أطلق عليه الناظر ، واللفظ مأخوذ من النظر الذى هو رأى العين ، أو النظر بمعنى الفكر ، لأنه يفكر فيما فيه المصلحة للوقف . القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٥ . وتنص كثير من الوثائق العربية فى العصور الوسطى على أن يكون النظر للواقف ثم لأولاده أو لمن يعينهم من الأمراء الذين يخلفونه فى وظيفته والشيوخ والقضاة . السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص١٨٦ (طبعة الوطن) وكان السلاطين والامراء غالباً ما يعهدون إلى عتقائهم بالنظر والولاية على مايحبسونه من أوقاف كما تذكر الوثيقة سطر٢٢٣، المقريزى: السلوك ج ١ ص١٠٤١، ١٠٤٨-١٠٤٩ (عن النويرى نهاية الأرب) ، المقصد الرفيع (مخطوط) ص ١٣٢—١٣٣ ، وثيقة برسباى أوقاف ٨٨٠ ص ٢٥٥ ، وثيقة السيفى يشبك أوقاف ٤٨٥ . هذا والولاية أو النظر لايجوز لفاسق ولالخائن أوعاجز ، ولا بد من أهلية الناظر وأمانته وعدله وكفايته. القرشى : العقد الفريد ص١٨٣ — ١٨٤ . السيواسى : فتح القدير ج ٥ ص ٦١ ، ومن حق الواقف أن يكون ناظرا على وقفه بمفرده ، ومن حقه أيضا أن يشترك معه ناظرا ثانيا ، لأن الموقوف يحتاج إلى من يقوم برعايته ويحوطه بعنايته باصلاح ما يتهدم منه ، والعمل

على نمائه ثم استغلاله ، وانفاق الريع وتوزيعه على مستحقيه ، ودفع الضرر عنه وذلك لا يكون إلا بالنظر والولاية . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٥٥٧ ــ ١٥٦١ ، وثيقه المؤيد شيخ أوقاف ٩٣٨ ، وهذه الولاية تثبت أولا للواقف عند أبي يوسف ولو لم ينص عليها ، وفى مذهب محمد الولاية للواقف بالشرط . أما عند الشافعية ، فالولاية لا تثبت للواقف إلا بالشرط عند انشاء الوقف أيضا ، ومذهب الامام أحمد بن جنبل يقارب مذهب الشافعية فى ذلك ، أما مالك بن انس فيمنع أن يكون الوقف فى يد الواقف . الطرابلسى : الاسعاف ص ٤١ ، أبو زهرة : مشكلة الأوقاف (مجلة القانون والاقتصاد سنة ٦ عدد ٣) ص ٣٥٠ ــ ٣٦١ ، زيد : مباحث الوقف ص ٤٩ ــ ٥٠ ، قدرى : قانون العدل والانصاف ص ٦٨ ، احمد ابراهيم : أحكام الوقف ص ٩٨ ، السبكى : نفس المرجع ص ٦٤

(٩٠) النص على الايجار من الأمور الهامة التى تسترعى الملاحظة فى وثائق العصر الوسيط ، فقد وردت فيها شروط خاصة بالايجار لا تختلف عما هو وارد فى هذه الوثيقة سطر ٢٢٨ ــ ٢٣٠ ويلاحظ هنا أن إيجار العقارات المبنية لم يكن مشاهرة بل كان مسانهة ، أما إيجار الأراضى فكان لمدة سنتين على الأكثر ، بينما تنص وثيقة المؤرخ الأشهر أبو المحاسن بن تغرى بردى محكمة ١٤٧ على « وجوب دفع إيجار الأراضى قسطا بقسط والاماكن شهرا بشهر » أنظر كذلك وثيقه طومان باى أوقاف ٨٨٢ ص ٥٦٧ ، وثيقة بدر الدين الوفائى محكمه ٢٢١ ، وثيقة بدر الدين حسن نقيب الاشراف محكمه ٢٣١ ، وثيق السيفى دولات باى محكمه ٢٧٧ ، وثيقة السيفى ازدمر محكمه ٢٨٤ ، وثيقة السيفى طقطباى محكمه ٢٣٦ ، وثيقة ، قايتباى محكمه بدون رقم ، وثيقة الزينى عبد اللطيف محكمة ٢٢٢ ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٧١٤ ــ ١٧١٨ ، هذا وتنص وثيقة تغرى بردى محكمه ٩٨ على « ألا تؤجر الأرض إلا لفلاحيها فان تعذر فلفلاح مشكور السيرة حسن المعاملة » بينما تذكر وثيقه حسام الدين لاجين محكمه ١٧ ، ١٨ « أنه إذا أمكن استغلال الأرض بالزراعة كان ذلك وإن تعذر تؤجر لمدة سنة واحدة » هذا وتشترط وثيقة بيبرس الجاشنكير محكمه ٢٢ ، ٢٣ « أن من يؤجر أرض الوقف يزرع نصفها ما أحب وأختار والنصف الثانى برسيما وميقاتيا وفولا مراعاة لمصلحة الأرض » وكل هذه الشروط وأمثالها التى ترد فى الوثائق خاصة بالايجار إنما هى للمحافظة على الأوقاف وريعها ، ولضمان بقائها ودوام مصارفها المستحقين ، وتختلف مدة الايجارة

وشروط الواقف فى كل وثيقة تبعا للحالة الاقتصادية السائدة فى البلاد ، وظروف الوقف المالية خاصة . وثيقة المؤيد شيخ أوقاف ٩٣٨ ، وثيقة الصفوى جوهر اللالا أوقاف ١٠٢١ ، وثيقة فرج بن برقوق محكمه ٦٦ ، وثيقه السيفى جانى بك محكمه ١٥٣ ، وثيقه الشهابى أحمد محكمه ٢٦٤ ؛ وثيقة خاير بك (الأستاذ العظم) . القرشى : العقد الفريد ص ١٨٤ — ١٨٥ ، السبكى : نفس المرجع ص ٦٤ — ٦٥ .

(٩١) تنص وثائق عصر المماليك على وجوب البدء بعمارة الأوقاف من عقارات وأطيان ، وكانت هناك وظيفة تعرف باسم « شهادة العمارة » يتولاها ثقة أمين عدل يقوم بالصرف على تجديد العمائر والأطيان الموقوفة وإصلاحها وترميمها ، ويقدم بذلك حسابا إلى الناظر على الوقف . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٥٩٢ ، وثيقة بدر الدين الوفائى محكمة ٢٢١ ، وثيقة المؤيد شيخ أوقاف ٩٣٨ . ويرد فى كثير من الوثائق نصوص صريحة تؤكد الاهتمام بعمارة الأعيان الموقوفة ، وذلك بالصرف عليها قبل غيرها فيما تحتاج إليه من ترميم وإصلاح وحفر ترع وجرف جسور وتكريم للأرض وتنقيتها ، ليشمل ريها ويكمل نفعها ، وغير ذلك مما فيه بقاء عين الموقوف ونمو غلته ودوام منفعته ، ولو أنفق فى سبيل ذلك جميع غلته على حد قول وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٢ سطر ١٣٨٥ — ١٣٨٦ ، وثيقة سبيل المؤمنين أوقاف ٨٨٤ سطر ٦٣ — ٦٤ ، وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٥٠٢ ، وثيقة قايتباى محكمه بدون رقم ، زيد : مباحث الوقف ص ٩٤ — ٩٥ . وكان الباقى من الريع بعد المصارف المختلفة يدخر لما يتوقع الاحتياج إلى صرفة فى العمارة والترميم ، والشراقى ومرتبات أرباب الوظائف لقلة المتحصل وثيقه بدر الدين الوفائى محكمه ٢٢١ ، وثيقة الزينى عبد اللطيف محكمه ٢٢٢ ، وكان يبدأ بعمارة الأعيان الموقوفة أولا ولو صرف فى ذلك معظم الريع وإذا احتيج فى اصلاح الوقف وعمارته إلى قطع جوامك (مرتبات) المستحقين كان ذلك اللهم إلا مرتبات المؤذنين والامام والخطيب . وثيقه جوهر اللالا اوقاف ١٠٢١ ، وثيقة السلطان حسن أوقاف ٨٨١ ص ٤٧١ ، وثيقة صرغتمش أوقاف ٣١٩٥ ، وثيقة طومان باى أوقاف ٨٨٢ ص ٥٥٤ .

(٩٢) يقصد بذلك أن الواقف قد جعل لنفسه شروطا معينة ، وهى المعروفة باسم الشروط العشرة ، وهذه الشروط لا ترد فى الوثائق كاملة إذ أنها شروط مترادفة المعانى ، مثل الادخال والاخراج والاعطاء والحرمان والزيادة والنقصان والتفضيل والتخصيص

والابدال والاستبدال ، ويمكن القول بأن شرطى التغيير والتبديل يغنيان عنها كلها ، والقول بأن عددها عشرة إنما هو مجاراة للعرف الشائع على السنة الموثقين والفقهاء . خلاف : أحكام الوقف ص ٦٩ ـــ ٧٠ . والواقف فى هذه الوثيقة (الأمير قراقجا الحسنى) يقتصر هذه الشروط على نفسه دون غيره ـــ أنظر الوثيقة سطر ٢٣٧ ، مثله فى ذلك مثل كثير من الواقفين فى ذلك العصر . وثيقة قايتباى محكمه بدون رقم ، وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٧٤٠ ـــ ١٧٤٢ وثيقة سبيل المؤمنين أوقاف ٨٨٤ ، وثيقة صرغتمش أوقاف ٣١٩٥ ، وثيقة مغاطاى الجمالى أوقاف ١٦٦٦ ، وثيقة أزبك من ططخ محكمه ١٩٨ ، وثيقة المقياس أوقاف ٨٨٢ ص ٥٠٢ ، ٥١٣ .

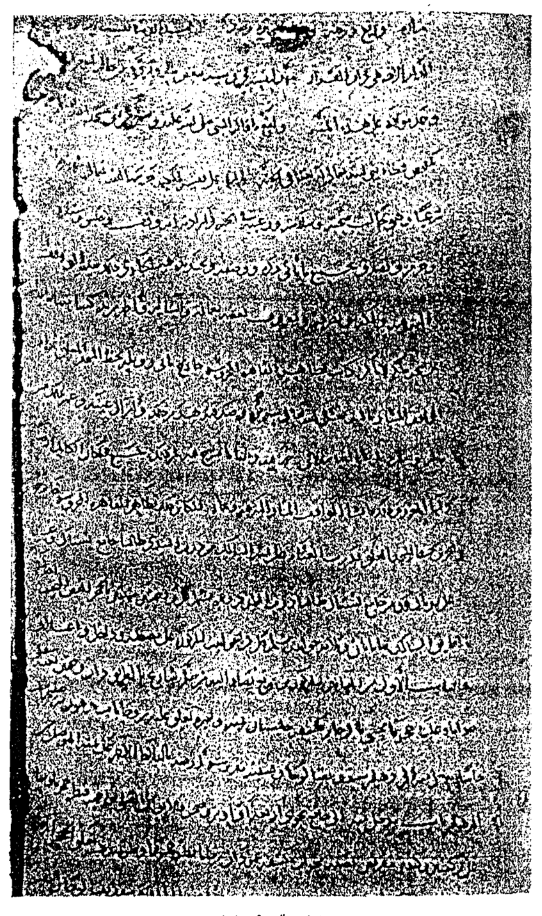
(٩٣) الأهلية ـــ عن هذا اللفظ الفقهى أنظر بحثنا هذا ص ١٩٢ حاشية ٢

هذا وتشترط كثير من الوثائق المملوكية ألا ينزل أحد فى وظيفة من الوظائف إلا إذا كان أهلا لها صالحاً للقيام فيها ، ومن سعى عند الناظر بشفاعة أو جاه أو رسالة فلا ينزل بتاتا فى شىء من وظائف الوقف ، حتى ولو كان أهلا لها ، وإذا استوى شخصان قدم الأسن منهما ، وإذا اتفقا فى السن أقرع بينهما . وثيقة الغورى أوقاف ٨٨٣ سطر ١٧٠٣ ، وثيقة أبو بكر بن مزهر الانصارى محكمة ١٧٥ ، وثيقة الاتابكى أزبك محكمة ١٩٨ ، وثيقة السلطان حسن أوقاف ٨٨١ ص ٤٨٦ ، ابن نجيم : الرسائل الزينية فى فقه الحنفية (مخطوط بدار الكتب المصرية) ص ٤٦ ب ـــ ٤٨ ب .

(٩٤ ـ ٩٦) هذه الألفاظ (مصلح ـ ملحق ـ ضرب) تعقيب من كاتب الوثيقة على ما وقع فيه من هنات أو سقطات كتابية أو كتابة على كشط أو غير ذلك من شطب لا يعتد به ، وتصويب وإلحاق للفظ أو أكثر بين سطور المتن ، واعترف بصحته وجريانه فى صلب الوثيقة تأميناً لها من الأيدى أو الأقلام التى قد تمتد إليها فتغير أو تبدل فى التصرفات الواردة فيها . وهذا أمر لاحظناه فى كثير من الوثائق التى قمنا بدراستها فى محفوظات القاهرة المختلفة ونعمل على نشر بعضها تباعاً بعنوان « سلسلة الوثائق التاريخية القومية » انظر بحثنا هذا ص ١٩٦ حاشية ٢ ، دكتور عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر الغورى (تحت الطبع) .

ـ سلسلة الدراسات الوثائقية ـ البرتوكول الختامى فى وثائق العصر المملوكي (تحت الطبع) .

مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٨/٢٩١ /٥٦٠



(لوحة رقم ١)

بداية وجه وثيقة (Recto) الأمير قراقجا الحسني

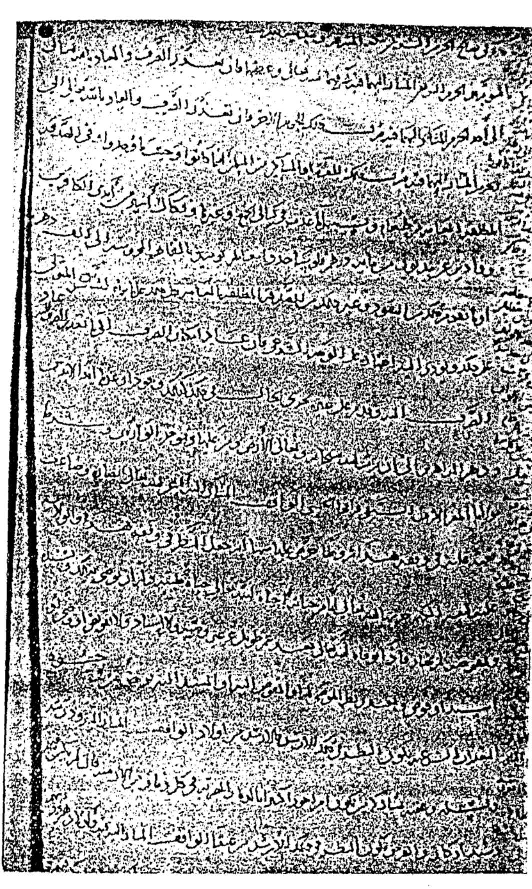
وفيها ورد جزء من البروتوكول الافتتاحي

(اللوحة رقم ٢)

جزء من وجه وثيقة الأمير قراقجا الحسني آمير اخور كبير

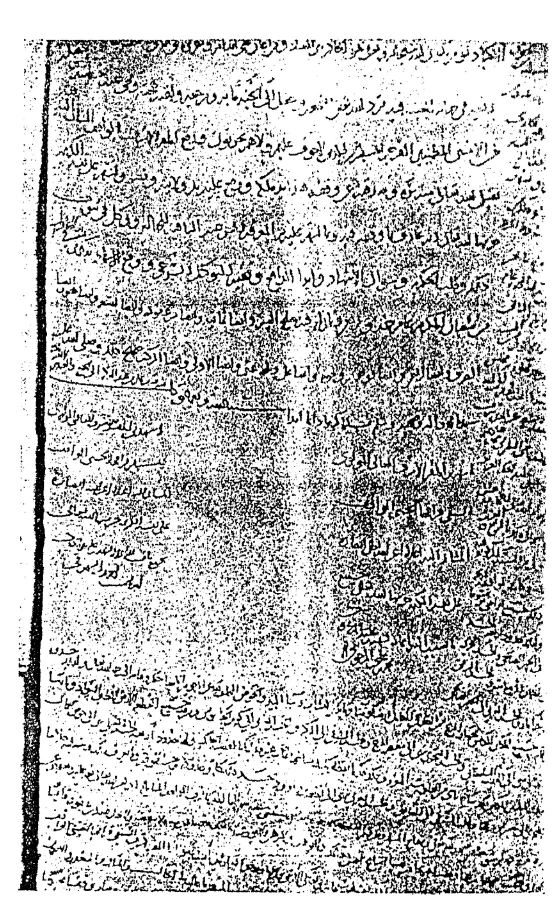
(وصف المسجد)

(لوحة رقم ٢)
جزء من وجه الوثيقة
(وصف السبيل والصهريج والمكتب)



(لوحة رقم ٤)

جزء من وجه الوثيقة ورد فيه بعض الفقرات الختامية التى نص عليها الفاعل القانونى ويظهر فى اللوحة نهاية بعض سطور النص الهامشى الأيمن



(لوحة رقم ٥)

البروتوكول الختامي وشهادتي التحرير وجزء من النص الهامشي الأيمن بعرض الدرج

(لوحة رقم ٦)

نهاية وجه الوثيقة حيث نجد بعض الاشهادات ومنه تحقق الناشر أن الوثيقة صورة من الأصل

يوم الاربعا الثالث من شهر رجب الفرد الاصم

حسبنا الله ونعم الوكيل

(لوحة رقم ٧)

جزء من ظهر الوثيقة (Verso) ويظهر فيه تاريخ الاشهاد (٣ رجب ٨٤٦ هـ) امام القاضى المالكى الاحظ طريقة وصل درجى الرق بالخيط فى وسط اللوحة)



الحمد لله ولي النعم

(لوحة رقم ٨)

جزء من ظهر الوثيقة ويظهر فيه تاريخ الاشهاد ٦ رجب ٨٤٦ هـ ،
أمام القاضي الشافعي

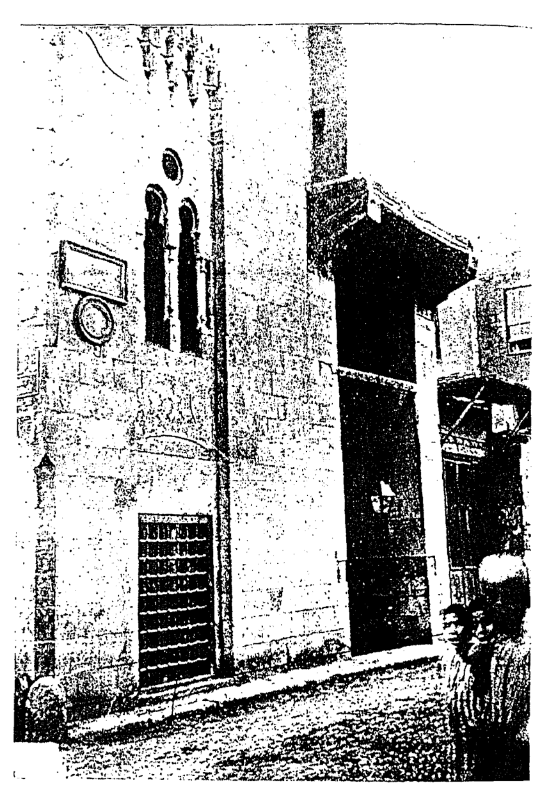


(لوحة رقم ٩)

جزء من ظهر الوثيقة وبه بعض توقيعات شهود التصرف ويظهر فى وسط اللوحة الخيط الذى يصل درجى الرق

(لوحة رقم ١٠)

جزء من ظهر الوثيقة ويظهر فيه تاريخ الاشهاد (٢٧ ذى الحجة ٨٤٦ هـ
أمام القاضى الحنبلى



(لوحة رقم ١١)

واجهة مسجد الأمير قراقجا الحسنى بدرب الجماميز (أثر ٢٠٦)

(لاحظ ارتفاع ارضية الشارع)

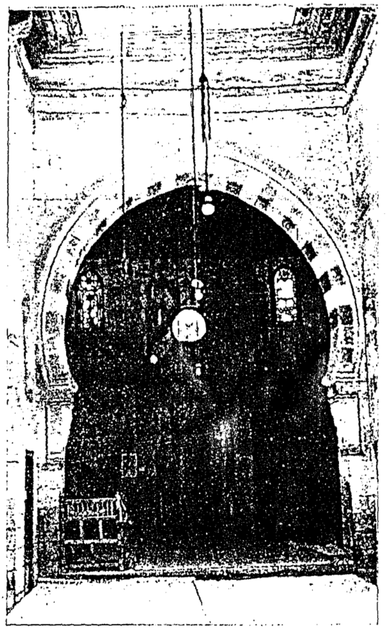
(مصلحة الآثار — قسم التصوير)



(لوحة رقم ١٢)

طراز من الخط النسخى المملوكى بمدخل المسجد
وتظهر فيه الألقاب الفخرية للواقف واسمه ووظيفته

(تصوير المهندس محمد بهجت)

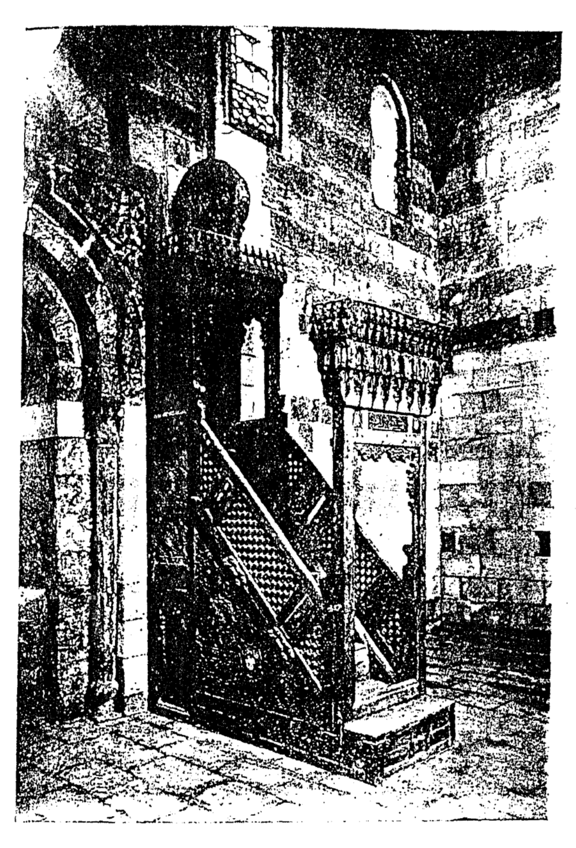


(لوحة رقم ١٢)

قنطرة من الحجر الملون تؤدى الى الايوان القبلى فى المسجد

(الوثيقة سطر ١٨ ــ ١٩)

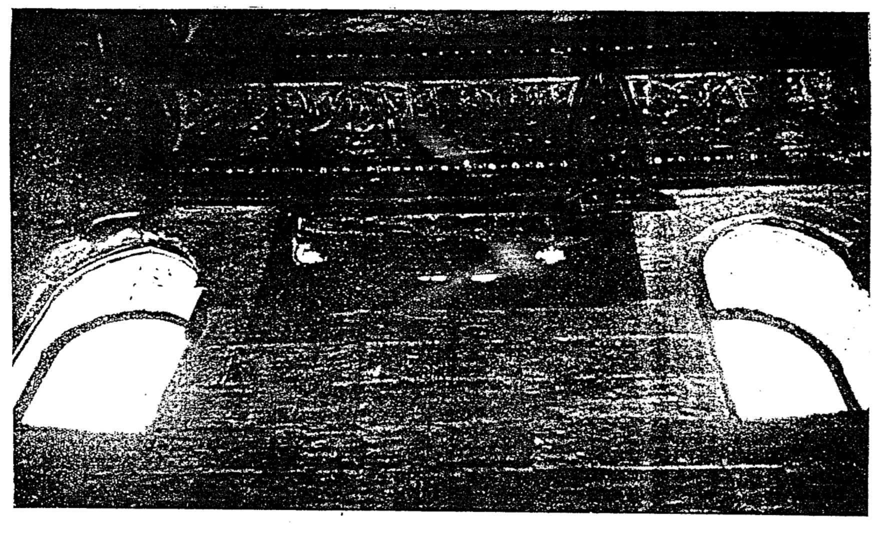
(تصوير المهندس محمد بهجت)



(لوحة رقم ١٤)

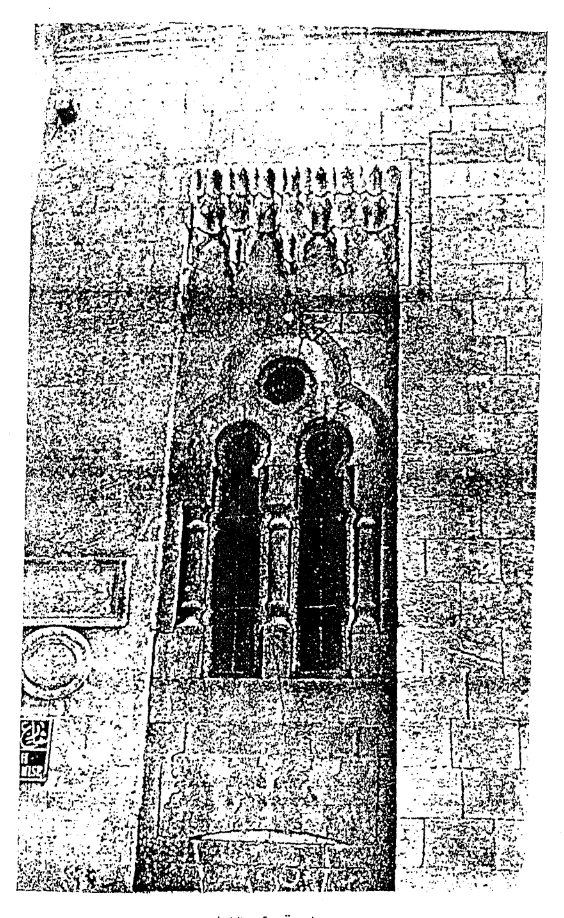
الايوان القبلى فى المسجد ويظهر فيه المنبر وعمود رخام وجزء من المحراب

(الوثيقة سطر ١٩ ـ ٢٣) (مصلحة الآثار ـ قسم التصوير)



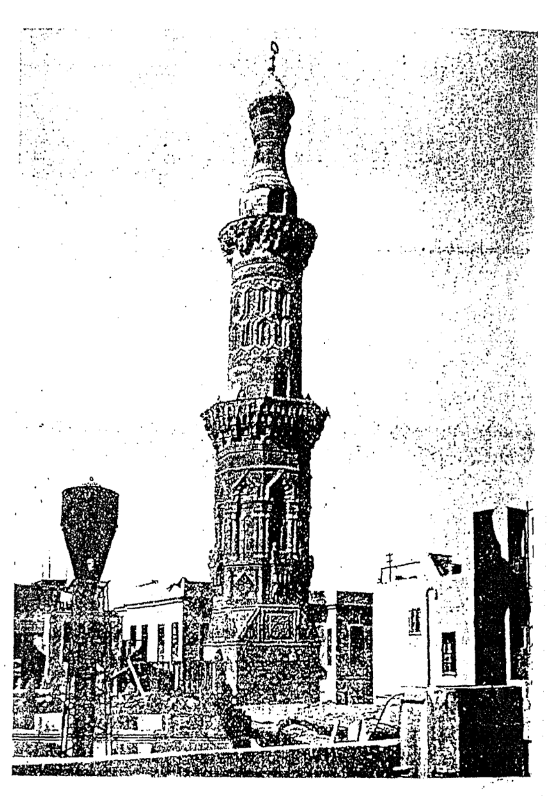
(لوحة رقم ١٥)

الباذاهنج أسفل إزار سقف الإيوان القبلي (الوثيقة سطر ٢٣)



(لوحة رقم ١٦)

القندلون فى حائط الواجهة الرئيسية للمسجد (الوثيقة سطر ٢٥)



(لوحة رقم ١٧)

مئذنة مسجد الأمير قراقجا الحسنى (مصلحة الآثار — قسم التصوير)

'in copper money' and the words *š'.t 24.t a ḳt 2.t* 'at the rate of 24 obols to 2 kite'; but, where it was a question of silver tebens, the epithet *ḥt sp-2* 'in silver money' preceded it: thus *ḥt sp-2 tbn 1* meant 'one teben in silver money'. It may be worth while comparing the French franc with the teben in this sense. That French unit of value and account in France, first a gold coin of the 14th century then a silver coin issued in 1575 and now a bronze coin, is simply called franc in each respective period when referred to as the franc in circulation in that period. But to differenciate between one franc of the latest period and another of the older period, one had for purposes of accounts to add the further epithet 'on the silver standard' or 'on the gold standard' as the case may be.

These being my remarks on the writing of *ḥt* and *tbn*, I must needs, in conclusion, refer to those parts of P. Berlin 13593 as cited by Miss Lichtheim on p. 4 of her magnificent '*Demotic Ostraca From Medinet Habu*'. Taken in order, I must read *ḥt sp-2 (tbn) 1 (/) sttr 5.t/tbn 1 ʿn* 'in silver money: 1 teben/5 staters/1 teben again'. Sections I and IV consist of trinkets and clothing which are evaluated in terms of "tebens" (*tbn*) and summed up as *ḥmt (tbn) 86 ḳt 8*, that is, "86 tebens and 8 kite in copper". The "one teben of same (sc. copper) (= *tbn sp-2*", which had been listed separately, is later added to the sum of "86 tebens and 8 kite in copper" in the following phrase: *ḥmt (tbn) 86 ḳt 8 a tbn (1) sp-2 (tmt) ḥmt (tbn) 87 ḳt 8/sttr 439/tbn 87 ḳt 8 ʿn* "86 tebens and 8 kite in copper plus 1 teben of same (sc. copper), total: 87 tebens 8 kite in copper/439 staters/87 tebens and 8 kite again".

These are some modest notes and remarks on the rich collection of texts adduced by Erichsen in one of his masterpieces entitled "Auswahl Frühdemotischer Texte".

P. 88: *ḥt.* The word *ḥt* means 'silver, a quantity of silver, silver (money)' as in *ḥt* (alone), *ḥt ḥmt* 'silver and copper', *ḥt n'* 'any quantity of silver', *ḥt ḳt* 1 'in silver (money): 1 kite'. It can be used elliptically for *ḥt n swn* 'price in silver', *pe ḥt* 'my price in silver', *pe-f ḥt* 'its price in silver'. It can also be used in short for *ḥt n p tny n* 'silver of the tax on' as in, e.g., *ḥt 'pe* 'the poll-tax', *ḥt ḥm* 'the tax on salt', etc. But the word *ḥt* never meant 'silver-piece'! The apparently written *ḥt* followed by a number should invariably be read *tbn* not *ḥt.* Thus instead of *ḥt 1* etc. we should read *tbn 1* 'one teben' as in *tbn 1 n pr-ḥt(n) Ptḥ (n) wtḥ* 'one teben of the treasury of Ptaḥ in bullion', *tbn 3 n pr-ḥt (n) Ptḥ n ḫr* '3 telens of the treasury of Ptaḥ in the standard weight' (see note on p. 31/5, above), *tbn 5* '5 tebens', *tbn 10* '10 tebens', *p tbn 10* 'the 10 tebens', *tbn 20* '20 tebens', *ke tbn 20* 'another 20 tebens', *p ke tbn 10* 'the other 10 tebens', *tbn 1 ḳt 4* 'one teben and 4 kite' and so on right through the ages of demotic writing, where the two signs for *ḥt* 'silver' and *tbn* 'teben or pound-weight' were almost identical and, therefor, confused with one another. The word *ḥt* never meant 'silver kite' as I erroneously read it in my *Demotic Ostraka* No. 132 as *ḥt* $\frac{2}{3}$ $\frac{1}{12}$ instead of the ligatured writing for *ḳt* (which looks like *ḥt*) in the phrase *ḳt* $\frac{2}{3}$ $\frac{1}{12}$ which corresponds to the 'I drachma, 3 obols' of the Greek docket.

The teben as a unit of value and account varied in worth from one period to another according as it was issued in pure silver, coined silver, debased silver or copper, and kept on being called teben either plainly as the accepted issue of its period or with further definitions. In the early documents *tbn* meant 'a silver teben'. In the later documents, when the *teben* was issued in copper, it was either written tacitly as 'teben' meaning 'copper teben' or with the further epithet *n ḥmt* 'in copper' or *(n) ḥmt sp-2*

P. 63/g, 2-3: I should read *ẖr-f ny ḏ n-y wḥ n w'b.w wt st p š' š-e-w a bl* 'He said the following (*lit.* this = *ny*) in answer to me (*ḏ n-y wḥ*) "The priests, as the Dux dismissed them, went out"'. *Ḏ-wḥ* = 'to answer'.

P. 65/4: Instead of *py pr* read *py 'y* 'this house'. Correct accordingly p. 65/1 and 4.

P. 65/2: Instead of *p pr-nfr* I should read *p 'y-nṯr* 'the embalming-place'. Instead of *Ir.t-Ḥr-r.r.w* I should read *'R.t-w-ar-w* only.

P. 67/2-3: Instead of *p' s' 4.nw* I should read *ḥm-nṯr s 4.n* 'prophet of the 4th phyle'.

P. 68/2: Instead of T'*-dj-Imn-nb-w(')s* I should read *T-te-'Mn-p-ws* 'She whom Amūn the propitious has gifted'. For *H* ... ... I should read *Ḥry-Ny.t-n-[s]*.

ib./3: For *mtw-j ẖ''-k* I should read *'r-(y) ẖ'-k* = *e-y ẖ'-k* 'if I leave thee'.

ib./4: Instead of *kjt ẖ.t* I should read *ke ḥwt* 'another man'; also p. 71/3.

P. 69/2: Instead of *n' sw* read *sw 3 ssw* 'day 3, date of ...'

ib./5: I should read *sw 14* 'day 14' instead of *sw 2* (?).

P. 70/2, 3: Instead of *ḥm.t* read *ḥbs.t* 'one's private woman' = 'wife'.

ib./6: *'n šn* = *'-n-šn* 'a set of netty fabric', 'a set of bride's underwear'.

P. 71/2: Instead of *wn* read *wn-'y* 'shrine-opener', 'pastophorus'.

ib./3: Instead of *kj-ẖ* I should read *ke ḥwt* 'another man'; also p. 68/4.

ib./4 ad fin.: Instead of *sw* I should read *ssw* 'date'; also in l. 6.

P. 57/a, 3 *ad fin.:* I am inclined to read the title of the Persian ruler as *š*ʿ (= *š*ʿ in classical spelling) and translate it 'dux', 'ruler', *lit.* 'foremost, *Allererst*'.

ib./b, 2: I should read *mn bt n n ḫtm.*[*w*] *n Imn* 'there is no *bote* in the vaults (or cellars) of Amun'.

ib./b, 3: I should read *wḥ* [*ḥt*] *a ms a ty a p ḫre n p ḫtm p nt e-n a 'r-f* 'To seek money at interest to buy (*lit.* give for) the food supply (*ḫre*) of the cellar (*ḫtm*) is what we shall do' etc.

ib./b, 3–5: *n rm nt e t.t t-w ḏr n py tmy bn ḥr-n 'n e wn rm n py tmy bl-n-w* '(as for) the men whose hands are aggressive in this town, is it not within our power that there be men in this town beside them (= to rival them)?'. *bn ḥr-n 'n* is the negative of *e-'r-ḥr-n* 'in our power' noted on p. 42/10, above.

P. 58/c, 8–9: Read *'y* (= *e-y*) *pḥ a p š*ʿ *mte* (—*y*) *gm p ḥp e* [*p š*ʿ *mr nḥ*]*t Te-w-ḏy e-*(*y*) *a 'n n-f smy* 'If I reach the dux (*or* ruler) and find out [that the dux desires to save] Tewḏoi, I will report to him' etc.

ib./e, 1–3: Read *ḏ-f n-y 'nḫ P-R*ʿ *gm-*(*y*) *p ḥp e mte-k p-e-wne m*ʿ*.w ḏ 'y* (= *e-y*) *ḏ n-k n mt nt ḥp n-*['*m*] *a ny w*ʿ*b.w a ḫtb-*(*y*) *ḫtm-f p ḏm*ʿ *te-f ḫtm-*(*y*) *s 'rm-f* 'He said to me, "By Phrē, I have discovered the fact that it is thou that wast correct in saying 'If I tell thee the things that happen there (*sc.* in Tewḏoi) these priests will slay me'". He authenticated the papyrus (i.e. he declared the papyrus authentic by putting his signature to it) and caused me to put my signature to it with him'.

P. 59/c, 3: I should read *gršе* not *gršt* (the *e* is identical with that of *ne-w* in c/2 of p. 59). It is possibly the same word as *wršе* 'guards' with *g* for *w*; and, according to the determinative, they might have been 'ῥαβδοφόροι 'rod-bearers'.

ib./7 : The demotic reads *b-r'-te* for *bw-ir-tw*.

P. 40/6 : *P sh n hr wh.w* means 'the scribe who is in charge of correspondence'. The *n* is not genetival; it is the old *m* meaning 'who is'. The same case occurs in p. 60/a, 1: *w' tqs n hr h.t* 'a boat which was charged with wood'.

P. 41/6 : I should read *my wt-w (t-y) m-bh Pr-'o* 'may I be released from the service of Per'o'.

P. 42/2 : Read *my wt-w (t-y)* 'may I be released (from service)'.

ib./3 : *'n wt-(y) s* 'If (*'n* = old *ir*) I release him' = 'If I accept his resignation'.

ib./8 : *sk* 'to assemble'. It is worth noting that *sūk* سوق in Arabic means 'market', literally 'assembling-place'.

ib./10 : I should read *hm-h* 'coward' (instead of *hm* only), a corrupt phonetic rendering of old *hm-ht* 'zurückweichen, to fall back, retreat', *Wb.* III p. 79, 3. The determinative, the way sign and feet, makes it preferable to translate it 'runaway'.

e.'r-hr-n 'in our power'; cf. Bohairic *hraw* in Tim. 2/10 (Horner): *alla pet-hraw n-ni-hiomi ti-mmof* = ἀλλα ὃ πρέπει γυναιξὶν = Sa'idic (Balestri) *pet-ešše pe n ne-hiome* The negative *bn hr-n 'n* 'it is not within our power' occurs in 1/6–7 (= p. 57/b, 4 below).

P. 44/11 : Read *le-mš'*.

P. 51/5 : Read *le-šn* 'overseer of affairs (*lit.* circumstances)',

P. 52/3 : Read *b-r'-te-f* and *b-r'-te* respectively.

P. 53/3 : Read *p le-htm* 'the storekeeper'.

P. 56/5–6 : I should translate *te-n kt-w pe-n 'y te-w ph te-f h-hry hms-n n-'m-f* 'we set our house on building and the ground-floor was hardly finished before we were dwelling in it (*sc.* the house)'. For the reading *'y* instead of *pr* see note to p. 19/1, above.

P. 31/5 : *n ḫr* 'according to the established weight', see note on p. 27/11 under *n wtḫ* 'in bullion', above. The determinative of *ḫr* here, which represents a ring or a circle, makes it tempting to translate *n ḫr* 'in circulation', 'in distribution', i.e., 'according to the standard rate', 'according to the standard weight or measure', thus relating it to Egyptian *ḫnr* meaning 'circulation', 'distribution', *Wb.* III 298/8-14, possibly also to Coptic *šlè*, Crum, *Coptic Dict.* p. 558 *b*. Compare also *ḫr* 'Street' = *strata* (*via*), fem. p.p. of *sternere* 'to strew'.

P. 34/5 : Instead of *s.t.w* (?) I should read *ew.w* 'offices'.

P. 35/2 : The personal name apparently reads *P-te-'R-ḥms-nfr* (?) *sy Ty.t-Ḥp* (Gift of Ḥapi).

ib./3 : The determinative of *hy* is the phallus with liquid issuing from it, not the hide ; it is the same as that in l. 5 in a contracted and more cursive form.

(*) P. 37/1 : *pe-k.'r ḫpry n rm* 'thy being a marvellous man', the *n* being that of the adjective = *m* 'in the form of'; and the phrase literally means 'thy being a marvel in the guise of a man'.

ib./10 : *Te-w-dy* is possibly a purely phonetic rendering of a place-name *T-wḏ.t* meaning 'The Storehouse', cf. *Wb.* I, p. 402/10. Cp., e.g., Coptic *tewšē* 'the night'.

P. 38/9 : I prefer reading *ḥbs.t*, 'one's private woman' = 'wife', not *ḥm.t*.

P. 39/1 : Instead of *Nj.t-m-ḥ'.t* I prefer reading *Ny.t-m-nw.t* 'Nitemnaw'.

ib./2 : Instead of *p'j-f ... ḥry* I should read *armn-p.t* for the old priestly title *rmn-p.t* 'sky-holder' (*Wb.* II, p. 420,1). The *a* before *rmn* is the same as *i* im *ikt* = Coptic *ekōt* 'mason', 'builder'. Instead of *gm* read *gm* (—*y*) 'that I find'.

(*) *The Petition of Peteēsi* should have had a separate study by itself, yet a few sporadic remarks may for the present be worth noting.

ib./7–8: Instead of *ir-ir p ꜣj-[j] nbj (n) ḥwtj ḫpr r rn-k* I should read *e.'r p 'ḏ nbe (n) ḥwt ḫp a 'y-k* 'The shortage ('ḏ), caused by (*lit.* of) negligence (*nbe*) in tilling, shall be owing from thee'. The word *'ḏ = 'ḏꜣ* literally means 'defect', 'wrong', 'error', hence 'shortage'. Cf. *Wb.* I, p. 240, 16.

ib./8: Instead of *r ḫ n* I should read *n ḫ n* 'from within'.

ib./10 *ad fin.*: Instead of *iw-(j) r in* I should read *e (—y) (a) ty n–k* 'I shall give thee'.

ib./11: Read: *tbn 1 n pr-ḥt (n) Ptḥ n wtḥ* 'one teben, of the treasury of Ptaḥ, in bullion'. *Family Archive*, B.M. 10954/4 gives *tbn 21 n pr-ḥt (n) Ptḥ (n) ḥt wtḥ* '21 tebens, of the treasury of Ptaḥ, in bullion silver' and *ib.* l. 5 gives *ḥt sp-2 (tbn) 1 n pr-ḥt (n) Ptḥ (n) ḥt wtḥ* 'in silver money: one teben, of the treasury of Ptaḥ, in bullion silver'. For the reading *tbn* instead of *ḥt* see note *ad fin.* on *Glossar* p. 88 under *ḥt*, below. The expression *n wtḥ* 'in bullion, in ingot' or *n ḥt wtḥ* 'in bullion silver' means 'in solid uncoined silver'. It is used side by side with *n ḫr* (var. *ḫl*) which means, 'according to the established or customary weight or measure' and which is clearly related to Egyptian *ḫr* expressing custom or usage. Thus *te-y n-k pr (n) ḫl* means 'I gave thee corn according to the established measure' and *te-y n-k ḥt (n) ḫl* means 'I gave thee silver according to the established weight', νόμισμα.

P. 28/2: I prefer translating the mother's name *T-ryr* 'the nurse', = Eg. *rr.t* 'nurse' (not *rr.t* 'pig').

ib./5: Instead of *Imn* ... I should read *'Mn-'r-ty-s sy Ky* 'Amonartaas son of Kūï (The Small One)'.

ib. 6/ *ad fin.*: Instead of *Pꜣ* ... ... I should read *P-ḏr.t*, (sic) 'The Scorpion', written in pure hieratic ḏr (the *sign ḏr + r*) + the road sign + fem. *t* + scorpion.

P. 29/4: Instead of *Rwrw* I should read *Lely*. See note on p. 26/7, above.

ib./c, 2: Instead of *ḥnʿ mn-nn* I should read *ḥnʿ sp-2* 'together with dito (*sc.* the title *ʿm* (*n*) *pr Mnt* of l. 1).

ib./c, 3: Instead of *r s 3* I should read *tmt s 3* 'total: 3 persons'.

ib./c, 6: Possibly *p sẖ-bk* 'the writer of the document'.

P. 25/2: Instead of *Pꜣ-ḥr-Imn* I should read *P-wḥ-n-ʾMn*, which apparently means 'The one added (to the family) by Amūn', possibly also 'The one adopted by Amūn'.

ib/6: The personal name *Dj-s-Ḫnsw* = *Ty-s-Ḫns* means 'His giver is Chons'.

P. 26/1: *P yḥ ḥbs n Ḫns* means 'the arable land of Chons'. Cf. *ḥbs* = 'Feld, Acker', *Wb.* III, p. 256, 13.

ib./4: Instead of ... I should read *wp-s* 'in detail', cf. *Wb.* I p. 302, 1.

ib./5, 6: Instead of ... 2 I should read *ge s 2* 'namely, 2 persons'.

ib./7: Instead of *mr ḫꜣs.t* I should read *le ḫs.t*; so also in all other titles comprising this old group *mr*, e.g., *le pr-ḥt*, *le-mšʿ*, *le-šn*, *le ḫtm* 'store-keeper' (instead of *mr-šnʿ*), and in words the writings of which comprise this group like the woman's name (p. 29/4) *lely* and its variant *lele* (p. 31/4) meaning 'child or maid' (instead of *Rwrw*) and *ls* 'tongue' instead of *mr-s* (*Demot. Glossar*, p. 166) and *lbš* 'armour' instead of *šbš* (*ibid.* p. 499).

P. 27/4: Instead of *r tḥ* 6: I should read *tmt ʾḥ 6 wp-s* 'Total: 6 oxen. In detail: (thine and thy fellows' being 5 oxen, mine one ox)'. The same sign for *wp-s* should accordingly be corrected elsewhere, e.g., in l. 6, below.

ib/7: The sign left unread between *dnj 1* and *tw.tr* should read *grḥ*; it is the punctuation mark indicating a pause and means 'stop'. See *Wb.* V, p. 183, 6. *Grḥ* 'night' means 'a pause'.

P. 13/*Umschrift l.* 4: Instead of *N;-nṯr ?—Ptḥ* I should read *Wḥ-ʾb-Ptḥ*.

P. 17/2: Instead of the one title *rmn-ḥry-ḥbs-ḫpr.w* I should read two priestly titles, the first, *rmn p.t* 'sky-holder' (*Wb.* II, p. 420, 1) and, the second, *ḥbs ḫprw* 'he who keeps secret the divine effigy' (*Wb.* III, p. 65, 11).

ib./6: Instead of *Ta-pj-ḥrj.t* (?) I should read *Ta-t-py* 'Tatpe', with *py* meaning 'sky, heaven'.

P. 18/11: Instead of *N-k;.w-mn-snj* I should read *N-k-ms-mn-ʿt* 'Nikomosi-keeps-safe'.

P. 19/1, 3, 4, 8, 12: Read *p ʿy* 'the house' instead of *p pr*. The house-sign before a personal name should invariably be read *ʿy*. Before a divine name it reads *pr* and means 'domain' provided that it should not be preceded by the definite article *p*, otherwise it should be read *ʿy* and means 'temple' or 'shrine'.

ib./4: Instead of ***wn*** read *wn-ʿy* 'shrine-opener', i.e. the one in charge of the shrine, as its Greek counterpart παστοφόρος implies. The reading *wn-ʿy* has been prompted by the existence in the same title of a vertical stroke before the sign for house in a demotic papyrus from Tuna (Hermopolis West).

P. 20/1: I should read the personal name *Ḥr-te-n-ḥ.t* 'Ḥōr-is-our-guide', instead of *Ḥr-t;j(sic)-n-sn*.

P. 22/2: I should read *Nb.t-ḥw.t* 'Nephthys' instead of *T;j-w-nḫt* (?).

ib./7: Possibly *;ḫ.t nb* instead of *;ḫtj*.

P. 23/2: The personal name *Ḏ-ḫy* means 'grown up child'.

ib./8: Instead of *p sḫ*, perhaps *p sḫ-bk* 'the writer of the document'.

P. 24/b, 4: Instead of [*rdb*] *hn 40* I should read ['*rtp*] *hn 50*; so also c/5. The reading '*rtp* for 'artaba' is palaeographically preferable to *rdb*.

NOTES AND REMARKS ON ERICHSEN'S "AUSWAHL FRÜHDEMOTISCHER TEXTE"

BY

GIRGIS MATTHA

<u>*Texte :*</u>

P. 1/2 : *ḏ yt-nṯr Ḥr* means 'Divine father Ḥor had (publicly) declared (by word of mouth in presence of the witnesses every word mentioned in the document before it was written down) ; cf. *Ryl.* p. 256, n. 1.

P. 7/1, 2 P. 8/7 : *mtr sẖ yt-nṯr Ḥr sy Ḏ-Wbst-e-f-ʿnḫ e-f n mtr n ḥ-sp 21 n Pr-ʿo P-s-(n)-mṯk ʿ.w.s. 'n ḏ e.'r* (2) *yt-nṯr Ḥr sy P-'me n yt-nṯr Ns-Sm-to.w sy P-te-'S*............(*p.* 8/7) ... *sẖ m ny* 'a written testimony of divine father Ḥōr son of Ḏeubastef'onkh, he being witness in year 21 of King Psammetik, that the declaration which divine father Ḥōr son of Pemu made to divine father Essemtew son of Peteēsi (namely, so and so etc.) .... (p. 8/7) ... is what has been written here (*m ny*)'. Thus *'n* + noun (*ḏ* = the declaration) + perfective passive participle (*sẖ*) means 'the declaration ...... is what has been written here)'. Other witness copies write *m sẖ* in short for *mtr n sẖ* 'a testimony in writing'.

P. 11/3 : Instead of *ḥmt n* ... read *be-n-py* 'iron' ; *bsnt* (*n*) *be-n-py* would be in Coptic *besnēt n̄ benipe* 'ironmonger'.

ib./7 : Besides *t šr n*, possibly also *t ms n* 'the issue of'.

P. 12/1 : Instead of ...... possibly *nḏm* (?).

ib./6 : Instead of *ḫrd.tj.w* I should read *ms.w* 'issue'.

Place Names :

P. 224: *Smn* 'Halting Place'.

P. 225: Instead of *To dsr* read *Ḥp.w* 'Habu'; 143/1, n. above.

Ibid : *Ṯm'*, not *Ḏm'*, is the reading for the place-name Jēme. It is a phonetic rendering of the geographical name of Medinet Habu *t̓(.t) ṯ̓.w mw.t* = *e* — *ṯy* — *me* 'Quarter (*t̓-t* = *e*) of the young (*ṯ̓.w* = *ṯy* = *ṯ*) vultures (*mw.t* = *m.t* = *me*, phonetic also for *m'*). Hence *Ṯm'* 'Jēme'.

Divine Names :

P. 226: *Wn-nfr* = *Wnn-nfrw* 'He of the ever-existing benevolence', 'The ever-generous' دائم الخيرات. Compare *Nfr-ḥr* 'He of the beautiful face', 'The beautiful-faced'.

P. 229: *Na-Ḫmn'w* would be rendered in Coptic something like *Lašomneu*.

Proper Names :

P. 239: After *P-ḥf* add *P-ḥsy*-n-*'Mn* 119/2.

P. 241: After *P-te-Ḫnm* add *P-tbe* 'Petbe' 191/2.

Ibid : After *Pa-ee* (?) add *Pa-'Mn* 154/1.

P. 247: *Gmt* apparently a nisbe form of the bird *gm.t*, the ibis, meaning 'he of the ibis'.

220/2, n.: *nḥt.t* is the same as old *nḥḏ.t* 'elephant-tusk'. Here it is the name of a tax on 'elephant tusk' or 'ivory' at Elephantine.

227/2, n.: Read *ḫn pe-f qt* 'concerning himself', = Coptic *ḫm̄ pef kōte*. See Crum, *C.D.*, p. 126 *b*.

228/2: Read *ḫn p qt ne-f 'swe* 'concerning (*ḫm̄ p kōte*) his (monthly) payments (*or* instalments)' (of tax). 229/2 gives *'Swe.w.*; 230/2 also does. But 231/2 gives *'sw* only.

240/1, n.: The woman's name *Ta-hbwy* means 'The Resplendant One' ﺍﻟﺒﻬﻴﺔ

249: The provenance of the ostrakon is possibly Thebes.

Demotic Words:

P. 206: Instead of *'rtb* better read *'rtp* 'artaba'.

Add *'rtp n sw* side by side with *'rtp sw*, Ptolemaic 176/6, n.

P. 208: Add *wn* 'total' 172/6, n.

P. 210: The group *mr* (in *mr-'ḥ*, *mr-'y-psy*, *mr-ḫs*, *etc.*) should be systematically read *le* in demotic. The *m* being presumably weakened into *n*, the two letters *nr* falling together = *l* as in *bnr* 'out' = *bl*.

P. 213: Add *ḥmt sp-2* 'copper money', 10/4, n.

P. 213: Instead of *ḥmt* (*t*) (?) sb. f. 'copper piece, obol' read *š'.t* 'obol'; and add (after *ad fin.*): The obol on the silver standard 120/4–5, n.

P. 217: *sub qt(.t)* 'kite-weight' add: The drachma on the silver standard under Augustus 20/4–5, n. Instead of *qtme* read *qte* and add: *ḫn p qte* 'concerning'. See remarks on Nos. 227–230, above.

97/3: *'bt-3 n 'h* 'the third month of inundation'. The use of *n* here is very interesting.

111/4, n.: cf. also the ἐρευθέδανος ῥίζα 'roots of madder' (Dioscoridus III, 143) and عروق حمر (Ibn Al-Baïtar No. 1530); and عروق الصباغين (Dâoûd Al-Antaki Vol. I p. 219)—*apud* Chassinat, *Un Pap. Medical Copte*, p. 75.

115/1-3: *Phn* (?) *n-t.t Ptrw? n pe-f r-10 n h-sp 14.t* (2) *'rp 10 tmt ht 7 ½ te-w pš 5 tmt ht 3 ½ ¼ tmt 10 tmt ht 7 ½ 'n* (3) *n 'r pe-w 'sw ht sp-2 1 ½* (*n*) *t h.t hn-w* 'Ephinis (?) (has paid) through Patron (?) for his one-tenth (apomoira) of year 14 (2) 10 (keramia of wine) amounting to 7 ½ silver (teben), their half is 5 (keramia of wine) amounting to 3¾ silver (teben), total 10 (keramia of wine) amounting to 7 ½ silver (teben) again, (3) their previous payment of 1 ½ (teben) in silver money being included in them'.

143/1: Read *Mnt nb Hp.w* 'Mont lord of Habu'. The place-name *Hp.w*, modern Habu, means 'The Secret Quarters'. It is presumably the name of the main sanctuary of Mont on the western bank of the Nile at Thebes.

159/3, n.: *hn.t* (and variants) seems to mean 'contribution' rather than otherwise. Compare Wb. III p. 289, 17.

175/2: Instead of *h-ntr* 'temple' read *h.w-ntr* (pl.) 'temples'. Correct accordingly 176/4 and 177/2.

208/2, n.: *'n šn* (=*'n šn*) 'a set of net-clothing', 'a set of bride's underwear', the hair-lock being a skin determinative.

214/2, n.: *nhbe* means 'neck' and seems to have been the name of the 'poll-tax' in Ptolemaic times as the '*pe* 'head' was in Roman times. It seems to have been at the rate of 16 drs (= 8 kiti) at Elephantine as shown by No. 219, which comes rather from Elephantine than from Hermonthis, the rest of sums mentioned in other receipts being instalments. It is worth noting that 16 drs was the amount paid for the poll-tax at Thebes in Roman Egypt. See also *Pap. Tebtunis* 103, p. 447.

The Texts:

1/2–3 : read *ḫr n tny.w* [*ḥn*] *n ḥ-sp 39* 'for the apomoira [fixed (*lit.* ordered)] for year 39' instead of *ḫr...?...ʿnqw ? ? (?) n ḥ-sp 39 (?)* 'for . ? . ʿnqw (?) ?? of year 39 (?). Correct also 2/2 into *ḫr n tny.w ḥn n ḥ-sp 3.t* 'for the apomoira fixed for year 3' instead of *ḫr (?) ḥt (?) ʿnqwqe (?) n ḥ-sp 3.t* 'for (?) (the) silver (?) of ;*nqwqe* (?) of year 3'.

1/3, *n.*: The demotic sign for obol reads *šʿ.t* 'wedge', cuneus, ὀβελός, hence ὀβολός 'an obol'. Compare *Wb.* IV p. 418,4. The demotic represents the knife, the forearm with hand holding stick and the fem. *t*.

2/2 : read *ḫr n tny.w ḥn n ḥ-sp 3.t* 'for the apomoira fixed (*lit.* ordered) for year 3' instead of *ḫr (?) ḥt (?) ; nqwqe (?) n ḥ-sp 3.t* 'for (?) (the) silver (?) of ; *nqwqe* (?) of year 3'. See note on 1/2–3, above.

10/4, n.: *tmt* (*n*) *ḥi sp-2* (*tbn*) *1* 'a sum of one teben in silver money'. Cp. *Setne* III_7 *ʿn sp-2* = *ʿn ʿn* and Griffith's note *ad loc.*, p. 88 ... ... The *Rylands* examples should read as follows: ... ... XXXVIII/3 (*n*) *ḥmt sp-2* (i.e. *ḥmt* (*n*) *ḥmt*) *šʿ.t 24* (*tmt*) *qt 2* 'in copper money 24 obols amount to 2 kite' (cf. 8/2 and 9/1) ... ...

20/4–5, n.: See also P. Oxy. 242, introduction, footnote 1, p. 187–8.

69/2 : Read *tbn 10* = '10 tebens (on the copper standard)'; see 20/4–5, n.

93/1, n.: *nbe* is probably a shorter form of *tnb* 'wall', τεῖχος, hence the meaning 'dyke', *lit.* 'wall', τεῖχος. Compare, however, *nb* ,, also *nbi*, = *tnb* 'Tragstange', 'carrying-pole'. The tax called χωματικόν in the 3rd century B.C. was a burden on land, and therefore entirely distinct from the χωματικόν of the Roman period. In the second century B.C. the Greek name of the tax was displaced by the Egyptian name ναύβιον (*P. Tebt.*) 5, 76, 119 ; Tait, *Ostraca in the Bodleian*, p. 5, no. 31, note on line 2).

NOTES AND REMARKS ON MATTHA'S "DEMOTIC OSTRAKA"

BY

GIRGIS MATTHA

P. 13, remark 4: The use of an emphatic *stm-f* form of a verb of payment (such as *a.te*, *a.'n*, *a.wt* or *a.ḥy*) at the beginning of receipts is a characteristic of the Roman period. Compare the use of a prosthetic *alif* before *sḏm-f* in Lefebvre, *Gram. de l'Egyptien Classique*, § 232 and reference there.

P. 15, I/3, note 1: *Šp n 'p* is the demotic for the Greek ἐπισταλῆναι ἐπὶ λόγου 'to be received on account, i.e. as an interim payment'. Cf. *Oxy.* 54/15-17.

P. 23, XIV/1, note 1: *a.te A* 'A. has paid'. For the use of a preformative *a* with the *stm-f* form of verbs at the beginning of receipts see note on p. 13, above.

P. 45, Section 14: *p ḥt n 'pe* = λαογραφία. Better translate *'pe* 'person' exactly as its prototype *tp* could be; and so the tax on persons or individuals or the common people (λαός).

P. 55, Section 41: *p tny (n) ḥm* 'the salt-tax, ἁλική'. The receipts for ἁλική in this collection are all earlier than the reign of Epiphanes who, according to the Rosettana, abolished some taxes and reduced others; but the continued existence of the ἁλική is attested by papyri of the Roman period from the Fayûm, where, however, it was paid by those persons only who paid the poll tax at the maximum rate of 40 drachmae (Tait, *Ostraca in the Bodleian*, p. 4, No. 24, n.).

unwelcome legacy. Claudius' policy towards the Jews was one of toleration. Druidism he fought for political reasons. In a few months the *Pax Romana* was restored to a restless world. From the beginning of his rule, he denounced the freaks of his predecessor. He was too prudent to claim divinity realizing that this would disparage him in the eyes of the intellegensia or arouse opposition in some quarters of the Empire. Nor was he slow in learning from Caligula's errors. Tradition says that he was not only a student of history but was also a writer of historical memoirs. A Seneca may have deliberately endeavoured to defame his memory. We know his motives. But the more reliable advocate of Claudius' character and policy, P. Lond. 1912, though late in coming to light, has finally vindicated him against malice and slander.

'*Germano Claudio regi et deo aeterno*'. Though Momigliano and others are inclined to believe that the letter is addressed to Claudius, it is not unlikely that it is addressed to Nero [1].

Does this warrant Charlesworth's contention that Claudius did not return to the old moderate policy of Augustus, nor did he forbid any worship of the living emperor or restrain the use of fulsome appellations [2] ?. Charlesworth's argument is evidently one-sided. While he freely bases his conclusion on Seneca and on some vague and questionable references, he has deliberately overlooked a more reliable source. What about Dio's clear passage in this respect: "He [Claudius] further forbade any one to worship him or to offer any sacrifice; he checked the many excessive acclamations accorded him ... " [3] a statement which well corresponds with the Emperor's deprecation of divine honours in his famous letter (P. Lond. 1912). This literary evidence is supported by the inscriptions, coins, and papyri which are, on the whole, less biased than a Seneca, more accurate than a Phaedrus. No one who has reviewed the documents cited above fails to gather that Claudius was averse to the idea of ruler-worship. It has been seen how Egypt, where in antiquity the apotheosis of men found a fertile soil, has supplied us but with a very slight proof of the Emperor's deification. Divine attributes he accepted with reluctance under pressure from the provinces. But Claudius evidently never sanctioned any cult of himself. In his religious policy he followed in the footsteps of Augustus. This fact is hard to refute, and it is erroneous to assume, as Kornemann does [4], that his principate was a reaction to Hellenistic monarchy. There is no reason to doubt that he sincerely tried to adhere to the principle he pronounced in his letter to the Alexandrians a few months after his accession to the throne. As time went on, however, he found it expedient to make concessions. This can hardly be labelled an inconsistence. Caligula, it must be remembered, bequeathed to him a troublesome world: an

(1) *Apud* Momigliano, *op. cit.* p. 91, n. 16.

(2) *Class. Rev.* XXXIX (1925), p. 114 f.

(3) LX, 5, 4. The translation is by E. Cary in *L. C. L.*

(4) "Zur Geschichte der antiken Herrschenkulte", *Klio*, I (1901-2), p. 104.

All the papyri cited by Preisigke (*Wöterbuch* III, p. 44) as referring to Claudius as θεός, have proved on careful examination to date from a time after the Emperor's death.

Let us now deal with the scanty evidence from the West. Here also the Emperor's deification seems to have grown as a result of spontaneous expression of loyalty or from a genuine sense of obligation to the sovereign for actual benefactions. An inscription from Naples, dated 46 A.D., speaks of Claudius as *divinus noster imperator* (1). Another from Corsica, not so clear, points to the same effect (2). These few pieces of evidence can hardly support Scramuzza's conclusion that "they would seem to indicate the existence of the worship of Claudius among freedmen and non-citizens in the West" (3). For the sake of completeness, mention should be made of the *Acta Fratrum Arvalium* where Claudius is called *divinus* even before his death (4).

It remains to consider the literary evidence. A medical writer (before 48 A.D.) refers to the Emperor not once but three times as '*deus noster Caesar*' (5). Seneca talks of the '*divinae manus*' of Claudius (6). Phaedrus refers to the Imperial house as '*divina domus*' (7). The author of the Apocalocyntosis cannot be taken seriously nor can he be considered, in this respect, a trustworthy source. Phaedrus refers to the whole *domus Augusta* and not to Claudius alone. As to the medical writer, Scribonius Largus, some scholar has argued that the reading '*deus noster Caesar*' should be emended to '*dominus noster Caesar*' (8). Finally, a letter from Thessalus of Tralles, the well-known physician of Nero's reign, is addressed

(1) *C.I.L.* X, 1558.

(2) *Ephem. Epigr.* VIII, 804 (41 A.D.).

(3) *The Emperor Claudius*, p. 249, n. 18.

(4) *C.I.L.* VI, 2035.

(5) Scribonius Largus; *Comp. Praef.* 60; 163.

(6) *Ad Polyb.* 13. 2.

(7) V, 7. 38.

(8) D. M. Pippidi, "Dominus noster Caesar, àpropos du texte de Scribonius Largus", *Ateneum*, I (1935), pp. 643-653; *Cf.* Momigliano, *Claudius the Emperor*, p. 95 n. 23.

god at Larisa in Greece[1], and is described as θεὸς ἐπιφανής at Seleucia Sidera in Pisidia[2]. He is also named god at Sidyma in Lycia[3], θεὸς Σεβαστός at Cys in Caria[4], and θεὸς σωτὴρ καὶ εὐεργέτης at Aezani in Phrygia[5]. In return for a certain favour, the people of Cos gave him the name of Zeus the Saviour[6]. At Acmonia in Phrygia he received the title of the New Zeus[7]. Finally, a coin from Ephesus bears the heads of Claudius and Agrippina face to face, with the inscription θεογαμία[8]. All these dedications, however, had merely a local significance and were in all probability placed without Imperial sanction. Of the papyri *P. Lond.* 1912, 9, as already pointed out, alludes to Claudius as god. The Emperor, to be sure, requests the Alexandrians to refrain from creating a priest or constructing a temple for him. Nevertheless, the prefect, in direct disregard of his master's desire, refers to him in his proclamation as 'our god'. The only other document from Egypt which seems to refer to Claudius as god, is *P. Mich.* V, 244, 15 (43 A.D.), where the association of the ἀπολύσιμοι on the estate of Claudius near Tebtunis say that a banquet shall be held each month ταῖς τοῦ θεοῦ Σεβαστοῦ ἡμέραις[9]. As the editor of the papyrus pointed out, this may refer to Divus Augustus and not to Claudius, though the circumstances, he added, render it unlikely[10]. So far as I am aware, no other document from Egypt speaks of Claudius as god in his lifetime.

(1) *I.G.* IX ii, 605-6.

(2) *I.G.R.R.* III, 328.

(3) *I.G.R.R.* III, 577.

(4) *B.C.H.* XI (1887), p. 307; *Cf.* Bell, *Jews and Christians*, p. 6.

(5) *I.G.R.R.* IV, 548.

(6) D. Magie, *Roman Rule in Asia Minor* I, p. 544; *cf.* p. 23, n. 7 above.

(7) Charlesworth, *Documents*, p. 29, No. 50 = *Monumenta Asiae Minoris Antiqua* VI, 250 = *Ann. Épigr.* 1940, 198.

(8) B.V. Head, *Hist. Num.*² p 577 *apud* Momigliano, *Claudius the Emperor and his Achievement*, p. 95, n. 23.

(9) See p. 7 f. above.

(10) *P. Mich.* V = *Papyri from Tebtunis*, part ii, p. 108, n. 1. *Cf. B.G.U.* 1137 = W. *Chrest.* 112 (6 B.C.) which refers to "the Augustan guild of the god Imperator Caesar". This is a private club at Alexandria which has its own priest, and consists mainly of Imperial slaves.

In gratitude for some privilege received, the Coans included Claudius in a cult already established for Tiberius with a priest for the two Emperors (1). Claudius apparently had also a priest at Magnesia-on-Maeander (2) and at Mylasa in Caria (3).

There are indeed other documents which may be taken as evidence for the deification of Claudius during his lifetime in the Hellenistic East. Claudius' administration of the provinces was just and humane. Numerous inscriptions show that he made the provinces a special object of his care (4). This might explain why epithets of semidivinity and even of divinity were bestowed on the benevolent ruler. He is several times called *Soter*, *Euergetes* and *Ktistes* (5). Reverence (εὐσέβεια) for him is expressed at Abydus in Egypt and elsewhere (6). Games are celebrated in his honour by the *demos* of Aezani, and festivals named after him are founded at Magnesia, Laodiceia-on-Lycus, and Cos (7). Monuments are erected for him by the *demos* of Aphrodisias (8), by the *neokoroi* at Aezani (9), by the κατοικία of Tyanollus near Magnesia (10), by the *demos* of Perge in Pamphylia (11), and by many private individuals (12). More significant, however, for our purpose is the evidence attesting his divinity. He is worshipped as

(1) D. Magie, *Roman Rule in Asia Minor* I (1950), p. 542; Cf. *op. cit.* II p. 1400, n. 9.

(2) *Die Inschriften von Magnesia am Maeander*, No. 157.

(3) *C.I.G.* 2697. *Cf.* however, D. Magie, *op. cit.* II, p. 1402, n. 14, where he remarks that none of the inscriptions mentioning a ἱερεύς (ἱέρεια) or an ἀρχιερεὺς τῶν Σεβαστῶν can be definitely dated in the time of Claudius.

(4) *Cf.* Scramuzza, "Claudius Soter Euergetes", *Harv. Stud. Class Philol.* LI (1940), p. 261.

(5) *Op. cit.* p. 264 f.

(6) *I.G.R.R.* I, 1161.

(7) The evidence is conveniently collected by D. Magie, *Roman Rule in Asia Minor*, II, p. 1401, n. 11, p. 1402, n. 18.

(8) *C.I.G.* 2789.

(9) *I.G.R.R.* IV, 558.

(10) *I.G.R.R.* IV, 1882.

(11) *I.G.R.R.* III, 788.

(12) See Scramuzza, *Harv. Stud. Class. Philol.* LI (1940), p. 264.

C. julius Asclas should be identified with C. julius Asclepiades whose name has been wrongly reconstructed in the Rainer papyrus. The latter document has accordingly been amended to read: Κ] λαυδίον (or Γ(αίου ?) Καίσ]αρος Σεβαστοῦ Γερ[μανι]κοῦ' Ἀσκλᾶι ἐξηγητῆι [στρατηγ]ῶι [1]. Allthough the editors give two possible restorations Claudius or Gaius, comparison with P. Ryl. II, 149 leaves but little doubt that the second reading Γ[αίου ... is the more plausible [2]. It fits in well with the tenor of P. Lond. 1912, 48 and the religious policy of Gaius [3]. Finally, an inscription reading ἀρχιερεὺς αὐτοῦ καὶ Διονύσου is taken by Nock as evidence that Claudius shared a high priest with Dionysus at Aphrodisias [4]. Nock, however, is not sure whether a temple-sharing is indicated [5]. Another inscription refers to a ἱερεὺς τοῦ θεοῦ Σεβαστοῦ at Cys in Caria in 52 A.D. [6]. It has rightly been observed, however, that this priest was not of Claudius, but of Divus Augustus [7]. One more document cited by Bell was construed by Beurlier and others to indicate that at Aezani in Phrygia there were νεωκόροι (overseers) for the cult of Claudius [8]. But the reference to Claudius is uncertain [9]. Relevant also is the bilingual inscription from Amastris in Pontus which was raised in honour of Claudius and clearly refers to a high priest of Divus Augustus [10].

(1) *P. Ryl.* II, 149, line 1, note (p. 147).

(2) *Cf.* Bell, *Jews and Christians*, p. 34, n. 48.

(3) See Blumenthal, *Archiv* V, p. 328.

(4) *C.I.G.* 2789 = Le Bas and Waddington, *Inscriptions Grecques et Latines* III, 1621.

(5) *Harv. Stud. Class. Philol.* XLI, pp. 31, 43.

(6) *B.C.H.* XI (1887), p. 306 f., No. 1.

(7) F. Geiger, *De sacerdotibus Augustorum municipalibus.* Diss. (Halle, 1913), p. 128, n. 2; *Cf.* D. Magie, *Roman Rule in Asia Minor* II (Princeton, 1950), p. 1402, n. 18.

(8) *C.I.G.* 3831. a 17 = *I.G.R.R.* IV 558; *Cf.* Beurlier, *Le Culte Impérial*, p. 254.

(9) *Jews and Christians*, p. 35, n. 60: οἱ νεωκόροι αὐτοῦ [Claudius ?] διὰ βίου.

(10) *I.G.R.R.* III 83 = Charlesworth, *Documents Illustrating the Reigns of Claudius and Nero*, p. 16 f. No. 23 = *C.I.L.* III suppl. 6983 = Dessau *I.L.S.* 5883.

a temple of Claudius at Alexandria [1]. But apart from the vagueness of the Latin of this passage [2], Bell has rightly refuted Blumenthal's conclusion that Claudius himself was responsible for its establishment [3]. Furthermore, the German scholar himself admits that "Der Tempel des Claudius in Alexandrien fällt aus der Reihe der übrigen Kaisertempeln ganz heraus. Er ist nämlich mit literairschen Zwecken verbunden worden" [4]. Athenaeus, to be sure, refers to this Claudian institute as Κλαυδῖον (= Κλαυδιεῖον ?) [5]. But even the word Κλαυδιεῖον should not necessarily be taken as a Kultstätte [6]. Pliny the younger mentions a temple at Prusa which was built for Claudius by a certain Claudius Polyaenus, probably a freedman of the Emperor [7]. The temple, according to Hardy, may have been a shrine, perhaps little more than an *aedicula* such as that in which the *Lares* were usually placed [8]. At any rate this was a private foundation [9].

In his *Karanis und Soknopaiu Nesos*, C. Wessely cites a Rainer papyrus (R 172) which reads: Κ[λαυδίου Καί]σαρος Σεβαστοῦ Γερ[μανι]κοῦ ἀρχιερεῖ Γαίωι Ιουλ[ίωι] 'Ασκλη(πιάδηι) καὶ ἐξηγητῆι [ ]ωι [10]. This reading, if correct, would prove the existence of a high priest for the cult of Claudius. Wessely's reconstruction, however, has been shown to be erroneous. The editors of the Rylands papyri have come across a document which clearly points to a high priest of Gaius and not of Claudius. *P. Ryl.* II, 149, 1—4 (39-40 A.D.) reads: Γαίου Καίσαρος Σεβαστοῦ Γερμανικοῦ ἀρχιερεῖ Γαίωι Ιουλίωι 'Ασκλᾶ ἐξηγη(τῇ) καὶ στρατηγῶι. It is obvious that this

(1) *Archiv* V, p. 322.

(2) Suet. *Claudius* 42. 2.

(3) *Jews and Christians*, p. 7, n. 2.

(4) *Ibid.*

(5) *Deipn.* VI 240 B.

(6) Bell, *l.c.*

(7) *Epist.* 70, 71.

(8) Pliny's *Epistulae ad Traianum* (ed. 1888), p. 178.

(9) Scramuzza, *The Emperor Claudius*, p. 249, n. 18.

(10) *Denkschriften der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften in Wien, philos-histor. Classe*, Bd. XLVII (Wien, 1902), p. 66.

theory refrained from the title of 'god' in his lifetime (1). The Imperial cult, however, did not strike deep in Egyptian soil (2). Milne cannot find clear evidence either at the aforementioned Σεβαστεῖα or elsewhere of the worship of the emperors as gods in their lifetime (3). There is evidence, however, of the deification of Augustus or his identification with gods in private documents. He is called *Zeus Eleutherios Sebastos* (4), *Theos* (5), and *Soter Euergetes* (6).

Claudius, like Augustus, as champion of the old religion and Roman tradition, was even more conservative than his model in matters of ruler-worship. Before dealing, however, with this rather delicate question, an attempt should be made to gather the pieces of evidence that do not support his statement in the famous letter. Here he rejects a temple, but Tacitus tells us that a temple was erected to Claudius at Camulodunum in Britain (7). This temple was built in his lifetime (8). It has been argued that this was deliberately done as a means of Romanizing a newly conquered and remote region (9). "He could not" says Scramuzza "very well base the sovereignty of Rome over the new province upon the worship of Augustus, for Augustus meant nothing to the British" (10). Blumenthal, on the authority of Suetonius, includes in his list of *Kaisertempel*,

---

(1) Taylor, *The Divinity of the Roman Emperor*, p. 244.

(2) Wilcken, *Grundzüge*, p. 117 and n. 1.

(3) *Egypt under Roman Rule*, p. 215.

(4) *I.G.R.R.* 1117, 1163 = *O.G.I.S.* 659; 1206, 1322, 1295; *P. Oslo* 26 *C.P.R.* 224 = W. *Chrest.* 111; *P. Mil.* 3; *cf.* Taylor, *op. cit.* p. 270; Wilcken, *op. cit.* p. 120 f.

(5) *P. Oxy.* 1453; *I. G. R. R.* 1116 = *O. G. I. S.* 655; *B. G. U.* 1137 = W. *Chrest.* 112.

(6) *I.G.R.R.* 1294 = *O.G.I.S.* 657.

(7) *Ann.* XIV, 31, 6: *Ad hoc templum divo Claudio constitutum quasi arx aeternae dominationis aspiciebatur.*

(8) Seneca, *Apocol.* 8, 3; *cf.* however, M. Hammond, *The Augustan Principate* (1933), p. 264 f. n. 37. *See also C.I.L.* VII, 11, where a temple is dedicated in Regnum (Chichester, Britain), *pro salute domus divinae.*

(9) *C.A.H.* X, p. 498; Bell, *Jews and Christians*, p. 7; Taylor, *The Divinity of the Roman Emperor*, p. 240.

(10) *The Emperor Claudius*, p. 69.

formed the temple edected by Cleopatra for Antony into a Καισαρεῖον, *i.e.*, a temple for himself. At this temple his successors shared his worship (1). Σεβαστεῖα or Καισαρεῖα were built in several districts of Egypt (2). They were municipal cult places (3). The question whether the cult of the emperor had a priest of its own, is still obscure though it may be said that the chief priest of Alexandria and all Egypt (ἀρχιερεὺς 'Αλεξανδρείας καὶ Αἰγύπτου πάσης) supervised all religious matters including the Imperial cult (4). Blumenthal has argued that Augustus was introduced into temples as σύνναος of Egyptian deities (5) a thing which is doubted by Nock for lack of evidence (6). The discussion of this point does not fall within the scope of this paper and it may suffice to remark, as Nock suggets that Wilcken's view on the matter is judicious. Moreover, there is no clear evidence for the meeting under Roman rule of priestly synods to vote universal honours. Perhaps the reason as given by Nock is that "Rome did not encourage independence or initiative in the native priesthood" (7). Generally speaking, Augustus interfered very little with the beliefs of subject races (8). His policy was characterized by religious tolerance; that towards the Jews is known to all (9). In extending the Imperial cult in the East the Roman authorities seem to have taken full account of the religious creeds of the provincials (10). It was only employed as an effective means of government. It has already been explained how the governors of the provinces were active, on their part, in promoting the cult of the emperor who in

---

(1) Nock, *Harvard Studies in Classical Philology* XLI, p. 18; Blumenthal, *Archiv* V, p. 318.

(2) Blumenthal, *Archiv* V, p. 322.

(3) Bell, *Jews and Christains*, p. 35, n. 60 *ad fin.*; *Cults and Creeds*, p. 57.

(4) Wilcken, *Grundzüge*, p. 121.

(5) *Archiv* V, p. 317 f.

(6) *Harv. Stud. Class. Philol.* XLI, p. 17.

(7) *Ibid.*

(8) *C.A.H.* X, p. 492.

(9) L.R. Taylor, *The Divinity of the Roman Emperor*, p. 207.

(10) *Ibid.*

Professor Stuart argues that 'substantive utility', *inter alia*, is a regular characteristic of ὑπέρ and pro-dedications. He also adds "had the Alexandrians made the dedications on behalf of Claudius' longevity, safety, or victory, Claudius would probably have acknowledged this in his letter" (1). These argrements, nowever, are by no means conclusive. The text, it should be remembered, is very likely a translation of a Latin original (2), and this in itself is a sufficient warning against hasty decision. The chariots were to be placed at the three chief entrances to the Delta region: Taposiris in Libya in the West, Pharos at Alexandria in the North, and Pelusium in the East. Stuart suggests that Claudius most probably appeared in them as a *triumphator*. The chariots were mounted either on columns or on triumphal arches (3).

Most pertinent to our topic is the refusal by Claudius of the appointment of a high priest and the erection of temples to himself. He categorically refuses these divine honours because he does not wish to be offensive to his contemporaries. His opinion is that priests and temples and the like forms of honour have in all ages been granted as prerogative to the gods alone. It is now commonly believed that Claudius in his general policy took Augustus as his model (4). Now Augustus the *princeps* was in Egypt a successor of the Ptolemies and the Pharaohs of old (5). The wall reliefs show him as a pharaoh. He is probably not portrayed as partner of the gods but as representative of his people before the gods (6). These is little doubt, however, that Augustus, now equated with a pharaoh, was regarded by the Egyptians as a divine sovereign (7). In Alexandria Augustus trans-

(1) *The Portraiture of Claudius*, p. 12.

(2) Bell, *Jews and Christians*, pp. 8 f., 84, n. 44; *Cf.* also V. M. Scramuzza, *The Emperor Claudius* (1940), pp. 66, 146, n. 4.

(3) *Op. cit.* p. 12, n. 90.

(4) See *C.A.H.* X (1934), p. 669; Momigliano, *Claudius The Emperor and His Achievement* (Eng. trans. by Hogarth, 1934), p. 24.

(5) Nock, *Harvard Studies in Classical philology* XLI (1930), p. 16; Blumenthal, *Archiv* V, p. 317.

(6) J. G. Milne, *Egypt under Roman Rule* (3rd ed. 1924), Figs: 1-3, 7-8, 19.

(7) L. R. Taylor, *The Divinity of the Roman Emperor* (1931), p. 244. *Cf.* also *P. Oxy.* 1543, 11 (30 B.C.) where Augustus is invoked as θεὸς ἐκ θεοῦ by Egyptian lamplighters in the temple of Sarapis, and Bell's remark in *Cults and Creeds*, p. 65.

are very scanty, late in date, and are probably names of places [1]. Judging from the foregoing list one is tempted to believe that sacred groves were not as numerous in Egypt as might be inferred from Claudius' phrase κατὰ νόμον. Though groves may sometimes be of secular character, there is very little doubt that the groves in question were sacred dedications. Otherwise a permission would not have been required for their establishment. This, however, does not necessarily imply that the divinity associated with the groves was Claudius. I mean that they were not, in all likelihood, sacred to the Emperor. They may have been connected with temples like the Σεβαστεῖα, being dedicated to Deified Augustus in honour of Claudius [2].

The Emperor tells the Alexandrians that, if they wish, they may also erect the equestrian statues given them by Vitrasius Pollio, his procurator, who, as stated above, was prefect of Egypt from 39 to 41 A.D. The view once held by Bell that these statues represented the prefect is now abandoned. During the last months of his prefecture, Vitrasius Pollio caused equestrian statues to be made, intending to have them set up at Alexandria. His recall to Rome, however, shortly before November 41 A.D., prevented him from dedicating these statues. The Alexandrians now petitioned Claudius to replace the ex-prefect as dedicators. The equestrian character of the statues suggests that the Emperor was portrayed in military dress [3]. Unfortunately neither their place nor their number is specified.

The list of honours accepted by the Emperor ends with three four-horse chariots carrying three statues of Claudius. According to the wording of the Greek text, these chariots were dedicated to Claudius (ἀφιδρῦσαί μοι, l. 45) and not on his behalf (ὑπέρ) [4].

---

(1) *P. Lond.* 1177, 66 (113 A.D.); *P. Hamb.* 17 I, 5 (3rd cent. A.D.); *P. Lond.* 948, 4 (3rd cent. A.D.); *Cf.* however *Stud. Pal.* XXII 66, 20 (2nd cent. A.D.): καὶ ἀλσῶν καὶ τεμενῶ[ν] cited by E. Kiessling, *Wörterbuch* IV, *s.v.* ἄλσος.

(2) *Cf.* Bell, *Jews and Christians*, p. 6.

(3) Stuart, *The Portraiture of Claudius*, p. 11.

(4) Bell, *op. cit.* p. 34, n. 44; Stuart, *op. cit.* p. 11 f and esp. n. 89.

but Wilcken has proved that it was only instituted under Nero who was surnamed Φιλοκλαύδιος ([1]). Bell does not exclude the possibility that the tribe was named Κλαυδιανά at this time, but that its name was changed to Φιλοκλαύδιος by or under Nero ([2]). However that may be, it is unfortunate that its real name, if it has come down to us, cannot be identified with certainty.

Claudius also grants the Alexandrians permission to establish groves 'after the manner of Egypt': ἄλση τε κατὰ νόμον τῆς Αἰγύπτου. Needless to discuss whether κατὰ νόμον, *i.e.*, after the manner of Egypt, may be read κατὰ νομόν, *i.e.*, a grove in each nome or a grove for each nome (at Alexandria) ([3]). The second meaning is now rejected on many grounds. But if κατὰ νόμον 'after the manner of Egypt' is the only possible interpretation, how much is Claudius justified in making this statement? Groves both sacred and secular were known in antiquity not only in Egypt but all over the Greco-Roman world ([4]). Sacred groves are attested in Egypt at Bubastis and at Chemmis, both mentioned by Herodotus ([5]). Strabo, who visited Egypt a few years after the Roman conquest, mentions one grove at Memphis ([6]), a second of Apollo at Abydus ([7]), a third (of Osiris?) at Acanthus ([8]). Curtius says that the temple of Jupiter Ammon (at Siwah) stood in the middle of groves ([9]). More significant is Philo's description of a precinct in connexion with the Alexandrian Sebasteion: τέμενος εὐρύτατον στοαῖς, βιβλιοθήκαις, ἀνδρῶσιν, ἄλσεσι... ἠσκημένον ([10]). References to groves in the papyri

([1]) *Archiv* V, p. 188; and also Schubart, *Archiv* V, p. 94, n. 8.
([2]) *Jews and Christians*, p. 33, n. 41.
([3]) *Op. cit.* p. 33, n. 42.
([4]) Daremberg-Saglio, *s.v.*, lucus.
([5]) II, 138; 156.
([6]) XVII, 32.
([7]) XVII, 42.
([8]) XVII, 35.
([9]) IV, 7, 22.
([10]) *Legat.* 151 (ed. Cohn).

a *sella curulis* (1) (not *gestatoria* as M. stuart suggests) (2) or a θρόνος. In fact the regular equivalent of δίφρος is *sella curulis* which was sometimes assigned to the emperors to carry their statues in their absence (3). It is true that the statues carried thereon may have been cult statues or effigies of emperors who claimed divinity. But if this meaning is not accepted as equivalent, there remains only that of θρόνος, which is a symbol of authority. Indeed the text itself does permit of explaining δίφρος as something that shall accompany (συμπομπευέτω) the statue and not necessarily something that shall carry it (4).

Claudius next approves the institution of a Claudian tribe. The text at this point, as elsewhere, is not very clear. Does it mean the organization of a new tribe called Claudia? or is it merely a renaming of an old one? or does it mean that the new tribe shall carry a complimentary or glorifying epithet like, for instance, Εἰρηνοφυλάκειος, Μουσοπατέριος, or Φιλοκλαύδιος? (5). As yet no tribe called Κλαυδιανά has turned up in our documents from Egypt. Is that due to the fact that our evidence for Alexandria is so imperfect that, as Bell suggests, there may have been a φυλὴ Κλαυδιανά not mentioned in the papyri? (6); or because the tribe was not named Κλαυδιανά but took its name from some other glorifying epithet? For, apart from the epithet Καισάρειος, "alle diese Namen ... sind pomphafte composita" (7). We certainly know of a tribe called Φιλοκλαύδιος,

(1) *Cf.* Smith, *Dictionary of Greek and Roman Antiquities.* *s.v.* Sella.

(2) *The Portraiture of Claudius*, p. 8 f. n. 47 where he refers to Dio LX, 2.3 who describes the sedan chair δίφρος κατάστεγος which Claudius was the first to use. Stuart thinks that by δίφρος is meant "a sort of *sella gestatoria* similar to that on which ecclesiastics of high rank and sacred images are conveyed in religious processions today".

(3) *Cf.* Tacitus, *Ann.* XV, 29: *medio tribunal sedem curulem et sedes effigiem Neronis sustinebat.*

(4) *Cf.* Bell, *Jews and Christians*, p. 32, n. 39:

(5) See Wilcken, *Archiv* V, p. 182.

(6) *Op. cit.* p. 33.

(7) Wilcken, *l.c.*

evidence has been gathered to demonstrate that statues in precious metals were chiefly—though not exclusively—limited to those of the Emperor [1]. I am inclined to believe that the statue carried in these processions was purely honorary. I therefore decline to agree with those who suggested the Kaisareion, the centre for the worship of Augustus' successors, as the place where that statue (and presumably the δίφρος) was kept [2]. It was not, in all probability, placed in a temple. Interesting, though somewhat irrelevant to our discussion, is the question what the δίφρος really was. The word δίφρος can mean a chariot-board, a chariot, a travelling-car [3], corresponding fairly to the Latin *currus* or *carpentum* [4]. It may also mean a litter, the Latin *lectica*, or a seat, the Latin *sella* (curulis or gestatoria), from which develops the idea of throne (θρόνος) [5]. Finally, it would not be incorrect to translate δίφρος by the Latin *tensa*—the chariot on which the images of the gods were borne in games and solemn processions [6]. It should be noticed that the meaning *lectica* does not fit δίφρος in our text, and consequently has not been suggested by any student of the letter. *Currus* or *carpentum* does not sound plausible since it is mainly used for riding. As an honour, it is chiefly conferred, if ever, upon women in order to carry their statues [7]. I need not repeat that the statue was in all probability not one of Messalina. The meaning *tensa* is likewise discarded since the statue was not that of a divinity [8]. I believe that δίφρος in this text can either mean

---

(1) K. Scott, *T.A.P.A.* 26 (1931) p. 101 f.

(2) *Cf.* Stuart, *op. cit.* p. 10.

(3) See Liddell-Scott-Jones, *Greek-English Lexicon*, *s.v.* δίφρος.

(4) A. Cameron, "The Letter of Claudius to the Alexandrines", *Class. Quart.* XX (1926) p. 45.

(5) *Cf.* Dittenberger, *O.G.I.S.* 199, l. 38 and note 73 (p. 297): *solium regiae maiestatis regiique imperium signum.*

(6) Laqueur, *Klio*, XX, p. 92: der dazu dient, Götterbilder bei den Spielen in Rom zu fahren; *Cf.* also H. S. Jones, *Companion to Roman History* (1912), p. 292 and Pl. XLIX (opp. p. 290).

(7) *Cf.* Cameron, *Class. Quart.* XX (1926), p. 45.

(8) E. Beurlier, *Le Culte Impérial* (1891), p. 73 f.: ses successeurs [*i.e.* Augustus] n'osèrent pas être plus hardis que lui, et la *tensa* resta reservée aux *Divi*.

where the statue should be erected (1). Attention should be drawn to a statement of Claudius which comes later in the letter: "It would perhaps be foolish, while accepting such great honours, to refuse, etc." (2) — which may mean that up to that point he did not reject any honour accorded by the Alexandrians. It remains to be explained why Claudius wanted to refuse the erection of the statue of *Pax Augusta Claudiana* at Rome as being φορτικώτερος. No conclusive answer has been given, but the most satisfactory is that he did not want to appear as rival of Deified Augustus. Perhaps he felt that his acceptance of that honour would make him an object of ridicule. In other words, while he was still unknown to the army and the people of Rome in general for his warlike qualities, he did not want his '*Pax Claudiana*' to invite comparison with 'Pax Augusta' (3). Hence his hesitation to accept a flattering proposal which would associate his name undeservedly with that of Deified Augustus, the god incarnate of peace.

As to the other gold statue Claudius grants the Alexandrians permission to have it carried in procession on name days, and have it accompanied by a decorated δίφρος. Whom or what this other statue represented, we are not told. Did it represent Messalina (4) or Claudius (5)? The eponymous days (ἐπώνυμοι ἡμέραι) suggest rather a statue of the Emperor himself which shall be carried on days named after him, *i.e.*, on *dies natales* and *dies imperii* of Claudius and not of Messalina since "Die Festtage der Kaiserinnen scheinen im allgmeinen nicht eponym gewesen" (6). There is no reason why Claudius should reject a gold statue of himself and at the same time accept that of the Empress. It is hard to believe that the statue of any other member of the Imperial family should have been given preference to that of the Emperor in processions held on his name days. Besides,

(1) *Cf.* M. Stuart, *The Portriature of Claudius*, p. 9, n. 77.

(2) *P. Lond.* 1912, 40-41.

(3) Stuart, *op. cit.* p. 9.

(4) J. G. Milne *apud* Bell, *Jews and Christians*, p. 32, n. 38.

(5) Rostovtzeff, *J.E.A.* XII, p. 25; Stuart, *The Portraiture of Claudius*, p. 9 f.

(6) Blumenthal, *Archiv* V, p. 341.

with one against another but to quell the riot and keep order in the city. Granting that the Jews were the aggressors, it is hard to believe that their rivals remained quiet. The Alexandrians might have suffered at the hands of the Roman troops as much or even more than the Jews did. This point has been discussed at some length because Rostovtzeff has ingeniously tempted some scholars to believe that the statue of *Pax Augusta Claudiana* was not allowed to be set up in Alexandria on the ground that it was a monument of *Pax-Nemesis* commemorating the Roman victory over the Jewish rebels (1). "What can be more reasonable" says Rostovtzeff "than to suppose that the Alexandrians, in order to put the blame for the riot entirely on the Jews and to celebrate their victory, suggested through Barbillus that a statue of *Nemesis-Pax*, a copy of that in the Julian Nemeseion, should be dedicated to commemorate the re-establishment of peace and the crushing of rebels, by whom no doubt they understood the Jews?" (2). Claudius, however, would not let such a memorial be the cause of new riots and considered it offensive to have it set up in Alexandria. Rostovtzeff's archaeological and numismatic evidence to prove his thesis is indeed weighty, but it is safer, for the reasons stated above, not to associate this statue with any idea of revenge. The statue which appears in the same year on the coins of Claudius does not bear any more attributes than those of 'Pax' (3). The snake is a rare attribute of the goddess Nemesis. Moreover, the word 'Claudianae', as expected, if the identification is admitted, does not appear on the coin beside 'Paci Augustae'. The truth is that the benevolent Emperor has not yet been driven to show what he can be when turned to righteous indignation (4). Again, it would be difficult to explain how Balbillus, that renowned scholar, could have been induced by the Alexandrians, however wily they were, to solicit the Emperor to grant a thing contrary to his policy and likely to bring about new pogroms. Moreover, there is nothing in the letter which necessarily implies that Balbillus suggested Alexandria as the place

(1) *J.E.A.* XII (1926), pp. 24–29.
(2) *Op. cit.* p. 28.
(3) H. Mattingly, *J.E.A.* XX, p. 25; *Cf.* also H. Posnansky *apud* Rostovtzeff, *op. cit.* p. 25, n 1.
(4) *P. Lond.* 1912, 80-82.

tree, the *caduceus*, the *cornucopia*, and sometimes the wings of *Victoria*. More significant is the fact that the goddess *Pax* was the offspring of a victorious struggle, *i.e.*, a symbol of peace which ensued from a victorious war. Her image therefore was dedicated to a man who brought peace to a world, country, or city that was being torn asunder by a bloody strife. In other words its dedication was a symbol of gratitude of a people towards their saviour. It could not have had any religious implication, exept in so far as the saviour was associated or identified with *Pax* as the incarnation of the goddess. Now one might ask: what did Claudius do in nine months to deserve such a title as bringer of peace and consequently to deserve a dedication of *Pax Augusta Claudiana*?

It is true that in the last months of Caligula's reign some parts of the world were on the verge of unrest or suffering from unrest. Judaea, in particular, was saved from a national disaster only by his death [1]. True again that troubles at Alexandria, were renewed shortly after Claudius' accession, the Jews this time being up in arms: στασιάζεται δὲ κατὰ τὸν αὐτὸν χρόνον Ἰουδαίων τὰ πρὸς Ἕλληνας ἐπὶ τῆς Ἀλεξανδρέων πόλεως. There is no reason to doubt that on the death of Caligula the whole Jewish nation plucked up courage and took up arms: τελευσάντος γὰρ τοῦ Γαΐου τὸ Ἰουδαίων ἔθνος ... ἀνεθάρρησε καὶ ἐν ὅπλοις εὐθέως ἦν [2]. The Emperor sent word to the prefect of Egypt to repress the riot (ὥστε τὴν στάσιν καταστεῖλαι). In fact the Greek phrase can also mean to suppress a rebellion. The Emperor himself considers the clash not as a riot or feud but "rather, if the truth must be told, a war" [3].

But war with whom? Evidently a war between the two parties, the Alexandrians and the Jews, in which the Emperor could not exactly tell which party was to blame. It is also obvious that there was no war between the Roman legions quartered at Nicopolis, and any of the two factions. The prefect's only concern was not to side

---

(1) See my article "The Conflict between Caligula and Judaea", *Annals the Faculty of Arts, Ibrahim University*, II (1953), pp. 99-120.

(2) Josephus, *Ant.* XIX, 278-9.

(3) *P. Lond.* 1912, 73-74.

of its erection. Who was Barbillus? What did the statue really represent? Why was Claudius reluctant to accept it? Tiberius Claudius Barbillus or Balbillus, who acted as head of the Alexandrian embassy, seems, as his name indicates, to have received the Roman citizenship from the new Emperor soon after his accession to the throne in 41 A.D. The fact that he was popular among his fellow-citizens suggests that he was a resident of Alexandria for some years [1]. It is likely enough that he belonged to its upper society. Already in 41 A.D. he had established a friendship with Claudius and was held by him in great esteem. Perhaps this was due to common literary and antiquarian interest which they both shared [2]. Later on he was appointed, *inter alia*, a librarian at Alexandria and president of its Museum [3]. There are, however, at least four persons known to us who bear the name Tiberius Claudius Balbillus, and it is not easy to distinguish one from another [4]. Our Barbillus, however, may be identified with the person of the same name who was prefect of Egypt under Nero from 55—59 A.D. [5].

The Greek words which describe the statue correspond to or are translation of *Pax Augusta Claudiana*. A detailed description of how a statue of *Pax* looks, cannot be offered here. I refer the reader to Daremberg-Saglio, *s.v.* 'Pax'. Suffice it to say that 'Pax' was represented on the reverse of coins of Augustus in 28 B.C. by the word *PAXS*; and by a female figure holding a *caduceus* with the right hand. Close by the figure is a mystic cist from which a serpent springs up. The attributes of the goddess of peace are commonly the olive

---

(1) *Cf.* Rostovtzeff, "Pax Augusta Claudiana". *J.E.A.* XII (1925), p. 28 f.

(2) *Ibid.*

(3) *Cf.* H. S. Jones, *J.R.S.* XVI (1926), p. 19.

(4) The problem of the identity of the persons bearing this name is conveniently summarized by H. A. Musurillo, S. J., *The Acts of the Pagan Martyrs* (Acta Alexandrinorum), Oxford. 1954, p. 130 f. To the literature cited therein should be added: J. Schwartz, "Ti. Claudius Balbillus", *B.I.F.A.O.* 49 (1950), pp. 45-55. Schwartz believes that the ambassador of *P. Lond.* 1912 is the father of the perfect of Egypt under Nero.

(5) *Cf.* for instance, Musurillo, *op. cit.*, p. 131.

(εἰκών) and two statues (ἀνδριάντες), one of bronze, another of marble, which had been voted to him [1]. Claudius, however, as Dio tells us, "declared that such expenditures were useless and furthermore caused great loss and embarrassment to the City" [2]. In Egypt the situation was different, since it was the municipal community of Alexandria, not the Imperial treasury, which defrayed the expenses required for the erection of the monuments offered to the Emperor [3]. Were these the only statues accepted by Claudius ? If we believe Josephus, some young men of Doura set up, about 41 A.D., in the local synagogue a statue of Claudius as an affront to the Jews [4]. Claudius, however, could by no means have encouraged such an act or failed to admonish the wrong-doers. Pliny says that Vitrasius Pollio, a *procurator*, brought to Claudius some prophyry statues from Egypt which did not find favour at Rome [5]. C. Vitrasius Pollio is now identified with the prefect of Egypt for the years 39–41 A.D. [6], who is mentioned in P. Lond. 1912, 43 as (ἐπίτροπος) or *procurator* (another word for praefectus) [7] and who supplied the equestrian statues of Claudius to be erected by the Alexandrians. We do not know why these statues did not appeal to the taste of the Romans. Was that because porphyry was used for the first time in making portraits of the Imperial family ? or because, as Stuart suggests, "the purple color of the stone had political connotations distasteful to the senate ?" [8], or again because at that time porphyry was not regarded as an attractive material for statues ?

Of the two gold statues, that representing *Pax Augusta Claudiana*, says Claudius, shall be set up in Rome. The truth is that the Emperor wished to refuse for fear of being thought too offensive. But his intimate friend Barbillus urgently solicited him to approve

(1) LX, 5, 4.

(2) LX, 5, 5.

(3) *Cf.* Bell, *Cults and Creeds*, p. 57.

(4) *Ant.* XIX.

(5) *Nat. Hist.* XXXVI, 57.

(6) See A. Stein, *Die Präfekten von Ägypten in der Römischen Kaiserzeit* (Bern, 1950), p. 28 f.

(7) *Cf.* Stein, *op. cit.* pp. 26, 29.

(8) M. Stuart, *The Portraiture of Claudius* (1938), p. 8.

mean, as Boak argues, that Claudius was considered as the patron deity of the association (1). This, adds the editor, gives it something of a religious character. The main object, however, of the association was the payment of the *laographia* (poll-tax), to which the members were subject (2). But since one of the clauses of its *nomos* included the obligation to celebrate—and presumably to contribute to—the monthly ἡμέραι Σεβασταί of the Emperor, one is tempted to infer that such associations, though purely private (3), were encouraged by the officials, if not to promote the Imperial cult, at least to secure the loyalty of the subjects towards their Roman sovereign.

The Emperor then allows the Alexandrians to erect in their several places statues (ἀνδριάντες) of himself and his family. It should be noticed that the statues mentioned in the letter are neither ἀγάλματα nor εἰκόνες and therefore do not necessarily imply any idea of divinity, (4). 'Ανδριάντες, however, could be set up in temples (5) but since Claudius rejects the erection of any temple, one may safely conclude that the object of these statues was honorary and not religious. Of the type of these statues nothing is ascertained though they are evidently not of gold (6). As to the different places where these statues were to be erected, there is no means of guessing. Nevertheless one or two of them must have stood at Alexandria. The statues are reminiscent of others accepted by Claudius at about the same time. Dio speaks of his acceptance of only one silver image

(1) *Op. cit.* p. 103.

(2) *Op. cit.* p. 101.

(3) *Cf.* A. E. R. Boak, "The Organization of Gilds in Greco-Roman Egypt", *T.A.P.A.* 68 (1937), p. 220.

(4) Statues of human beings, however, are sometimes called εἰκόνες (*cf.* *P.Oxy.* 1449, l. 8, where the statue of Caracalla is called εἰκονίδιον; that of Demeter is called ξόανον, l. 10).

(5) A. D. Nock, "Σύνναος Θεός", *Harvard Studies in Classical Philology* XLI (1930), p. 2; *cf* also H. Idris Bell, *Cults and Creeds in Graeco-Roman Egypt* (Liverpool, 1953), p. 56 f.

(6) *Cf.* *P. Lond.* 1912, l. 34, where other two statues are described as of gold.

Claudius, as is known, was born on August 1, 10 B.C. (1) which corresponds to Mesore 8. Accordingly the 8th day of every month seems to have been celebrated as Σεβαστή (2). Evidence has been adduced to prove Blumenthal's point. In a Michigan papyrus from Tebtunis, Boak was able to identify Phaophi 8, Neos Sebastos 8, Epeiph 8, each as *dies natalis* and hence a ἡμέρα Σεβαστή (3). There is no doubt, however, that the scribe of this document passed over several 'Augustan days' which should have been mentioned (4). Blumenthal gives Pharmouthi 8 of the year 42 A.D. as ἡμέρα Σεβαστή (5). Since the edict by which the prefect L. Aemiluis Rectus made the letter known to the public was dated Neos Sebastos 14 (= Hathyr 14) 41 A.D. (6), the date Pharmouthi 8, 42 A.D. would be the nearest known *dies natalis* celebrated as 'Augustan' after the issue of the edict. Our information on what the people used to do on such days is rather inadequate. Boak has supplied us, however, with a glimpse of the festival which was to be held on the occasion of a ἡμέρα Σεβαστή by an association of some people who were exempt apparently from liturgies on the estate of the Emperor Claudius near Tebtunis (ἀπολύσιμοι οὐσιάς Τιβερίου Κλαυδίου Καίσαρος) (7). The celebration took the form of a drinking party, with toasts to the health of the Emperor. Kronion, the president of the association, had the duty of furnishing the drink ..., and presided over the banquet". More significant, perhaps, is the fact, based on a slightly doubtful reading, that the Emperor is styled as θεὸς Σεβαστός (8), which may

(1) Suetonius, *Claudius*, II. 1.

(2) F. Blumenthal, "Der Ägyptische Kaiserkult", *Archiv für Papyrusforschung* V (1913), p. 337 f. and n. 27.

(3) *P. Mich.* II, part i, No. 123 (p. 102 f).

(4) *Op. cit.* p. 103.

(5) *O.G.I.S.* II, 663, 5 = *I.G.R.R.* I, 1165. *Cf.* the list drawn by Snyder in his article cited on p. 6, n. 5.

(6) *P. Lond.* 1912, l. 13.

(7) *P. Mich.* V (Papyri from Tebtunis ii), p. 103.

(8) *P. Mich.* V, No. 244, l. 15 Boak reads ταῖς τοῦ θεοῦ Σεβαστοῦ ἡμέραις, with the remark (*op. cit.* p. 103 n. 1) that "it is possible that this refers to Augustus and not to Claudius, but the circumstances render it unlikely". *Cf.* below, p. 24.

a reflection ?] of their divinity (τὰ δὲ ἡμέτερα ἔνλογα παρεπ[όμενά] ἐστιν τῆς ἐκείνων θειότητος), so that unless you comply with my request, you will compel me to appear in public but seldom" ([1]).

Germanicus would have had no objection to such titles had it not been for the fact that he was, as Cichorius suggests ([2]), called also Σεβαστός (Augustus) and his wife Agrippina Σεβαστή (Augusta), titles that should be exclusively conferred on the ruling sovereigns as meaning "Majestät". He did not wish to appear as a rival of the ruler disputing his authority "dem Kaiser seine Herrschaft streitig", since the epithet ἰσόθεος might suggest the idea of σέβεσθαι ([3]). It is evident, however, that Germanicus would have welcomed the divine honours, provided that they were not misunderstood as those of a rival prince ([4]). Unlike his brother Claudius, he had no objection to divine attributes being bestowed on human beings such as his (adoptive) father, his mother, and his own grandmother.

Claudius then grants the Alexandrians the right to celebrate his γενέθλια (birth-day) as a ἡμέρα Σεβαστή (Augustan day). Now by ἡμέρα Σεβαστή is meant a day which corresponds to some anniversary in the life of the Imperial houses, and particularly the day on which an emperor was born (dies natalis) or the day on which he succeeded to the throne (dies imperii). The question of ἡμέραι Σεβασταί has been fully discussed elsewhere ([5]), and it suffices here to see to what extent the Emperor's approval of the request was brought into effect. Inadequate evidence, however, does not permit of a very clear picture.

([1]) Hunt-Edgar, *Select Papyri* II, No. 211, 31. ff. = *Sammelbuch* 8924 = Ehrenberg-Jones, *Documents illustrating the Reigns of Augustus and Tiberius* (Oxford, 1949), No. 320 (b). For translations, see also A. C. Johnson, *Roman Egypt* (An Economic Survey of Ancient Rome, ed. by T. Frank, vol. II), No. 366 ; Lewis-Reinhold, *Roman Civilization* II, p. 562 f.

([2]) *Römische Studien* (1922), p. 380.

([3]) Cichorius, *l.c.*

([4]) *Cf.* *I. G. R. R.* IV, 74, 75 (Lesbos); *L'Année Épigraphique* (1888), 161 ; (1889), 167 (Samos).

([5]) W. F. Snyder, "'Ἡμέραι Σεβασταί", *Aegyptus* XVI (1938), pp. 197-233.

proclamation of this letter on Nov. 10, 41 A.D.. It reads as follows :

"I have deemed it necessary to display the letter publicly in order that reading it one by one you may admire the majesty of our god Caesar (ἵνα κατ' ἄνδρα ἕκαστον ἀναγινώσκοντες αὐτὴν τήν τε μεγαλειότητα τοῦ θεοῦ ἡμῶν Καίσαρος θαυμάσητε)" (1)

It is to be noticed that the Emperor is here called θεός by the prefect—a thing which contradicts the very words of the Emperor (cf. no. 8 above). Claudius, however, is not to be held responsible for such an appellation which reflects a desire on the part of the prefect to flatter his master. In this he was not unlike the governors of other provinces who strived to win the favour of the emperors by promoting their cult (2).

Claudius first refers to the loyalty of the Alexandrians towards the Imperial family and in particular to the favours which had been exchanged between his brother Germanicus and the citizens of the city. Germanicus, it will be recalled, paid a visit to Egypt in 19 A.D., and gave orders to open the public granaries of wheat to alleviate a food shortage in the capital (3). His munificence during his sojourn made him so popular that he was everywhere hailed as godlike, as a benefactor, and a saviour of humanity. The prince, however, declined such acclamations and ordered the following edict to be issued :

"Your goodwill, which you display on all occasions when you see me, I welcome, but your acclamations, which for me are invidious and such as are addressed to gods, I altogether deprecate (παραιτοῦμαι, cf. no. 8 above). For they are appropriate only to him who is actually the saviour and benefactor of the whole human race, my father, and to his mother, my grandmother. But my position is [but

(1) *P. Lond.* 1912, 7-9.

(2) *Cf.* L. R. Taylor, *The Divinity of the Roman Emperor* (1931), p. 205 ff.; see, however, J. P. V. D. Balsdon, *The Emperor Gaius* (1934), p. 158; M. P. Charlesworth, "Deus Noster Caesar". *Class. Rev.* XXXIX (1925), p. 114.

(3) Tacitus, *Ann.* II, 59.

4. " And the other according to your request shall be carried in procession (πομπεύσει) on name-days (ταῖς ἐπωνύμοις ἡμέραις) in your city; and it shall be accompanied by a throne (συμπομπευέτω δὲ αὐτῷ καὶ δίφρος), adorned with whatever trappings you choose (ᾧ βούλεσθε κόσμῳ ἠσκημένος) " (1).

5. " It would perhaps be foolish, while accepting such great honours, to refuse the institution of a Claudian tribe (φυλὴν Κλαυδιανὰν καταδεῖξαι), and the establishment of groves after the manner of Egypt (ἄλση τε κατὰ νόμον παρεῖναι τῆς Αἰγύπτου); wherefore I grant you these requests as well " (2).

6. " And, if you wish, you may also erect the equestrian statues given by Vitrasius Pollio my procurator (καὶ Οὐιτρασίου Πολλίωνος τοῦ ἐμοῦ ἐπιτρόπου τοὺς ἐφίππους ἀνδριάντας ἀναστήσατε) "(3).

7. As for the erection of those in four-horse chariots (τῶν δὲ τετραπώλων ἀναστάσεις) which you wish to set up to me at the entrances into the country, I consent to let one be placed at Taposiris, the Libyan town of that name, another at Pharos in Alexandria; and a third at Pelusium in Egypt. "(4).

8. " But I deprecate the appointment of a high-priest to me and the building of temples (ἀρχιερέα δ'ἐμὸν καὶ ναῶν κατασκευὰς παραιτοῦμαι), for I do not wish to be offensive to my contemporaries (οὔτε φορτικὸς τοῖς κατ' ἐμαυτὸν ἀνθρώποις βουλόμενος εἶναι), and my opinion is that temples and such forms of honour have by all ages been granted as a prerogative to the gods alone (τὰ ἱερὰ δὲ καὶ τὰ τοιαῦτα μόνοις τοῖς θεοῖς ἐξαίρετα ὑπὸ τοῦ παντὸς αἰῶνος ἀποδεδόσθαι κρίνων) " (5).

Before I proceed to discuss these points I would like to invite the attention of the reader to a statement made by the prefect in his

(1) *P. Lond.* 1912, 38-40.
(2) *P. Lond.* 1912, 40-43.
(3) *P. Lond.* 1912, 43-44.
(4) *P. Lond.* 1912, 44-48.
(5) *P. Lond.* 1912, 48-51.

The honours which the city voted to the Emperor were not few and it would perhaps be more convenient to take up each dedication separately. In the preamble the Emperor states the reasons why he will accept the honours :

" For you are by nature reverent towards the Augusti, as I know from many proofs, and in particular have taken a warm interest in my house. warmly reciprocated, of which fact (to mention the last instance, passing over the others) the supreme witness is my brother Germanicus addressing you in words more clearly stamped as his own. Wherefore I gladly accepted the honours given to me by you, though I have no weakness for such things (καίπερ οὐκ ὢν πρὸς τὰ τοιαῦτα ῥᾴδιος) " (1).

1. " And first I permit you to keep my birthday as a *dies Augustus* (Σεβαστὴν ὑμῖν ἄγειν ἐπιτρέπω τὴν ἐμὴν γενεθλίαν) as you have yourselves proposed " (2).

2. " And I agree to the erection in their several places of the statues of myself and my family (τάς τε ἑκασταχοῦ τῶν ἀνδριάντων ἀναστάσεις ἐμοῦ τε καὶ τοῦ γένους μου ποιήσασθαι συγχωρῶ); for I see that you were anxious to establish on every side memorials of your reverence for my house" (3).

3. " Of the two golden statues (τῶν δὲ δυοῖν χρυσῶν ἀνδριάντων), the one made to represent the *Pax Augusta Claudiana* (ὁ μὲν Κλαυδιανῆς Εἰρήνης Σεβαστῆς γενόμενος) as my most honoured Barbillus suggested and entreated when I wished to refuse for fear of being thought too offensive (ἀρνουμένου μου διὰ τὸ φορτικώτερος δοκεῖν), shall be erected at Rome (ἐπὶ Ῥώμης ἀνατεθήσεται) " (4).

---

(1) *P. Lond.* 1912, ll. 23-29 = Hunt-Edgar, *Select Papyri* II (1934), No. 212 = Charlesworth, *Documents Illustrating the Reigns of Claudius and Nero* (Cambridge, 1939), Nos. 1-2. The text is also partially reproduced in David-van Groningen, *Papyrological Primer*[2] (Leyden, 1946), No. 1. The translation adopted above is that of Hunt and Edgar. For a slightly different translation of the letter, see Lewis-Reinhold, *Roman Civilization* II (New York, 1955), pp. 366-369.

(2) *P. Lond.* 1912, 29-31.

(3) *P. Lond.* 1912, 31-34.

(4) *P. Lond.* 1912, 34-37.

exhaustive commentary, still remains valuable and indispensable. Apart from the proclamation in which the prefect makes the letter known to the public, and the preamble, the letter proper may be said to consist of three almost distinct sections. The first deals with matters bearing on the Imperial cult, the second with the rights of the Alexandrian citizens (including their claim to establish a *boulê* or senate), the third with the anti-Semitic question. The present article is confined to the analysis of the first section, namely the Imperial cult. Another article, which will be published in the following number of this Bulletin, is devoted to the study of the second section or rather to the most controversial point in it, namely the *boulê* problem. The third section, however, will be passed over as it has been thoroughly discussed by the editor of the papyrus in a masterly monograph (1).

The first section of the letter (P. Lond. 1912, ll. 23-51) deals with secular and divine honours which the Alexandrian ambassadors, in the name of their fellow citizens, petitioned the Emperor to accept. Claudius, to reward the Alexandrians for their loyalty towards the *Domus Augusta*, gladly accepted most of these honours although, as he puts it, he had no weakness for such things. But since he did not want to offend his contemporaries, he rejected the purely divine dedications which, he remarks, should be exclusively made to the gods.

This section besides the light it sheds on the Imperial cult in general, reveals many sides of Claudius' character and religious policy. Some scholars, like Laqueur, have endeavoured to read between the lines of the letter, so to speak, in the hope of finding out whether or not the Emperor's words ring sincere (2). It would, however, be more profitable to put his words to the test of documentary *i.e.*, archaeological, epigraphical, numismatic and papyrological evidence to see how far they can be reconciled with it.

---

(1) H. I. Bell, *Juden und Griechen im Römischen Alexandreia* (Beihefte zum Alten Orient, 9). Leipzig, 1926; *idem*, "Anti-Semitism in Alexandria", *J. R. S.* XXXI (1941), pp. 1-18; see also S. Davis, *Race-Relations in Ancient Egypt*. London, 1951, pp. 105-123.

(2) *Klio*, XX (1925), pp. 89 ff.

THE LETTER OF CLAUDIUS TO THE CITY OF THE ALEXANDRIANS

P. Jews (P. Lond. 1912)

BY

ABDULLATIF AHMED ALY

I.—The Imperial Cult

In 1920 or early in 1921 an important discovery was made in the ruins of ancient Philadelphia (mod. Gerza) in the Herakleides division of the Arsinoite nome (mod. Fayûm). Among a group of documents which formed part of an archive of one or more *kômogrammateis* in the reigns of Gaius, Claudius, and in the early years of Nero, there was found a papyrus roll bearing, to our surprise, on its verso, a letter addressed by the emperor Claudius to the city of the Alexandrians [1]. Its Greek citizens had sent an embassy to Rome in order to congratulate the Emperor on his accession to the throne (41 A.D.). Their real object, however, was to request him to accept various honours, to ask for certain favours, and to apologize for the recent anti-Jewish pogrom which raged in the city during the reign of Gaius (Caligula). There is very little doubt that the Jewish community of the city followed the example of the Greeks and sent a rival embassy to the Emperor to plead their case as well as to secure new rights. When the letter was first published by H. Idris Bell in 1924 [2], it aroused a great deal of interest among all students of Greco-Roman history. Enormous literature has clustered ever since around the problems raised by the famous letter [3], but the *editio princeps*, with its

[1] *Cf. P. Lond.* 1912, 15-16: Ἀλεξανδρέων τῇ πόλει χαίρειν.

[2] *Jews and Christians in Egypt.* London (1924), pp. 1-37.

[3] See, for instance, S. Lösch, *Epistula Claudiana*, Rottenburg, 1930.

CONTENTS

OF THE EUROPEAN SECTION

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year, in May and December. All requests for copies should be made to the Cairo University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the Dean of the Faculty of Arts, Giza, Egypt.

Back numbers of this Bulletin are available at 30 P.T. for each Part.

BULLETIN

OF

THE FACULTY OF ARTS



VOL. XVIII—PART II

DECEMBER 1956

CAIRO UNIVERSITY PRESS
1959


Bibliotheca Alexandrina
0542791